

هــذا الكتاب

- « **رأى الدين ٠٠ بين السائل ٠٠ والمجيب ٠٠ فى كل ما يهم المسلم المعاصر** »

- يعرض الكتاب فى أسلوب سهل مبسط ٠٠ كثيرا من مشـــاكل الحياة الانسانية المتنوعة فى مجتمعنا الاســلامى المعاصر ٠٠ التى قلما لا يصــادف الناس بعضا منها ٠

- ويبدى الرأى فيما يعرضه على أساس أن « **القران منهج حياة** » للمستوى الفاضل ٠٠ فى سلوك الانسان ٠ سواء أكان بينه وبين ربه ، أو بينه وبين الناس ٠٠ فى معيشته ، ومعاملاته ، وتصرفاته ٠٠ وأنه يمكن لكل انسان **يؤمن به** أن يطبقه فى حياته ، فى سهولة ، ويسر ، وبدون حاجة الى « **شيخ** » ٠٠ أو « **شفيع** » ٠٠

- وأنه يربأ بكتاب الله **ـ كمنهج حياة** ـ للانسان السوى ٠٠ أن يكون مجالا للشعوذة والدجل ٠٠ فيجيب ، فيما يجيب به : عن الاعتقادات الخاطئة ٠٠ فى الخرافة ٠٠ والقوى الخفية ٠٠ كمصدر ـ للنفع والضرر ـ تدفع الانسان أو تعوقه عن العمل والحركة ٠٠

- وأنه فى اختيار أسـلوب ـ **السؤال ٠٠ والجواب** ـ يقصد الى التحـديد ، وضبط القول ، وتوضيح الصـورة التى تنتقل للقارىء ـ عمـا جـاء فى السـؤال ٠٠ والجواب معا ٠٠

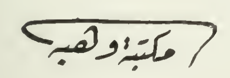
- ويعنى بالتمييز بين العادات الدخيلة ، أو المستـوردة ٠٠ والأخـرى المستوطنة والتى تحولت الى عادات غير اسلامية ، ليدرك جمهور المسلمين وعامتهم هـذا التمييز ٠٠ وتوجيه الاسلام الصحيح ٠٠

- وبين يدى القارىء ـ الآن ـ **الجزء الرابع من هذا الكتاب** ٠٠ بعد أن صدر منه ـ من قبل ـ **الجزأين الأول والثانى ، والجزء الثالث** اتماما للفائدة ٠٠

- **ومؤلف الكتاب** : عالم جليل ٠٠ أستاذ متخصص يجمع بين الثقـافة الاسلامية الواسعة ، والثقافة الغربية الواعيـة ٠٠ له مكانته وأصـالته فى الفكر والعلـوم الاسلامية والقرآنية ، وصاحب « **التفسير الموضوعى للقرآن الكريم** » وله العديد من مؤلفاته القيمة ٠ التى أثرت المكتبة الاسلامية ٠٠ وله خبراته وتجاربه العلمية ٠٠ فى مؤسسات العلم والبحث ، وأجهزة الثقافة والتوجيه ٠٠ ورحلاته المتعددة ٠٠ شرقا وغربا ـ هو خير من يرشدنا الى ـ « **رأى الدين** » ٠٠

- ويسر « **مكتبــــة وهبـــة** » أن تقوم بنشر هذا الكتـاب ـ لتعـرف الأمة الاسلامية « **رأى الدين ٠٠ بين السائل والمجيب ٠٠ فى كل ما يهم المسلم المعاصر** » ٠

وبالله التوفيق ؟



رقم الايداع بدار الكتب ٨٣/١٨٢٤
الترقيم الدولى ٣ ـ ٠٠٩ ـ ٣٠٧ ـ ٩٧٧

دار غريب للطبـــاعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) ـ تليفون : ٢٢٠٧٩

٢٤ـ هيمنة القرآن ·
٢٥ـ الاسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ·
٢٦ـ نظام التأمين ·· فى هدى أحكام الاسلام وضرورات المجتمع المعاصر ·
٢٧ـ الاسلام ·· والادارة : الحكومة ·
٢٨ـ الاسلام والاقتصاد ·
٢٩ـ مشكلات المجتمعات الاسلامية المعاصرة والفراغ من الاسلام ·
٣٠ـ عقبات فى طريق الاسلام فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة ·
٣١ـ الاسلام دعوة ·· وليس ثورة ·
٣٢ـ من أداء الواجبات ·· تبتدىء سياسة الحكم فى الاسلام ·
٣٣ـ الاسلام ومواجهة المذاهب الهدامة ·
٣٤ـ مفاهيم يجب الوقوف عندها فى لغة اليسار العربى ·
٣٥ـ الاخاء الدينى ·· ومجمع الأديان وموقف الاسلام ·
٣٦ـ العلمانية ·· وتطبيقها فى الاسلام ·
٣٧ـ مستقبل الاسلام ·· والقرن الخامس عشر الهجرى ·
٣٨ـ الاسلام ·· والرق ·
٣٩ـ التفرقة العنصرية ·· والاسلام ·
٤٠ـ التربية فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة ·
٤١ـ الشباب بين التطرف فى الايمان ·· والشك فى الله ·
٤٢ـ الاسلام كنظام للحياة ·
٤٣ـ مشكلة الألوهية ·· بين ابن سينا والمتكلمين ·
٤٤ـ الفارابى ·· الموفق والشارح ·
٤٥ـ الغزالى ·· فلسفته الأخلاقية والصوفية ·

● **ومن التفسير الموضوعى للقرآن الكريم :** تفسير سور : النساء ـ الأنعام ـ الأعراف ـ يونس ـ هود ـ يوسف ـ الرعد ـ ابراهيم ـ الحجر ـ النحل ـ الاسراء ـ الكهف ـ مريم ـ طه ـ الأنبياء ـ المؤمنون ـ الفرقان ـ الشعراء ـ النمل ـ القصص ـ العنكبوت ـ الروم ـ الصافات ـ جزء عم ·

● **تحت الطبع :** حياتى ·· فى رحاب الأزهر : طالب · وأستاذ · ووزير ·

تطلب من : مكتبة وهبة ـ ١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين ـ القاهرة
تليفون : ٩٣٧٤٧٠

كتب للمؤلف

١ ـ الجانب الالهى فى التفكير الاسلامى ·
٢ ـ الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ·
٣ ـ الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر (مشكلات الحكم والتوجيه) ·
٤ ـ الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر (مشكلات الأسرة والتكافل) ·
٥ ـ الاسلام فى حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة ·
٦ ـ خمس رسائل الى الشباب المسلم المعاصر ·
٧ ـ تهافت الفكر المادى التاريخى بين النظرية والتطبيق ·
٨ ـ غيوم تحجب الاسلام ·
٩ ـ الاسلام فى الواقع الأيديولوجى المعاصر ·
١٠ـ طبقية المجتمع الأوروبى ·· وانعكاس آثارها على المجتمع الاسلامى ·
١١ـ الفكر الاسلامى فى تطوره ·
١٢ـ الاسلام فى حياة المسلم ·
١٣ـ رأى الدين بين السائل والمجيب ·· فى كل ما يهم المسلم المعاصر (جزآن معا) ·
١٤ـ رأى الدين بين السائل والمجيب ·· فى كل ما يهم المسلم المعاصر (الجزء الثالث) ·
١٥ـ رأى الدين بين السائل والمجيب ·· فى كل ما يهم المسلم المعاصر (الجزء الرابع) ·
١٦ـ نحو القرآن ·
١٧ـ القرآن ·· والمجتمع ·
١٨ـ منهج القرآن ·· فى تطوير المجتمع ·
١٩ـ المجتمع الحضارى وتحدياته ·· من توجيه القرآن الكريم ·
٢٠ـ الدين والدولة ·· من توجيه القرآن الكريم ·
٢١ـ القرآن الكريم ·· يقول ·
٢٢ـ من مفاهيم القرآن ·· فى العقيدة والسلوك ·
٢٣ـ القرآن فى مواجهة المادية ·

الصفحة

★ ★ ★

الصفحة

الفصل الرابع : فى مشاكل الحضارة المعاصرة
(٣٩٧ ـ ٤٦٨)

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الفصل الثالث : فى شئون العادات والتقاليد
(٢١٧ ـ ٣٩٥)

الصفحة

الصفحة

الفصل الثانى : فى شئون الأسرة
(٧٥ ـ ٢١٦)

محتويات الكتاب

الصفحة

الفصل الأول فى دائرة الألوهية .. والواجبات الدينية
(٩ ـ ٧٤)

لا يستطيع أداءها · ومعنى أن هذا البعض ـ من الذى نجحوا غشا وزورا ـ لا يستطيع أداء مسئوليته : حرمان من يتعامل معهم من الحصول على حقوقهم المشروعة بسبب عجز أولئكم عن الأداء ·

ثانيا : تتجلى خطورة الضرر أيضا فى حصول هؤلاء الذين نجحوا بالغش على أجور ، مقابل اهمال أو سوء أداء ، اذا ما كلفوا بمسئوليات رسمية فى وظائف معينة ، دون أن تكون لهم طاقة على الأداء ، ودون أن تكون لديهم أمانة فيه · فمن يقبل الغش والخداع فى اغتصاب حق ليس له وانتزاع حق ممن هو صاحبه : يقبل الاختلاس وأنواع الصور المختلفة فى عدم الأمانة فى العمل أو التقصير فيها ·

● والسائل وقد أخذ الطريق الصحيح ، وهو الاعتماد على الذات ، والتوكل على الله فقد عاد لله وتاب توبة نصوحا ، فكل المراحل التى اجتازها الآن الى الدراسة الجامعية كان بفضل جهوده الذاتية وبفضل استقامته واعتماده على المولى جل شأنه · ومن تاب الى الله توبة نصوحا ولم يعد الى مباشرة الاثم والعصيان وسلك طريق الطاعة الى الله ورسوله غفر الله له ما كان من ذنب وقع منه : « **فمن تاب من بعد ظلمه** (أى لنفسه أو لغيره بارتكابه الاثم والمنكر) **وأصلح** (بأن عاد الى طريق الله) **فان الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم** » (١) ··



(١) المائدة : ٣٩

● قبل توضيح الاجابة على سؤال الطالب هنا نود أن نعبر له عن تقديرنا لضميره الحى وخشية من الله وحده · فمثله يكون أمينا فى مسئوليته ، وفى علاقته الأسرية ، وفى سلوكه الشخصى · والأمانة فى المسئولية وفى العلاقة الأسرية وفى السلوك الشخصى تنقص كثيرا من شباب اليوم ، بينما تحتاج اليها الأمة فى بناء مستقبلها احتياجا شديدا ·

وتصور الوضع هنا لما تم بين الطالب وزميله هو أن :

● الطالب أخذ اجابة غيره ونسبها الى نفسه · وبذلك يكون أخذ حقا ليس له عن طريق اثباته هذه الاجابة فى ورقته الخاصة · وهذا الحق هو نجاحه فى المادة التى كان لا يفقه فيها شيئا ، كما يحكى ·

واعطاء زميل له هذه الاجابة عن رضا واختيار لا يبرر مشروعية الحق الذى وصل اليه وهو النجاح فى المادة · اذ المدرسة عندما منحته حق النجاح كانت واقعة عندئذ تحت خداع باشره الطالب وزميله معا · فقد اشتركا فى مباشرة الخداع ، بعد الاتفاق عليه ·

وهذا اثم لا شك فيه وضرره على المصلحة العامة واضح · وهو تعرضها للضياع فالامتحان يقصد به التمييز بين أفراد الطلاب فى تحصيل المعرفة : جودة ·· وضعفا · وبناء على هذا التمييز يكون توجيههم فى دراسة الكليات المختلفة أو فى مباشرة المسئوليات العديدة · وهذا ربما ـ لو شاع هذا العمل الخادع ـ لأخذ الضعيف مكان المتفوق عليه فى كلية لا يجدر به الانتساب اليها ، أو باشر عملا غير مؤهل له · وهذا معناه ظلم شخصى ·· وظلم كذلك للمصلحة العامة ، ككل ·

وما يذكره السائل هنا فى توضيح سؤاله بقوله : « أعتقد اننى أبنى على حرام كمثل تاجر رأس ماله من حرام » ·· يقرب تصور هذا العمل الآثم فى واقع أمره ·

وخطورة الضرر الناتج عن « الغش » فى الامتحانات والتزوير فيها ، على مثال ما يذكره الطالب السائل فى رسالته هذه ، يتمثل ·

أولا : فى الاعتماف الرسمى بأهلية الناجحين عن هذا الطريق ، وبصلاحيتهم لمباشرة العمل الذى يسند الى الناجحين فى صدق فيما امتحنوا فيه من مواد معينة تحدد مستوى تعليميا معينا ، كأساس للصلاحية الخاصة· وهكذا نجد بعض من تناط بهم مسئوليات حسب مستواهم الثقافى والتعليمى

التخريب والتدمير · ويمكن كذلك استخدامها فى الأهداف السامية كمولد للطاقة ·

والسائل لا يتحرج اطلاقا من مواصلته « التدريب » زيادة فى دقة التطبيق الصناعى وسعة المعرفة فى شئون التكنولوجيا·وتدينه سيجعله أمينا على حسن استخدام مايتدرب عليه وما يضاف الى معرفته من جديد كل يوم ·

وهو اذ يواصل تدريبه سيؤدى خدمة ـ لا لنفسه بزيادة دخله فقط ـ وانما لأفراد مجتمعه معه · وهى خدمة ابعاد الاحتكار فى اصلاح الأجهزة الاليكترونية ، وابعاد الغلو فى أجور اصلاحها · وهنا يكون تدينه بجانب دقته فى المعرفة والتطبيق من نعم الله على هذا المجتمع ·

ونسأل الله أن يوفق كل صاحب مسئولية فى أداء أمانته لخير هذا الشعب وأن يتجنب فى أدائها كل ما يسىء الى شبابه فى مستقبل حياتهم ·

★ ★ ★

١٦٩ ـ الغش فى الامتحانات :

كتب طالب لم يذكر موطنه : يقول :

انه حصل على شهادة متوسطة والتحق بالقوات المسلحة مجندا · وتقدم لامتحان السنة الأولى الثانوية « منازل » وكانت هناك مادة لم يدرسها من قبل بين مواد الامتحان ولم يكن ـ على حد تعبيره ـ يفقه فيها شيئا · فساعده أحد الزملاء أثناء الامتحان بقصاصة ورقية تحتوى على الاجابة · ونقلها فى ورقة الاجابة · مما كان سببا فى نجاحه فى هذه المادة ، وانتقل الى السنة الثانية ·

ولكنه لاحساسه بالذنب كلما تذكر هذه القصاصة : حمله على أن يعتمد على نفسه فى الامتحانات التالية ، حتى وصل الى التعليم الجامعى ·

ويقلقه أنه يعتقد أنه يبنى على حرام ومثله كمثل تاجر : رأس ماله من حرام · ولذا يطلب الافادة برأى الاسلام فى ذلك · ويعد بانه لا يجزع ولو كانت الافادة هى أن يترك الجامعة ويعود من أول السلم مرة أخرى ؟

فالآية تعد من نعم الله على البشرية : ارسال الرسل بالهداية الالهية من وقت لآخر ، التى تتمثل فى رسالة الرسول أى رسول ، ليقوم على أساسها العدل بين الناس .. « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » .

كما تعد من نعم الله على البشرية بجانب الرسالة الالهية : التنبيه الى « الحديد » ومنزلته فى الحياة الانسانية ، سواء فى وقاية الناس ورد العدوان عنهم ، أو فى استخدامه فى وجوه شتى هى منافع لهم : « **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** » ..

واستخدام الحديد على الوجه الأمثل يتوقف على العلم والتقدم فيه . اذ كلما تقدم العلم وكلما تطور التطبيق الصناعى على أساس التقدم العلمى ، كلما بان للبشرية وجوه النفع والصلاحية التى يمكن للناس أن يفيدوها من الحديد .

فالعلم .. والتقدم فيه .. والتطوير فى التطبيق الصناعى على أساس منه : مقدمات ضرورية للكشف عن نعمة من نعم الله على الانسان ، وهى نعمة المعادن التى هى فى جوف الأرض .

والمؤمنون بكتاب الله كما هم مطالبون بتطبيقه فى حياتهم ، وفى سلوكهم ، وفى مواقفهم : مطالبون بالعلم فى شئون الحياة الدنيا وبتنمية ملكاتهم فيه وبحسن تطبيق ما يحصلونه منه :

فالعلم بالكون اذ يوصل فى النهاية الى معرفة الله جل شأنه ، فان العلم بالحديد وما على شاكلته من المعادن الأخرى يوصل الى الاعتقاد بأن الله قوى عزيز ، واذا كانت القوة من صفاته فهو يحب أن يكون المؤمنون أقوياء . واذا كان عزيز الجانب لا يغالب فهو يحب أيضا أن يكون المؤمنون أعزاء لا ينال منهم عدوهم بحال .

● والسائل هنا اذا كان يرى فى ارسال التليفزيون سوء فالجهاز نفسه .. ولا صنعه ولا المخترع له ليس المصدر لهذا السوء . وانما من يستخدمه على الوجه الذى يرى فيه السائل السوء هو المصدر له .

والمخترعات الحديثة كلها ، وكذلك التى تجد يوما بعد آخر ان صاحب استخدامها شر فالشر ليس من ذاتها . والا كانت دائما شريرة . وانما هو عارض لها بسبب سوء استخدامها « فالذرة » مثلا يمكن استخدامها فى

● أما العملية التجميلية لتغيير الأنف فهى عملية ترفيهية · وليس هناك ضمان لنجاحها كما ينبغى · ومع ذلك فهى مرتفعة التكاليف · والاسلام يوافق على اجراء العمليات التى تعد من الضروريات لسلامة البدن · أما العمليات الترفيهية فهى أشبه بتغيير فى صنع الله ، وتنطوى على عدم الرضا لخلقه ·

والحل الآن أن تقلل من أهمية هذا النقص وتعنى بالنعم الأخرى التى وهبت لها · وبذلك تجتاز هذه الأزمة النفسية · فالمبالغة فى شأن هذا النقص الجمالى هى سبب الأزمة · ولتعلم أنه لا يوجد الانسان الكامل · فالكمال لله وحـــده · والعوامل التى تجذب المرأة نحو الرجل ليست دائما هى جمـــال الوجه ·

☆ ★ ☆

١٦٨ ـ العمل فى صيانة التليفزيون :

كتب مواطن من احدى المحافظات ، يذكر :

أنه حاصـل على دبلوم ثانوى صناعى ، ويعمل فى شركة بمرتب أربعين جنيها · وفكر فى أن يلتحق بتدريب لصيانة الراديو والتليفزيون ، حتى يزيد دخله ويتلاءم نوعا ما مع ارتفاع الأسعار ·

كما يذكر : أنه شاب يحاسب ضميره قبل أن يحاسبه الله عز وجل ·· وشاب متدين ولكن عقله حدثه : لماذا يصلح التليفزيون ومعظم برامجه لا تليق بتعاليم الاسلام ؟ وأنا لا أذكر ان التليفزيون يذيع بعض برامج دينية ، ولكنها قليلة « وفى هذا الصراع مع ضميرى وعقلى : لماذا أصلح هذه الأجهزة وهى تذيع برامج لاثارة الشباب والبنات » وأسأل : هل أمضى وأعمل فى صـيانة الراديو والتليفزيون ؟ أم أترك هذا العمل وأبحث عن عمل آخر ؟

● هناك أمران يجب الفصل بينهما تماما · هناك العلم ·· وهنـاك تطبيق العلم · فالعلم يحض الاسلام على السـعى لتحصـيله · ومن فروعه العلم الذى تقوم عليه الصناعة ، وفى سورة الحديد جاء قول الله تعـــالى : « **لقد أرسلنا رسـلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز** » (١) ··

---

(١) الحديد : ٢٥

نعم ان جمال الخلق والوجه والبدن نعمة · ولكن كم من جميلة الوجه والبدن وهى من الغباء بحيث لا تميز بين خبيث وطيب ·· ومن برودة الطبع بحيث لا تفترق عن تمثال من المرمر صامت لا ينطق ، وجامد لا يتحرك ·

نعم الله جل شأنه عديدة · ولكن لا يجمعها فى انسان واحد · وانما يعطى كل واحد منها ما يختبره بها فى موقفه منها : أيستخدمها كما يشاء الله ؟ أم يخرج بها عن سنته فيطغى أو يعبث بها ؟ ·

المال نعمة · والولد نعمة · والذكاء نعمة · والجاه نعمة · والسلطان نعمة · والصحة نعمة · والجمال نعمة · والعلم نعمة ·· الى غير ذلك من نعمه جلت قدرته ، وهو لا يعطيها جميعها لواحد ، كما ذكرنا ، ويبتلى بها من أعطاه اياها · فاذا أنفق المال فى الطغيان ، أو سخر الأولاد فى الاعتداء ، أو استخدم الذكاء ، أو الجاه ، أو السلطان ، أو الصحة فى العدوان على الضعفاء ، فانه عندئذ يخرج بنعمة الله عن غايتها وهدفها · وهدفها أن تكون سبيلا للنفع الخاص والعام : واذا سخرت المرأة جمالها فى الفتنة والغواية ، أو سخر العالم علمه فى التدمير والتخريب يكون كذلك قد خرج بنعمة الله عن اطارها المشروع · وهو اطار الخير للبشرية ·

● واذا كانت السائلة ترى فى طول أنفها شرا لها فهى مبتلاة أيضا بهذا الشر ، كما يبتلى الفقير بفقره · فان صبرت جازاها الله خيرا · وان جزعت عذبها بالضيق والقلق · انها فى سؤالها تصغى كثيرا لما يقال عن أنفها وتتأثر بما يقال · وهذا يدل على عدم الصبر منها · وأولى بها أن تصبر وترضى بما قسم الله لها من نعم · وهى عديدة · ان الله قد عوضها عن طول الأنف · فلماذا لا تفكر فى نعم الله عليها وتنسى طول أنفها ؟

ثم هل ذوق الناس جميعا واحد ؟ ان أذواق الناس مختلفة : فما يراه هذا جمالا لا يحس غيره معنى الجمال فيه · كم من امرأة قصيرة بدينة يعتز بها زوجها لأنها وهبت الصوت الحسن والذكاء ، وحسن التدبير والتقدير للأشياء · والذكاء والتدبير ، وحسن التقدير : صفات نفسية مقابل نقص مادى فى جمال البدن · واذن الزوج لا يرى فيها عيبا يحول دون تقديره لها واعتزازه بها ·

وتدين السائلة يجب أن يظهر فى ثباتها وعدم اضطرابها لما يقال عنها من أن لها أنفا طويلة · واتزانها عندئذ سيقلل من هذا النقص الجمالى ، سواء فى تصورها أو فى تصور الآخرين ·

١٦٧ ـ العيوب الخلقية ·· وعمليات التجميل :

كتبت طالبة باحدى الكليات المرموقة ـ كما تقول ـ ولم تتخلف حتى الآن · وعمرها تسعة عشر عاما · تذكر قصتها فيما يلى :

أولا : انها من أسرة متدينة · وهى تعرف الله كل المعرفة · وما يقلق حياتها : أن أنفها طويل الى حد يلفت النظر · من أجل ذلك تشعر بالقلق · ومن هذا الشعور ابتدأ مستواها يضعف فى الكلية ·

ويزيد فى احساسها بالقلق أن الأطفال يعيبون على أنفها لاخوتها الصغار · وهذا يسبب لها حرجا كبيرا مع أهلها · وتحاول أن تبدو بينهم غير حزينة · ولكنها من الداخل تحترق ·

واذا قدم انسان ما لخطبتها فتحس أنه قدم ليعطف عليها فقط ·

وتسأل :

ــ هل اذا أجريت لها عملية جراحية للأنف يعارض اجراؤها شريعة الله ؟

ــ واذا لم تعارض العملية الجراحية شريعة الله هل هى مضمونة ؟ وكم تبلغ التكاليف ؟ لأنها من أسرة فقيرة بعض الشىء ·

● الطالبة السائلة تركز كل تفكيرها على ما تسميه عيبا خلقيا فيها · وهو طول أنفها الى حد يلفت النظر ، كما تتصور · وأصبحت تعانى من شكلها الذى تصفه بأنه : « قبيح » وتنسى أن الله الذى خلقها على هذا النحو أنعم عليها بنعم عديدة :

أولا : أنعم عليها بالصحة · فلم تصب مثلا ـ والعياذ بالله ـ بشلل الأطفال ·· أو بالسرطان ، ونحو ذلك من الأمراض التى ييأس المصاب بها من الشفاء منها ·

وثانيا : أنعم عليها بنعمة التفوق فى الدراسة · والتفوق يرفع من شأنها ويزيد من قيمتها عند التقدير والاختبار لعمل ما ·

وثالثا : أنعم عليها بالايمان والدين · وهو فى ذاته فضل يجعل صاحبه مميزا فى سلوكه وفى تصرفاته ·· ومأمونا فى عشرته وصحبته · وتلك ميزة يحتاج اليها الزوج فى زوجته ورب العمل فى عمله ·

● ولكن هناك أمران وراء ذلك : أمر فقهى ·· وآخر اجتماعى :

أما الفقهى فهو حضور وليها ــ والدها أو من هو بعده أقرب فى عصبتها ــ عقد قرانها وكيلا عنها · فيروى فى حديث عن رسول الله ﷺ قوله : « لا نكاح الا بولى » ·· أى لا صحة لعقد قران الا بوجود ولى للمرأة فاذا لم يوجد لها ولى فالحاكم هو وليها · ويكاد هذا الرأى الفقهى يكون رأى جمهور الفقهاء · كما يروى عن الرسول ﷺ : « لا تزوج المرأة المرأة ، ولا تزوج المرأة نفسها » ··

ووجود الولى فى عقد القران لا يمنع اختيار المرأة لمن يعقد عليها قرانه · فالمرأة يؤخذ رأيها · فاذا كانت ثيبا وجب أن تعلن رأيها صراحة · وان كانت بكرا فيكتفى لحيائها بسكوتها · والولى تلزمه اجازة عقد الزواج ان كان الزوج كفؤا للزوجة · وبهذا لا يكون تصرف الولى مطلقا حسب هواه ·

● والأمر الآخر الاجتماعى فهو اختلاف العادات والتقاليد فى بلد كمصر ·· وبلد آخر كالولايات المتحدة الأمريكية · وهى وطن المرشح للزواج هنا · ان المرأة المصرية التى تعيش مع زوج مصرى لها فى بلد كالولايات المتحدة الأمريكية : تحافظ بقدر ما يمكن على بعض العادات والتقاليد الشرقية فى حياتها وحياة أسرتها · وزوجها شريك لها فيما تحافظ عليه من عادات بلده وتقاليده · وهذا مما يسهل للزوجة المصرية تقبل الحياة الأمريكية هناك ، مع ما قد يكون بين العادات والتقاليد هنا وهناك من اختلاف واضح · فهل يمكن للمرأة المصرية أن تعيش مع زوج أمريكى أجنبى فى نشأته وفى مفاهيم الحياة ، بحيث لا تضار نفسيا ·· أى بحيث لا يكون لديها صراع داخلى بين الجديد وما تعودت عليه من قبل ؟

فاختلاف العادات والتقاليد ليس فى الطعام والشراب · ولكن فى المعاشرة وفى الصحبة والرفاق · ولا أعتقد أن ايمان الأجنبى هنا بالاسلام كفيل بتحويل مشاعره وأحاسيسه بحيث تكون متلائمة مع أحاسيس زوجته المصرية ومشاعرها ، أو قريبة منها ·

وعلى أية حال نرجو أن لا تكون ابنة السائل واقعة فى اصرارها على الزواج ممن أعجبت به ، تحت بريق الحضارة المادية التى تزين لها ولغيرها ممن هن فى سنها حياة التقدم الصناعى ذلك التقدم الذى قلما يساوقه تقدم فى الانسانية فى معانيها وقيمها ·

* * *

١٦٦ ـ الزواج بالأجنبى فى الدين ، والعرف ، والوطن ، وأسلوب الحياة :

كتب مواطن • لم يذكر موطنا له ، ويروى فى رسالته :

ان طالبا أجنبيا لا يدين بالاسـلام وقدم القاهرة ايدرس القرآن والسنة وبعضا من الكتب الدينية • واقتنع بأن الاسلام هو دين الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فأشهر اسلامه ، وأحس أن حياته ابتدأت من جديد ـ كما يقول • وأمضى فى هذه الدراسة مدة عامين •

ولصاحب الرسالة ابنة تعمل فى احـدى السـفارات الأجنبية التى كان يتردد عليها هذا الطالب • وهى تبلغ من العمر أربعة وعشرين سنة • وفى الفترة التى كان يتردد فيهـا هذا الطالب على سـفارته تعلق بابنة صـاحب الرسالة وتعلقت هى به ، ويريد الزواج منها ، وهى أيضا تصر على أن تكون زوجة له • فهو فى نظرها : يؤدى جميع الفرائض ولا تجـد فيه ما يشـينه • وتقول حتى لو أجمع الجميع (أفراد أسرتها) على رفضه فموقفها منـه لا يتغير وستتزوجه • ويسأل :

كيف يتم الزواج ؟

وهل اذا لم يحضر والدها عقد قرانها يكون العقد باطلا ؟

● ليس لنا هنا كأفراد للأمة الاسـلامية أن نفتش فى ضمائر الـذين يعلنون ايمانهم برسالة الرسول عليه السلام : هل هم جادون فى ايمانهم أم لا • فقد نهى القرآن الكريم فى قول الله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا** » (١) •• فقد نهى عن عدم قبول اسلام من يلقى السلام عـلى المؤمنين وهم فى طريقهم للدعوة فى سبيل الله •

وغاية النهى عن ذلك هو قبول الاسلام ممن يعلن الاسلام • وهذا الأجنبى ـ كما جاء فى رسالة السائل ـ قد أشهر اسلامه • وبذلك يصبح واحـدا مـن عداد المسلمين • وهو كفء من حيث اسلامه للزواج من مسلمة • سواء أكانت هذه التى تصر على زواجه أم غيرها •

---

(١) النساء : ٩٤ •

لا أمل له فى النجاح فى صفوف الدراسة ·· وبعد عن الله فى أداء العبادات وفى الاعتمـــاد والتوكل عليه · وبذلك يكاد يكون قد دخل مجهـــوده دائرة « الصفر » فى مجهود الانسان البشرى ·

بالغ فى الخوف من الامتحانات ، وتطرف فى مبالغتــه وتقــديره لها · فأصابت هذه المبالغة حياته بالركود ، والتشاؤم ، والسلبية التامة ، وفقدان الثقة بالنفس ·

وليس هناك من علاج له ولأمثاله سوى أن يقف بالتحليل على عناصر هذه المشكلة وحلها :

أولا : أن يتابع الدروس والمحاضرات فى الكلية ـ أو فى مرحلة الدراسة التى هو بها ـ أولا بأول أثناء الدراسة ·· وأن يراجع ما لم يفهمه منها فى كتب المراجعة ، بعد الانتهاء من سماعها فى المدرسة أو الكلية ·

ثانيا : أن يتبع طريقة التلخيص للنقاط الرئيسية التى تتكون منها المادة. على هامش كتابها الذى بيده · حتى يمكن مراجعتها قبل أداء الامتحان فيها ، وفى دقائق محدودة ·

ثالثا : أن يدخل الامتحان وهو معتمد على الله وحده · وعندما يتسلم ورقة الأسئلة يقرأ الأسئلة جميعها مرة ·· ومرة · ثم يبتدىء بالاجابة عن السؤال الذى يراه سهلا ثم السؤال الآخر الذى يراه تاليا له فى السهولة ·· وهكذا ··

والامتحانات تتحول الى شبح رهيب اذا جعلت كل شىء فى حياة الطالب ·· وبالأسلوب المنطوى على التهديد والوعيد · وآن الأوان لأن تأخذ وضعا غير واضح العلانية فى حياة الطالب · ولولا انه ليس هناك ضمان فى حيدة « أعمال السنة » ·· لكانت مراقبة الطالب وتتبع عمله أثناء الدراســـة هو الأسلوب الأول لتمييز الطلاب بعضهم عن بعض ·

ولا تنسى أخيرا الاعتماد على الله · فهو دافع نحو السعى والعمل··وفى الوقت نفسه هو عاصم من هزات النفس بسبب الخوف ·

* * *

واهتزت نفسه واضطربت · فاذا صادف : أنه رأى فى منامه أنه قد رسب فى الامتحانات ، وجاءت نتيجتها بالرسوب فى بعض المواد فيها على أثر الرؤيا المنامية ، عندئذ يزداد اهتزاز نفسه ، ويزداد اضطرابها ·

ومن اهتزاز نفســه فى فترات متلاحقة يفقد الثقة فى نفسه فيهمل فى استذكار دروسه ويتراخى فى مطلوب الامتحانات ، ويلجأ الى بعض الوسائل الأخرى ليتخذ منها سبيلا الى اجتياز الامتحانات ، كتلاوة القرآن الكريم ··

والقرآن الكريم اذ يتلوه قارىء ، حسبما جاء فيه ، انما يتلوه ليتخذ منه الهداية فى الســلوك . والعمل معا · وعندئذ يقى نفســه بهدايته من الخطأ والانحراف · والقرآن عندئذ وقاية عن طريق الارشــاد الى العمل السوى ، وليس عن طريق حمله كتميمة يتحفظ بها ضد الشر ·

وعدم الثقة بالنفس ، كما يترتب عنه التراخى والانصراف عن العمــل الجدى ، يترتب عليه أيضا : التشاؤم · والتشاؤم اذا تمكن من نفس الانسان جعل أمامه جميع الطرق والمنافذ فى الحياة مغلقة··وجعل له النهار ظلاما فلا يرى فى حياته الا السواد الحالك مملوءا بالأشباح ومصادر الشر · وكلما قوى التشاؤم عند انسان ما ، كلما اشتدت سلبيته ، واشتد جموده فى الحركة ·

والتشاؤم ليس من الاسلام فى شىء · فالانســان المؤمن اذا رأى ما يكرهه قال : « اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بك » ·· ويتوكل عليه جل جلاله · ومقدمة التوكل عــلى الله أن يستنفذ المؤمن كل ضروب التفكير فى الأمر الذى يقدم عليه ، ويصمم على تنفيذ ما يراه الأفضــل والأرجح فى تنفيذه · وعندئذ يتوكل على الله ويدعوه لمساندته ·

والسائل يخطىء هنا فى أمرين لا يقرهما الاسلام : يخطىء فى اتخــاذ تلاوة القرآن كوسيلة لانقاذه من مشكلة الامتحانات · والمنقذ له منها هو العمل فى السبيل المرسوم لاجتيازها · وهو الاستذكار ومراجعة موادها حســب الطاقة البشرية · ويخطىء فى التشاؤم وترك أمره يشتد بقبضته عليه حتى لا يرى بصيصا من نور فى حياته·وهنا ينسى الله والاعتماد عليه،ويترك الشيطان يدخل بوساوسه الى أعماق نفسه فيثير فيها من الشبه ما يحول بينه وبين أداء الصلاة ·· وربما يحول بينه وبين الايمان الصحيح بالله ·

● وصاحب الرسالة هنا فقد الثقة بنفسه ·· وضــعف فى مواجهــة مشكلته الخاصة وهى مشكلة الرهبة من الامتحانات ·· وتشاءم بحيث أصبح

ورغم هذه الأحـــلام المزعجة كان ينجح كل سنة حتى التحق بالكلية ، فابتدأ يتعثر فى سير الدراسة : مرة يرســب ·· ومرة ينجح · ورؤيا المنام بالنجاح أو بالرسوب لا تفارقه ·

ومن خوفه من الامتحانات اتجه الى تلاوة القرآن وأهمــل اســـتذكار الدروس · ومع تلاوته القرآن ابتعد عن الله ، وانقطع عن أداء الصــلاة ·· وعن ذكر الله · ولكنه لم يتجاوز ذلك الى مباشرة الفحشاء ·

وفى بعده عن الله عرضت له ظواهر نفسية جسيمة ـ كما يصـفها ـ منها :

١ ـ عدم الثقة بالنفس ·

٢ ـ وتكرار الرسوب فى الامتحانات ·

٣ ـ والعيش فى فراغ ··

وظل مبتعدا عن الله ، كما ظل الشيطان يوسوس له بشبه تحول بينـه وبين أداء الصلاة · ويسمى هذه الفترة بفترة الجاهلية ·· وخلفت فى نفسه :

(أ) التشاؤم الى أبعد مدى ··

(ب) وكثرة الأحلام المزعجة ·· واهمال استذكار الدروس والكسل ·· وعدم الثقة بالنفس ·

(جـ) ويرجو أن نركز فى ردنا على رسالته على الرؤيا المنامية ·

● الحالة النفسية للطالب صاحب الرسالة : أنه يرهب الامتحانات منذ صغره والتحاقه بأولى مراحل التعليم ·· وقد تضخمت الرهبة منه وتكون فى نفسه احساس قوى بالخوف منه ، على مدى السنين ومواسم الامتحانات حتى أصبح شبحه يتمثل له أثناء نومه فيرهبه ، ويتصور :

١ ـ انه رسب فيها مرة ·· أو أنه حدث له ما يبكى منها بشأن ورقة الاجابة ·· أو أنه تأخر فى الحضور أمام لجنة الامتحانات ·· وغير ذلك مما يتصـــوره فى حديث النفس أثناء نومه ، عندما تجـول الامتحـانات بخاطره · وقلما تفارقه ·

منذ أول أجيال البشرية : « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسـجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين** » (١) ٠٠ ليوضـح أن الدنيـا لا ينبغى أن يهرب المؤمن من متعها ، وانما فحسب لا يسرف فى الاستمتاع بها ٠٠ وهنا تطالب مثل هذه الآية الاعتدال وعـدم التطرف ٠ ومن التطرف هجرها وتركها كليه ٠٠ أو الاقبال عليها فى شره ونهم حتى يصبح مسرفا فى استخدامها ٠

ولو أن هذا الطالب واجه متع الحيـاة الدنيا فى اعتدال فكان لا يرى الشيطان مجسما فى المرأة ٠٠ وبالتالى كان لا يتخيلها الا شرا خالصا ٠٠ لو كان موقفه هذا الموقف لما بلغ افتتانه بابنة عمه هذه الدرجة التى جعلته ينسى الله ، ويذكرها هى ٠

والسبيل الى علاج وضعه الحالى : اما أن يتزوج ابنة عمه ٠٠ أو يترك المنزل ليعيش مع الطلاب فى احدى المدن الجامعية ٠ وعندئذ يجب أن يجاهد نفسه ٠ ومجاهدة النفس هى رياضة يعتمد فيها على الايمان وضبط النفس ، والتوكل على الله فيما يصرف عنه السوء وانفراج ازمته ٠ وكلما مرت عليه الأيام فى المجاهدة كلما خفت أزمته ٠

* * *

١٦٥ ـ الامتحانات ٠٠ وآثارها السلبية :

طالب باحدى الكليات العملية فى السنة الثانية ٠ وقد رسب فيها سنتين يشكو :

أنه منذ الصغر كان يرى فى المنام أحلاما تزعجه (وهى أحلام خاصة بالامتحانات)

١ ـ فكان يرى مرة انه رسب فى الامتحان ٠

٢ ـ وأخرى انه حدث ما يبكيه أمام ورقة الأسئلة ٠

٣ ـ وثالثة : انه تأخر عن اللجنة (لجنة الامتحانات) ٠٠ وهكذا ٠٠

---

(١) الأعراف : ٣١

وابتدأ الطالب يفقد الاتصال بالله فى الصلاة ·· وابتدأ الفشل فى كل طريق يحاول به الاحتفاظ باحساسه القرب من الله ·

● وفى هذا الوقت الذى فقد فيه ـ أو يفقد فيه ـ الاتصال بالله : يتصل بواقع الحياة · وأهم شىء فى واقع حياته الآن هو ابنة عمه · فهى الشيطان فى طغيانه وفى تسلطه عليه ، كما ينعتها فى رسالته · والاختلاط بابنة عمه هو مصدر الأزمة النفسية الحالية · وهو يعلم ان هذا الاختلاط غير مقبول عند الله · لأنه اختلاط بغير ذى محرم وفى عدم حضور واحد من محارم الفتاة · فلا الاسلام يجوز له هذا الاختلاط ·· ولا الغريزة الجنسية فى مرحلة المراهقة التى هو فيها الآن تعفيه من ضغطها ومن دفعها اياه نحو الاختلاط بها · فهو مشدود نحو الفتاة رغم أنفه ·· وارادته وايمانه بالقيم الدينية لا يقويان على الحيلولة نحوها ·

وفى أزمته اذ يفكر : يفكر لماذا كان الاختلاط بها غير مقبول عند الله ؟ ومن حرمه ؟ وما دليل تحريمه ؟ وربما يذهب فى تفكيره الى الشك فى قيمة الايمان نفسه · لأن الايمان يحول بينه وبين ضرورة فى حياة الانسان ! · وهى الاختلاط بالمرأة · ولكن الايمان لا يمنع فى ذاته الاختلاط بالمرأة · ولكنه فقط يرسم طريقا لهذا الاختلاط يحول دون أن تحل بالعلاقى الجنسية بين الرجل والمرأة كارثة من الكوارث الاجتماعية أو الجنسية · وهو طريق الزواج والعقد الشرعى بينهما ·

● وهكذا : شغلت نفس الطالب الأزهرى بالفتاة حتى لم يعد فيها مكان لذكر الله ·· أو لاستذكار دروسه · واستولى واقع حياته فى القاهرة على ارادته فلم تبق له حرية فى اختيار التصرف وتحديد السلوك الذى يجب اتباعه ·

ولو أن الطالب عرف من أول الأمر أن « التطرف » فى تطبيق مبادىء الاسلام لا يترتب عليه الا تطرف آخر فى الجانب المقابل للايمان · وهو جانب الحياة الدنيا والاستمتاع بمتعها ، لما تطرف فى التصور والتطبيق كما كان يفعل فى الصعيد · فواقع الحياة الذى يعيش فيه هذا الطالب الأزهرى الآن هو واقع الفتاة التى أحبها وصرفته عن الارتباط بالله جل شأنه فى صلاته ، يمثل تطرفا فى موقفه وسلوكه ، بعيدا عن الايمان وتطبيق مبادئه ·

والاسلام عندما قيم الحياة الدنيا ومتعها المادية لم يقيمها ليخلص من هذا التقييم الى طلب حرمان الانسان الذى يؤمن بالله من متعها ·· وانما فقط ليحول بينه وبين الاسراف فى الاستمتاع بمتعها : فعندما يقول القرآن الكريم

ويسأل : هل هناك علاج ينقله من طغيان الشيطان ·· الى عبادة الله وحده ؟ علما بأنه يميل الى منهج التصوف فى الحياة ويتمنى أن يكون يوما ما واحدا منهم ·

● هذا الطالب الأزهرى لم يزل يعيش الآن فى مرحلة المراهقة وهو يقيم فى بيت عمه بالقاهرة ·

● وقد بدأت صلته بالله عندما أخذ فى سن مبكرة فى حفظ القرآن الكريم ، واشترك مع بعض من زملائه فى المعهد الابتدائى والثانوى فى أداء عبادة الصلاة والصوم · وساعده الجو الاجتماعى فى الصعيد على أداء العبادة لله فى غير عنت ولا مشقة ، حتى بعد أن دخل مرحلة المراهقة هناك وهو لم يزل فى التعليم الأزهرى الثانوى ·

فكان أداؤه للصلاة ·· وأداؤه للصوم فى رمضان ·· وحدبه على تطبيق القيم والمبادىء الاسلامية الأخرى فى سلوكه لا يقف فى طريق هذا الاداء عقبه تحول دونه ، ولا يوجد عامل آخر يصرفه أو يضعف انجذابه نحو اداء الواجب أى واجب من الواجبات الدينية · فلم تكن هناك مغريات دنيوية تحول انتباه الشاب فى مرحلة المراهقة ، نحوها وتكون بالفعل مصدر « فتنة » له ·

عندما كان بالصعيد رغم دخوله مرحلة المراهقة ـ لم يجد تناقضا فى تصوره ، ولا فى واقع حياته بين تعاليم الدين النظرية ·· وسلوكه العملى · فسلوكه آنئذ كان وفقا لتعاليم الدين ، على الاقل حسبما يتصورها · ولذا لم يحس يوما من الأيام هناك انه أغضب الله فى شىء ما ·

ولكن الاحساس بغضب الله عليه لم يظهر فى نفسه الا بعد أن قدم الى القاهرة ·· وأقام فى السكن مع عمه ، واختلط بابنته ، واشترك معها فى استذكار الدروس · وهنا كانت اليقظة القوية لغريزة حب البقاء النوعى ، وهى الغريزة الجنسية ·

وطبعا كانت موجودة من قبل والطالب لم يزل فى الصعيد · ولكنها كانت نائمة أو كانت عوامل اثارتها لديه ضعيفة · فلما اختلط بابنة عمه ، كان الاختلاط هو الجو الذى تشتد وتقوى فيه هذه الغريزة على أية غريزة أخرى لدى الشباب وعلى تفكيره · وكلما زاد الاختلاط كلما زاد تيقظها وانتباهها · وهنا اختل الوضع السابق · وهو وضع السلوك الانسانى العملى فى ملاءمته للتصور الروحى أو الايمانى لدى الشاب · وابتدأ الوضع السابق يتخلخل ··

والنوع الآخر من المتاع فى الآخرة الذى يعد جزاء لمن لم يسرف فى الاستمتاع بالمتاع الدنيوى المادى هو ما تناوله قوله جل شأنه : « **والله عنده حسن المآب · قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم** (وهم الذين لم يسرفوا فى الاستمتاع بمتع الدنيا) **جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد · الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار · الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار** » (١) ··

فالاسلام يبيح اذن الاستمتاع بالمتع المادية فى الحياة الدنيا · واباحة الاستمتاع هذه تنسجم مع الايمان بالقيم الروحية ، طالما لا تتحول هذه الاباحة الى اسراف · وبناء على ذلك يؤمن الانسان بالله ، ومع ذلك يسعى فى الدنيا للحصول على متعها · وفى مقدمة هذه المتع : الاستمتاع بالمرأة كزوجة · وليس هناك تناقض بأن يعيش الانسان فى واقع الحياة البشرية مؤمنا بالله وبالقيم الروحية ·

واذن التناقض عند الشاب الحائر ـ وأمثاله ـ خلقه التطرف والغلو فى فهم الايمان وفى تطبيقه · ويجب على الشاب أن يعرف : ان القرآن منهج للحياة الانسانية يطبق فى واقع الانسان ولا يعيش المؤمن به فى برج عاجى بعيد عن الواقع ·

* * *

١٦٤ ـ مرحلة المراهقة ونتائجها :

كتب طالب بجامعة الأزهر يقول :

انه قدم من الصعيد الى القاهرة ليتم دراسته فى الكلية بالأزهر · ولم يجد سوى بيت عمه منزل للاقامة فيه ·

وفى البيت رأى ابنة عمه ، وأخذ يستذكر الدروس معها · وارتبط بها نفسيا وفكريا · وأهمل ما عداها حتى الصلاة لم يحسن اداءها ·

وكره نفسه ـ كما يذكر ـ لانه ترك منهج الله ، والتفت الى فتاة · وحاول أن : يسترجع حب ربه ، وينسى تلك الفتاة (الشيطانة) · ولكن كل طريق سلكه لاعادة وضعه الأول قبل الاقامة فى منزل عمه فشل فى ابعاد اسمها وشبحها من عقله ·

---

(١) آل عمران : ١٤ ـ ١٧

محاولته حمل النفس على تجنب « الواقع للحياة » ‥ والبقاء فى « التصور » وحده ·

● وما وقع لهذا الشاب الحائر يقع لشبان كثيرين ، حيارى أيضا · ويختلفون فيما بينهم فى مدة الصراع النفسى أو فى فترة جهاد النفس ، كما يقول صاحب الرسالة هنا :

(أ) فيبدأون حياتهم بالايمان بالله وبالقيم العليا ‥ ويصعدون هذا الايمان فى قوته ، حتى يعيشوا فى « التصور » وحده لهذه القيم · وبقدر بعدهم عن « واقع » الحياة بقدر غلوهم فى حياة القيم الروحية والتعايش معها ·

(ب) ثم يحملون فى مرحلة المراهقة التالية على النظر الى « واقع » الحياة والتعامل مع هذا الواقع · وبقدر تأثرهم بماديات الحياة وزينتها بقدر شكهم فى الايمان وقيمته · ففى هذه المرحلة يفكر الشاب فى المرأة ، على الأخص ‥ وكيف يحصل عليها ؟ فاذا قيل له مثلا : ان الخلوة بالمرأة ، فى غير عقد شرعى ، حرام : عندئذ يتدخل الشك فى نفسه من قيمة المبادىء التى يكلفه الاسلام باتباعها · وقد يسترسل فى الشك فى قيمة هذه المبادىء فينكر الله والايمان به · وهنا يقبل على متع الحياة المادية فى غير احتياط · وقد يتوقف فى الشك عند حد التساؤل فقط · وهنا تمتد فترة الصراع النفسى بين القيم الروحية ‥ وواقع الحياة المادية · ويلازم القلق النفسى فترة الصراع الداخلى ·

● وعلاج هذا التناقض فى نفوس الشباب يجب البدء به قبل الدخول فى مرحلة المراهقة · وذلك بالتركيز على « الاعتدال » الذى يطلبه الاسلام من المؤمن برسالته · وهو الاعتدال فى الاستمتاع بالمتع المادية · يجب أن يفهم الشاب مثلا بأن قول الله تعالى فى الآية السابقة : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث** » (١) ‥ ليس دعوة الى الانصراف عن هذه الشهوات · ولكنه اخبار فقط بأنها متاع الحياة الدنيا ، كما تعقب نفس الآية بقولها : « **ذلك متاع الحياة الدنيا** » ‥ والغرض من هذا الاخبار هو لفت النظر الى أن هناك نوعا آخر من المتاع هو أبقى وأحسن · وهو متاع الآخرة لمن سلك فى حياته الدنيوية مسلك عدم الاسراف فى الاستمتاع بالمتع الدنيوية ، على نحو ما يطلب القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين** » (٢) ‥

---

(١) آل عمران : ١٤ (٢) الأعراف : ٣١

المراحل فى تطور الانسان ويسود فيها ، وانجذب اليه جذبا عنيفا ورأى ما فيه من اغراءات ، وزينة للحيـاة الدنيـا : رأى المال ٠٠ والمرأة ٠٠ والترف فى الاستمتاع ٠٠ والجاه ٠ ومن قبل كان يتجاوزها ببصره ٠

وهنا كان التصادم فى النفس ٠٠ وكان الصراع الداخلى ٠٠ كان التقلب والتردد بين الروحية والمادية ، أو بين أقصى اليمين ٠٠ وأقصى اليسـار ٠ أو بين سمو القيم العليا فى التصور ، ودنو المتع المادية فى واقع الحياة ٠٠ وكان الضعف فى البقاء فى طرف من الطرفين وربما يطول هذا الصراع وربما يقصر ٠٠ وربما يشتد ويقوى ٠ وربما يتراخى أو يتلاشى بتغلب أحد طـرفى المعادلة النفسية ٠

ودخل الشاب الحائر مرحلة المراهقة فرأى الواقع فى الحياة بما يغريه ويخدعه ، ويشده وينزعه مما كان فيه ٠ وما كان فيه كان تصورا فقط رسمه له الايمان بالله وبالقيم العليا ٠ وجد نفسه أمام تناقض لا يمكن لمثله أن يرفعه يسر فى حياته ، حتى يكون هناك انسجام فيها ٠ وابتدأ يتأرجح فى تقديره ٠ وما كان يرفضه بالأمس من الاقبال على حب الشهوات أصبح يدفع الى السعى نحوه دفعا ٠ ابتدأ يشـك فى القيم الروحية التى جاء بها الايمان بالله عندما يشتد الضغط عليه نحو الشهوات التى جلبت النفوس بحكم غرائزها على أن تقع فى شباكها : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متـاع الحياة الدنيا** » (١) ٠٠ ومعنى أن هذه الشهوات زينت للناس : انها مصـدر خداع لهم ٠ ويعبر السائل عن تأرجحه فى التقدير والتردد بين الطرفين ،فيقول فى رسالته : « فتحولت بينى وبين نفسى من شخص راسـخ الايمان ٠٠ الى شخص متزعزع ضعيف الايمان ، وهذا المرض يزيد فى قلبى يوما بعد يوم ، منذ أربع سنين ٠٠ وأحيانا يتجلى الله على بنوره ، وأكون فى نور وصفاء ، حتى أتذوق حلاوة الايمـان ٠٠ ولكن سرعان ما يعود الى المرض بوسوسة الشـيطان ، وأنا مع ذلك أجاهد نفسى كثيرا مستعينا بالله ومستعيذا به من الشيطان » ٠٠

والشاب الحائر ـ هنا ـ بدخوله مرحلة المراهقة : انتقل من قوى فى ايمانه ٠٠ الى ضعيف فى هـذا الايمـان ٠ وضـعفه هو فى شكه فى القيم الروحية الايمانية ٠ ويسمى هذا الشك مرضا ووسوسة للشيطان ٠ وما هـو الا أثر الغريزة الجنسية عليه فى هذه المرحلة ٠ كما يسمى العودة الى الايمان بالصـفاء والنور ٠ وما هى الا الابتعاد عن واقع الحيـاة والمكث فترة من الوقت فى التفكير والتصور البحت ٠ وجهاد النفس الذى يتحدث عنه هنا هو

---

(١) آل عمران : ١٤

« ورغم كل هذا ـ كما يستمر الشاب الحائر فى القول ـ فأنا لم أنقطع عن الآذان بالمسجد فى القرية ·· ولم يغير هذا المرض من سلوكى الطيب بين الناس ·· ولم يثبط عزيمتى نحو الدعوة الى الله ما استطعت الى ذلك سبيلا ·

« ولكن هـــذا المرض غيرنى من الداخل ان لم يكن كليا فالغالب ، حتى أمات فى نفسى الجانب الروحى ، وجعلنى أعيش فى ضنك وحزن دائم » ··

ويسأل :

أولا : كيف التخلص من هذا المرض الأليم ؟

ثانيا : هل يرجى من شخص سكن قلبه هذا المرض الخبيث : أن يتخلص من هذا الكابوس · ويتذوق من جديد حلاوة الايمان ؟

ثالثا : انه يحس بتغير الناس من حوله · هل احساسه بكراهيتهم اياه : نتيجة هذا المرض أم هو وهم خاطىء منه ؟

رابعا : ما هو داء الحسد ؟

● الشاب الحائر يبدو أنه فى ايمانه بالله وبالقيم الانسانية التى جاءت بها رسالة الهدى كان منصرفا وغير عابىء بمتع الدنيا وزينتها اطلاقا ، وكان يخشى أن ينظر الى متعة مادية فى المال أو فى المرأة ·· أو فى الجاه ·· أو فى الأكل والشرب وما تشتهيه النفس بالحاح ، فضـلا عن أن يسـعى الى الاسـتمتاع بها · كان يعيش فى عزلة نفسية وفكرية عما يجرى فى حيـاة المجتمع الذى نشأ ويوجد فيه الآن · كان لا يرتبط فى نفسه بشىء آخـر مادى وراء ايمانه بالقيم العليا ، وكان لا يرتبط فى تصوره للحياة الا بما يؤمن به من قيم عليا انسانية فقط · وبسبب هذه العزلة النفسية كان يعيش فى وئام مع ما يؤمن به · يتصور السمو كل السمو فى قيم الروحية فيصعد اليها بالايمان ويبتعد عن واقع الحياة تماما · وبصعوده الى مجال القيم الروحية العليـا يبتعد عن واقع الحياة · وهو واقع يمر به ولكن لا يلتفت هو اليه · وعـلى أية حال ان لم يكن هناك وئام قائم بين ما يتصوره فى ايمانه وبين السلوك فى الحياة التى يعيشها ، فليس هناك اصطدام على الأقل بين الطرفين : الايمان بالقيم الروحية العليا فى نفسه كطرف ·· والحياة التى يعيشها فى تصـوره وفى عزلته عن الواقع تحت قدميه ·

● وعندما دخل مرحلة المراهقة تيقظ فى نفسه الميل الى الواقع المادى فى الحياة ، بحكم ضغط الغريزة الجنسية التى تميز هذه المرحلة عن بقيـة

أن توجه صفات النقص فى الانسان ـ كالزنا والادمان على الشراب مثلا ـ لمن يتصف بها فعلا من الرجال والنساء ، دون ذلكم من الاطهار الطيبين والطيبات ·
والآية هنا تريد أن تؤكد بعد السيدة عائشة رضى الله عنها عما جاء فى حديث الافك خاصا بها من اتهام باطل هى بريئة منه كل البراءة ·

والسائلة لها أن تطلب الطلاق منه للضرر بمعاشرته · فليس هناك أكثر اضرارا بانسان ما ، اذا كان رفيقه ومعاشره فى الحياة سكيرا ·· ومقامرا ·· وزانيا ·· ومتخلفا فى أداء واجباته · وعودته الى الحياة الطبيعية أمل لا يرجى تحقيقه الا فى نطاق ضيق فهو مريض بالعادة يصعب عليه تغييرها ·

* * *

١٦٣ ـ الشباب اليوم ·· والحياة فى مرحلة المراهقة :

شاب حائر من احدى المحافظات :

طالب بالأزهر ، وعلى وشك أن يلتحق بالجامعة ·· ويحفظ القرآن حفظا جيدا · ويطيع الله عز وجل ·· ويؤذن فى مسجد القرية ·· ويصلح بين الناس ابتغاء وجه الله ·

دخل سن المراهقة · وبدخوله هذه المرحلة فى حياته أخذ يفكر فى أمور الدين تفكيرا عميقا : مرة يخطىء ·· ومرة يصيب ·· وأصبح كما يقول :

« يصول ويجول فى هذا الفكر ·· الى أن وجد نفسه فى قلق ، واضطراب ، وخوف من الحياة » ·· ثم يستطرد فيقول :

« ووسط كل هذا تدخل الشيطان على فكرى : يؤيد فى نفسى الفكر الخبيث ، والذى يبعدنى عن الايمان بالله ، فتحولت بينى وبين نفسى : من شخص راسخ الايمان ·· الى شخص متزعزع ضعيف الايمان ·

« وهذا المرض يزيد فى قلبى يوما بعد يوم ، منذ أربع سنين ·· وأحيانا يتجلى الله على بنوره ، وأكون فى نور وصفاء حتى أتذوق حلاوة الايمان ·· ولكن سرعان ما يعود الى المرض بوسوسة الشيطان ، وأنا مع ذلك أجاهد نفسى كثيرا ، مستعينا بالله · ومستعيذا به من الشيطان » ·

رجولته وأدائه حقوق الآخرين عنده ·· يريد للانسان أن لا يكون مهانا فى أية صورة من صور الاهانة ·

ولكنها الحضـــارة الأوروبية فى مجتمعاتنا المعاصرة هى التى دفعت بشرب الخمر ، ولعب الميسر ، حتى كاد يصبح كل منهما عادة من العادات الاجتماعية : فى منازلنا ·· وفى نوادينا ·· وفى احتفالاتنا ·· وأصـــبح الغلو فى ظهـــور هذه العادة ضربا من ضروب ما يســـمى « بالتقدم » ·· « والمدنية » · وهكذا : يعبر بعض الناس عن مهانة الانسان ومذلته عندمـا يدمن على الشراب : « بالتقدم » ·· كما يعبر عن القلق والضياع عندمـــا يتعــود الميسر : « بالمدنية » · ويغريه لفظ « التقدم » ·· « والمدنية » ·· ولا يزعجه ما تنطوى عليه حقيقة الادمان على الخمر ، وحقيقة العادة عـــلى لعب الميسر · والشباب المسلم المعاصر يقع كثيرا تحت الاغراء · وقلما يبحث عن الحقيقة والجوهر لكثير من مظاهر الحياة العصرية ·

● والسائلة تسأل : هل سخريتها من زوجها واشمئزازها من حياته ومعيشته يغضب الله جل شأنه ؟ ·

كيف يغضـب الله من انســـان يعبده ، عندما ينكر على انسان آخر : مباشرته للفاحشة والمنكر ؟ · ان سخرية السائلة واشمئزازها من زوجهـــا ومن حياته هو تعبير منها عن استنكار مباشرته الفاحشة والمنكر·والله سبحانه عندما ينهى المؤمنين عن أن يسخر قوم منهم بقوم آخرين منهم كذلك ، فى قول الله تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا لا يســخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن** » (١) ·· يريد النهى عـن ذلك بين المؤمنين · وهل من صفات المؤمنين : الادمان على شرب الخـــمر ·· واقتراف جريمة الزنا ·· واهمال الحقوق الواجبة للآخرين ؟ · ان النهى منصب على « المؤمنين » فى موقف بعضـــهم من بعض · وحتى يكون زوج السائلة مؤمنا : عندئذ تصبح له حرمة المؤمن فلا يسخر منه مؤمن آخر · اذ السخرية منه آنذاك تغضب المولى جل جلاله ·

● أما الآية التى وردت فى رســـالة السائلة وهى قول الله تعالى : « **الخبيثات للخبيثين والخبيثـون للخبيثات ، والطيبـات للطيبين والطيبون للطيبات** » (٢) ·· فليس معنى ذلك : أن السائلة بزواجها من مدمن الشراب ومقترف الزنا ، أصبحت خبيثة وغير مقبولة عند الله · لأنهـــا لم تكن تعرفه على حقيقته الا بعد الدخول بها والعيش معه بين أهله · وانما المعنى : ينبغى

---

(١) الحجرات : ١١ (٢) النور : ٢٦ ·

وتسأل : هل هذا حرام (وتعنى السخرية والاشمئزاز منه) وفيه ما يغضب الله ؟ .

كما تستفسر عن معنى قول الله تعالى : « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » (١) ..

وتسأل هل هى الآن مثل زوجها فى الخبث ، لأنها أصبحت زوجة له ؟ .

● ان الادمان على شرب الخمر والمسكر على العموم : يتبعه فى غير احتياط وتوق من المنكر : مباشرة الزنا والفاحشة .. كما يتبعه اهمال الزوج فى الحقوق الزوجية الواجبة لزوجته . وعندما يصبح الزوج مقترفا لجريمة الزنا ، ومهملا فى حق زوجته ، يكون عندئذ موضع سخرية لها واشمئزاز منها لحياته التى يعيشها .

والقرآن اذ يحرم الخمر فى قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (٢) .. ليؤكد أضرارها فى آثارها على المتناول لها ، وعلى أسرته، وعلى المجتمع الذى يعيش فيه . فقد جعلها هنا رجسا وقذارة .. وانها من عمل الشيطان : « رجس من عمل الشيطان .. (وأوضح أن تجنبها فيه فلاح ونجاح لمن يتجنبها فى حياته) فاجتنبوه (أى اجتنبوا عمل الشيطان وهو تناول الخمر) لعلكم تفلحون » .. كما أوضح شيئا من آثارها السيئة فى الأسرة والمجتمع فى قول الله بعد ذلك : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » (٣) .. وهذه السائلة فى رسالتها التى وردت الينا تعلن سخريتها من زوجها ، واشمئزازها من المعيشة معه ، كما تعلن احتقارها له بسبب اهماله حقوقها الزوجية . وذلك كله يرجع الى ادمانه على تناول الخمر . ولا شك ان ذلك صورة من صور العداوة والبغضاء بين الناس بسبب الخمر . وهم هنا الزوجة وزوجها وأهله الذين يشاركونه مباشرة المنكر .

والقرآن اذن بتحريمه الخمر يريد أن تكون العلاقات بين الناس طيبة .. وأن يحتفظ الانسان بكرامته وسط أهله ومعارفه .. كما يحافظ على

---

(١) النور : ٢٦   (٢) المائدة : ٩٠

(٣) المائدة : ٩١

والفتاة هناك فى تعرفها بالشباب ·· وفى لقاءاتها المتكررة بهم : تخسر الكثير من كرامتها ، وحيائها ، وكبريائها · وتخسر أكثر من ذلك كله ، اذا شاركت فى السكنى والانفاق ·

● و « الجنة تحت أقدام الأمهات » : ليست آية من القرآن الكريم كما تقول الأخت المتحجبة ·· ولم يصح كذلك أنه حديث ·· وربما هو قول مأثور يستهدف الحث على تكريم الأمهات من أبنائهن ، ولو كن غير مؤمنات · ومن الأحاديث الصحيحة فى الحث على تكريم الأمهات ورعايتهن ، والاحسان اليهن بالقول ·· والعمل ·· والعاطفة ، ما يروى عن أبى هريرة من قول الرسول عليه السلام : « قال رجل يا رسول الله : من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : أمك ·· ثم أمك ·· ثم أمك ·· ثم أبوك ·· ثم أدناك فأدناك » ·· فابتدأ بالأم ·· وكرر الأمر بشأنها ثلاث مرات،مما يدل على العناية بها والاعتراف بالدور الرئيسى الذى تقوم به فى الأسرة:ان فى تكوينها،وتربيتها ، وتطويرها · والأم تستحق ذلك ، وان لم تكن مؤمنة · فما جاء فى وصية لقمان لابنه فى قول القرآن الكريم : « **ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير** » (١) ·· من العناية بالأم خاصة ، عن طريق ابراز دورها فى الأولاد : عام لجميع الأمهات وان لم يكن مؤمنات ·

والأبناء مطالبون فقط بشىء واحد : ان لا يطيعوا الوالدين فيما يوجهانهم اليه من شرك وكفر بالله : « **وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا** » (٢) ·· ورغم الأمر فى الآية بعدم الطاعة لهما فى حال طلب الشرك منه ، فان الآية ذاتها تطلب مصاحبتهما بالمعروف طوال حياتهما فى الدنيا · ومعنى مصاحبتهما بالمعروف تقديم كل عون وكل رعاية لهما ·

★ ★ ★

١٦٢ ـ سخرية المرأة من زوجها بسبب ادمانه على الشراب :

كتبت سيدة من احدى القرى ·· تقول :

ان زوجها مدمن على الشراب هو واسرته ·· ويباشر الفحشاء ·· ومهمل لحقوقها الزوجية · فهو يسهر بالليل ، ويهمل بالنهار · وتسخر منه ·· وتشمئز من الحياة معه ·

---

(١) لقمان : ١٤ (٢) لقمان : ١٥

مصدرا للعبث بين الطرفين . ولذا عمل المرأة خارج المنزل لا ضرر فيه الا اذا انطوى على الاختلاط بغير ذى محرم .

والأخت السائلة وهى محجبة الآن ـ كما تقول ـ لم تكن متحجبة لحظة من اللحظات التى التقت وتلتقى فيها بخطيبها ، طالما كانت تبيح لنفسها الاختلاط بأجنبى عنها . فهذا الخاطب لم يزل أجنبيا بالنسبة لها ، مهما اتفقا على الزواج ، ومهما طالت فترة الخطوبة بينهما . وهى سافرة وليست متحجبة . اذ الحجاب مقابل السفور فى المعنى . والسفور هو اختلاط المرأة بغير ذى محرم : فى العمل .. فى الحديث .. فى النوادى .. الخ .

● وثانيا : كيف تصف خطيبها بأن شاب على خلق .. ويواظب على أداء الصلاة فى أوقاتها وهو يلتقى بها على انفراد ، وربما هو الذى يدفعها الى اللقاء؟ان المواظبة على أداء الصلاة فى أوقاتها ـ لو كانت صلاة لله حقا ـ لحالت دون وقوع المنكر من المواظب عليها . واختلاط الرجل بأجنبية عنه من غير ذى محرم : منكر قطعا . وغاية الصلاة : أن تنهى عن الفحشاء والمنكر معا .. اذا تحقق فيها خشوع الانسان للمولى جل جلاله .

والشاب صاحب الخلق الطيب ـ اذا كان صاحب خلق طيب حقا ـ لا يتقدم لخطبة فتاة الا وهى بين أهلها وأسرتها . ولا ينفرد بها ويوقعها تحت الاغراء ، والآمال التى قد تكون كاذبة .

الشاب المتدين حقا .. والفتاة المتحجبة على أساس اسلامى مقياس صلاحيتهما فى نظر الاسلام : اتباع لتعاليمه .. وليس انصرافهما عن هذه التعاليم ، واتباع عادات غير اسلامية ، على نحو ما سارا هما عليه هنا فى تعرف بعضهما ببعض ، وفى اتفاقهما على الزواج فيما بينهما خاصة ، وفى اللقاءات المتكررة وهما اجنبيان عن بعضهما . ان ما اتبعاه ظاهرة من ظواهر المادية الطاغية فى حياة الانسان المعاصر . فالفتاة فى الغرب أو فى الشرق قد تتعرف على الشاب : فى مصنع .. أو فى مكتب .. أو فى مرقص .. أو فى الشارع . ومتى بلغت السادسة عشرة من عمرها قد تختار السكنى معه فى حجرته التى يسكن فيها ، أو فى حجرتها التى تستأجرها ، لفترة تطول وتقصر . وقد يتفقا على الخطوبة فيما بينهما . كما قد يتفقا على الزواج . وفى حالات كثيرة ينفصل أحدهما عن الآخر لسبب من الأسباب . وبعد الانفصال قد يبتدىء كل منهما الدورة من جديد مع شخص أو أشخاص عديدين . وربما تنتهى حياتها متنقلة وغير مستقرة فى أسرة خاصة .

وهناك عدا ذلك كتب معاصرة لا تخدعك كذلك فى عرض دين الله عليك ·
وربما لو كلفت نفسك مشقة الذهاب الى «مكتبة وهبة» بشارع الجمهورية لوجدت الكثير منها بعيدة عن الكذب والنفاق ·

***

١٦١ ـ أثر الحضارة الغربية فى مفاهيم الأسرة المسلمة :

كتبت مواطنة من محافظة القاهرة ·· تقول :

انها الآن طالبة فى المرحلة الثانوية التجارية · ومنذ فترة لا تزيد على الست سنوات تعرفت على شاب على خلق ·· وأنه يواظب على أداء الصلاة فى أوقاتها ·· واتفقت معه على أن تتزوجه ، بعد انتهاء كل منهما من المرحلة الدراسية · وقد انتهى هو من الدراسة · ويؤدى خدمة الجيش ، وتسأل :

ـــ هل هذا حرام ؟ وما حكم الاسلام فى هذا الموقف ؟

ـــ كما تسأل عن معنى « الجنة تحت أقدام الأمهات » ؟ رغم ان كثيرا من الأمهات ـ كما تقول ـ يفرطن فى حق الله تعالى مثل الصلاة ، ويرتكبن كثيرا من المعاصى · فهل مثلهن يدخلن الجنة ؟ · ثم تختم رسالتها بأنها محجبة ·

● الأخت السائلة والمتحجبة الآن تعرفت على شاب منذ سنوات واتفقت معه على الزواج بعد انتهاء كل منهما من المرحلة التى هو فيها ·

أولا : كيف تعرفت به ؟ وكيف كانت تلتقى به فى هذه الفترة الطويلة ؟ أكان عند تعرفهما ، ثم عند كل لقاء بينهما طوال الست سنوات ذو محرم لها؟ أباشرت بنفسها الخطبة واتفقت معه على الزواج ؟

والجواب على هذه الأسئلة كلها ، كما يستفاد من رسالتها : أنها تعرفت عليه والتقت به ، وتلتقى به طوال هذه المدة من غير ذى محرم لها · وهذا النحو من السلوك يحرمه الاسلام · فقد جاء فى حديث صحيح قول الرسول عليه السلام : « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعهما ذو محرم » ·· فاختلاط الرجال غير المحارم بالنساء ـ وهو ما يسمى بالسفور ـ يرى فيه الاسلام

مجتمعاتها الى المجتمعات الاسلامية المعاصرة : هو خير يجب اتباعه ، وعدم التخلف عن الأخذ به ، ولو كان فسقا أو عبثا وانحلالا . وشباب مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة يعيش فى هذه الخرافة ويقبل تقليد ما هو أجنبى عن مجتمعه . ولذا هو حائر .. ومضطرب : يقدم رجلا .. ويؤخر أخرى ، كما يقولون .

● ولا شك أن القدوة الحسنةعند الداعى الى الاسلام هى عامل ذو أثر ايجابى فى نقل الدعوة وفى قبولها من الآخرين . وعندما أثنى القرآن على رسول الله ﷺ لم يثن عليه بالعلم والمعرفة ، وانما أثنى عليه «بالخلق العظيم» فيقول له : « **وانك لعلى خلق عظيم** » (١) . والخلق هو عادات تتمثل فى السلوك ، والمواقف ، والتصرفات . وذلك ما يعبر عنه بالقدوة الحسنة ، ان كان هذا السلوك ، والمواقف ، والتصرفات لها طابع الحسن تتميز به .

ولأن القدوة الحسنة ذات تأثير قوى فى نشر الدعوة يوصى الله المؤمنين: الاقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام فى تطبيقه لمبادىء الوحى فى حياته وحياة أمته فيقول لهم :

« **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » (٢) وبذلك قامت الدعوة الاسلامية على عهد الرسول صلوات الله عليه ، على : الوحى .. وعلى حسن التطبيق لمبادئه .

● والنفاق .. والكذب .. والخداع : صفات تلحق الضعيف فى المجتمع . والضعيف هو ضعيف النفس . وضعفها قد يكون باغراء الوظيفة .. أو الترف والوضع الاجتماعى الذى يعيش فيه الانسان . فهو لا يخص طائفة بعينها . وانما يلحق نفوسا معينة . وهى التى لها قابلية للدنيا وزينتها . وعائشة رضى الله عنها عندما تحكى عن معيشة الرسول عليه السلام بقولها : « لم يجتمع لنا فى يوم واحد : أدم .. وبر » .. تخبر عن الوضع الاجتماعى الذى كان فيه الرسول صلوات الله عليه . وهو وضع يحول دون أن يقع عليه السلام تحت اغراء الدنيا . ولذا لم يضعف عليه السلام لحظة واحدة فى نشر دعوته .. ولم تضعف دعوته اطلاقا للأخذ فى قدوته الحسنة . انه عاش للرسالة ، وللدعوة اليها ، ولتطبيق ما جاء فيها .

● وأمامك الآن : كتاب الله لا يخدعك .. ولا يكذبك .. ولا ينافقك . تأخذ منه دين الله ورسالته الى الانسان .

---

(١) القلم : ٤ — (٢) الأحزاب : ٢١

ثم يقول هناك قصور فى الدعوة · ويسأل : أين يجد الدين ، بعيدا عن الكذب والنفاق ، والخداع ؟ ·

● ان انحراف الشباب المسلم اليوم فى السلوك لا يعود فقط الى افتقاده القدوة الحسنة بين الدعاة وعلماء الأزهر ـ كما يقول السائل ـ وانما يرجع قبل ذلك الى الأوضاع الاجتماعية التى يعيشها المجتمع الاسلامى المعاصر · فهذا المجتمع الاسلامى المعاصر لا يعيش فى عزلة عن المجتمعات الأخرى والتأثر بأوضاعها وظروفها التى تعيش فيها ·فالتقدم العلمى والتطور الصناعى ييسر كل منهما اتصال المجتمعات البشرية بعضها ببعض · فليس الراديو وحده ·· وليس التليفزيون وحده ·· وليست الصحف والدوريات وحدها ·· وليست الطائرات الأسرع من الصوت وحدها ·· بل الأقمار الصناعية التى ترسل مع ذلك الأحداث فى العالم ، فور وقوعها فى أى مكان منه : الى بقية جهاته ·

وما يجرى فى المجتمعات الأخرى وتنقله وسائل النقل السريعة ليس ذا طابع اسلامى بل ربما يكون على النقيض تماما ، مما يدعو الاسلام · وهو اذ ينقل الى داخل المجتمع الاسلامى قد ينقل فى غير طواعية واختيار ، من المشرفين على وسائل الاعلام · وكثير منه ينقل باختيارهم ورغباتهم ·

فالأجهزة الحديثة لوسائل الاعلام بنقلها ما فى المجتمعات الأخرى الى المجتمع الاسلامى المعاصر : تضع أمام تقاليد هذا المجتمع : تقاليد أخرى لم يكن يعرفها من قبل ·· تضع أمامه باسم الحضارة : الحفلات الماجنة ·· والسلوك المعيب ·· والاختلاط الشائن ·· وعادات أخرى لم يكن يمارسها اطلاقا فى حياته ·

وفى هذا الخليط بين الماضى ·· والمعاصر ، من السلوك والعادات والتقاليد : يعيش الشباب المسلم اليوم · فاذا قدم له الاسلام ، وربما يقدم اليه فى غير قدوة حسنة ـ كما يقول السائل ـ يكون اقتناعه به أقل مما تقدمه أجهزة الاعلام الحديثة ·لأن ما تقدمه هذه الأجهزة يثير الغرائز ويحرك شهوات النفس ، أكثر مما ينير العقل ويعين على المنطق السليم ·

● وتأثير ما يدور فى المجتمعات الأخرى على شباب المجتمع الاسلامى المعاصر لا يعود فقط الى ما يعرض فى حفلاته ، وفى عاداته وتقاليده المغايرة · وانما قبل ذلك يعود الى «خرافة» لم تزل مسيطرة على المسلمين فى مجتمعاتهم منذ أيام الاستعمار الأوروبى لها · وهذه الخرافة هى : أن الحضارة الأروبية هى عنوان التقدم فى الانسانية · فما تدفع به هذه الحضارة من داخل

● ويسأل ثانيا : « الصوفة » التى يستعملها بعض النساء كمانع من الحمل ، فمن حيث قيمتها فى منع الحمل يوجه السؤال الى أخصـائى من الأطباء . فما يقال عن وسائل منع الحمل من غير الاخصائيين هو ظن يقوم على « الاحتمال » والأولى أن تكون الاجابة عليها ممن لهم دراية علمية بذلك .

أما عن « حلها » .. « وحرمتها » .. فحرام اذا كانت تمنع الحمـل مؤكدا ان يقدم النصح بها ، أو يمكن منها من ليس له علاقة زوجية صحيحة . وكذلك من له علاقة زوجيـة صـحيحة فى غيبة اذن الزوج أو فى حال عـدم موافقته على منع الحمل .

والخلاصـة :

أولا : ان الاجهاض حرام ، الا اذا توقفت حياة الزوجة عليه . فهو جائز عندئذ . وليس من أسباب حله : التستر على عرض الحامل به فى سفاح .

ثانيا : أن تقديم وسائل منع الحمل لغير المتزوجين والمتزوجات .. أو تمكينهن منها بصورة ما : حرام كذلك شرعا . لأنه ينطوى انطواء غير مباشر على تشجيع الفاحشة وشيوع المنكر بين غير المتزوجين والمتزوجات. واثم ذلك على كل مشارك فى التقديم والتمكين .

ثالثا : ان حل تقديم وسيلة من وسائل منع الحمل للمتزوجات .. وحل استخدامها منهن : مشروط بموافقة الزوج . فالحيـاة الزوجية شركة بين الاثنين .. وما يأتى ثمرة لها هما معا مسئولان عنه . كما هو مشروط أيضا برضاء الزوجة ، وتحمل صحتها له ، طبقا لرأى الاخصائيين .

***

١٦٠ ـ انحراف الشباب المسلم والحضارة المستوردة :

كتب أحد المواطنين ، لم يذكر له موطنا ، ينفى التبعة عن شباب اليوم فى الانحراف . ويحمل علماء الأزهر ورجال الدعوة الى الاسلام ، الوزر كله فى انحراف الشباب .

فكثير من هؤلاء العلماء وأولئكم ـ كما يقول ـ يتجر بالدين .. وينافق من أجل الوصول الى أعلى المراتب فى المناصب والوظائف .. وكثير منهم يمتلىء قلبه بالحقد والكراهية والقسوة ، مما ينفر من الاسلام .. وكثير منهم بعيد عن القدوة الحسنة فى سلوكه فيسير مع الزوجات والبنات فى الشوارع والأماكن العامة بدون أن يتحجبن .

قول الله تعالى : «واذا الموءودة سئلت · بأى ذنب قتلت» (١) ·· أى سئلت عن دفنها حية فى التراب ، عن سبب وأدها · وجعل سؤال المؤودة من أمارات الساعة وقيام القيامة لتقبيح هذه الجريمة الجاهلية اللاانسانية ·

فالاجهاض الذى شاركت فيه ـ أو أوصت به ـ والدة السائل : حرام قطعا · وهو جريمة قتل لانسان صغير حى برىء · وستسئل عنه يوم الدين : **« يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله » (٢) ··**

أما أن والدته شاركت أو أوصت الاجهاض لتستر على عرض بنت غرر بها شاب ثم تركها وحدها بعد أن ظهر انها حامل منه : فتلك غاية لا تبرر الوسيلة التى هى قتل لطفلة أو طفل لا ذنب له الا انه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ·

واجهاض المولود فى بطن أمه ان كان للتستر على عرض من هى حامل به : فهو كذلك فى الوقت نفسه اغراء على ارتكاب الفاحشة · اذ طالما يمكن التخلص من ثمرة الزنا فى الخفاء ·· وفى هذا اليسر·فالمعاشرة غير الشرعية يمكن التستر عليها وابعاد آثارها الاجتماعية ·

والاجهاض يمكن أن يكون مقبولا شرعا ، اذا كان لزوجة ، وأكد الاخصائيون من الأطباء : أن حياة الأم فى خطر اذا استمر حملها ·· وأن الاجهاض هو السبيل الى انقاذ حياتها · فالتخلص من الجنين الآن مصدر حياة أمه · والاسلام اذن لا يعاقب على الاجهاض بشىء ·

ومثل الاجهاض من أجل التستر على عرض الحامل غير المتزوجة ـ وسائل منع الحمل الأخرى ، عندما تقدم للشابات غير المتزوجات أو عندما يمكن منها · وان كان فيها الوقاية من الحمل تسترا على الأعراض · فهى فى الوقت ذاته تنطوى على تشجيع غير مباشر على المعاشرة غير الشرعية ، وعلى شيوع الفاحشة بين غير المتزوجين والمتزوجات ·

وهكذا : التستر على العرض ·· وخشية الفضيحة لا يصلح مبررا للاجهاض ، ولا مبررا أيضا لتقديم وسائل منع الحمل لغير المتزوجين والمتزوجات ، أو لتمكينهن منها بأى طريقة ·

---

(١) التكوير : ٨ ، ٩ (٢) الانفطار : ١٩

ان حديث السيدة السائلة عن زميلها كما تحدثت عنه : من احترامه ، ومعزته ··· الخ · ثم حديثها فى آخر الرسالة عن زوجها بأنها كانت لا تتمنى غيره زوجا لها ، ربما يفهم منها القارىء للرسـالة : انها تدفع بهما شبهة ما فى علاقتها بهما · وهـذه أمـارة تجعلنا نوجه النصح لها بالحـذر اذا ما اضطرها العمل خارج المنزل الى الاختلاط بالاجانب كما هو حالها الآن ·

فالاسلام اذ يحرم السفور والاختلاط بغير المحارم : يحرمه وقاية للمرأة من الزلل والانزلاق · اذ مهما كانت ارادة المرأة صلبة ، ومهما كان عزمها قويا على المحافظة على كرامتها : فان قوة العاطفة لديها ، بالاغراء أو بالثنـاء تيسر منفذا الى قلبهـا : فيلين الصـلب ·· وتضعف القوة ·· ويتراجـع المنطـق ·

***

١٥٩ ـ الاجهاض ·· ووسائل منع الحمل :

كتب مواطن من احدى القرى ، يقول :

● ان والدته تعمل مولدة « داية » ·· وأنها قد أرشدت فتاة كانت حاملا الى اجهاض نفسها · وفعـلا تخلصت مـن الجنين · وبذلك سترت عليهـا فضيحتها ! · لأنها حملت من شاب بعد أن غرر بها ثم تنكر لها ·

ووالدته يؤنبها ضميرها الآن بسبب موت الجنين·ولكنها حاولت الستر على الفتاة وابعدتها عن اليأس والانتحار · فما هو رأى الدين فى مثـل هذا الحـادث ؟ ·

ويسأل سؤالا آخر عن « الصوفة » التى يستعملها بعض النسـاء ·· هل استعمالها حرام أم حـلال ؟ ·

● السائل يسأل عن أمرين مختلفين :

يسأل أولا : عن الاجهاض لمولود فيه الحياة · وهو صورة من صـور الوأد الجاهلى · والوأد دفن الطفل حيا تحت التراب · وقد كان ذلك شائعا فى الجاهلية وحرمه الاسـلام · ويشـيع فى كل عهـد : مخافة العار ·· أو الحاجة الى الانفاق ·· أو الاملاق والفقر · أى انه يشيع فى الوقت الـذى تسود فيه الخشية من الفضيحة ، أو تشتد الحالة المادية وتغلب الحاجة الى الانفاق ، أو يزداد الفقر ببقائه حيا · وقد جاء التشنيع والاستنكار للـوأد فى

وهو وان كان يلام على ذلك فبرنامج « ما يطلبه المستمعون » يلام أكثر ·· وأكثر :

(أ) فأية فائدة تعود على المستمعين ككل ، من ذكر هذه الاسماء العديدة التى تسرع مذيعة البرنامج فى سردها فى لغو وثرثرة ؟

(ب) أهى شغل فراغ لدى المستمعين لا يستطيع جهاز الاذاعة ، أو التليفزيون أن يملآه بما يفيد ويثمر ؟ ·

(ج) أم أن ذكر الاسماء هو تشجيع للطلب من المستمعين وبالتالى على عمل البرنامج ؟ ·

(د) وما معنى أن تذكر المذيعة : ان فلانا يطلب اغنية معينة ويوجهها الى فلان أو فلانة ؟ · وقد رأينا الآن أن هذا أمر قد ينطوى على الكيد والاساءة الى من ليست لهم صلة بالأغنية المطلوبة ·

انه من الأسف الشديد : أن يكون ذكر الاسماء فى برنامج « ما يطلبه المستمعون » مضيعة للوقت ·· واستهانة بالمستمعين أو المشاهدين ·· وتحريضا للشباب على طلب ما لا يصح أن يسمع وما لا ينبغى أن يشاهد ·· وتوجيها رخيصا لهم · وليس ذلك اسهام الاذاعة والتليفزيون فى توجيه الشباب توجيها جديا · والاذاعة والتليفزيون عن طريق برنامج « ما يطلبه المستمعون » على هذا النحو هو بريد « حاك » للعواطف المتبادلة بين افراد معينين · وفى الوقت نفسه قد يكون مصدرا للوشاية ، ولسوء الظن على الأقل اذا استغله من لا ضمير له للكيد أو الانتقام · كما نرى الآن فيما تحكيه السائلة ·

● على أنه هناك تساؤل وراء ذلك يوضع أمام السائلة · أليست هناك صلة نفسية ـ أية صلة ـ لم يكشف عنها من قبل بين السائلة ، وذلك الزميل التى تقول عنه « اننى كنت احترمه ، وأعزه فى الله ، ولا غرض من وراء معزتى له » ·· وهو الزميل الذى رد على الأغنية بأغنية أخرى يسلم فيها الأمر للقدر ؟ ·

يبدو أن هناك أمرا ما ينم عن هذه الصلة الخفية ويعرفها الزميل الثانى الذى تدخل بالاساءة بينهما ، عن طريق تبادل الاغانى فى برنامج « ما يطلبه المستمعون » · والا كيف يجرؤ هذا الانسان على التدخل فى العلاقة بين الاثنين ، اذا لم يكن يعرف : أنه ستكون هناك استجابة من زميلها المحترم ، واستجابة فورية ؟ ·

ثم تستطرد السائلة فتقول : انها متاكدة أن الذى فعل ذلك واتصل ببرنامج «ما يطلبه المستمعون» لاذاعة هذه الأغنيات هو زميل ثان لها فى العمل يريد الكيد ، واللبس فى علاقتها مع الزميل الأول ·

وتذكر انه من المؤسف ان الزميل الأول ظن ان هذا الطلب صحيح منى وأنى قصدت أن اناجيه عن طريق هذه الاغنيات ، فطلب هو بدوره من البرنامج باسمه اغنيات أخرى تعبر عن مدى معـزته لى وعن تمنياته لسعادتى مادام هذا نصيب ، وليس بيده شىء · ومازال يطلب أغـانى من هذا اللون ·

وهى متزوجة وتذكر انها كانت لا تتمنى زوجا غير زوجها الحالى ، وان هذا الصنيع قبيح فى موضوعه وفى أسلوبه · وترجو أن يذيع المجيب رأيـه فى هذا الموضوع حتى يتحقق زميل السائلة فى العمل انها لم تكن طرفا فى هذا اللبس لحظة ما · وأن ما ظنـه غير صحيح · وترجو أن يكون توضيح الأمر : حدا لهذه المأساة التى تنال منها كل لحظة تسمع فيهـا هذه الاغنيات ·

● يفهم من رسالة السائلة : ان هناك انسانا ما يحقد عليها ، وربما على صلتها البريئة ـ كما تذكر السائلة ـ بزميلها فى العمل · وانتهز فرصة قيامها بأجازة طويلة لرعاية صغيرها ، وتآمر عليها ليسىء فى الدرجة الأولى الى علاقتها بزوجها ·

فاتصل فى الاذاعة ببرنامج « ما يطلبه المستمعون » وطلب الاغنيـات التى تعبر عن عواطف الحبيبة الى محبوبها وعن خيبة أملها فى الوصـول اليه · وذكر اسم والدها ـ وهو الاسم غير الصريح لها ـ على أنه يوجـه الأغنية الى زميلها الذى ذكر اسمه أيضا · وطبعا عندما يسمع الزميل مثـل هذه الأغنية يظن أنها بناء على طلبها ، وهى فى اجازة بعيدة عنه الآن · وبناء على هذا الظن يجيبها عن طريق الاذاعة أيضا بطلب أغنية فى برنامج«ما يطلبه المستمعون » أيضا تعبر عن التقدير والحب ، وتسند عدم اللقاء بينهما الى القدر والنصيب · ولذا يتمنى لها السعادة فى وضعها الحاضر ·

ولولا ذكر اسم والدها بين الاسماء فى برنامج ما يطلبه المستمعون ·· لما كشف الأمر فى صلتها بزميلها ولبقى فى دائرة الاحتمال وحده ·

● والشخص الذى دبر هـذا اللبس فى عـلاقة السائلة بزميلها فى العمل ·· وبزوجها ان عرف عنه شيئا : لا يستحق الاحترام · فهو يشى بين الناس بما يسىء ، وبما يجعل بعضهم كارها للآخر ·

فى غياب التوثيق الرسمى لعقد الزواج تضيع المسئولية الزوجية أو يهمل أمرها · والحب ـ كما يقال ـ الذى يعتبر مسئولا الى حد كبير عن العقد العرفى لا يبقى العامل القوى فى حل مشاكل الزوجية فى ظل هذا العقد ·· لا يبقى كأى عامل ايجابى فى ابعـاد شبح القلق ، والريبة ، وعدم الاستمرار فى ظل هذا العقـد ·

ان العقد العرفى اذا توفرت شروطه مصدر امان للزوجة أو لها وللزوج ، اذا كانت عندهما تربية اسلامية تعتمد على الخشية من الله ، والايمـان به ، والطاعة لأوامره ونواهيه،والضمير الحى اليقظ فى نفس كل منهما··واذا كان الزواج بينهما تم على اساس الصلاحية الانسانية ·· وليس على أسـاس الشهوة الجامحة ، أو الزلة الخاطئة ·· أو التورط فيما يشين ·

ان عقـد الزواج العـرفى لو كانت له صـلاحية شرعية : هو سـلاح ذو حدين : قد يكون مفيدا للحيلولة دون مباشرة الفاحشة وارتكاب جريمـة الزنا ·· وقد يكون ضارا عندما تتعرض المسئولية الزوجية ـ وهى مسئولية متعددة الجوانب ـ للضياع أو للاهمال على الأقل ، من جانب من لا يدركها أو من لا يؤمن بالقيم الانسانية فى علاقات الناس بعضهم ببعض ·

★★★

١٥٨ ـ مشكلة « ما يطلبه المستمعون » :

من احدى الأخوات فى الايمان تقول : انها فى اجازة الآن من العمـل لرعاية صغيرها · وأنها لاحظت عند سماع الاذاعة أن ثلاث اغنيات جـاءت على فترات فى أسبوع واحد فى برنامج «ما يطلبه المستمعون» وذكرت مذيعة البرنامج : ان هذه الاغنيات الثلاث بناء على طلب :

(١) والد السائلة · (٢) وزميل لها فى العمل ·

وكلمات هذه الاغنيات : « اننى أتعذب فى حبه ، وكنت اتمناه هو ، وكنت بدارى فى قلبى طول الفترة السابقة حتى أثر ذلك على صحتى ومرضت الآن لذلك السبب » ·· وجاءت هذه الاغنيات على فترات ، ويوم الجمعة بالذات حتى يسمعها الزميل فى المكتب لانها تعرف عادته ·

وتقصـد السائلة : أن ذكر اسم والدها على لسان مذيعة البرنامج هو ذكر غير مباشر لاسمها هى · وكأن هذه الاغنيات الثلاث تعبير عن عـلاقة الحب المدعى بينها وبين زميلها فى المكتب الذى ذكر اسمه كذلك مقترنا باسم والدها ·

فلا تعتبر موافقته هنا تعبيرا عن « الايجاب » المطلوب فى عقد الزواج،وهو أن يقول الولى للزوج برضا واختيار حر : « زوجتك ابنتى فلانة ، على المهر المسمى بيننا ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام » .. كما لا يعبر كلام الطالب السائل لولى الزوجة عن قبول للزواج من ابنته ، عندما يقول : بعد التخرج سنقدم الشبكة ونعقد القران . بل ما يروى من كلام هذا ..وكلام ذاك: لا يخرج عن قول لعابر سبيل ، لا ينعقد به عقد زواج .

وبناء على غياب ولى الزوجة عن عقد الزواج ، وبطلان العقد مؤسسا عليه : لا يجوز للطالب السائل ولا لزميلته : الاختلاط .. أو اللقاء .. أو الخلوة ببعضهما . والحب الذى بينهما لا يصحح لهما أى شىء من ذلك .

والعقد « العرفى » الذى يغيب عنه ولى الزوجة البكر لا يعتد به اذن . وهو فقط مصيدة للمرأة ، مهما اعتدت بشخصيتها وادعت انها ولية أمر نفسها .

● أما غياب اشهار الزواج ـ وهو عرف جار ـ عن عقد الزواج : فضرره يعود على طرفى العقد ، وهما الزوجة والزوج . فلو فرض ان الزوجة كانت ثيبا ولها الحق فى أن تزوج نفسها بنفسها . أى لا تحتاج الى واليها فى عقد الزواج . وبالايجاب منها .. وبالقبول من الزوج يتم العقد صحيحا ، وتجوز صحة مباشرته من الزوجين فى علاقة شرعية بينهما ، الا أن عدم اعلانه ربما يحدث تقولات وشائعات عن هذا الزواج تضر بالزوجة أو بالزوج ، أو بهما معا : ففى حال اختلاطهما .. وفى حال سكناهما معا .. وفى حال خروجهما وعودتهما الى المنزل .. وفى أحوال أخرى كذلك ، ربما يسمعان أو يشاهدان ما يؤذى سمعهما وبصرهما . ومن هنا كانت عادة الاحتفال « بالزفاف » أمرا مرغوبا فيه لاعلام المعارف والجيران ، والحيلولة دون انتشار اشاعة سيئة أو مغرضة حول العلاقة بين الزوج والزوجة . والعقد العرفى يكاد يكون عقدا سريا ، أو على الأقل غير مرغوب فى الاعلام به .

● وغياب التوثيق الرسمى لعقد الزواج،عن الزواج العرفى قد يكون سببا فى الحاق الضرر بأحد طرفى العقد ، عندما تنحل الزوجية فى سرية .. أو عندما يذهب كل منهما الى حاله ، غير مقدر لوضع الآخر . فقد تكون الزوجة حاملا ممن ؟ سيسأل الناس . وما مصيره ؟ ستسأل الزوجة ويسأل اهلها معها . وقد تكون مريضة أو يكون هو مريضا بمرض من الامراض السرية لا قدر الله .

١٥٧ ـ آثار الحضارة المستوردة :

كتب طالب باحدى الكليات العملية فى السنة النهائية ·· يقول :

انه نشأت بينه وبين زميلة له علاقة حب طاهر وعقد قرانه عليها امام بعض الزملاء ، وشهد اثنان منهم على القرآن ·

ثم قابل والدها بعد ذلك واتفق معه على انه سيقدم الشبكة بعد التخرج ويعقد القرآن عليها · ووافق الوالد على ذلك ·

ويسأل : هل هذا الزواج صحيح ، علما بانه اعطاها خمسة وعشرين قرشا مهرا لهـا ؟ ·

● على حسب ما يذكره السائل يكون قد توفر فى هذا العقد :

أولا : ايجاب الزوجة ·· وقبول الزوج · فهى تكون قد عرضت زواج نفسها بنفسها عليه · وهو بنفسه قد قبل الزواج منها ·

وثانيا : المهر وقدره خمسة وعشرون قرشا ·

وثالثا : شهادة اثنين على صحة عقد الزواج ·

بينما يكون قد غـاب عن هذا العقد :

ولى الزوجة وهى بكر ، بالاضافة الى أمرين آخرين جرت بهما العادة : اشهار الزواج والاعلام به ·· وتوثيق عقد الزواج توثيقا رسميا فى سجلات الدولة ·

وغياب ولى الزوجة وهى بكر عن عقد الزواج : يبطل صـحة العقد ، لحديث صحيح يروى عن الرسول ﷺ : « لا نكاح بدون ولى » · أى لا يصح العقد بدون ولى · وعدم صحته بالنسبة للبكر على سبيل القطع · والولى هو الأقرب من العصبة من النسب · والأب ان كان على قيد الحيـاة هو أقـرب العصبة ، وهو الولى للبكر ، نسبا · واذن فى سؤال السائل لم يكن اب الزوجة طرفا فى العقد معه · وغياب الولى كاف الآن فى بطلان العقد ·

أما ما عرضه السائل فى سؤاله على والد الزوجة من أنه سيقدم الشبكة بعـد التخرج ويعقد القرآن عليها ، ثم ما يذكره من موافقة الوالد على ذلك :

● انت الآن فى المرحلة الثانوية · احرصى بارادة نافذة على اجتيازها · ضعى ما تسميه بالحب الطاهر تحت قدميك الآن · فهو من عمل الشيطان قطعا · فمن وسوسة الشيطان : أنه يحسن الخطوة الأولى · حتى اذا استغرق فيها الانسان : حسن له الخطوة التالية لها · وهكذا كشارب الخمر : يظن أو يعتقد ان الكأس الاولى لا تسكره · واذا أسكرته لا تحول الشارب الى مدمن على الشراب · حتى اذا توالى الشراب أصبح معتادا عليه وأصبح عديم الارادة لا يقوى على السيطرة على نفسه · وعندئذ يفقد نفسه كانسان ·

ان الشيطان « يزين » للانسان ·· ويغريه بالتدريج · والانسان لا يحس باتباع خطواته حتى يقع فيها · واذا وقع فيها قلما يخرج منها نظيفا كما كان ·· وطاهرا كما كان ·· وما كان من عمل الشيطان فحرام على الانسان أن يطيعه · لا تصدقى يا بنيتى وهمك وخيالك : بأن حبك للشاب زميلك هو حب طاهر ، يقف عند تبادل الرسائل · فذلك من اغراء الشيطان لك وله · وقد حذر الله بنى آدم جميعا من الشيطان واتباعه · فيقول القرآن الكريم : « **يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** » (١) ·· فما فعله الشيطان مع آدم وحواء ، هو تعريتهما والكشف عن النقص فيهما · وكذلك يفعل بأبنائهما فى جميع الأجيال البشرية : يغرى ·· ويخدع فى اغرائه حتى يصل بالاغراء والخداع الى الكشف عن النقص فى الانسان ، وعندئذ لا يجد ساترا يستر نقصه · والشيطان مع الانسان ، وفى نفس الانسان : فى شهوته وهواه ·

ان علاقة السائلة بالشاب زميلها هى علاقة آثمة ، مهما تصورت : انها بريئة وشريفة ، وطاهرة · فما يجرى بينهما الآن هو مقدمة حتمية لما يكشف سؤهما ونقصهما فيما بعد ، للناس ، ان استمرا فيها ·



---

(١) الأعراف : ٢٧ ·

فترة · واذا كان الحب الآن قاصرا على الرسائل المتبادلة فقد تتجسم هذه الرسائل ، لتعبر عنه : فى اختلاط ·· وفى نظرات ·· وفى عواطف ·

الانسان يحب الانسان · لماذا ؟ · ماذا يحب فيه : صوته ·· حديثه ·· شكله ووسامته ·· خياله وأمانيه ·· ما يملك من مال أو حسب وجاه ··

الانسان يحب الانسان · أيظل المحب بعيدا عن الحبيب أو يسعى الى القرب منه ؟ ·· أيشيح عنه بالنظرات ، أم يرصده بها فى حركاته فى المكان، ويستعيد صورته فى الخيال ، عندما يعجز عن رصده فى أى مكان وزمان ·

اليوم حب عفيف ·· وغدا حب أعمى ·· أليس ذلك حب الانسان للانسان ؟

اليوم حب على البعد ·· وغدا حب على القرب ·· أليس ذلك من طبيعة الانسان ؟ ·

اليوم حب شريف ·· وغدا حب شهوة وهوى··أليس الانسان بين يومه وغده يجمع بين المتناقضين ؟ ·

● أى بنيتى ! أنت شابة فى مقتبل العمر · أنت فى مرحلة المراهقة الآن ·· وفيها من المتناقضات الكثير : تريدين أن تكونى متدينة وتريدين أن تكونى حضارية متمدينة ·

تريدين أن تكونى ذات حظوة فى أسرة · وتريدين أيضا أن تكونى ذات شأن فى وظيفة ما ·

تريدين أن تكونى فوق أخطاء الانسان · ولكن الطبيعة البشرية والأقدار قد تضعك موضع الاختبار والابتلاء ، فى الأخطاء والأزمات ·

ليس هناك حب طاهر فى الوجود الانسانى ، الا بقدر ما يرسمه الخيال أو الوهم · هناك عند الانسان شهوة ، وهناك عنده هوى ، يدفعه نحو الشهوة· هناك ميل الانسان نحو الانسان · ولكنه مؤقت يتغير من وقت لآخر ، فى درجته ومستواه · وقد يتحول الى « نفرة » ·· وسخط ·· وكراهية ··

طريق « الحب » طويل ، ولا يوصل الا الى ما يقلق النفس ·

والاسلام اذ ينهى عن الضرر المادى ، والنفسى للانسان : فانما ينهى عن الاقتراب من مصادره قبل وقوعه ٠

ليس لدينا من الأسف : دراسات اجتمـــاعية تحلل نتائج الاختلاط بين الذكور والاناث فى الدراسة المشتركة ، وآثارها السلبية على نفوس الطلاب والطالبات اللآتى يتخرجن فيها ٠ والاسلام اذ يرى فيها مصدر وضرر على المرتادين لها : فانه يقدر الآثار لتجاهل الاختلاط بين الذكور والاناث ٠ فمبدأ منع الاختلاط هو الوقاية قبل الوقوع فى هاوية الانحراف وكوارث الضلال والحيرة ٠

* * *

١٥٦ ـ التدين ٠٠ والسفور :

كتبت مواطنة من احدى المحافظات ٠٠ تقول :

انها طالبة فى المرحلة الثانوية وتعرفت بشاب فى سنها ، ونشأت بينهما عـلاقة طيبة طاهرة من الحب ٠ لم يتمكن منها الشـــيطان ٠ وانما العقـل والثبات ٠ وهى علاقة الكتابة المتبادلة ٠ لم تعرف الخروج والســير معا ٠ واختها الكبرى هى الوحيدة من أسرتها التي تعلم بهذه العلاقة ٠

والآن تسأل : هل هذه العلاقة تعتبر حراما ؟ ٠ وهل الحب الطـــاهر حرام ؟ والسائلة متدينة بمعنى الكلمة ٠

● تتحدث السائلة وهى طالبة بمرحلة الدراســة الثانوية عن « حب طاهر » ٠ ما هو الحب الطاهر ؟ ٠ حب المولى جل جلاله ؟ ٠٠ حب كمالــه المطلق ؟ ٠٠ ليس هناك حب طاهر الا ما كان موضوعه منزها عن النقائص ٠٠ منزها عن الأهواء والشهوات ٠ فهل نوع الحب الذى بين الطالبة والطالب فى سـن المراهقة هى من نوع الحب الالهى ؟ ٠٠ أم هو نوع من حب الانســـان للانسان ؟ ٠ والانسان هوى وشهوة : يأكل ليعيش ٠٠ ويتزوج وينسل ليعيش بنوعه ، كما يعيش بشخصه ٠

والأمـــر الذى يحدد نوع الحب هو موضــوع الحب ذاته ٠ فطالما كان موضوعه الانسان : فهو حب الميل ٠٠ والرغبة ٠٠ والهوى ٠٠ والشهوة ٠٠ والعواطف ٠ واذا كان الشيطان لم يدخله الآن بعد ، فهو على أية حال مجال الشيطان ووسوسته قد يدخله غدا أو بعد غد ٠٠ قد يدخله توا وقد يدخله بعد

هذا الجو لا يتيح الفرصة للاسلام فى أن يقتحمه ويفرض رأيه فى الحلال ٠٠ وفى الحرام : فى علاقات البنين والبنات هناك ، فى سن المراهقة والشباب ٠ أى حديث عن الاسلام الآن فى هذا الجو : يتناول : تحريم الاختلاط بين الذكور والاناث ، وهو أمر قائم بالفعل ٠٠ بل وهو سائد فى المدرسة ؟ ٠ لا مكان للاسلام هنا الذى يجيز رؤية الوجه والكفين فقط لغير المحارم من الذكور والاناث ٠ فالمدرسة المشتركة اذا قامت خرج الاسلام من جوها حتما ٠

● ان الحديث بين الشاب الطالب فى الثانوية العامة وصديقته المعجب بها ، الذى يتناول مستقبلهما ، وأحسن الكليات الجامعية التى يرغبان الالتحاق بها اذا كان حديثا بريئا ، كما تقول السائلة ٠ أى شىء تندم عليه الآن ٠٠ ومن أجل ذلك يعذبها ضميرها ويؤلمها ؟ ٠

هل السائلة عندما رفضت تحديد لقاء ثالث بين زميلتها والشاب الصديق لها ، كانت تحس : أن الوضع بينهما قد دخل مرحلة أكثر قربا فى العلاقة بينهما ؟ ٠٠ ولذا تريد الابتعاد وترفض الوساطة ؟ ٠

ان الطالبة السائلة قد عصت الله فيما باشرته من وساطة بين صديقتها الطالبة معها والشاب المشترك معها فى المدرسة ٠ فقد اختلطت هى بأجنبى عنها : فى الحديث وفى الرؤية ٠٠ ونقلت الى صديقتها ما يغريها بلقاء شاب أجنبى عنها : تتحدث اليه كما يتحدث اليها ٠ وفى أى موضوع ؟ ٠ فى موضوع الصلة بين شاب وشابة يعيشان فترة المراهقة سويا ٠

● وقد علقنا – من قبل – على هذه المدارس المشتركة ، غير مرة ٠ فهى لا تخرج طلابا وطالبات : شدهم التآلف والانسجام ، بعضهم الى بعض ، كما يدعى فى أهداف هذه المدارس ٠ وانما تخرج أعدادا كثيرة من الطلاب والطالبات ، وسعت محن الشباب ومآسيها : الفجوة بين بعضهم بعضا ، وألهبت خيالهم الجنسى ، بقدر ما أضعفت فيهم روح الطموح والاستقلال ووضعتهم فى فترة نفسية قلقة ، يخشى عليهم من آثارها ٠

● الاسلام ليس لباسا ولا زيا ٠٠ الاسلام سلوك ومواقف : سلوك انسانى ، ومواقف انسانية ٠ فما يبعد الانسان عن الضرر المادى ، والنفسى : له صلة قوية بالاسلام ، وما يؤذى الانسان فى بدنه ٠٠ أو نفسه ٠٠ أو فى سمعته ٠٠ أو فى مستقبله : بعيد كل البعد عن الاسلام ٠ يعرف الانسان فى مدى ايمانه بالله وبرسالة الرسول عليه السلام ٠٠ بالسلوك والتصرف وحده ٠ فهو خير تعبير عن الايمان ٠

١٥٥ ـ من آثار الحضارة المستوردة :

طالبة فى الثانوية العامة باحدى المحافظات تقول :

لها صديقة معها فى الثانوية العامة أيضا ، من السنة الأولى الاعدادية. وكانت هذه الصديقة تتبادل نظرات الحب والاعجاب مع طالب معها منذ خمس سنوات الآن ·· أى منذ السنة الأولى الاعدادية كذلك · فالمدرسة مشتركة بين البنين والبنات ·

وبعد مضى هذه المدة أراد الطالب أن يخطو خطوة أخرى الى الأمام فى علاقته بهذه الصديقة ، فقد قرب الانتهاء من الدراسة الثانوية ، التى كانت تجمع الشمل · فرجا الطالبة التى تتحدث الآن فى أن تمكن صديقتها من مقابلته·وفعلا تم لقاء أول··ثم ثان بعد الانصراف من المدرسة فى كل مرة ، فى الطريق الى المنزل · وتستطرد فتذكر : انها كانت معها فى كل مرة التقيا فيها ·· وأن الحديث بينهما كان عن المستقبل ·· وعن دخول الكلية فى الجامعة بعد النجاح فى الثانوية ·· وفى المرة الثانية تعاهدا على أن لا يخون أحدهما الآخر ·· وأن لا ينسى بعضهما بعضا ·

ثم تعلق فتقول : انها طالبة مسلمة ·· وأنها ترتدى الزى الاسلامى ·· كما تثنى على أخلاق الطالب ومستواه فى الأسرة ·· وعلى أخلاق صديقتها وعلى أسرتها المثقفة ·

وفى نهاية الرسالة : تعترف بأن ضميرها يعذبها ويؤلمها ·· وتسأل عن رأى الدين فى هذا العمل ·· أى فيما فعلته من الوساطة بين الشباب والشابة · وبالأخص : انها رفضت طلبا ثالثا للشاب فى أن يقابل محبوبته الطالبة ، حرصا على مصلحته ومستقبله ·

● هذه الطالبة المسلمة التى تتزيى بالزى الاسلامى فى مدرسة مشتركة باحدى المحافظات : كيف كانت تلتقى بالطالب المعجب بصديقتها وهو شاب أجنبى عنها؟·وكيف كانت تتحدث اليه؟·وكيف أباحت لنفسها:أن تكون واسطة بين شاب وشابة يريدان أن تتوثق العلاقة بينهما الى درجة : أن يعاهد كل منهما الآخر على عدم الخيانة ·· وعدم النسيان لأى منهما من الآخر ·

وهنا يمكن أن تكون الاجابة : هى جو المدرسة المشتركة ، فجو المدرسة المشتركة بين البنين والبنات منذ الابتدائى ·· والاعدادى ·· والثانوى يعد للقاء البنت مع الولد ·· ويمكن من الترابط بينهما وانشاء علاقات فوق الاعجاب ·· وفوق الزمالة ·· هى علاقات العهد بعدم الخيانة ·· وعدم النسيان ! ·

من الخيال المعسول · ونفس الشاب فى مرحلة المراهقة تتأثر كثيرا بالقصص الغرامية ، والمغامرات بين الجنسين ·

● والتلميذ السائل يتحرج من مخاصمة رفيق السوء فى جـواره فى الفصل ، اتباعا لقول الرسول عليه السلام : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » ·· لكن يجب أن يفهم : أن حديث رسول الله عليه السلام خاص بمن هو مسلم ·· أى بمن هو يتبع ويطيع تعاليم الاسلام · وهذا الرفيق السىء هو مسلم بالاسم أو بالبيئة فقط ولكنه فى حقيقته : شيطان وتلميذ لابليس · فهو منكر فى ذاته · ويجب الابتعاد عنه نفسيا · لمن يريد أن يقى نفسه سوءه، وضلاله · والابتعاد النفسى هو عدم الاهتمام به فى صورة ما ·

فالمسلم لا ينبغى له أن يهجر أخا مسلما : فى الايمان ·· والسلوك ·· والالتزام بأداء الواجبات والمسئوليات · فهل رفيق السوء هذا مسلما ، بمعنى ان يسلم الناس من ايذاء يده ولسانه ؟ أم ان ايذاءه للآخرين باليد واللسان قائم بالفعل ؟ والسائل واحد من الذين يؤذون بلسانه ؟ ·

والسائل ان استطاع أن يترك الفصل الذى يزامل فيه رفيق السوء ، وينتقل الى فصل آخر لا يراه فيه : يكون قد فعل الأفضل لنفسه · لأنه سيتجنبه فى المكـان وقت الدروس على الأقل فى المدرسـة ، ثم لا يراه بقية اليوم ، لوجوده فى منزله ·

ان رفقاء السوء فى المدرسة ·· وفى العمل ·· وفى الجوار ·· وفى المعاملات ·· ابتلاء من الله ، وبلاء فى الوقت نفسه · ولذا على المخالط لهم أن يصبر فى الوقت الذى يتقى شرهم : وليس اتقاء شرهم بالخصام · وانما بالانصراف النفسى عنهم ، والزهد فى الجوار والحديث معهم · والصـبر المطلوب هو عدم الانفعال بما يصـدر عنهم من عبث وترك مجالسـهم حتى يخوضوا فى حديث آخر ، لأنهم طالما كانوا رفقاء فمن الصعب ـ عند اتقـاء شرهم ـ مقاطعتهم بحيث يصبحون أعداء سافرين ·

وعلى السائل أن يسـتمر فى صلته بالله ، عن طريق أداء العبادات ، والتزام طريق الاستقامة ، كما ترسمه هداية الله ·· وأن يتجاهل هذا الرفيق السىء : ان أشار بحركة ما ، أو تفوه بكلمة ما ، أو استرسل فى حديث لغو · وليواظب على دروسه بالمذاكرة والمراجعة · وبذلك يظل متفوقا عليـه وعلى أمثاله ·· والله يهدى الى سواء السبيل ·

★★★

بسبب مرض جسمى ـ كما يعبر السائل ـ وعندما عاد الى المدرسة أخـذ زميله هذا : ينظر اليه نظرات احتقار واتهام ، ويسأله اسئلة يحاول بها أن يفقده الثقة فى نفسه ، ويحدثه كثيرا عن اللهو والعبث ، مما أثر فعلا علـى توازنه ٠٠ ويسأل :

انه يريد أن يبتعد عنه ويدفع عن نفسه سوءه ، ويعيد اليها الثقة بالله ٠ فهل يخاصمه ٠٠ والرسول عليه السلام ينهى عن الخصام فى قوله : « لا يحل لمسـلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » ؟ ٠٠ ما هو الحل لهذه المشـكلة الصعبة ؟ ٠

● ان رفيق السوء مهيأ من الجانب النفسى بعدة صفات :

أولاها : انه صفيق ، وبليد الحس ، فهو يحتمل ما يوجه اليه من اهانة، ويثابر فى سبيل الاستيلاء على فريسته ٠

ثانيها : انه متخلف عن أقرانه فيما يشاركهم فيه من دراسة أو من عمل ٠ ومن أجل ذلك يحاول أن يحطم كل من يتفوق عليه ، فحقده يملك عليه زمـام أمره ٠

ثالثها : انه يباشر الموبقات ، ويأتى المنكر ، فى جرأة وفى غير حياء ، كى يغطى بجرأته فى ارتكاب القبيح والسوء ، على فشـله وتخلفه ٠ ومن يباشر الموبقات والمنكر فى غير حياء ، لا يكون له خلق فاضل اطلاقا ولا مبدأ انسانى يرتبط به مع غيره ٠ انه يمثل الشيطان بين رفقائه ٠ يختار الضعيف ٠٠ فالضعيف بينهم ٠٠ ويوسوس له بالسوء : فيكذب ٠٠ ويغرى بأكاذيبه ، ويخدع بها ، حتى يزداد الضعيف ضعفا فاذا أخرج هـذا الضعيف عن خط الاستقامة فى السلوك ٠٠ وعن طريق التفوق فى دراسته أو فى عمله : تحققت غاية رفيق السوء ، بأن أصبح وهو فى السوء والقبح سواء ٠

● وزميل السائل فى المدرسة الثانوية مؤهل بهذه الصفات كلها ٠ فيوحى له بسبب مرضه وانقطاعه خمسة أيام عن الدراسة : بما يفهمه انه غير مؤهل للجلوس الآن مع زملائه فى المدرسة ، بعد هذا المرض ، ويكذب فى نقله عن زملائه : رغبتهم فى تجنب عشرته ٠ وبذلك يبتدىء هذا السائل يحس : بأنه معزول وغير مرغوب فيه ٠٠ وهذا الاحساس وحده هو احساس كفيل بأن يهزه ويقلقه ، ويفقده الثقة فى نفسه ٠

ثم يضيف رفيق السوء الى اضطراب زميله الضحية : اغراءه عـلى العبث والفساد ، بأحاديثه المكذوبة التى يروى بها قصصا لم تقع ٠ ولكنهـا

أو الحركة ، أو التبرج ، نوع من الوقاية للمجتمع من الأضرار النفسية والعصبية ، والاجتماعية التى يخلفها الاختلاط ٠٠ وهو أيضا عامل من عوامل دفع المجتمع الى العمل الجاد فى الحياة ، والى التفكير السليم فى أداء الواجب ٠

ليس لله مصلحة فى أن تتفسخ المرأة عن طريق الاختلاط أو ما يسمى بالسفور ٠٠ وليس له مصلحة كذلك فى أن تستقيم المرأة وتتقى العبث ، عن طريق التحجب أو عن عدم السفور ٠ وانما المصلحة هى للمرأة وللرجل معها، ثم للمجتمع بعدهما ٠

ان الدعوة الى سفور المرأة هى جزء رئيسى فى « ثورة تحريرها » ٠ اذ هو المفتاح الى الخروج الى العمل فى الدواوين الحكومية أو فى مكاتب الشركات ، والى الاستقلال الاقتصادى للمرأة عن طريق عملها الخارجى ، وبالتالى الى تفكك الأسرة واضعاف العلاقات الأسرية والزوجية ، والى شيوع الروابط الجنسية فى غير ضابط الا ضابط الاستمتاع وتحصيل المتعة الوقتية فيما بين الرجل والمرأة ٠

● ولا نقتنع ونحن نجيب على سؤال السائلة هنا بأنها كانت مقتنعة بالزى الاسلامى ، عندما لبسته ٠ فمن يقتنع بأمر جوهرى فى حياته لا يهتز ايمانه به ، عندما تحركه الرياح العاصفة لتخلع جذوره من النفوس ٠ وهى رياح السخرية ، والتهكم والنقد المستمر ، ولا عندما تحاول المغريات أن تجذبه اليها ، وهى مغريات المال ، أو اعجاب الرجال وثناؤهم ٠

والأمر واضح لديها الآن ٠ فطاعة الله فى أن تبعد المرأة نفسها عن مزالق التردى والانحراف ، بالاختلاط ٠ وطاعة الشيطان فى أن تدع نفسها لاغرائه وخداعه ٠ وعندئذ لا تسأل : أين هى اليوم ٠٠ ولا أين ستكون غدا ، طالما يستهويها : المال ، واتباع مودة الأزياء والتجميل ، والتقلب بين يدى الرجال ٠



١٥٤ ـ رفقاء السوء :

طالب باحدى المدارس الثانوية يقص قصته مع زميل له فى مقعد الدراسة فيقول :

انه موفق فى دراسته ، ولم يتخلف فيها مرة واحدة ٠ ولكن فى هذا العام جلس بجواره زميل له استضعفه ٠ وانتهز فرصة انه تغيب بعض الأيام

الخدمات للنزلاء والنزيلات فيه ؟ · وأليس تقديم الخدمات لمن فى الفندق فى صالته أو فى غرفه ، ينطوى على الاختلاط ؟ ففى سبيل المال وفى السعى الى جمعه وادخاره من غير ضرورة اليه ، تعود الى السفور والاختلاط بالأجانب عنها ؟ · ان الغاية هنا ، وهو الحصول على المال وادخاره ومن غير ضرورة اليه ، لا تبرر الوسيلة وهى الاختلاط بالرجال غير المحارم · فالغاية اذا كانت مباحة هنا فالاختلاط فى سبيلها غير مباح ·

وفى التبرير يقول بعض صديقاتها : ان الله رب القلوب ، وليس رب المظاهر ··· هذا صحيح ·ولكن السفور أو الحجاب ليس مظهرا من المظاهر· انه فعل وعمل من أعمال الانسان ، يثاب أو يعاقب عليه · فالسفور طريق لما يعاقب الله عليه · اذ هو طريق الى الغواية ، والاثارة ، والمهانة · والحجاب طريق يثيب الله عليه · لأنه طريق الى تكريم المرأة وابعادها عن أن تكون مصدر فتنة للرجال ·

كما يقلن أيضا : ان الدين يسر ، لا عسر · وهذا صحيح كذلك · ولكن معناه : أن الدين لا يطلب من الانسان : ما يضره فى صحته ·· أو فى نفسه ·· أو فى عقله · فما يأمر به الانسان قد يتخلى الانسان عن بعضه لفترة من الفترات ، أو لسبب من الأسباب ، اذا كانت هناك ضرورة الى ذلك · والرخصة فى الاسلام مبدأ من مبادئه·فالدين لا يتشدد فى التنفيذ حتى اذا كان فيه هلاك المنفذ · ولكن الخروج من الاستقامة الى الانحراف ليس خروجا من العسر الى اليسر · فلا الاستقامة عسرا ، ولا الانحراف يسرا · وانما الاستقامة كتحجب المرأة هنا ــ ضرورة اجتماعية لصالح المجتمع نفسه · وهو صيانته من الأمراض الاجتماعية التى يسببها الاختلاط ، على نحو ما هو شائع فى المجتمعات المعاصرة · والسفور بالتالى ليس يسرا للمرأة · وانما هو طريق سهل فعلا للمرأة ، ولكن الى التردى فى الانحراف والعبث والمآسى ·

وكما يقلن كذلك فى مشورتهن لها : ان العمل فى الفندق لا يخرج عن خط الشريعة الاسلامية · ويجب أن يعرفن : أن العمل اذا جر الى فساد ، كما يجر هنا الى الاختلاط ، فانه يأخذ حكم ما يجر اليه · واذا كان اختلاط المرأة بالرجل الأجنبى عنها لا يقول به الاسلام ولا يقبله ، فالوسيلة التى توصل اليه لا يقبلها كذلك ·

● ان العمل الصالح ، والخير ، والمستقيم لا يقبله الله الا اذا كان صادرا من مؤمن بالاسلام · وأمارة ايمان المؤمن ثباته عند ايمانه ، وعند ما يأتى من نتائج هذا الايمان فى اعمال الانسان·والتحجب للمرأة بمعنى عدم الاختلاط بغير محرم لها ·· وبمعنى عدم الاثارة للرجال عن طريق الملبس ،

يجسم بدنها ويبرز منه مفاتنه ــ وبين السعى الى المال وادخاره للمستقبل ، عن طريق العمل خارج المنزل ، فى خدمة النزلاء بالفندق ٠

وهى تذكر أيضا من قبل : انها لبست هذا الزى بعد استقالتها من العمل بالفندق ، عن اقتناع تام به ، دون ان يكرهها أو يلزمها أحد به ، وأن والديها من الأثرياء جدا ٠

كيف كانت مقتنعة بارتداء هذا الزى ٠٠ ثم الآن تحاول أن تقنع نفسها بمشورة بعض صديقاتها بالعودة الى العمل فى الفندق ، والرجوع الى السفور وعدم التحجب ؟ ٠

وكيف يكون أبواها من الأثرياء ــ وهى اذن ليست فى حاجة الى المال ــ وفى الوقت نفسه تخرج الى العمل فى خدمة النزلاء فى فندق من الفنادق الكبيرة لجمع المال وادخاره للمستقبل ؟ ٠

وكيف تخشى عذاب الله وغضبه ، ان هى أقدمت على السفور وترك الحجاب ، دون أن يكون هناك من ضرورات الحياة ما يدفعها الى الاحساس بالخشية من عذاب الله وغضبه ؟ والى قبول المبررات من أن الله رب القلوب وليس رب المظاهر ٠٠ ومن أن الدين يسر،لا عسر ٠٠ ومن أن العودة الى العمل فى الفندق لا ينطوى على خطأ يخرج به عن خط الشريعة الاسلامية ؟ ٠

● ان تحجب المرأة فى الاسلام يعنى عدم اختلاطها بالأجانب عنها من الرجال ، كما يعنى أنها اذا خرجت من منزلها تخرج غير متبرجة تلفت بتبرجها أبصار الرجال اليها ٠ ومن تبرج المرأة اظهار مفاتن البدن عن طريق تحديد اللباس له ، أو عن طريق الكشف عما يجب ستره منه ٠ وما يجب ستره هو ماعدا الوجه والكفين ٠

وسفور المرأة يعنى اختلاطها بالأجانب عنها من الرجال : فى الحديث ٠ والنظرات والحركات ٠٠ يعنى أنه ليس هناك حرج عليها فى اشتراك المرأة فى الحديث ٠٠ أو فى الحوار ، أو فى المناقشة مع الرجل غير ذى محرم لها ٠٠ وأنه ليس هناك حرج فى أن تبادل المرأة النظرات مع غير المحارم لها من الرجال ٠٠ وأنه ليس هناك حرج فى الذهاب والاياب أمام هؤلاء الرجال أو بينهم ٠

اذا كانت السائلة مقتنعة بحجاب المرأة أو بتحجبها ، كيف تبيح لنفسها الاختلاط بغير المحارم لها من الرجال من أجل المال ، عند قبول العمل كمضيفة فى أحد الفنادق ؟ ٠ ما هو عمل المضيفة هناك فى الفندق ؟ ٠ أليس هو تقديم

على وجوده وعلى صلاحيته للحياة · وهو أصلا غير موجود وغير صالح للحياة · لأن من تسخره رياح الشهوات لا يعرف مكانه ولا مقامه ، فى الوجود ·· وفى الحياة معا ·

وأول عامل من عوامل نجاح الانسان فى حياته هو ثباته · وثباته مرهون بمدى صبره على الأذى من المعارضين · وقد عاش رسول الله ﷺ بمكة وصبر على ايذاء المعارضين له والساخرين منه ، وهم الزعماء وأرباب السطوة والسيادة فيها · وكان صبره هو السبيل الى نجاحه ضد أعدائه ، عندما عاد من مهجره بالمدينة الى مكة ، لا يدانيه فى السيادة عليها أحد ·

* * *

١٥٣ ـ الزى الاسلامى ·· والسفور :

كتبت آنسة من القاهرة ·· تذكر :

انها كانت تعمل مضيفة بأحد الفنادق الكبرى · ولكنها استقالت ، وبعد شهرين من تركها العمل ارتدت الزى الاسلامى ، وتحجبت · وتقول : « ان ذلك تم عن اقتناع تام ، وبدون ارغام أحد لها عليه · بل حدث العكس ـ هكذا تقول ـ لقد سخروا منها جميعا ، وتعللوا بأسباب جاهلية · وهى : انها لن تستطيع الزواج ·· وانها مازالت صغيرة · ولكنها لم تكترث ولم تبال بهم ، وبأقوالهم هذه · وهى الآن قاربت العام على ارتدائها هذا اللباس الاسلامى » ··

ولها مشكلة الآن · وهى أن ما كانت تدخره نفد · وهى تحتاج الآن الى مال تسهم به فى بناء مستقبلها مع من يتقدم لزواجها ··ورغم أن والديها من الأثرياء فانها تؤثر أن تساعد نفسها بذاتها دون أن تكون عالة على غيرها ·

وقد اشار عليها بعض صديقاتها بالعودة الى عملها الأول · وهذا ممكن أن تستأنفه · ولكن طبعا مشروط بالسفور وعدم الحجاب · ويبررن ما يشرن به لاقناعها بمشورتهن : أن الله رب قلوب ، وليس رب مظاهر ·· وأن الدين يسر ، لا عسر · ولكنها تخشى عذاب الله وغضبه · فهذا الزى ـ كما تقول ـ « شرع الله ، والله قد أمر به » ·

● السائلة تضع نفسها الآن فى التمييز بين الاحتفاظ بما تسميه الزى الاسلامى ـ وهو ذلك الزى الذى لا يظهر منها الا الوجه والكفين ، كما لا

أمهـا لو ضحكت لأمر ما · والناس لا يحترمون ـ كما تقول ـ الا صاحبات الاخلاق العابثة ويغضون النظر عن اللاتى لا يعرفن الكذب والخداع ·

والفجوة الواسعة بين مستوى السائلة ومستوى الأخريات من الجيران يجعلهـا مترددة فى أن تلتزم السلوك الدينى المهذب · اذ تخشى مـن التزامها اياه زيادة السخرية منهن لها · لأن الفجوة عنـدئذ ستزداد اتساعا بينهـا وبينهـن ·

● هى فتاة لها ميل دينى : ترغب فى السلوك المهذب ، والبعـد عن المظـاهر الكاذبة والخـادعة · ولكنهـا بسبب عوامل خارجة عن ارادتها ، لا تستطيع أن تستجيب لهذا الميل عندها كما تريد · وهذه العوامل الخارجة : ما يحيط بها من جو السخرية منها ومن هنا تولد الصراع النفسى لديها : فهى لا تستطيع أن تكون مثل واحدة منهن ولا تستطيع أيضا أن تظل بعيدة عنهن ، دون أن ينالها أذى منهن · ونشأ عن هذا الصراع اتجاهها نحو « اليأس » من الحياة ، بدلا من أن تنشأ عنه لديها : روح « المقاومة » ضـد المظـاهر المادية السائدة · فالصراع بين طرفين متناقضين أو متقابلين ، يمكن فى النهاية أن يتجه الى هذا الطرف أو الى ذلك الطرف الآخر المقابل له · فاذا اتجه صراع السائلة نحو اليأس من الحياة فقد اتجه الى الجانب السلبى · وذلك يدل على ضعف المقاومة عندها ·

والسائلة يجب أن تعرف أنهـا تعيش الآن بين : الله ·· والشيطان · والشيطان له غوايته ، وله طرقه نحو هذه الغواية · ومن هذه الطرق : حمل الشبان والشابات على المظاهر الخادعة ، والسلوك اللا أخلاقى ، والوقوع تحت اغراء المال · وان السائلة اذا قاومت طرق الشيطان بعزم أكيد وارادة قوية ، فانها ستنجح فى الوصول الى هداية الله ·

● والتمسك بهداية الله يزيد من مقاومة هوى الانسان ، ومقاومة شهوته· وهوى أى انسان وشهوته يتمثلان فى الوساوس التى تصول وتجول فى خاطر الانسان ·· وهذه الوساوس هى من عمل الشيطان · أو هى الشيطان بنفسه ·

وما كانت عبادة الصوم الا لاضعاف وساوس الشهوة عند الصائم · وما كانت عبـادة الزكاة الا لاضعاف سلطان المال واغرائه عند صـاحب المال · وما كانت عبادة الصلاة الا للنجاة من الوقوع فى محيط الشيطان ، من المصلين ·

يجب على السـائلة أن تسلك طريقها الذى اختارته فى حياتها ، وأن لا تعبأ بسخرية من يسخر منها · فمن يسخر من الآخرين يفعل ذلك للتدليل

وأكره نفسى ·· وأكره الحياة وأقول : لماذا خلقنى الله فى هذا العصر ؟ ·· الذى لا يرحم ، ولا ترحم الناس بعضها البعض » ··

ثم توجه الرجاء الى من يجيب على سؤالها بقولها : استحلفك بالله أن ترشدنى عن الطريق الى الله ، والطريق الذى أحس رضا الناس ، ورضا الله ورضا نفسى ·· طريق الجنة » ··

● السائلة هنا تصف الجو النفسى والمادى الذى تعيش فيه · وهو جو يوحى بالكآبة واليأس من الحياة ، كما تذكر · فهى لا تملك القدرة على أن تجارى الأخريات فى سنها : فى الملبس ، والشياكة ، والخروج مع الشبان للنزهة والفسح · كما لا تملك جمال الخلقة الذى يعينها على أن تلفت نظر الرجال اليها · ولذلك هى حزينة فى نفسها ، مع انها لا تضمر شرا للآخرين فى المجتمع ·

وتصف كذلك الجو النفسى والمادى الذى تعيش فيه الأخريات من عمرها وهو جو المظاهر الخادعة ·· والشياكة فى الملابس والتجميل ·· والمصلحة فقط ·· واللا أخلاقية فى السلوك ·· هو جو الاختلاط ، والعبث عن طريقه ·· هو جو الكذب والخداع ··

ولاختلاف الجو الذى تعيش فيه والجو الآخر الذى يعشن فيه الأخريات يرميها بعض الناس بالعبط · لانها لم تزل تعيش فى جوها ، ولم تنتقل بعد الى جو الآخريات : جو العبث والاغراء ، والكذب ، والخداع ، والمرح ، والضحك ·

ولأنها لم تعد تحتمل اختلاف الجو كرهت نفسها وكرهت الناس كذلك ، وتسائل نفسها : لماذا خلقها الله فى هذا العصر ؟ وهو عصر لا يرحم من يخالف اتجاهاته ولا ترحم الناس فيه بعضها البعض ·

● والعصر الذى تصفه السائلة اليوم بأنه لا يرحم من يخالف اتجاهاته ، هو عصر طغيان المادية على القيم الانسانية التى جاءت رسالة الاسلام لرفع شأنها بين الناس ·· طغيان المادية : بالمال ، وفى سبيل المال يستشرى الفساد والعبث والفساد عن طريقه · ولماذا لا تسعى السائلة الى المال كما تسعى الأخريات ؟ لأن الميل الى الاستقامة متمكن منها ·

فيأسها بسبب المال : لا تملكه ، ومن العسير عليها ان تحصله · وابوها يحقرها ويحقر والدتها أمام الجيران الموسرين ، الى درجة ان يبصق فى وجه

ومسئوليتهم عنه · فهذه المشاهد العاطفية منكر لا شك فيه فى بلد اسلامى فهى من اسباب الانحراف ، ومن المصادر الرئيسية لترويج ما يسمى بثورة التحرير للمرأة ·

● الفتاة الأولى يجب أن يزداد ايمانها بتقواها ، ولا تأسى على شيء يفوتها مما يعرض فى هذه المشاهد العاطفية ، ففوق انها مشاهد ملفقة ، ومصنوعة ولا تصور الحياة الانسانية الكريمة ، فالبعد عنها يقى الانسان من تصورات كثيرة تضره اليوم وغدا ·

أما خطيب الفتاة الثانية ·· فالفتاة ستتركه لا محالة قبل الزواج بها ، أو بعده ·· والعاقل هو من يدرأ الضرر عنه قبل وقوعه ·

***

١٥٢ ـ الحضارة المادية ·· والقيم الانسانية :

تذكر احدى الآنسات من محافظة القاهرة :

انها فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها ، وتريد أن تسير فى حياتها وسلوكها طبقا لما يأمر به الدين ، ولكنها تخشى أن يسخر منها الناس ، وبالأخص جيرانها · فهم على مستوى فى المعيشة أعلى من مستوى اسرتها : فى الملبس ، والمأكل ، وقد وهب الله بناتهم مسحة من الجمال · وفى الوقت نفسه كان يرى هؤلاء الجيران ما يصنعه ابوها بأمها · فاذا ضحكت معها لأمر ما حاسبها حسابا عسيرا وبصق فى وجه والدتها أمام أعينهم · ومن أجل ذلك تشعر بضآلة نفسها ، وانها أتعس الناس فى هذه الحياة ·

ثم تستطرد فتقول : « ما رأيت أحدا فيه عيب واحد وسخرت منه · لأننى أعتقد أن الناس ـ أو أن الانسان ليس كاملا·ولدى احساس بآلام الناس، وأحزن لحزنهم وأفرح لفرحهم · ولست أنانية : لا أطلب شيئا من هذه الدنيا ، وليست لى أمنية مثل باقى بنات جنسى ، لأننى أريد أن أعيش لمحبة الناس ·

ولكن الناس فى هذه الأيام لا تهتم الا بالمظاهر والشياكة والمصلحة فقط ·· لا تحترم من عنده اخلاق · بل تحترم الناس ذات الاخلاق الفاسدة فلماذا ؟ ·· فما ذنبى اننى جئت الى هذه الحياة لا أعرف الكذب أو اللوع ، أو مخالطة الناس والفسح ، ومخالطة الشباب · الناس يقولون عنى : اننى عبيطة لأننى أتكلم بنية طيبة لا يعرفون ما بقلبى · فانى الآن أكره الناس ··

● والفتاة الثانية ـ كما يحكى خطيبها عنها ـ تحولت من اتجاه كانت عليه وهى طالبة فى مدرسة التمريض ، وهو اتجاه الفتاة التى تحرص على الاستقامة فى ظل عادات المجتمع الاسلامى وتقاليده ـ الى وضع آخر مناقض لما كانت عليه بعد ان تخرجت واصبحت تعمل واستقلت بذلك اقتصاديا عن عائل لها : زوج أو غير زوج · والوضع الجديد الذى تحولت اليه : ان تكون فتاة « حرة » تعيش كما تعيش زميلاتها ، فى الملبس ، والتزين ، والاختلاط ، والخروج الى العمل · وحريتها تعنى بالنسبة اليها ان ترفض القيود التى قبلتها بالأمس · وهى عادات المجتمع · فأصبحت ترى فى الصلاة ما ينفرها من مباشرتها · لانها لو تؤدى هذه العبادة لعزلت نفسها عن زميلاتها ، وهى تريد أن تعيش كما يعشن · وحريتها تعنى بالنسبة لها كذلك : ان توجه خطيبها الى مسايرة الشباب اليوم فى الملبس وتنصحه على حد تعبيره : بالتبهرج فى اللبس · فالماضى يجب أن ينقطع · والتطلع يجب أن يتركز نحو « اليوم ·· ونحو الغد ·· » ·

واذا كانت الفتاة الأولى تقاوم طغيان المادية وموجة المظاهر فى الحياة الاجتماعية التى تدفع بها المادية موجة ، بعد أخرى ·· فتطلب عدم استخدام التليفزيون ·· فالفتاة الثانية لم تستطع المقاومة اياها · بل استسلمت لها واستمرأتها ، واصبحت تدعو غيرها ـ وهو خطيبها الذى كان بالامس صاحب الكلمة عليها ـ الى ان يكون عصريا كشباب الساعة ·· وتحولها على هذا النحو ، بخضوعها الى المظاهر المادية سيفرق حتما اليوم أو غدا ، بينها وبين خطيبها ، على كره من ارادتها · اذ الفجوة بينهما تزداد اتساعا بمرور الزمن ، وبتأثر فتاته ، وافتتانها بمظاهر الحياة المعاصرة · وهى مظاهر الصخب ·· والألوان الزاهية ·· والانطلاق فى الاستمتاع بمتعها المغرية ·· وبحرية الخروج ·· وبالاستقلال فى الاقتصاد والانفاق ·

● والآية التى تسأل الفتاة الاولى عن مدى تطبيقها على مشاهد التليفزيون وهى قوله تعالى : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** » (١) · فان الكثير من المشاهد العاطفية التى ترسل عن طريق التليفزيون يجب على الرجال ان يغضوا من ابصارهم عنها لقول الله تعالى : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** » (٢) ·· كما يجب على النساء أيضا أن يغضضن من أبصارهن عنها اتباعا ايضا لقوله سبحانه : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** » · لأن غض البصر عن هذه المشاهد العاطفية المثيرة هو سبيل المؤمن لازالة المنكر ، طالما أصحاب الولاية على التليفزيون لا يزيلونه بأيديهم بحكم ولايتهم

---

(١) النور : ٣١ (٢) النور : ٣١

ولا يكون عندى ارادة لعمل أى شيء · واظل هيمانة سرحانة لأيام متلاحقة : لا استطيع القيام بالصلاة ولا المذاكرة ولا افكر فى ذكر الله ، ويستولى على هبوط فى الارادة وخفوق فى عمس أى شيء مفيد · وبذلك اضيع الصلاة وثوابها ، واضيع الوقت · ولا استطيع المذاكرة ، مما يصيبنى بالاخفاق فى مسايرة الحياة الطبيعية » ·· وتسأل :

هل قول الله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » (١) ·· ينطبق على هنا ، مما يجعلنى أزكى نفسى ، واقاطع مشاهدة التليفزيون ؟

● وفتاة من محافظة أخرى وقد تخرجت من مدرسة التمريض يقول عنها خطيبها - فى سن الثامنة والعشرين من العمر - ومتطوع بالقوات المسلحة :

« وجدتها على أخلاق عالية ، وحسن السير والسلوك ، وتوكلت على الله وخطبتها وقدمت الشبكة بعد موافقتها · وكانت تطيعنى فى كل شيء · وكانت لا تصلى وأقنعتها بالصلاة · وبدأت الصلاة فعلا والحمد لله · ذلك أثناء وجودها فى السنة النهائية · « ولكن فوجئت بعد تخرجها ، واستلامها العمل بتغيير كبير جدا ، وعدولها عن الصلاة ، وبدأت تلبس لبسا غير لائق ، ولا تقتنع بكلامى ، وتعارضنى فى كل الاحوال · وأصبحت تلومنى بأنها فتاة شابة ويجب أن تعيش مثل باقى الفتيات زميلاتها · وكانت تنصحنى بالتبهرج فى اللبس مثل باقى الشباب » ·· ولم يفلح معها الاقناع اطلاقا · ويقول انه حيران من جهتها ، ويحتاج الى فتاة تحفظ شرفه وكرامته · ويسأل عن حل لهذه المشكلة وكيف يواجه أباها عندما نقول له : اتركها ؟ ، وبماذا يقنع والديها ؟

● الفتاة الأولى تصور أثر المشاهد العاطفية فى التمثيل والحوار عليها ، فى ارسال التليفزيون · وان هذه المشاهد تهزها هزا عنيفا بحيث لا تستطيع أن تستأنف حياتها التى اختارتها لنفسها · وهى الحياة التى وهبتها للعلم والمعرفة ، ولعبادة الله ، واتباع تعاليم دينه فى العمل والسلوك · وانما تجمدها على الأقل لايام متلاحقة · وفى هذه الايام المتلاحقة تقاوم هزات هذه المشاهد على نفسها وتسأل عن تأييد ما تراه علاجا فى المستقبل لحالتها : من مقاطعة هذه المشاهد ، بالامتناع عن استخدام التليفزيون نهائيا ·

---

(١) النور : ٣١ ·

استطاعتها التحرك الى صلاة العصر والمغرب والعشاء ، والنطق بذكر الله فيمثل فترة من فترات اليأس وفقدان الأمل فى قدرة المولى جل جلاله ، وشأنها فى ذلك كشأن من يقدم على الانتحار يأسا من معاونة الله له فى انقـاذه مـن أزمته أو أزماته ·

● أما من يعتقد تأثير السحر ، أو تأثير الجان فى محيط المخلوقات،فكمن يعتقد الشرك بالله سبحانه · فالشرك بالله هو اعتقاد المشرك أن لله ندا فى الكون يشاركه فى الفعل وفى مصير الانسان · ووحدة الألوهية هى الاعتقاد فى الله دون ما سواه · فهو الخالق وحده ·· وهو القادر وحده ·· واليه مصير الوجود والانسان وحده ·

وفى مسألة الشبكة ·· فوالد المريضة يجب أن يردها الى خطيب ابنته السابق ··· والامتناع عن ردها اليه كعقوبة على فسخ الخطبة بعـد طول أجل لها ، يمثل سلوكا لا يقره الاسلام · كيف تقر عين الوالد بامساك الشبكة بعد هذا النزاع الطويل ، الا اذا كان انتقاما من خصمه فيه · وعندئذ يكون قـد اعتدى عليه ·

على السائلة ان تطمئن الى الله فى ايمانها وفى حل أزمتها · وعليها ان تقبل خطيبهـا الجديد · فربما يكون القدر قد سـاقه اليها علاجا لأزمتهـا الحاضرة ·

★★★

١٥١ ـ العاطفة وسيطرتها فى الاغراء على المرأة :

هاتان مشكلتان لفتاتين فى سن واحدة تقريبا ، واحدى المشكلتين تعكس الأثر الذى يتخوف منه فى المشكلة الأخرى ·

● فتاة من احدى المحافظات · تقص :

انها جامعية ، وانها متدينة ، وعلى صلة حب كبير لله ولرسوله ، وانها لها اخوة وأخوات من الذكور والاناث،ولها زملاء وزميلات فى الدراسة وتعامل الجميع بكل أدب اسلامى · أى أنها لا تتأثر بعواطف خاصـة ، عندما تـرى ذكورا أو تتحدث اليهم · ولكن تقول :

« عندما أشاهد أفلام التيلفزيون ، وما فيها من مشاهد عاطفية مثيرة ، أو اسمع حوار تمثيل عاطفى بين رجل وامرأة ، لا اقوى على مقاومة الخيال ،

الارض المتنازع عليها · وكانت تعيش بين الرجاء فى انهاء الصراع بحيث لا يؤثر على علاقة خطيبها بها وبين خيبة الأمل فى انتهائه الى ما صار اليه من فسخ الخطبة والمطالبة برد الشبكة ·

وبما انتهى اليه النزاع صدمت نفسيا ولم تستطع ان تقاوم هذه الصدمة فخضعت لتاثيرها واصبحت تفكر فى مستقبلها وهى فى هذه السن · وتحاول ان تجد الطريق الى هذا المستقبل ·

فتسأل مرة عن السحر وتأثيره · لا لتعرف فحسب تأثيره على المريض وانما لتقف على مدى تأثيره بوجه عام فى مستقبل الانسان وحياته ·

وتسأل عن الخطيب الجديد هل توافق والديها على الزواج به وترضى عندئذ بالأمر الواقع ؟ لانه ربما لم يبلغ فى تصورها وفى نفسها منزلة الخطيب السابق ·

وتسأل عن رد الشبكة الى خطيبها السابق · ربما يكون فى الموافقة على ردها اليه ما يفتح له الباب مرة أخرى لطلب يدها · أو على الأقل ما يحول دون ترويج الاشاعات ضدها · وبذلك تزول عقبة فى طريق مستقبلها ·

فالبنت اذا كانت فى سن السادسة عشرة من عمرها تملى شروطها على من يتقدم اليها · فاذا بلغت العشرين تسعى الى أن تكون هى موضع الرضاء لمن يأتى لطلبها · فاذا بلغت الخامسة والعشرين أو اقتربت من هذه السن باتت يراودها الشك فى وجود رجل يشاركها فى بناء الاسرة ، ويمكنها من الامومة التى تحرك المرأة كأهم هدف فى حياتها ·

● فالحالة النفسية للسائلة هى خشيتها أن تفقد أملها فى تكوين أسرة ، وفى أن تكون أما يوما ما · وفى نفسها صراع من أجل تحقيق هذا الأمل · وفى الوقت نفسه يتملكها أسف شديد على ما انتهى اليه وضعها الذى كاد يحقق لها ما تصبو اليه نفس كل بنت وكل امرأة ·

وما يعتريها الآن من ألم جسمى هو ولا شك أثر من آثار الصراع النفسى لديها · ويوم ان اعتقدت ان الساحرة حرقت بعض ما يتعلق بها من اشياء : اطمأنت نفسيا الى ان الجن أو الشيطان قد ولى وانصرف عنها · وبذلك احست بهدوء جسمها وبعد الألم عنه · ولكن عندما يتحرك الصراع الداخلى من جديد يعاودها الوهم فى الألم · وكذلك عندما تنتهى المدة التى حددتها الساحرة تحس فى وهم منها : أنها تتألم وأنها فى حالة مرض أيضا · أما عدم

١٥٠ ـ عندما تدخل الهواجس حياة المرأة :

تقول سيدة من احـدى المحافظات :

أولا : انها فى الرابعة والعشرين من العمر ، وأصيبت منذ سنتين بحالة نفسية لم تجد لها عـلاجا عنـد بعض اطبـاء الأمراض النفسية ، وتحسنت حالتها بعد ان وجدت عند بعض المشتغلات بالتنجيم والسحر ، لبضعة أشهر • ثم عادت اليها الحالة نفسها بعـد أن اغفلت وصية الساحرة بأن تكرر الزيارة لها كل شهر • وتسأل : ما الذى يشير به الاسلام حتى تتجنب طريق السحرة ، والوقوع تحت رحمتهم ؟

ثانيا : هذا أمر • وهناك أمر ثان تستفسر عنه أيضا • وهو : هل للشيطان او الجان سيطرة على الانسان ؟ • لانها عندما تستعد لصلاة العصر ، والمغرب والعشاء بعـده لا تستطيع الحركة ، رغم انها تحس بالتقصير فى حق المولى سبحانه ، كما تحس بأن أحدا ما يحاول ان يبعدها عن طريق الله ، ويمنـع لسانها من ذكر اسمه جـل جلاله •

ثالثا : وأمر ثالث تريد الرأى فيه • وهو أن شابا تقدم لخطبتها ولا يعرف عن حالتها النفسية شـيئا • فهـل ترفض الزواج منه رغم موافقة والديهـا عليه ؟ أم ترضى به استسلاما للأمر الواقع ؟ •

رابعا : واخيرا تسأل : هل الشرع يحل عدم رد الشبكة لمن تقدم بها اليها ، اثر خلاف نشأ بين والدها وخطيبها على امتلاك قطعة أرض معينة ؟ • علمـا بأن صاحب الشبكة يروج عنها اشاعات تبعد كل من يتقـدم اليها لزواجها •

● السائلة هنا تسأل أربعـة أسـئلة : تسأل عن تأثير السـحر فى الانسان •• وعن أثر الشيطان والجان فى ابعاد الانسان عن التقرب الى الله بالصلاة •• وعن مستقبل زواجهـا وهى فى حالتها النفسية الراهنة •• وعن عدم رد ابيها الشبكة لخطيب لها فسخ خطبتها لخلاف بينه وبين والدها •

وكان يمكن ان تسأل أكثر من ذلك لأن اسئلتها جميعا تصدر عن حـالة نفسية معينة • وهى حالة سيطرة الوهم عليها ، بسبب حرصها الشديد على أمل لها لم يتحقق بعد •

وربما تكون هذه الحالة قد طرأت عليها منذ ان فسخ خطيبها السـابق خطبتها بعد اربع سنوات مرت على خطبته لها • فقد عاشت اربع سنوات فى صراع نفسى عنيف بين ابيها وخطيبها ، بسبب اختلافهما على امتلاك قطعـة

ومن أجل دفع المذلة والهوان ·· ومن أجل **احتفاظ الانسان بكرامته** ، واحتفاظ المرأة بحريتها ، حرم الاسلام الفواحش ، وفى مقدمتها : الزنا · ومن أجل المتعة لذات المتعة أباح الاسلام الاستمتاع بالطيبات ، ونهى فقط عن الاسراف فى الاستمتاع بها : :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » (١) ··

رسالة الاسلام تحرص على أن يظل الانسان فى مستواه الانسانى : لا يسقط عنه بالمذلة والمهانة · ولذا يطارد « المادية » أو الطغيان بالمتعة والمال :

« **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا** (والآيات هى هداية الله) **فانسلخ** منها (أى بعد عنها) . **فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين** (أى المنحرفين عن هداية الله) · **ولو شئنا لرفعناه بها** (أى لعلونا به فى مستوى الانسانية) **ولكنه أخلد الى الأرض** (نزل الى الدنيا والفواحش) **واتبع هواه** (فى الاستمتاع بالمتع المادية وفى جمع المال ، وعصبية الأولاد) **فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** (فهو يلهث فى كلتا الحالتين أى هو تعب دائما سواء فى حال اليسر أو حال العسر · لأنه لم يتبع الطريق السوى) » (٢) ··

ونحن فى اجابتنا على الأسئلة الأربعة نستنكر باسم الاسلام ما آل اليه طغيان المادية فى مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة ، وندعو الى هداية الدين · فانها وحدها هى التى تفصل بين طريق الحيوان وطريق الانسان ·

أما الفقه الاسلامى فيرى ان كانت تطبق الشريعة الاسلامية : قتل من عاشر أمه معاشرة جنسية · استنادا الى حديث شريف : « ومن وقع على ذات محرم فاقتلوه » ويعتبر من عداه زناة ، يقام عليهم الحد · كما نذكر بقول الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم** » (٣) ·· اذ هنا كانت الزوجة عدوة لزوجها ·· والزوج عدوا لزوجته ·· وكان الولد نسبا عدوا لأبيه ·· والولد مصاهرة عدوا ، أيضا لأبيه فى المصاهرة ·

★ ★ ★

---

(١) الأعراف : ٣١
(٢) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦
(٣) التغابن : ١٤

ويتحول الوضع فى المجتمع فى وقتنا الحاضر فيسعى الابن الى أن تكون أمه عشيقته وتسعى الأم الى أن تكون عشيقة ابنها ، فى مواجهة زوجها ووالده ، وبعلم اخوته وأولادها الآخرين ٠

● هـــذه الأســـئلة تعبر مرة ثانية عن تفكك الأسرة فى مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة ، فلم يعد النسب ، ولا المصاهرة برباط فيها ٠ أى رباط فى الأسرة يبقى بعد أن تسلم أم الزوجة المقبلة نفسها لخطيب ابنتها فى الممر الموصل الى دورة المياه ؟ ٠ أى تصور يتولد عنـد ابنها من وضعها الشائن بعد أن كشف عنه وأبلغ به والده وأقاربه فى الأسرة ؟ ألهذه الأم ، والزوجة، بعد أن أضحت عشيقة خطيب ابنتها : بقية من حرمة ، وكرامة وشرف فى نفس عشيقها ٠٠ وفى نفس ابنها ٠٠ وفى نفس ابنتها ٠٠ وفى نفس زوجهـا ورب الأسرة ؟

ان أما وزوجة تفعل الفاحشة والمنكر مع ابنها الذى ولدته وأرضعته ٠٠ وان أما وزوجة تفعل الفاحشة والمنكر مع خطيب ابنتها ـ وهى ستكون بمثابة أمه وفى منزلتها ـ ماذا تفعل اذن الأخت مع أخيها ٠٠ أو مع أختها الأخرى ؟٠

● وهذه الأسئلة تعبر مرة ثالثة عن المادية ٠ أى طغيان المتع المادية ٠٠المتع البدنية ، والجسدية ، والشهوية ٠ كما تعبر عن المادية فى المال وهى طغيان الشره فى السعى اليه وجمعه ٠

أليس هنا فى سبيل المتعة البدنية تهجر الزوجة زوجها ، وتسعى الى أن تعيش فى حضن ابنها وفى فراشه ؟ أو تسعى الى أن تستمتع بخطيب ابنتهـا قبل أن تستمتع البنت به ، وتعتدى بذلك على حق الزوج القائم ، أو الـزوج المقبل ؟ وتفسد كذلك حياة الابن ، وحياة البنت ، كما تفسد الأسرة كلها ؟ ٠

وأليس فى سبيل جمع المال تخرج المرأة الثرية ، والمتعلمة ، كما تخرج الزوجة بحمل زوجها اياها على الخروج ، للقاء من لا تحبه وان اصطنعت له الحب ، وتعطيه من نفسها وأسرارها ما شاء ، مقابل أن تعطى منه المال الذى تشترطه ؟

ان التى تبيع بدنها مقابل المال لا تستمتع بالبدن ، ولا تستمتع بالمال ، كما لا تستمتع بمستوى الانسان فى انسانيته ٠ انها مهانة ذليلة من نفسـها ومن الآخرين : لا تستمتع بالبدن لأن الأمر لديها ، أصبح عادة ، وعادة كريهة فى كثير من الأحوال ٠ أما المال فانها ان نظرت اليه تذكرت « السلعة » التى تعرضها على من يحتقرها وان قبلها عندما يبادلها البيع والشراء ٠

قصدا الى الربح المادى . ويساعدها على مباشرة اقتراف جريمة الزنا ويتيح لها كل الفرص لمباشرتها .

أربعة أسئلة :

(أ) هذه أم وزوجة تنتهك حرمة الأمومة ، والزوجية لتستمتع بشباب ابنها .

(ب) وهذا رجل ينتهك حرمة حماته وأم زوجته مستقبلا . والحماة تنتهك حرمة زوجها وتذهب بشرف ابنتها وكرامتها ومستقبلها .

(ج) وهذه سيدة ثرية ومتعلمة - كما يقال - يطغى عليها حب المال وجمعه فتطغى به على كل القيم الانسانية : على العفة .. على الكرامة الانسانية .. على الاستقامة والشرف .. على حسن السمعة فى المحيط الذى تعيش فيه وفى الأسرة التى تنتسب اليها .

(د) وهذا زوج يهيىء الفرصة لزوجته لتعاشر الرجال غيره معاشرة جنسية، وتجمع له المال . وفى سبيل جمعها للمال ، يهدر كرامتها كانسان ، ويبيع منها ما لا تستمتع به ، وما قد يعرضها لأمراض خبيثة قلما تنجو منها .

● وهذه الأسئلة الأربعة تعبر عن عدة ظواهر فى مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة وهى ظاهرة : دينية .. واجتماعية .. ونفسية .

هذه الأسئلة تعبر أولا عن ظاهرة ضعف التدين ، وضعف سلطان الدين على النفوس . فليس هنا وزن ولا قيمة ولا حرمة لأمومة الأم عندما تغرى الأم ابنها وتعاشره معاشرة جنسية للاستمتاع بشبابه ، وفى غير خفاء . وليس هناك وزن ولا قيمة ولا حرمة لبنوة الابن لأمه ، عندما تحمله غريزته الجنسية على أن يعاشرها فى فراشه كما كان أبوه يعاشرها . وليس هناك وزن لبنوة الابن لأبيه عندما يصدمه فى زوجته ، وهى أمه فيخلعها منه ، وينتقل بها الى فراشه فى مسكن آخر ، هو مسكن أخته وزوجها .

والاسلام فى تحريم الزواج بالأم ، فضلا عن الزنا بالأم ، يقول : « **حرمت عليكم أمهاتكم** » (١) .. وفى تحريم الزواج بزوجة الأب ، وطبعا لغير ابنها من أبنائة هو ، فضلا عن الزنا بها يقول : « **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا** » (٢) ..

---

(١) النساء : ٢٣ (٢) النساء : ٢٢

ان مجتمعنا لم يصل بعد الى مرحلة الانحلال ، أو الى مرحلة القابلية له · فهو الآن فى مرحلة النهضة ·· ومرحلة النهضة هى مرحلة الجد فى العمل والالتزام ·

ان المجتمع اليابانى لم يصل الى نوع المجتمعات القائمة فى أوروبا وفى أمريكا فيما يسمى بالانحلال واللاأخلاقية فى بعض جوانبه الا بعد أن فاق فى نهضته الصناعية والتكنولوجية والعلمية كثيرا من المجتمعات الغربية · وعندما نهض ·· وعندما فاق فى نهضته هذه المجتمعات كان مجتمعا له تقاليده الخاصة ·· ولم يطرح هذه التقاليد الا بعد الضغط عليه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، من أعدائه فى الشرق والغرب على السواء ·

★ ★ ★

١٤٩ ـ من صور الحضارة المستوردة :

حضر الى منزلى ذات مساء زوج هو اب يتجاوز سنه الخمسين من العمر ، يسألنى رأى الاسلام فيما قصه على · وقد قص انه تأكد لديه : ان زوجته لها علاقة جنسية غير شرعية بابن لهما · وانها بعد أن انتقلت فى المنزل فترة من الزمن الى غرفة ابنها تنام معه فى فراش واحد ، تركت المنزل هاجرة زوجها مع ابنها الحبيب ، وشاركت ابنتها المتزوجة مسكنها الخاص بها ·

ويسأل مواطن من احدى القرى عن رأى الاسلام : فيما رآه ابنه من أن خطيب أخته متلبسا بفعل شائن مع أمه فى الممر الموصل الى دورة المياه · ويصف : ان هذا الذى وقع بين خطيب إبنته وزوجته ، سبب له بجانب الفضيحة فى القرية كلها ، مشاكل هى نكبات له ·

ويذكر مواطن آخر : ان احدى قريباته من السيدات تبيع جسمها بالثمن للعرب ، مع انها ثرية جدا جدا ، ومتعلمة ، ولكنها تحب المال كثيرا هى وامها · وقد عمل المستحيل ـ كما يروى ـ بالقوة والهدوء ، ولم ينجح معها وهو يسأل الآن :

هل يبلغ شرطة الآداب ؟ · ولكنه يتردد فى هذا الاجراء ، خشية على زوجته وأولاده ·

ويسال تلميذان بالصف الثانى باحدى المدارس الثانوية عن حكم الاسلام فى زوج يدفع زوجته الى المعاشرة غير الشرعية مع رجال أجانب ،

الاعدادى بعده يضعف من القابلية ، وتحد من قوة الرغبة بين البنت والولد فى التعليم الثانوى ثم فى الجامعة بعده · ويقيسون ذلك على ما يجرى فى أوروبا الغربية أو فى الولايات المتحدة الأمريكية أو فى الاتحاد السوفييتى ·

ولكن هذا القياس مع الفارق · وهو أن الشباب هناك يمارس العلاقة الجنسية مبكرا · وقد يكون ذلك منذ سن الحادية عشرة · والظروف مهيأة للاستمرار فى هذه العلاقة من الناحيتين : الاجتماعية والاقتصادية هناك · ولذا من الظواهر الشائعة فى هذه المجتمعات : عدم اقبال الرجل على المرأة، بعد سن الأربعين ، زوجة أو غير زوجة ، وانتشار الأمراض العصبية ، والعلاج النفسى · أو الجنسى ، والادمان على الخمور والمخدرات بين النساء : من يعملن منهن ، ومن هن مترفات ينفقن فى بذخ · ومصايف البلدان شبه المتخلفة فى افريقيا أو فى غيرها يتردد عليها الآلاف المؤلفة من النساء العانسات وغيرهن اللاتى يعشن فى المجتمعات المتحضرة ·

أما الشباب فى مصر وفى كثير من المجتمعات العربية والاسلامية ، فمع ما يقال عنه من الميل الى الفوضى واللاأخلاقية فلم يبلغ به الاختلاط الى المستوى الذى أشرنا اليه هنا ، للعامل الاقتصادى من جهة ، ولاحترام التقاليد ولو فى صورة هزيلة من جهة أخرى · وبمرور الزمن ستهتز هذه الصورة الى أن تتلاشى ·

● ومن أجل « فتنة الاختلاط » بين الشباب ، ذكرا وأنثى ، فى المدارس المتخلطة أو المشتركة ، لا يرضى الاسلام عن هذا النوع من المدارس · ووجوده فى مصر ليس لحاجة اليه من الوجهة التعليمية أو الاقتصادية · وانما هو تقليد لبعض المجتمعات المعاصرة فى أوروبا وأمريكا ·· هو تجربة يتوهم من أدخلوها : انها ستعدل الميزان بين الجنسين وتقوى بينهما الألفة وبالأخص بعد الزواج ، فيقل الطلاق فى الأسرة أو ينعدم تماما ·

ان الأمر الذى يعدل الميزان بين الجنسين هو التربية الاسلامية ، قبل الزواج وبعده · فامرأة بالتربية الاسلامية تعد نفسها للصلاحية كزوجة وأم · والرجل يعد نفسه بهذه التربية ليحمل مسئولية الأسرة من زوجة وأولاد · وكلا النوعين يدخل الزواج فى أهلية وفى صلاحية · وتقل بذلك الخصومة بينهما وتحل محلها الألفة والانسجام ·

ولكن هذا النوع من المدارس المختلطة فوق أنه يقدم « الاثارة » للبنت والولد على السواء ، فقد يقدم كذلك : الاغراء ، وينتهى أمره الى المآسى ·

الاسلام فيه الضمان للعدالة الاجتماعية ·· والحماية من الطغيان بالمال · والمؤمن أخ المؤمن فى الاعتبار والكرامة : وكتاب الله يقول : « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن** » (١) ··

★ ★ ★

١٤٨ ــ المدخل الى الحرام :

تقول طالبة باحدى المدارس الثانوية باحدى المحافظات :

انها تتكلم مع زملائها فى الفصل وفى المدرسة وتناقشهم فى موضوعات المنهج الدراسى · وتقصر حديثها ومناقشتها على داخل المدرسة ، دون أن تتجاوزه الى خارجها وتسأل : هل هذا حرام ؟

● المدارس المشتركة بين البنين والبنات فى مصر تبناها بعض وزراء المعارف السابقين الذين تأثروا بتفكير « جون ديوى » ·· أحد الزعماء التربويين فى الولايات المتحدة الأمريكية · وهو يستهدف من التربية المختلطة بين الذكور والاناث ازالة ما قد يكون هناك من فجوات نفسية خلقتها الاعراف والتقاليد ، أو صنعتها البيئات المختلفة التى نشأ فيها التلاميذ والتلميذات ، أو أوجدتها تعاليم الدين ·

ويريد اذن من التربية أن تكون لا دينية ·· أن تكون ــ كما يسميها ــ انسانية أو علمانية · فاذا طبقت هذه التربية هنا فى مصر ، فيجب ابعاد الدين عن مناهجها ، فان لم يبعد رسميا فان سبيل الاختلاط بين الذكور والاناث فيها كفيل بابعاده ، وابعاد كل تقليد أو عرف يقوم عليه · فالشباب فى سن المراهقة وهى السن التى يوجد فيها الطالب او الطالبة فى التعليم الاعدادى والثانوى ، يدفع دفعا بحكم الغريزة ــ ذكرا أو انثى ــ الى اللقاء والحديث مع الجنس الآخر · فان لم يكن لقاء ولا مشاركة فى الحديث أو فى الجلوس ، فلا أقل من النظرات ، والنظرات المعبرة عن الرغبة والاعجاب ·

وسن المراهقة هى الفترة الحرجة فى حياة الشاب والشابة على السواء ، ويتوقف على السلوك فيها مستقبل أى واحد منهما · ولا يقال ــ كما يدعى الآن ــ ان تعود الاختلاط فى سنوات الدراسة منذ التعليم الابتدائى ثم فى

---

(١) الحجرات : ١١

● أما الاسلام فهو لا يعادى المال ولا جمع المال اطلاقا ولكن يجعل فقط وظيفته وظيفة اجتماعية . وهى الاشــتراك فى منفعته وان كانت ملكيته ملكية خاصة . واذ يقول : « **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق** (أى جعل الناس مختلفين فيمـا لديهم من أموال . فيهم الغنى كثيرا .. وفيهم الفقير الذى لا يملك شيئا) ، **فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيـه سواء** (أى الأســياد الذين يملكــون ، والعبيد الذين لا يملكون : سواء فى الانتفاع بالمال هنا . وليس للمالكين فضل فى ذلك . وانما حق من لا يملك كحق من يملك فى الانتفاع بالمال : سواء) » (١) .. إذ يقول الله ذلك ويسوى فى حق المنفعة بين : المالك للمال ، وغير المالك له ، فانه لا يقيم حاجزا دون نماء المال بسعى صاحبه .. ولا يبقى على حرمان من لا يملك وهو ينظر الى المال يسيل من يد من يملكه . ولذا لا يوجد حقد فى نظر الاسلام ممن لا يملكون على من يملكون . وبالتالى لا يوجد صراع طبقى ولا سعى لقلب نظام الحكم من أجل التسلط باسم « العمالية » وتأميم الأموال الخاصة باسم العدالة الاجتماعية .

نعم .. الاسلام يرى فى النظام الطبيعى للمجتمع البشرى : أن يكــون هناك غنى بماله .. وآخر غنى بحرفته ومهنته . وكل من النوعين فى حــاجة الى الآخر . هذا الغنى بماله يدفع من ماله الأجر لصاحب المهنة والحرفة اذا عمل له عملا . وهذا الغنى بحرفته يقوم بالعمل لغيره بالأجر عليه . والمجتمع الاسلامى اذن ليس مجتمع ملاك ، ولا مجتمع عمال . خالصا .. ليس مجتمعا رأسماليا ، ولا مجتمعا اشتراكيا ماركسيا يقول الله تعالى : « **أهم يقسمون رحمة ربك** (يريد الاختيار الى الرسالة) **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** (فى الرزق ، والمال) **ليتخذ بعضهم بعضا سخريا** .. (أى ليؤجـر بعضهم بعضــا للعمــل . والاختــلاف بين الناس : هذا يملك .. وذاك لا يملك ، ليس للصراع والفتنة . وانما ليستقيم أمر المجتمع فى حاجة كل فرد للآخر . فلو كان المجتمع كله مثلا ذكورا ، أو كله اناثا لما استقام اطلاقا ولذا خلق الذكر ، وخلقت الأنثى ، وهما معا يختلف أحدهما عن الآخر . ولكنه ليس الاختلاف للصراع بينهما . وانما للســكنى والاطمئنان والمــودة والرحمة . كذلك الشــأن فى الاختلاف فى ملكية المال ، والعمل) » (٢) ..

وبجانب حماية الاســلام للوضع الطبيعى للمجتمع فانه يحمى الفقير بفــرض عبادة الزكاة ، ويحمى مالك المال من طغيانه بالارث وتفتيت الملكية . فالذى يخرج الزكاة هو سيد على ماله وليس عبدا له . والذى تؤول ملكية ماله الى عديدين من ورثته لا يجد فى المــال قوة يعتز بها . وانما يــرى أنه مستخلف عليه لوقت ما ، ثم يخرج من يده الى آخرين .

---

(١) النحل : ٧١ (٢) الزخرف : ٣٢

الماركسية : الصراع الطبقى كذلك ضد أصحاب الأملاك الزراعية الواسعة ٠ فان لم يوجد لدى هؤلاء اليوم عبيد فيوجد فلاحون ينتقل اليهم وجوب الصراع ضد اغنيائهم من أصحاب الأملاك ٠

وبهذا تبدو الشيوعية منهجا صالحا للحياة ، يخدع به كثير من الشباب والعمال والفلاحين ٠

ان ذلك كان فلسفة القرن التاسع عشر ، ولم يزل فلسفة كثير من المجتمعات المتخلفة أو النامية اليوم ٠ والسؤال الآن : هل صلح حال العمال ، والفلاحين ، والفقراء على العموم فى المجتمعات التى اخذت بالنظام الماركسى ؟ ٠ أم زاد أمرهم سوءا : فعانوا فى سبيل الحصول على لقمة العيش ، وغرفة السكن ٠٠ وحرموا من حرياتهم الفردية ٠٠ وشق عليهم الحصول على كثير من الخدمات الاجتماعية فى اسفارهم واقامتهم واتصال بعضهم ببعض ٠ وعلق أمر القانون المكتوب ، وفتحت المعتقلات ومعسكرات العمل ومستشفيات المجانين ، واصبحت الملايين الكادحة مستغلة لعصابات تثرى من دمائهم دون جهد أو عمل ما ٠٠ الا الانتماء الى الحزب ، أو السير فى ركاب النفاق ؟ ٠

ان العمل منذ النصف الثانى من القرن العشرين لم يبق يدويا ٠٠ ولم يحتج الى كادحين ٠ انه تحول الى عمل آلى ، ويحتاج الى خبراء فى الآلية ، ويستندون فى خدماتهم الى العقل ، والتثقيف ، والتدريب الفنى الواسع ، وليس الى العضلات ومجهود التجمعات الجماهيرية ٠

وان التقدم فى التطبيق الصناعى جعل فلاحة الأراضى الزراعية فى غنى تام عن العبيد ، وأمثال العبيد ٠٠ وأعطى القليل من الأفراد امكانية الآلاف المؤلفة من الفلاحين الذين كانوا يستخدمون فى الزراعة وتربية المواشى ، وما يتصل بأمر الزراعة على العموم ٠

ان العمل اليدوى لم يزل فى كثير من المجتمعات التى لم تتطور بعد ٠ ولكنه كاد ينقرض فى المجتمعات التى أخذت بالآلية ٠ والآلية هى مستقبل البشرية ٠ وهى مصدر رخاء واسع للملايين ٠

ان فلسفة ماركس فى الطبقية ٠٠ والاقطاع ٠٠ والصراع الطبقى : مدبرة ومولية وهى تحاول أن تظل صاحبة حركة فى سيرها ٠ ولكن ضغط الفقر ، والاذلال ، والحرمان والاستضعاف فى مجتمعاتها سيقعدها تماما عن أية حركة فى المستقبل ، ولو كانت هذه الحركة تحسب بخطى النملة ٠

١٤٧ ـ موقف الاسلام من الطبقية والاقطاع :

يسأل مواطن من احدى القرى ، وطالب بآداب احدى الجامعات ـ عن موقف الاسلام الصريح :

أولا : تجاه الطبقية ··

ثانيا : والاقطاع ··

● الطبقية مصطلح ماركسى أو شيوعى · ويقصد بالطبقية أن المجتمع ينقسم الى طبقتين : طبقة الاغنياء ، وهم السادة ، والمستغلون للعمال · فهؤلاء العمال أصحاب حرف ومهارات مختلفة فى الصناعة · ويقومون بالصنعة ولا يعطون من الأجور عليها ما يناسب صنعتهم · بدليل أن مصنوعاتهم عندما تباع يتوفر بعد التكلفة وأجور الصنعة ما يرد الى هؤلاء الأغنياء ، من غير أن يباشروا عملا ، سوى أنهم مولوا الصناعة وأعطوا الأجور غير المناسبة للعمال ·

والطبقة الثانية هى طبقة الفقراء التى لا تملك المال وتملك الحرفة · وهى لا تأخذ على عملها الا الأجر القليل · فهى طبقة مستغلة ومكدودة · وأوضاعها الاجتماعية غير انسانية : سواء فى السكن ·· أو فى الرعاية الصحية ·· أو فى تعليم ابنائهم ··

ولذا توجب الشيوعية ما تسميه بالصراع الطبقى ، على الفقراء لتسلم زمام السلطة فى المجتمع ، ووضع رؤوس الأموال لدى الأفراد فى صندوق الدولة ، عن طريق التأميم ·

● أما الاقطاع فهو أيضا مصطلح تستعمله الشيوعية كثيرا · والاقطاع الذى تتحدث عنه الشيوعية وتستخدمه فى لغتها كثيرا نوع من الملكية الزراعية كان يوجد فى أوروبا · وهو أن بعض الأفراد من النبلاء أو من غيرهم كانوا يملكون أراضى زراعية شاسعة تنتشر قرى عديدة فوقها ، ويعمل فيها العبيد الذين كانوا يجلبون قهرا من افريقيا وغيرها عن طريق الخطف والقرصنة ، وليس عن طريق الأسر فى الحروب · وكانت هذه الأراضى اذا بيعت تباع بما عليها من القرى ، وبمن يعملون فيها من العبيد ·

وكانت معاملة العبيد معاملة شائنة للانسانية وتاريخ البشرية · فهم فوق كونهم سلعة تباع وتشترى ، كانوا يعيشون عيشة دون الحيوان والكلاب فى سكناهم ، وفى ملبسهم وفى تقوتهم · ويجب عليهم من وجهة نظر

وابتدأت مـع ذلك تيأس وكلما تقدم بهـا السن كلما زاد يأسها حتى عبأت نفسها بالكراهية لما تفعله وهو طارىء جديد عليها · وما تفعله هو الوضوء اولا للصلاة · وتعبر عن هذه الكراهية بقولها : « ولكن من مدة شهر عندما أبدأ فى الوضوء أو الصلاة أجـد شيئا لا يخـرج من قلبى أو لسانى : يسب فى الصلاة ، وفى الله جل جلاله ، واعـوذ بالله منه » ··

ولو أنها كانت تعبد الله لغير منفعة منتظرة ، أو تحقيق أمر ، كالزواج مثـلا كانت ترجوه ، لوجدت أن المتع المادية والدنيوية هى متع خـادعة ، تنقضى لذتها بعد قصير · وربما تنتهى لذتها بما يسىء اساءة دائمة ·

ان الايمان بالله ـ صدقا وحقا ـ يرفع الانسان من طالب للمتع المادية والدنيوية ·· الى مستغن عنها ، وقانع بما بين يديه · والقناعة خير طـريق للاستغناء لأنه طريق ذاتى ، يخطه الانسان بنفسه ، وينفذه بذاته ·

والايمان بالله هو السبيل الأقوى لانهاء الصراعات الداخلية من أجل المتع الدنيوية وليس تحصيل هذه المتع هو الطريق لانهائها · بل كلما حصـل الانسان بسعيه هذه المتع كلما زاد الصراع واشتد فى تحصيلها ·

والســائلة فيما تســأل هنا عما نرتضيه لها من حل من هـذه الحلول الثلاثة · وهى : العلاج النفسى عن طريق الطب ، أو الوعظ ·· وحج بيت الله الحرام ، والزواج ، كما يقترح عليها ابناؤها وبناتها : فما نرتضيه لها هو أن تتزوج ان كانت لديها امكانية الزواج ·· أى ان كان لديها رجل ترتضيه ويعرض عليها أن يتزوجها · أما حـج بيت الله فســيكون شأنه لديها شأن الصــلاة والصـوم · على معنى انها ان أدته ولم يتحقق لها الغـرض من أدائه ـ وهو غرض دنيوى ـ فسيزداد اليأس فى نفسها ، وتزداد النقمة منها على ربها ·

وأما العلاج النفسى بالموجات الكهربائية أو بالايحاء ، أو بالوعظ فسوف لا يصل الى العمق فى نفسها ، بعد أن ترسبت فى هذا العمق موجات الندم على ما فاتها فى الحياة منذ وفاة زوجها أو منذ طلاقها منه ، وبعـد ما ضعف املها فى الاستمتاع بمتعها ، وقد اصبحت مسيرتها فى الحياة قاب قوسين او أدنى من « سن اليأس » ··



أن أمرا خفيا محبوسا فى القلب ، ولا ينطق به اللسان يسب الصلاة ، والله ، سبحانه وتعــالى · وهى قلقة ومنزعجة الى حد كبير من هذا الخاطر النفسى ·

وتسأل : هل علاجها عند طبيب الأعصاب ، أم عند واعظ ؟

هل يجوز لها وحالتها على هذا النحو أن تذهب الى حج بيت الله الحرام ؟ وأولادها جميعا يرون علاجها فى الزواج ! وتريد الرأى لتسكن اليه ·

● لا شك أن حالة السائلة حالة نفسية · فهى الآن فى سن الرابعــة والأربعين وهى ارملة أو مطلقة وأولادها تباعا سيتركونها ، عندما يتزوجون ، أو يفرغون من دراســاتهم وســترى نفسها يوما ما وحيــدة أو معزولة فى الحياة · يضاف الى ذلك : أن سن اليأس تزحف عليها · وسن اليأس هى السن التى تتصور فيها المرأة انها الحد الفاصل بين ما مضى من حياة مليئــة بالمرح والنشاط ، والآمال ، وبين آت مقبل يسعى بها الى الشيخوخة ثم الى انقضاء الحياة ·

هى تحس الآن : أن الحياة تمضى عنها ، وهى فى سن الرابعة والأربعين وكان يمكن أن تستمتع فيها بمتع الحياة · وربمــا عندها مال ·· وعندها أولاد · ولكن ليس عندها رجل زوج · وما يكون مفقودا لدى الانسان يتمناه اكثر ويلح فى تمنيه ·

انها سترى اولادها فى يوم قريب : البنت لها زوج ·· والولد له زوجة ·· وكل زوج وزوجتــه يعيشــان حياتهما الخــاصة بعيدا عنها · ولهمــا اسرارهما · سترى الحياة امامها ، ومن فى سنها لم يزل يستمتع بحياة كانت تتمنى ان تكون مشاركة فيها ·

● وهى عندما أقبلت على أن تؤدى الصلاة والعبادات الأخــرى ، بعد أن كانت لا تصلى ولا تصوم ، وربما بعد أن كانت تفكر تفكيرا يقــوم عــلى السخرية ممن يؤديها : أقبلت عليها علها تجد فيها سبيلا ينسيها الحيــاة البشرية ومتعها ·· أو يغنيها عن التفكير فيما يستمتع به الآخرون على مقربة منها وليس عندها هى · أو علها تحقق عن طريق العبادة لله هدفا تخفيه عن نفسها · فهى تعبد الله عندئذ على حرف ولغاية ·

فلما مرت السنون على صلاتها وعبادتها ، ولم ينته الصراع الداخلى فى نفسها ـ وهو صراع من أجل ما فاتها ، وتعويضه ـ أخذت تضيق بأداء الصلاة · لأن ··· أداءها لم يفرج كربتها ، ولم يحقق لها أملا حتى الآن ·

ولا شك أن ما يصف به السائل هنا زوجته من المذلة والمهانة والاستجداء فى البقاء عنده ، وما كانت تكتبه قبل الآن من غزل وتلهف على لقاء الصديق وهو زميل العمل معها ، يجعلها ضعيفة لا تتحمل أية مسئولية سواء فى المنزل أو فى المكتب فى الشركة · وستظل تستجدى ان هنا أو هناك ، وستظل تحاول ان ترتبط برجل ان هنا او هناك فى علاقة مشروعة أو غير مشروعة · ولو قدر لها ان تستقر فى بيتها مع اولادها لكان خيرا لها من حيث هى زوجة وأم ·

● أما ما يسأله السائل عن رأى الدين فى الفترة التى عاشها معها بعد أن طلقها بالثلاث وبعد ان سبق ان طلقها مرة ثم مرة أخرى فهو لم يعد زوجا لها · وهى بائنة منه لا تحل له الا بعد أن تتزوج زوجا غيره ثم يعقد عقدا جديدا عليها ·

وما يسأله فى حياته معها الآن ، فليست حياته معها الآن بعد أن بانت منه حياة شرعية · أما مستقبلا لو هدأت نفسه وارتضاها زوجة مرة أخرى بعد ان تتزوج غيره ·· وتطلق منه ، وبعد ان يعقد عليها عقدا جديدا ، فلايعلم الا الله مدى صلاحيتها لأن تكون زوجة وأما ·

والعمل خارج المنزل فى الشركات أو فى المصالح الحكومية هو مصدر اغراء للمرأة المعاصرة · ولكنه فى الوقت نفسه ينطوى على خطر الانحراف والبعد عن مسئولية المنزل ، أما أو زوجة ، فى صورة ما · وفى النهاية قد يؤدى الى كارثة كتلك التى يتحدث عنها السائل هنا · وهى كارثة المذلة والمهانة للمرأة ذاتها ·



١٤٦ ـ تعرض الايمان الى الاهتزاز :

سيدة من احدى المحافظات تقص حالتها فيما يلى :

هى سيدة فى سن الرابعة والأربعين · ولها ثلاث بنات فى الجامعة وولدان بالثانوى ، ولد طبيب وآخر مهندس · وهى ـ كما تروى ـ تعيش عيشة كريمة · أى لا تحتاج الى مساعدة من أحد · لم تكن تصلى ولا تؤدى العبادات الاسلامية من قبل · ولكن منذ سنوات ـ وأعتقد منذ وفاة زوجها أو طلاقها منه ان كان حيا ـ وفقت والحمد لله الى الصلاة ، والصوم فى رمضان ، وفى يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع · والآن من مدة شهر انتابتها حالة طارئة وبغيضة الى نفسها وهى عندما تبدأ فى الوضوء تحس

ولكن رغم ذلك استصحبها فى الصباح الى محل عملها فى الشركة · وهنـاك التقى بزميلها المحبوب وطلقهـا امـامه طاقة أخرى وترك له حـرية معاشرتها · فتنكر لها الزميل وكذبها فيما قالت ، وكذبته هى بدورها فيمـا يدعيه ، وتشاحنا معا · وعند ترك زوجها مكتب العمـل المشترك استسمحته وطلبت منه أن يقبلها فى السكن مع اولادها كخادمة وأن يستر عليها أمرها · اذ تخشى من زوجة ابيها ان هى علمت ·

ورجعت الى البيت وكان يعاشرها بعد الطلقتين معاشرة زوجية · وحدث ذات يوم بعد ذلك ان قال لها لسبب من الاسباب : انت طالق ثلاثا · وبذلك اصبحت بائنة منه لا تحـل له الا بعد أن تنكح زوجا غيره · ومع ذلك ظـل ـ تحت الحاحها وتذللها له ـ يعاشرها كزوجة · وهو يسأل :

(١) ما رأى الدين فى الفترة التى عشتها معها ، بعد هذه الأيمان ؟

(٢) وما رأى الدين فى حياتى معها الآن ؟

(٣) وهل لو هدأت نفسى امام معاملتها الذليلة المنكسرة يكون لى معها حياة زوجية يرضاها الله ؟

● ونحن نسأل قبل أن نجيب على أسئلة السائل :

ما هو سبب التغيير فى سلوك الزوجة ، بعد أن أمضت مع زوجها خمس سنوات وانجبت منه طفلا وطفلة ؟

سببه ، كما يقول السائل ، انها كانت على علاقة غير شريفة وآثمـة مع زميل لهـا فى مكتب الشركة : غرر بها ، ووعدها بالزواج ان هى طلقت من زوجها ، كى يستمتع بها ما شاء فى وقتها الحاضر · ثم لم يف بوعـده وتشاحنا فى حضرته · هى عاملة وتختلط بزملاء لها فى العمل فى الشركة ، بعيدا عن المنزل ، وعن مسئولية الزوجية أليس هذا الجو يوحى لها ساعة ما : أن تتجاذب اطراف الحديث مع زميل قد يبدى اعجابه بها خداعا ؟ · والمرأة مهما كانت صلابتها يهزها الثناء والاعجاب ، ولو بخطها فى الكتابة فضلا عن صوتها فى الحديث ، فضلا عن قوام الجسم ، وجمال الوجه ؟ ··

ان الخروج الى العمل : كما يساعد على استقلال المرأة اقتصاديا ·· يعطيها لونا من « الحرية الشخصية » قد يدفعها الى تجاوز المسئولية فى العلاقة الزوجية ان كانت زوجة ، وبالأخص ان كانت ضعيفة الشخصية ، كزوجة السائل هنا ·

النبى لستن كأحد من النساء ، ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » (١) .. والذى فى قلبه مرض هو من يقع تحت تأثير شهوته . ومن يقع تحت تأثير شهوته موجود فى كل وقت وفى كل مجتمع . وقوله : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .. معناه ان خرجتن من البيوت لحاجة فلا تلفتن أنظار الرجال بالملابس الفاقعة أو بصبغ الوجوه بألوان متعددة ، أو نحو ذلك . فان هذا من شأنه أن يثير الرجال . فيطمع الذى فى قلبه مرض .

وخروج المرأة الى العمل اذن اذا لم تصاحبه فتنة واثارة منها للرجال لا تحرمه الآية هنا . كما ان طلب استقرار المرأة فى المنزل وسيلة من وسائل وقايتها من التعرض لحمق بعض الرجال وايذائهم بالقول النابى ، أو بالحركة الجارحة . وكذلك القصد من النهى عن التبرج عند الخروج هو أمر وقائى لها مما تواجهه من مرضى النفوس وحمقى السلوك .

* * *

١٤٥ ـ هل للاختلاط نتيجة غير ما وقع :

يكتب مواطن من القاهرة :

انه متزوج منذ ست سنوات . وله طفلان . وانه يسكن فى منزل والد الزوجة ويعمل بالقاهرة مع انه من الاقاليم . وله ارتباطات مالية كثيرة معه . وزوجته فى المسكن معه . ووالدها متزوج غير والدتها المتوفاة .

ثم يقول : أن زوجته مشاكسة ، وتختلق المشاكل ، وتكاد تحيله من عاقل الى مجنون . وذلك منذ سنة مضت . ولا يعرف سببا لذلك . الا انه ذات صباح مبكر استيقظ من نومه فوجدها تكتب رسالة ومستغرقة فى كتابتها . فتحايل عليها ـ كما يذكر ـ وأخذ الرسالة فوجدها لزميل لها فى العمل فى مكتب الشركة . وهى رسالة حب وغرام .

واستخلص منها انها على علاقة غير شريفة مع زميلها ، وانها تناجيه فيها أن لا يهجرها . فضبط اعصابه . ولم يفعل شيئا سوى أن طلقها طلقة واحدة ثم راجعها بعد أن استعطفته ، وبعد أن تعهدت له بأن تكون امينة فى حياتها الزوجية معه .

---

(١) الأحزاب : ٣٢ .

أمينة ، ومؤتمنة معا · وهذه الميزة للسائلة هى التى تحمل من يسمع أنهـا ستترك العمل ، على ان يبدى الاسف لحرمان المجتمع المسلم من مثيلاتها ·

● ورأينا : انه يمكن للسيدة الطبيبة السائلة أن تترك العمل الآن فى الكلية فترة من الزمن تعنى فيها بزوجها ورعايتها لطفلها وتكسب فيها الزوج والطفل معا · وتركها العمل الخارجى فى هذه الفترة ، لا يحول بينها وبين الاستمرار فى الدراسة والاعداد لدرجة الدكتوراه فى المنزل ، وقت الفراغ لها ·

حتى اذا أحست بعد ذلك : أن لديها فراغ فلتباشر العمل عن طريق الندب أو التعيين لبعض الوقت وبذلك تجمع بين الحسنيين : مساعدة الأسرة الخاصة والاسرة الكبيرة وهى المجتمع المسلم ·

● أما تفسير قول الله تعالى :

« **وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (١) ·· فيحسن أن يسبقه تفسير قول الله تعالى : « **وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن** (وغض البصر من المرأة عدم نظرها الى الرجل · والقرآن لا يطلب ذلك منها هنا الا اذا كانت مارة خارج المنزل اذ لا معنى ان يطلب منها عدم النظر الى الرجل الأجنبى عنها وهى جالسة فى بيتها) ، **ويحفظن فروجهن** (أى يكن عفيفات) ، **ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** (أى لا يظهرن شيئا من ابدانهن للناس الا ما ظهر منها بالطبع · وهو الوجه والكفان · فحركتهما وتعاملهما يقتضيان الكشف عنهما · وبدن المرأة كله هو زينتها بدليل قوله بعد ذلك : « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن** » أى لا يجوز لهن أن يظهرن شيئا من أبدانهن الا لأزواجهن · وتعبير الآية عن بدن المرأة بزينتها ، ليعلن القرآن أن أى جزء من جسمها هو موضع لاثارة الرجل وفتنته ولذا يجب ستره) » (٢) ·· فالآية تفيد جواز خروج المرأة من بيتها لحاجة لها ، بشرط أن تغض البصر ولا تنظر الى الرجال يمينا ويسارا ومن فوق ومن تحت فى مرورها خارج المنزل ·

فاذا جاءت آية الأحزاب تقول لنساء النبى ، وهو قول يتجه الى كل مؤمنة بعدهن : « **وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » ·· فهى لا تطلب عدم جواز خروج المرأة وبقاءها حبيسة المنزل · وانما تطلب باستقرارهن فى البيوت اذا لم تكن لهن حاجة الى الخروج ـ الوقاية من التعرض لوقاحة بعض المارين · كما تشير آية سابقة عليها : « **يا نساء**

---

(١) الأحزاب ٣٣ ·　　　(٢) النور : ٣١ ·

● والطفل لا يعوض حضانة الأم له فى الطفولة المبكرة أى نوع آخر من الحضانة · حتى ولو كانت حضانة جدته · وهى أم أمه · فالحضانة ليست رعاية للطفل فى تناول الأكل وفى النظافة البدنية ، وفى الحرص على سلامته فى السير أو فى الحركة على العموم · وانما هى نقل لحنان الأم اليه سواء فى ارضاعه من ثدييها ، أو فى التقاء عينيه بعينيها ، أو فى مداعبته وتنشيطه· والأم وحدها ـ وليس غيرها من امها ، فضلا عن مدرسة الحضانة ـ هى التى تقدر وتصبر وتتحمل عملية نقل الحنان الانسانى الخالص الى طفلها فى فترة الحضانة ·

ثم بعد فترة الحضانة : الأم وحدها هى التى يمكن ان تعد طفلها للمدرسة وللشارع ، كما تعده للبيت · فالمدرسة فيها التعليم · وبجانب التعليم توجد العادات الاجتماعية التى تربط بين تلاميذ المدرسة من جهة ، والمعلمين فيها من جهة أخرى · فللمعلمين احترام ، وللتلاميذ زمالتهم وأخوتهم · والشارع له تقاليد فى المحافظة على نظافته ، وفى عدم البصق أو التبول فيه ، وفى طريقة السير على ارصفته ومراعاة قواعد المرور على ارضه · اما البيت فلا سبيل للطفل ان يتمسك بعاداته الا عن طريق القدوة الحسنة · والقدوة الحسنة تكون من الأم والاب معا · فهو لا يباشر الصراخ والبكاء اذا امتنع والداه معا عن الجدل والمشاحنة ، والمقاتلة ، امامه تماما · وهكذا ··

أما أهمية الحياة الخاصة بالنسبة للزوجة فترجع الى محافظتها على انوثتها · وليس على اجرها ، أو كثرة ملابسها · والمحافظة على الأنوثة ليست فى « صنعة الزينة » التى تباشرها المرأة وانما فى حديثها ، وفى عواطفها · يجب أن تظل صاحبة الصوت الرقيق ، وصاحبة العواطف التى تجعل منها أما وزوجة بحنانها وتسامحها يجب أن لا تنتقل الى خشونة الرجل، وغلظته ، وغروره ·

● الوفاق مع الزوج ·· والحنان على الطفل ·· والبقاء فى دائرة الانوثة للمرأة هى التى ترجح للسيدة الطبيبة السائلة أن تترك العمل الخارجى ·

ورفض زوجها وابيها لتركها العمل له اعتباره كذلك · فهى من القليلات المتفوقات فى دراسة الطب ، والتى تسير الآن فى طريق « الأستاذية » · وعندما تصبح استاذة ستضيف الى الخبيرات فى شئون طب النساء خبيرة مؤمنة متدينة وما احوج المجتمعات الاسلامية المعاصرة الى مثلها · فبايمانها وتدينها سيزيد فى خبرتها وخير ما فى الخبرة « الأمانة » · وهى ولا شك

هى تريد ان تترك هذا العمل الخارجى مع اهميته للمجتمع المسلم . ولكن زوجها ووالدها يرفضان تركها العمل . وهى تسأل عن رأى الاسلام فى حل المشكلة ، كما تسأل عن معنى قول الله تعالى فى سورة الأحزاب مخاطبا نساء النبى عليه السلام : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » (١) .

● ربما من السهل على السيدة الطبيبة السائلة من الوجهة النفسية : ان تترك العمل الذى تزاوله الآن فى كلية الطب ، لتتفرغ الى زوجها وطفلها ومنزلها ، وحياتها الخاصة . أى لتتفرغ الى ما هو أهم لديها فى نظرها .

فالخمس سنوات الأولى فى الحياة الزوجية هى الاساس الذى يقوم عليه نجاح الزوجية أو عدم نجاحها مستقبلا . فالمفارقات فى العادات والرغبات اذا لم تضعف بين الزوجين فى هذه الفترة الزمنية ، كانت الزوجية مهددة بالنزاع ، والخصام ، والفرقة . والأمر الذى يضعف شأن المفارقات فى العادات والرغبات بين الزوجين ، يعود الى الزوجة أكثر مما يعود الى الرجل . فالزوج ان عاد من العمل الى زوجته ووجدها ذات جاذبية واغراء : بنظافة ملابسها ، وبنشاطها وحيويتها اقبل عليها فى عاطفة قوية . وعندئذ تكون استجابته سريعة لتوجيهها . سواء فى استبدال ملابسه ، أو فى طريقة تناول أكله ، أو فى نظافته ، أو فى التعبير عن رغباته ، أو فى تكوين العادات الجديدة التى يتصف بها الانسان المهذب .

اما الأمر الذى يقوى المفارقات بين الزوجين فى فترة الخمس سنوات الأولى فيرجع الى اهمال الزوجة نفسها فى الملبس ، وهى فى المنزل ، وفى اعداد الأكل ، وفى ترتيب المنزل وتنسيقه ، واهمالها أيضا لأنوثتها . فتظل مثلا بجلباب النوم أو البيجاما مهوشة الشعر ، وربما لم يظفر وجهها بالنظافة منذ الليل الماضى ، وقد تكون عاملة تأتى من العمل الخارجى مكدودة ، مهمومة بسبب أو بآخر ، ينسيها انها زوجة وانثى . فتفرط فى التدخين وتتناول القهوة ، فى لحظة ينتظر زوجها منها أن تعد الطعام لهما معا . فان سألها غضبت وتوترت اعصابها ، واحتجت بتعبها فى العمل وربما تقدم من الطعام ما هو معلب أو جاهز الاعداد فى الخارج ، ويتكرر ذلك ، وكلما تكرر كلما أسف الزوج فى نفسه على الزواج . وهنا تبتدىء عوامل الفرقة بين الزوجين تقوى . ولا يرجئها الا طفل يربط بينهما . وعلى أية حال فمثل هذا الزواج غير ناجح ومثل هذا الطفل الذى هو ثمرته ، غير سعيد .

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

الفصل الرابع

فى مشاكل الحضارة المعاصرة

١٤٤ ـ الزوجان معا أقدر على حل مشكلتهما :

مواطنة من القاهرة تحكى مشكلتها وحيرتها بين اتجاهين يصعب الجمع بينهما فى حياتها ، رغم ان كل اتجاه منهما يحرص عليه الانسان العـادى لما له من مزايا عديدة ٠

فقد وهبها الله التفوق فى الدراسة فى كلية الطب ٠ حتى اذا ما تخرجت عينت « معيدة » فيها ٠ وعليها أن تحصل على الماجستير ثم الدكتوراه ٠ وقد حصلت الآن بالفعل على درجة الماجستير ٠ وهى تقوم الآن بالتدريس للطلبة ، وتتعامل ـ كما تقول ـ مع زملاء ورؤساء ٠

وقد أنعم الله عليها كذلك بزوج شاب متدين ، وحج الى بيت الله ، وبطفل صغير عمره سنتان ٠ وهى نفسها متدينة وترتدى الزى الاسلامى منذ أن عينت فى الكلية ، وتأسف لأنها لم ترتده من قبل ٠

اما فى الجانب الآخر وهو الذى يسبب لها المشكلة فهو :

أن عملها فى احدى المحافظات ، بينما عمل زوجها فى محافظة ثانية ، وحضانة طفلها عند والدتها فى محافظة ثالثة ٠

ويراودها التفكير كثيرا :

هل تتفرغ لشئون زوجها ، وطفلها ، ومنزلها ، ولنفسها ايضا ؟ فهذه الشئون تؤدى الآن بصورة لا توطد العلاقة بين الزوجين ، ولا تعطى العناية الكافية بالطفل الصغير وبالأخص انها لم تنجب غيره ، وتأخذ حبوب منـع الحمل ، كى لا ترهق نفسها بطفل آخر وهى تباشر العمل الخارجى ٠

والاسلام لا ينظر الى الزوجة اطلاقا على انها مصدر يجب أن يشارك فى نفقات منزل الزوجية ، فضـــلا عن أن تستقل به اذ عندما جعل ريادة الأسرة وقيادة الزوجية فى يد الرجل ، فيقول : « **الرجال قوامون على النساء** » (١) • جعل ذلك بسبب ما أوجبه على الرجل وحده من الانفاق على الأسرة ، مضافا الى ما يتميز بـــه من قـــوة الارادة ، وعدم التردد فى مواجهة التحـــديات والأزمات • فيقول مكملا للآية السابقة : « **بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** » (١) ••

فالانفاق على الأسرة واجب الزوج ، ولو كانت الزوجة ذات يسار • وحقها فى النفقة على زوجها لا يسقطه غناها • وعلى ذلك فحق الزوجـــة فى ادخار مالها الخاص واضح • والزوج المسلم لا يحرجه ولا يهدر كرامته : أن تدخر زوجتـــه مالها • لأنها لم تسلبه حقا ، ولم تعتد على حق مقرر شرعا له • ومن يشعر بحرج من الازواج بسبب ادخار زوجاتهم لمالهن الخاص بهن ، فانهم يشعرون فى واقع الأمر بخيبة أمل لديهم اذ ربما كان مال الزوجة هو العامل الدافع على الزواج منها •

● والزوج ليس له حق شرعا فى أن يطلب من زوجته أن تشاركه نفقات المنزل ولكن اذا تقدمت الزوجة بحريتها بنوع من المساعدة من مالها الخاص ، وحسبما تقدر فأن ذلك يقبل منها كهدية غير مشروطة • على معنى يجوز لهـــا أن لا تكررها •• واذا تكررت ففى أوقات مختلفة •

ونظرة الاسلام الى تكليف الزوج وحده بالانفاق ، وعدم مطالبة الزوجة بالمشاركة وان كانت ذات يسار ، هى للحفاظ على كيان الأسرة ، وعلى بقـــاء القيادة فيها واحدة ، وعلى ابعاد الخلاف والنزاع بشأن ما يسهم به كل مـــن الزوجين عندما يطلب من الزوجـــة أن تشارك • وتجربة العصر الحـــاضر فى حمل الزوجة على المشاركة فى نفقات الأسرة ان كان لها مورد اقتصادى توضح مدى التعاسة التى تسيطر على العلاقة الزوجية بسبب ارغامها عـــلى هـــذه المشـــاركة •



---

(١) النساء : ٣٤ •

فاذا زاد الصبى على الحولين (السنتين) وجب غسل بوله ولو لم يتناول طعاما غير اللبن ٠ كما يجب غسل بوله اذا غذى بغير اللبن ، ولو مرة واحدة ٠

وما عدا البول فانه من الفضلات النجسة يجب غسلها ٠

● وتسأل عن العمل كمدرسة فى مدرسة مشتركة نصفها رجال ، وان خرجت نظر اليها الكل وتترك أولادها بدون رعاية ٠ فهل عدم موافقتها على العمل يغضب الله ؟ وهى اذن تستهدف من ترك العمل فى المدرسة المشتركة أمرين :

أولا : عدم الاختلاط بغير المحارم ،

ثانيا : رعاية أولادها ٠

وهى عندئذ ان آثرت ترك العمل فى سبيل تحقيق هذين الهدفين ترضى الله ولا تغضبه ٠ فوظيفة الأمومة ليست فى العمل خارج المنزل ٠ ولا فى أخذ الأجر عليه ٠ وانما فى تنشئة جيل يؤمن بالله ويطيعه فيما جاءت به رسالته ، ويؤدى واجبه نحو نفسه ٠٠ ونحو أسرته ٠٠ ونحو مجتمعه وأمته ٠ وهذه التنشئة لا تتوفر الا بالتفرغ للاشراف والرعاية ٠

والمرأة المسلمة هى التى تتجنب الاختلاط بغير المحارم ٠ ولا شك أن المدرسة المشتركة بين البنين والبنات وبين المدرسين والمدرسات هى ساحة للاختلاط ٠ ومن غايتها الرئيسية : دفع الجنسين الى الاختلاط ، ذكورا واناثا، بدعوى حسن التفاهم وتوطيد العلاقات ، ودفع الوحشة والغربة ٠

فعدم العمل فى جو مختلط هو صورة من صور طاعة الانسان لله ٠ وبالتالى تركه لا يغضب الله بحال من الأحوال ٠

● وعندما تسأل عن حق الزوجة شرعا فى أن تدخر أموالها باسمها ، وعما اذا كان ذلك يحرج الرجل ٠ أو يهدر كرامته ، فانها تمس قضية تسبب اشكالات عديدة بين الازواج والزوجات ٠ وهذه القضية هى قضية أجر المرأة على عملها فى الخارج ، أو قضية مالها المملوك لها على العموم : فى تجارة ، أو فى ارث ، أو فى عقار ، وخلاف ذلك ٠ فطالما الزوجة بيدها مال قد يتطلع اليه بعض الأزواج فى غالب الأحيان ٠ ان لم يستول عليه كله فانه يطلب من الزوجة أن تسهم ولو بجزء قليل منه فى مصالح البيت ونفقاته المشتركة ٠ وكثيرا ما تمتنع الزوجة عن الاستجابة لزوجها ٠ وهنا يجد الخلاف بينهما ٠ وقد يؤدى الخلاف الى نفرة فى علاقتهما ٠

● أما ما تســـأل عنه من جواز زيارة القبور أو عـــدم جوازه فبعض الفقهاء يرى : أن زيارة القبور للرجال والنساء العجائز مندوبة · بشرط أن لا تخشى منهن الفتنة ، وان لا تؤدى زيارتهن الى الندب أو النياحة ، والا كانت محرمة ·

أما النساء اللاتى يخشى منهن الفتنة ويترتب على خروجهن لزيارة القبور مفاسد فخروجهن للزيارة حرام باتفاق الحنفية والمالكية ·

والحنابلة والشافعية قالوا يكره خروج النساء مطلقا لزيارة القبور ، سواء كل عجائز أو شواب اذا علم أن خروجهن يؤدى الى فتنة أو نوع من السلوك محرم والا كانت الزيارة محرمة ·

وعلى كل حال ينبغى أن تكون الزيارة مطابقة لأحكام الشريعة :

١ ـ فلا طواف حول القبر ،

٢ ـ ولا تقبيل لحجر ، ولا عتبة ، ولا خشب ،

٣ ـ وأن لا يطلب الزائر من المزور فى قبره شيئا ·· الى غير ذلك مما يدل على أن له فاعلية · والا انطوى هذا الطلب على شرك بالله تعالى ·

واذا كان المقصود من زيارة القبور هو استخلاص العبرة من الموتى فى قبورهم الآن وقد كانوا بين الأحياء بالأمس فلا يبرز استخلاص العبرة مفسدة تترتب على الزيارة كاثارة فتنة الجنس بالنساء أو ارتكاب محرم يؤدى الى شرك بالله · وربما كان قول الحنابلة والشافعية بكراهة زيارة النساء عـــلى الاطلاق للقبور أقرب فى الحيطة من وقوع المفاسد فى السلوك أو فى الاعتقاد·

● وما تسأل عنه من بول الصبى ، وهل هو نجس تجب ازالته عنـــد الصلاة ، فالمالكية يعدون ما يصيب ثوب المرضعة أو بدنها من بول الصبى ، معفوا عنه ، اذا اجتهدت فى التحرز عنه حال نزوله ، ولو لم يكن وليدها · ومع ذلك يرون أنه من المندوب أن تعد ثوبا للصلاة ·

أما الشافعية فيرون أن بول الصبى من النجاسة المخففة ، اذا لم يبلغ الحولين ·· ولم يتغذ الا باللبن بسائر أنواعه · ومنه الجبن ·· والقشدة ·· والزبد سواء أكان لبن آدمى أو غيره · والنجاسة المخففة تطهر برش الماء على محلها ، بحيث يعم النجاسة ، وان لم يســـل الماء · وذلك لقوله ﷺ : « يغسل من بول الجارية (البنت) ويرش من بول الغلام » ··

● وأما أسئلتها فهى تطرح ما ياتى :

أولا : توفيت لى أخت فى عمر الزهور والشباب ، واخى الذى يكبرها بعام لا يعترف بزيارة القبور ، على الرغم من انى احضرت له كتبا وقرأت عليه أحاديث • ومع ذلك لا يعترف بهذا ويقول : « ده كلام فاضى » • فأرجو توجيه كلمة للشباب فى هذا الشأن • ولتكن مكررة فى الاذاعة •

ثانيا : هل بول الصغير ينجس أمه ؟ وماذا أفعل ؟ هل كل وقت صلاة أغير ملابسى أم ماذا ؟ •

ثالثا : كنت أعمل لمدة قصيرة والحمد لله • وبعد ذلك تزوجت وسافرت الى احدى الدول العربية عملت فى مدرسة بنات • وياليت مدارسنا تكون بهذا الشكل • الكل جنس واحد • لا يوجد أى رجل او شاب بالمدرسة • وعدت الى بلدى وليس لى الرغبة فى أن أعمل فى مدرسة نصفها رجال وأن أخرج والكل ينظر لى وأترك أولادى ، وزوجى يقول مستقبلك • فهل عدم موافقتى على العمل يغضب الله ؟ •

رابعا : أليس من حق الزوجة أن تدخر اموالها باسمها ؟ • وهل فى هذا احراج للرجل واهدار لكرامته ؟ •

وهل من حقه أن تشاركه فى كل شىء فى منزل الزوجية ؟ وأن تنفق على نفسها من كدها ؟

ثم تختم رسالتها بقولها : لا تخافوا من شىء ، أو من انسان ما • فأرزاقنا على الله • قولوا الحق كما تعودنا منكم أن نسمع كلمة الحق •

● سبق لنا أن تناولنا زى المرأة عند تفسير قول الله تعالى : « **وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (١) •• وما يجب على المرأة شرعا أن تصنعه فى ملبسها وزينتها حتى لا تكون مصدر فتنة واثارة للرجال •

واقتراحات السيدة السائلة صورة من الصور التى تحول بها المرأة دون الاغراء والافتتان •

---

(١) الأحزاب : ٣٣

والسائلة لا ترضى الله بما تتمسك به من صداقة الصديقة وانما ترضى الشيطان · وارضاء الله فى شىء واحد · وهو أن تقطع علاقتها بهذا الفتى غير المسلم وصديقته المسلمة · وهى الآن مخيرة بين ارضاء الله أو ارضاء الشيطان · لكن الجمع بينهما لا يتم أبدا ·

* * *

١٤٣ ـ زيارة القبور ·· والزى الاسلامى :

مواطنة من القاهرة · تكتب فى رسالتها عدة اقتراحات ·· وتسأل عدة أسئلة :

● أما الاقتراحات فتقول بخصوص النساء فى مصر وزيهن :

أولا : ماذا لو عممنا ارتداء العباءة السوداء للفتيات والسيدات ، كما هو متبع بالمملكة العربية السعودية ·· وأن البنت عند بلوغها تتحجب ·· وأن تتستر النساء فى جمهورية مصر العربية بالرداء الطويل كما أوصتنا الأحكام الاسلامية ·· وان ارتداء العباءة خير وسيلة لستر عورات النساء · وأنتم معى بلا شك فى هذا ، حتى نجنب بيوتنا مشاكل نحن فى غنى عنها ، ونجنب شبابنا بعضا من مشاكله ·

ثانيا : لماذا تترك مذيعات التليفزيون بهذا الحد من التبهرج ؟ لماذا لا ترتدى المذيعات زيا محترما ، ولا داعى لهذه المساحيق والشعور المستعارة ؟·

ثالثا : لماذا أفلام العنف والجنس لشبابنا الذين لا يجدون ثمن الشبكة ، وبالتالى المسكن الذى يستطيعون أن يتزوج فيه الواحد منهم ، ويقى نفسه من تلك الأفلام ؟ الى متى سنظل فى هذا العبث من الأفلام الأجنبية ؟ ·

رابعا : يجب أن يكون لاذاعة القرآن ، وللأزهر ، دور كبير فى الرجوع بالناس الى الدين فى بلادنا · ارحموا شبابنا وارحموا بيوتنا · فهذه الشوارع التى تزخر بالبنات بالجينز ·· والمكياجات ·· والبطلونات ·· والملابس الضيقة العارية · أين الاسلام فى دولة العلم والايمان ؟ ·

عباءة ـ وغطاء للشعر ·· أليس مظهره أحسن بكثير من تلك الشعور العالية العارية ؟ أرجو ألا تسخروا بما أقوله · وكفانا ما يقال عنا فى الخارج وانتم تعلمونه جيدا ·

أجنبى عنها فى دينها وفى علاقة الدم ، واختلاطها به : يبعد الثقة بها لأنها غير أمينة على نفسها ، وواقعة تحت اغراء أجنبى عنها ، وبالتالى غير أمينة على دينها وعلى من تتصل بهم بمعرفة أو صداقة · وطالما لا تؤمن فليست موضع ثقة · وهكذا تثق بمن لا يوثق به ، وتأتمن من لا يؤتمن على نفسه أولا ·

وثالثا : تحاول أن تجمع بين صداقة هذه الصديقة وفتاها الأجنبى عنهما دينا ومحرما ، وبين رضاء الله عنها وهو أمر مشروط بعدم ارتكاب المعاصى والآثام ، بينما هى غارقة فى المعصية بالاستمرار فى صداقة هذه الصديقة ، وبالاختلاط مع هذا الفتى غير المسلم وغير المحرم بالأولى ·

هذه الصديقة تزين لنفسها ولصديقاتها من الشابات المسلمات : الاختلاط بالشبان غير المسلمين ، وتتصور انها ترتفع فى العلاقات الى الدائرة الانسانية فوق الدين وربما فوق الوطن · وهذا التصور فى غاية الخطورة على البنت المسلمة ، يضعف عندها الايمان باسلامها ، ويرشحها لأن تقيم علاقات مع غير المسلمين ، تصبح فيها مرتدة عن دين الله ، ويصبح ولدها ابنا لغير مسلم ·

هذه علمانية فى مجال الأسرة وفى مجال العلاقات الاجتماعية · وقبل الحرب الأهلية فى لبنان شاع هذا التصور عند الشابات المسلمات هناك وأصبح من الحضارة والمدنية أن تتعرف المرأة المسلمة على غير مسلم وتختلط به فى علاقة غير شرعية وربما تتزوجه زواجا مدنيا أو زواجا علمانيا كما يقولون يبقى لها اسم المسلمة وهو غير مسلم فى عقيدته فى اصرار وفى تحد·

وهذا الاتجاه العلمانى فى تكوين الأسرة بزوجة من يعرف بالطبقة « الارستقراطية » فى مجتمعاتنا المعاصرة ان كانت هناك طبقة مميزة · وهو اتجاه يهز فى نفس البنت المسلمة الاعتزاز بالاسلام والانتماء اليه ، ويجعلها تتطلع الى انسان تنجذب اليه أو تقع فى اغرائه ولو كان غريبا عن اسلامها ·· ولو كان حاقدا على المسلمين ومتربصا بهم الدوائر · وربما للتستر يعلن اسما اسلاميا بجانب اسمه الذى عرف به ·

وربما هذا الاتجاه كما يجعلها تتجاوز الدين فى علاقتها بالرجل ، يجعلها كذلك تتجاوز الوطن فى علاقتها به فتختلط أو تتزوج بأجنبى عنها فى الوطن والدين معا ·

● هذه الصديقة للسائلة اما أن تكون بلهاء ، أو خبيثة · انها تزين طريق الشيطان ·· تزين طريق الضعف والاستسلام الذى سلكته للأخريات ·

نوعى العمل ، دون أن تفقد التوازن ، أو دون أن تقع تحت الارهاق البدنى والنفسى ٠

★ ★ ★

١٤٢ ـ صحبة غير المسلم مشاركة فى التحدى للقيم الاسلامية :

عبدة لله ـ من احدى ضواحى القاهرة ، وهى طالبة بالمعهد وتلتزم بالزى الاسلامى كما تقول ٠ وتصادق صاحبة لها لا تلتزم بهذا الزى ٠ ولكن لحسن معاملتها أصبحت أختا لها ٠ وهذه الصاحبة تعرف شابا غير مسلم وتصادقه وتكاد لا تفارقه ٠ والثلاثة يسيرون جنبا الى جنب فى أوقات فراغهم : الفتاتان المسلمتان والفتى غير المسلم ، وتعتبره الصاحبة كأخ لهما ٠ وقد انضم الى هاتين الفتاتين فتاتان أخريان مسلمتان من طالبات المعهد تشاركان فى المسيرة وأصبح العدد أربع فتيات مسلمات وفتى غير مسلم تربط بعضهم ببعض بعلاقة الزمالة والصداقة والمشاركة فى أحاديث الفراغ ٠

وقد لوحظ من بعض المعارف على السائلة ـ وهى متدينة ـ كما تذكر ـ انها تختلط بأجنبى عنها ، ليس من محارمها ولا من دينها ، وطالب منها أن تنهى هذه العلاقة ٠ ولكنها تقول أنها لا تستطيع أن تبتعد عن صديقتها التى هى على صلة وثيقة بالفتى غير المسلم ، لأنها أصبحت كأخت لها ٠

وتسأل كيف تجمع بين البقاء على العلاقة مع صديقتها ٠٠ وبين ألا تغضب الله بالاختلاط مع هذا الفتى غير المسلم ؟

● السائلة ـ وهى عبدة لله ، كما تحب أن تصف نفسها ـ تريد أن تجمع بين متناقضات فى حياتها :

أولا : تقص السائلة عن نفسها انها متدينة وتتزيى بالزى الاسلامى ٠ أى تتحجب فلا ترى زينتها لغير محرم لها ٠ وفى الوقت نفسه تعد أمرها لرفقة هذا الفتى غير المسلم مع صديقتها المسلمة التى اتخذته أخا لهما معا ٠ واذا نبهت من بعض معارفها بوجوب ترك هذه الرفقة اعتذرت بأنها لا تستطيع لأن صديقتها فى علاقتها بها أصبحت أختا لها تحرص عليها كل الحرص ٠ أين تدينها ؟ أفى الملبس وهى مسخرة له فى لقاء الفتى غير المسلم ؟ أم فى الاختلاط بمن ليس من دينها ولا من محارمها ؟ ٠

وثانيا : انها تثق ثقة لا نهاية لها فى صديقتها التى أصبحت أختا لها ، كما تقول٠وفى الوقت نفسه:صداقة هذه الصديقة للفتى غير المسلم وهو طبعا

والسؤال بعد ذلك للمرأة العاملة اذا أصبحت زوجة أو أم ولد :

— ألا يؤثر الجمع بين العملين فى المنزل وخارجه على الجانب النفسى لها فى علاقتها كزوجة بزوجها وكأم بأولادها ؟

— هل تستطيع أن تكون على استعداد نفسى لاستقبال زوجها وأولادها عند عودتها الى المنزل ؟

— هل تستطيع أن تكون مطمئنة النفس عند مباشرة عملها الخارجى ، بعد تركها لزوجها وأولادها فى المنزل ؟

ان المرأة العاملة اذا أصبحت زوجة أو أما يغلب على استمرارها فى العمل الخارجى الجانب المادى وحده · وهو الحصول على أجر اضافى بالنسبة لأجر الزوج فى عمله · أما الجانب النفسى للمرأة العاملة اذا أصبحت زوجة أو أما فيتحول قطعا الى القلق أو الى ما يسمى بالارهاق النفسى · وهو احساس دفين فى نفسها يسبب لها التوتر والتبرم بأسلوب الحياة · وقلما يجعل لها فرصة للتراخى والاستمتاع بحياة الزوجية أو بحياة الأمومة ·

والشك فى صلاحية المرأة العاملة للزوجية أو الأمومة يأتى من جانب سيطرة القلق النفسى وتوتر الأعصاب ، على احساساتها الداخلية بالحياة ·

فزيادة الأجر يغرى المرأة على العمل الخارجى · ولكن يحمل طاقاتها البشرية العضوية والنفسية ما يجعلها أقرب الى انسان عديم الارادة ، مشوش الاحساس والاستمتاع بما من شأنه أن يولد عند امرأة أخرى تفرغت الى الأسرة واستقلت بعمل واحد : المتعة والراحة النفسية ·

ان المرأة التى تضيف الى عملها فى المنزل كزوجة وأم ولد ، عملا خارجيا الاختلاط فيه بأجنبى عنها لا يتدخل فيه الاسلام · ولكنها قد تفتقد صلاحيتها النفسية بعد حين · واستمرارها فى الازدواج بعد فقدان الصلاحية النفسية ، هو أمر الى أكثر منه انسانى ارادى ·

● وخلاصة الاجابة حول ما يسأل عنه السائل :

أولا : أن الاسلام لا يحرم العمل ولا يحله · وانما يحرم اختلاط المرأة بأجنبى عنها · فاذا أدى العمل الى الاختلاط كان مباشرته حراما ·

وثانيا : أن عمل المرأة اذا لم يؤد الى الاختلاط بالأجانب توقفت صلاحيتها للزوجية والأمومة على استطاعتها النفسية والبدنية لأداء كل من

والأمر فى نظر الاسلام الذى هو موضوع الحل والحرمة هو الاختلاط أو عدم الاختلاط · فاذا كان من نتائج عمل المرأة خارج منزلها أو من وسائله: أن تختلط بالأجانب عنها فى صلة الرحم فهو حرام · لأنها بمباشرة هـذا العمل تتعرض لفتنة الرجال ·· ويخشى عليها من اغرائهم · فاذا لم تتأثر بالاغراء فعلا فى فترة زمنية معينة ، فهى معرضة للتأثر به فى فترة أخرى تكون الظروف فيها أدعى للتأثير · والصلابة فى عدم تأثر المرأة بالاختلاط بالرجال لا تعود الى قوة الارادة لديها ، بقدر ما تعود الى ضعف الاقبال منهم عليها والتودد اليها ·

والاسلام لا يقصر عمل المرأة ونشاطها على المنزل ، والأسرة ، والأولاد ـ وان كان هو المجال الأساسى لنشاطها ـ وانما يجيز لها أن تباشر عملا خارج المنزل لا يترتب عليه أن تقع فى مصيدة الرجال ، ولا تستطيع أن تفلت من شباكهم · فالمدرسة فى مدرسة البنات مثلا ·· والممرضة فى مستشفى للنساء ·· والعاملة فى محلات الأزياء والحياكة الخاصة بالمرأة أو بالأطفال: لا يحرم الاسلام عليها العمل فى أى مكان منها · لأنه يندر فيه الاختلاط ، أو ينعدم ·

والعمل الخارجى المشترك فى المكاتب ·· أو فى المحلات التجارية اذا نصح الاسلام المرأة بعدم ممارسته فلأن مصير الاشتراك فيه قد ينتهى الى نتائج سلبية بالنسبة لعلاقة المرأة بزوجها اذا كانت متزوجة ·· أو ينتهى الى القلق والاضطراب النفسى اذا كانت لم تتزوج بعد ·

المرأة قوة فى الحياة الاجتماعية لأى مجتمع · والاسلام لا يصادر نشاط هذه القوة · ولكن فقط يطلب فى توجيهها أن تظل ايجابية ولا يكون لها انعكاس سلبى على نفسيتها أو نفسية الرجل معها ·

وما يعبر عنه السائل هنا كانطباع خاص له عن عمل المرأة فى مجال مشترك مع الشباب ربما يكون صورة من صور الانعكاس السلبى على نفسية المشاركين ·

● أما صلاحية المرأة العاملة لأن تكون زوجة مسلمة فطالما ان عملها لا يوصلها الى الاختلاط بغير المحارم فالعمل لا يعيبها كزوجة · وطالما أن عملها خارج المنزل لا يحول بينها وبين أن تكون زوجة ·· أو أن تكون أما فلا يقلل كذلك من صلاحيتها للزوجية وطالما أن رعاية المرأة العاملة لزوجها وأولادها لا ترهقها ، بجانب ما تؤديه من عمل خارجى تؤجر عليه فليس هناك شرعا ما يحول بينها وبين أداء هذا العمل الخارجى فى نظر زوجها ·

وجود جو يثير كلا منهما نحو الآخر ، ولو كان بالحديث والصوت ·· أو بالرؤية المتبادلة أو بالرسالة المكتوبة ·· أو بالصور المعبرة ·

ان الشاب والشابة فى سن المراهقة تغلب العاطفة ويغلب انفعال الحماس ليس على تصرف كل منهما فقط ، بل على تفكير أى منهما وتصوره، كذلك · والعاطفة اذا تغلبت يفسح لها الطريق قهرا فى غير يقظة بالحلال والحرام ·

فاذا ذكرت السائلة فى رسالتها : انها ازدادت ايمانا وتدينا بقراءة بعض الرسائل التى يرسلها لها من يقول : انه يحبها ، لانها حالفة بالآيات والأحاديث الشريفة ، فهى لا تضمن أن تظل رسائله على هذا النحو · كما لا تضمن اذا بادلته الرسائل : أن تقيم فى اطار الآيات القرآنية والأحاديث الدينية فيما تكتب · بل ربما تنساق ـ كما ينساق من يحبها ـ الى الكتابة فى الحب ·· والزواج ·· والحنين الى الأبوة والأمومة ·· الخ · وغير ذلك مما يشد الشاب والشابة الى الانحراف · أو على الأقل الى تجاوز الحلال مما هو مشروع فى خطبة الرجل للمرأة ·

● وأولى للسائلة أن تكف عن مبادلة الرسائل وأن لا تستجيب لما يطلبه من تبادلها · وأن يسلك كل منهما فى تعرف احدهما على الآخر : المسلك الذى يرسمه الاسلام لتعرف الرجل على المرأة ، والمرأة على الرجل · وهو مسلك الخطبة فهو مسلك مأمون بعيد عن غواية الشيطان وموصل الى التقاء الرجل بالمرأة فى ظل هداية الله ·

* * *

١٤١ ـ المرأة العاملة ·· ومصدر الضلال للشباب :

مواطن من احدى المحافظات ، يصور انطباعاته عن المرأة العاملة : ويرى انها فى كل مكان عمل توجد فيه مصدرا لضلال الشباب وانحرافهم · ويسأل :

ـــ هل عمل المرأة فى الوظائف العامة بجانب الرجل حلال أم حرام ؟

ـــ وهل يصح اتخاذها زوجة مسلمة فى نظر الشرع الالهى ؟

● عمل المرأة خارج المنزل لا يحله الاسلام ولا يحرمه فى ذاته · وانما يحله أو يحرمه بقدر ما له صلة باختلاط المرأة بغير محارمها ، أو بعدم اختلاطها بأجنبى عنها ·

● لكى نعرف رأى الاسلام فى هذه الرسائل ، أو فى تبادل الرسائل بين رجل وامرأة كل منهما أجنبى عن الآخر ، نستعرض ما يبيحه الاسلام فى خطبة الرجل للمرأة فى وجود محرم لها · فان تجاوز تبادل الرسائل اطار ما يقع فى الخطبة وكان هذا التجاوز مصدر فتنة بين المتبادلين لها : أمكننا أن نحكم بالحرمة على كل ما يثير الفتنة ، ويسهل وقوع المنكر ، ويشير الى عاقبة أمره فى تبادل الرسائل ·

فى تحليل أمر الخطبة :

ان الرجل والمرأة وكلاهما أجنبى عن الآخر : يباح له أن يرى الآخر بما يمكن كلا منهما عن طريق الرؤية : الحكم بقبوله أو برفضه · كما يباح أن يسمع الحديث بما يمكن كلا منهما عن طريق الاستماع الحكم بقبوله أو برفضه ·

وعند الرؤية لا يباح للرجل النظر الى المرأة فيما وراء الوجه والكفين، وذلك بحضور محرم للمرأة · وعند تبادل الحديث يتم الحديث فى اطار المباح ، وبما لا يثير الفتنة ولا يدفع الى الاغراء ·

والنظر ·· والحديث ·· من أى من الرجل والمرأة فى ظل رقابة المحرم · فوجود المحرم أشبه بوجود الحارس أو الرقيب الخارجى أو أشبه بوجود الضمان لعدم تجاوز أى منهما : ما يحله الله فى هذا اللقاء لهما ·

ولقاء الرجل للمرأة يجوز أن يتكرر ، حتى يتكون الرأى المقنع لقبول أو رفض أى منهما للآخر · ولكن فى الحدود والاطار الذى يحفظ لهما الحل ، ولا يجعلها وسيلة لمحرم أو منكر ·

واذا عدنا الى تحليل الرسائل المتبادلة بين رجل وامرأة كل منهما أجنبى عن الآخر نجد :

أنه ليس هناك ضمان لكى تظل هذه الرسائل فى حدود الشرعية التى تكفلها الخطبة فى وجود محرم للمرأة · ومعنى عدم وجود هذا الضمان : أنه يجوز اذا ابتدأت هذه الرسائل بأمور بعيدة عن التلاعب بالعواطف والاثارات للغريزة التى تسيطر على مرحلة الشباب ، وهى مرحلة المراهقة ، فانها بعد عدة مرات قد تنزلق الى الجنس فى تكوين الأسرة المقبلة ، وفى العلاقة الشخصية بينهما كرجل وامرأة · وعندئذ يكون الاختلاط الذى يحذر منه الاسلام · اذ ليس معنى الاختلاط التصاق بدن الرجل ببدن المرأة · وانما

● اذن ليس هناك مانع شرعا فى المعاشرة الزوجية بين رجل وامرأة تم عقد قرانهما على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام اثر اتمام العقد . واذ أوصى الاسـلام بالاعلان عن الزواج فلأنه يريد أن يدفع عن الزوجين باطلا قد يتهما به ، عندما تحمل الزوجة فى غيبة الاعلان عن زواجهما فى محيط معارفهما وأسرتهما .

وما يتحدث عنه مثلا من شهر العسل فى رحلة ما ، كاف فى الاعلان . وكذلك اجتماع الأهل والأقارب والأصدقاء عند عقد القران هو اعلان كذلك عنه .. وهكذا .. أما حفلة الزفاف فهى تأكيد للاعلان وتمييز له .

ان الاسـلام يحتاط فى لقاء المرأة بالرجل قبل الزواج لمصلحتهما ومصلحة المجتمع فى أنسابه . أما بعد الزواج فليس له قيود على علاقتهما معا . والعرف وحده هو الذى يجعل دخول الزوج بزوجته بداية المعاشرة الزوجية بينهما ، وليست البداية هى عقد القران .

★ ★ ★

١٤٠ ـ تبادل الرسائل بين الفتى والفتاة :

فتاة فى السابعة عشرة من عمرها من احدى المحافظات تذكر فى رسالة لها :

ان هناك شابا يراسلها منذ عام مضى . ولكن لم تكن تقبل رسائله ، وكانت تردها اليه دون أن تقرأها . ثم طرأ لها أن تقرأ بعضها فقرأت خمسا منها . واتضح ان معظم ما جاء بها أحاديث وآراء دينية ، تأثرت بها فى زيادة ايمانها وفى اقبالها على طاعة الله عز وجل .

ولم يطلب هذا الشاب الرد على هذه الرسائل ولكنه يطلب أن تكون هذه الرسائل هى الوسيلة لمعرفة أسرار كل منهما للآخر مؤكدا فى احدى رسائله : أنه لن يقابلها مهما حدث . لأنه يرى أن المقابلات حرام ، ويكتفى بأن يرسل الرسالة وهى ترد عليها .

وتسأل الفتاة :

هل قبول هذه الرسائل من هذا الشخص الذى يقول : انه يحبها ، حرام ؟ وهل تستمر فى قبولها ؟ وهل ترد عليه هذه الرسائل ، وتتبادلها معه أم لا ؟

وعندما طلب عقد قرانه عليها وافقت مراعاة لما يرضى الله · ولكن بعد عقد القران أصبح الوضع مختلفا ووجد من حقه أن يجلس معها على انفراد ·· وأن يخرجا معا بدون ثالث ·

وتسترســـل فى قصـــتها فتذكر : أنه ما اجتمع رجل وامرأة الا كان الشيطان ثالثهما علما بأنه لم يدخل بها بعد ·

وترجو توضـيح ما عليها لهذا الشاب بعد عقد القران ، بحيث ترضى الله · كما ترجو تعميم الرد واشاعته بين بنات جيلها · اذا أنها قابلت الكثير والكثير ووجدت نفس المشكلة عند كل من تريد ارضاء الله ·

● سبق لنا أن أبدينا الرأى فى هذه المشكلة فى الاذاعة ونبدى الرأى هنا مرة أخرى بسبب ما وصلنا من استفسارات جديدة كثيرة حول هـــذا الموضوع ·

والرأى هو ـ كما لخصته السائلة فى رسالتها هنا ـ أن الخطبة تبيح للرجل أن ينظر الى الوجه والكفين ، ممن يعزم خطبتهـا · كما تبيح له أن يسمع لحديثها · وأن يتبادلاه معا فى مجلس يشاركهما فيه بعض محارمها · وله أن يكرر ما يباح له مرة وأخرى حتى يطمئن الى اختيارها ·

● فاذا وافق على عقد قرانه بها ووافقت هى ولو بسكاتها عنـدما تسئل من وليها ، وتم العقد : أصبحت زوجة له وأصبح هو زوجا لها · وينتقل كل منهما الى مرحلة يباح لهما فيها : ما يباح لكل زوجة مع زوجها ، وكل زوج مع زوجته ·

ودخوله بها أمر يتوقف على ارادتهما وحدهما · فله أن يدخل بها بعد عقد القران مباشرة ·· وله أن يرجىء الدخول الى حين آخر : قريب أو بعيد ·· وله أن يحتفل بزفافه على زوجته كما يشاء ·· وله أن لا يساير العرف فى احتفال ما عندما يدخل بها · وان كانت السنة أن يكون هناك اشـــهار للزواج واعلان عنه · سواء أكان عند اتمام القران ·· أو عند دخول الزوج بزوجته · فعائشة رضى الله عنها تروى عن رسول الله ﷺ قوله : « أعلنـوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد ·· واضربوا عليه بالدفوف » ··

والفقهاء يرون أن فى الاعلان عن الزواج أمرا مميزا للزواج الحلال عن الاختلاط الحرام فى السر والخفاء ·

ووالدا الزوج يجب أن يقفا معه فى تكاتف وتساند عند تبصـــير الأخ الصغير بآثار حماقته التى نجم عنها الآن ســـوء فى العلاقة بين الأسرتين : أسرة الزوج ، وأسرة الزوجة ·· وأن يكون الموقف موحدا وهو استنكار ما وقع من هذا الشاب · وعلى عاتق الأبوين يقع خطأ هذا الشاب · فرغم انه يعيش فى مرحلة المراهقة كان يمكن أن يعود على احترام أخيه وزوجته وعلى رعاية حرمتهما · وبالأخص حرمة الزوجة · وكان المنتظر منه أن يحفظ غيبة أخيه ، بدلا من أن يقتحم الغرفة على زوجته ليطلب منها أن تمتعه بالمعاشرة· كان المنتظـر منه أن يكون أسلوبه مع أخيه أسلوبا انسانيا ، وليس أسلوبا حيوانيا ·

ولذا على الوالدين أن يكفا فورا عن الدفاع عنه وعما ارتكبه من خطأ شنيع ·· أن يكفا عن تبرير الخطأ ويطلبا ســـويا منه أن يعتذر لجميع من أصابته اساءة فى أسرته وأسرة زوجة أخيه ·

● انه من الســـهل فى عصرنا الحـاضر : أن تتفكك الأسرة · لأن الأنانية سائدة بين أفرادها · كل فرد فيها يفكر فى نفسه وفى امتاع ذاته · لا يعرف خلقا عاما ·· ولا يعرف مبادىء وقيما تحكم العلاقات والسلوك · فاذا حصل تصدع فى العلاقات فيها كان من الصعب اعادة الوضع الى مـا كان عليه · ولذا ننصـــح الســـائل : بأن لا يوســـع فجوة الخـــلاف ، فى الوقت الذى يترفق فيه بالوالدين ويحسن اليهما · ومن الاحسان اليهما أن يترك أخاه الصـــغير لوالديه وللزمن فلا يؤنبه ولا يلومه · اذ تركه ·· سيشعره بذنبه أكثر من أية وسيلة أخرى ·

وليس معنى الاحســـان الى الوالدين : أن يقسو على الزوجة · بل العكس هو المطلوب ·· يجب أن يحيطها بحنانه ورعايته · فهى صاحبة حق لديه فى أن يقيها المكروه من نفسه ومن ذوى رحمه ، قبل الآخرين ·



١٣٩ ـ وضع المرأة بعد قرانها يختلف عن وضعها اثناء الخطبة :

آنسة من احدى المحافظات ، تقول :

انها ملتزمة بمبادىء الاسلام ، وانها خطبت لأحد الشبان فى بلدتها من متوسطى الحال · وهو شــاب متخرج فى الجامعة · وطوال فترة الخطوبة كانا ملتزمين بتطبيق شرع الله فى الخطبة · وهو عدم رؤيته منها شيئا عدا الوجه والكفين ، وعدم قيام خلوة بينهما على الاطلاق ·

ثانيا : الفصل فى السكن والمعيشة كحل لارضاء الزوجة وأهلها ·· ومدى الأثر لذلك على العلاقة بالوالدين ؟ ·

ثالثا : تحديد الموقف مع الأخ الصغير · أيلام ويؤنب فقط ؟ ·· أم يقاطع ويتجنب ؟ ·· أم يسكت عن الحادث ويترك أمره الى الزمن فينسى ؟ ·

أما علاقة زوجة السائل بوالديه فلا شك انها قد ساءت · اذ ان الوالدين كانا يفضلان عدم الكشف عما وقع للزوجة ، ولو لوالديها ، ويزيدها سوءا الآن : تفكير الزوج فى السكنى بعيدا عن والديه · اذ فى تفكيره هذا يحقق رغبة نفسية ملحة عند زوجته ، بينما فى الوقت نفسه لا يجارى رغبة والديه ، وهى ميلها الى الاحتفاظ به والاقامة معه فى عيشة واحدة وسكن واحد · فمنذ أن يتزوج الابن يبتدىء الصراع الداخلى غير المكشوف بين الزوجة من جانب ·· ووالدى الزوج ، من جانب آخر · ويظل هذا الصراع قائما الى أن يفجره حادث من الحوادث ، كذلك الذى وقع من الأخ الصغير هنا ، فى رسالة السائل كما يظل الابن الزوج متأرجحا بين ميل زوجته فيرضيها ·· وميل والديه فيحسن اليهما · فاذا حقق ميل أحد الجانبين أغضب الجانب الآخر ·

وموقف الزوج اذن حرج · لأن عليه أن يحقق حق زوجته فيما يوفر عليها متاعب النفس ، بعيدا عن أهله ·· وأن يحقق أيضا فى الوقت نفسه حق والديه فى رعايتهما · وقد لا تتحقق رعايتهما الا بالسكنى والمعيشة معهما · والحل اذن الذى يعرضه السائل فى رسالته ، من الفصل فى السكن والمعيشة لا يوفر له ما هو مطلوب لزوجته ، وما هو واجب نحو والديه ·

وبدلا من هذا الحل يمكنه أن يحمل والديه بالاقناع على ارضاء زوجته بالاعتذار لها ولأهلها عن الحماقة التى باشرها أخ الزوج الصغير معها · على وعد منه لزوجته كذلك : بأنه سينجز لها رغبتها فى السكنى بعيدا عن أبويه وأخيه ، ان لم تحس بالاطمئنان الكافى فى الحياة معهم · ويفهمها : انه يعطيهم فرصة أخرى للمعيشة سويا ·

● ويخشى أن تزداد العلاقة سوءا بين الزوجة وأهل الزوج،لو انفصلت توا فى السكنى بعيدا عنهم ·· ويكثر عندئذ اللغط ، كما تكثر الاشاعات المغرضة والسيئة من الجانبين · ويصبح الزوج معذبا وفى حيرة · وربما ينتهى أمره الى قطيعة مع طرف من الطرفين ، فيعود باللائمة على الطرف الذى يقف بجانبه ، ويحمله مسئولية القطيعة لذوى الرحم ، أو للزوجة ·

وهم فى سن المراهقة فيكتمونها ، وقد يرون فيها « فحولة » يجعلونها مصدر فخر لهم · ولكنهم اذا لم يمسكوا زمام أمرهم فى التوجيه ويستعينوا بالايمان بالله على تجنب الانحراف فقد يصبحون هم يوما ما موضوعا لانحرافاتهم واعتداءاتهم ·

★ ★ ★

١٣٨ ـ استقلال الزوج بزوجته فى المعيشة بعيدا عن أهله :

مواطن من احدى القرى ·· يروى فى رسالة له :

أنه متزوج ، ويعيش مع والديه وأخ أصغر منه ، فى سن التاسعة عشرة ·· وأن هذا الأخ الأصغر انتهز فرصة غياب أخيه المتزوج بالليل ، ودخل غرفة نومه ، وزوجته وحيدة فيها نائمة ·· وطلب منها أن يعاشرها فأبت وطردته من الغرفة ·

فلما قدم زوجها أبلغته ما كان من أخيه معها فى غيبته · فأخبر والديه به ، كما أخبرت هى والديها عند لقائه لهما هى وزوجها · أما والدا الزوج فأقرا : ان ذلك قد يحصل من الشباب فى مرحلة المراهقة ، واعتذرا عنه · وأما والدا الزوجة فأسفا وغضبا فى الوقت نفسه · اذ لم يسمعا كلمة اعتذار واحدة من والدى الزوج عن تصرف ابنهما الشاب المراهق مع ابنتهما ·

وعندما علم والد الزوج بغضب أهل الزوجة وجها اليها اللوم · اذ كان لا ينبغى فى نظرهما أن تخبر والديها ·· وكان الأولى أن يظل هذا الأمر سرا بين أفراد العائلة وحدها ·

وصاحب الرسالة يسأل الآن :

١ ـ هل يرتكب ذنبا اذا انفصل فى عيشة مستقلة عن والديه وأخيه ؟

٢ ـ وماذا يفعل مع أخيه الآن ، بسبب حماقته وطيشه ؟

● ان مشكلة السائل تتلخص الآن بعد حادث أخيه ، فى :

أولا : علاقة زوجته بوالديه · وقد ساءت بسبب اختلاف حول سرية الحادث الذى وقع ·

● والسائلة الآن فى سن السادسة عشرة ـ أى فى سن المراهقة ، بعد سن الطفولة وهى تتذكر ما وقع لها من اعتداء على عرضها وهى فى سن الطفولة المبكرة ، أى فى سن السادسة ‥ كما تحس بالمرارة النفسية التى تعبر عنهـــا هنا بالعذاب والألم ٠ وكلما تذكرت الاعتداء كلما تكرر الحس لديها بالمرارة والألم ، وبالأثر الذى تركه بالنســـبة لمســـتقبلها وهى لم تزل تتصور أن هذا الاعتداء قد نال من بدنها ، ومن شرفها كذلك ‥ وأنها لهذا التصور قد يكون لحقها عيب بدنى يجعلها فى القيمة أدنى من مثيلاتها ٠ ولذا تسأل ‥ وتسأل ٠

ولو عرف المعتدى على عرضها أثر اعتدائه عليها وأنها ستظل تذكره وتحس به احساسا نفسيا غريبا : لأدرك أن نزوة الطيش ـ وهى نزوة عابرة ـ لم تخلف الا العار له ، والعذاب النفسى لمخلوقة كانت تتمنى أن لا تفكر فى ماض يقلقها ، وأن يكون لها أمل فى مستقبل تطمئن اليه ٠

وسؤالها : هل هى شريكة فى الذنب أم لا : سؤال لا يرد بالنسبة لها ٠ لأنها أولا كانت مكرهة على أمرها ٠ والمكره غير مسئول عما يكره عليه ٠ واذا كانت غير مكرهة وكانت قد ارادت مشاركة المعتدى فارادتها عندئذ غير معتبرة ٠ لأنها دون سن التكليف وتسترها على جريمة المعتدى ضدها وان كانت تشير الى رغبة ما مـن جانبها ، فان هـذه الرغبة عنـدها نوع مـن لعب الأطفال ، لا تؤخذ مأخذ الجد والمساءلة أمام الله سبحانه وتعالى ٠

● واذا قصدت السائلة ـ بسؤالها عما يخلفه هذا الاعتداء من أثر يبقى معها عندما تكبر : الأثر المادى ، وبالأخص ما يتعلق بغشاء البكارة ، فذلك يجب الرجوع فيه الى طبيب مختص ٠

أما الأثر النفسى لهذا الاعتداء فهو باق ٠ وسيظل باقيا عندها ، حتى بعد زواجها ٠ فعفاف أية امرأة هو مركز الشرف منها ، والجوهر الذى تفترق فيه امرأة عن أخرى ، اذا ما وضعت فى ميزان الكرامة ٠ وعندما يقـال : هذه امرأة لها ماض ناصع البياض ، يعنى بهذا القول : انها ارتفعت فوق ما يشين المرأة ويسىء الى سمعتها ٠

● وما حصل للســـائلة وهى طفلة صورة قبيحة من صور تنفيس الشبان فى سن المراهقة والذى يبتدىء من الشبان بمثل هذه الصورة الكريهة يظل سالكا طريق الاعتداء ، وليس على الأعراض فقط ٠ وانما قد يســـلك طريقه على المال والحرمات التى للآخرين من الرجال والنساء،على السواء٠ ومن الأسف ربما يعلم الآباء والأمهات ببعض جرائم أبنائهم على الأعراض

من امر هذا الاعتداء سواها ، وسوى الشاب الذى اغتصبها · وهى لم تعد تراه الآن ·· ولم تعد تعرف عنه شيئا · وقد بلغت السادسة عشرة من عمرها الآن · وتركت المنطقة التى وقع فيها الاعتداء ·

وتسأل : هل يقع عليها ذنب ، ام الذنب عليه وحده ؟ هل لهذا الاعتداء اثر يبقى معها عندما تكبر ؟ · وماذا تفعل ؟ ·

● السائلة كانت طفلة عندما وقع الاعتداء على عرضها · فلم تكن قد تجاوزت السادسة · بينما الشاب الذى اقترف هذه الجريمة الآثمة ضدها كان على الأقل فى سن المراهقة · والأطفال عادة يختزنون الحوادث التى تتصل بهم ، كما يختزنون الكلمات التى يسمعونها ، وان لم يستطيعوا وقت اختزانها أن ينطقوا بها · فالحوادث لها شرائط فى نفوسهم يتذكرون ما سجل عليها عندما ينتقلون الى مرحلة تالية من التطور ، تأتى بعد المرحلة التى كانوا فيها ووقعت فيها الحوادث · فاذا انتقلوا مثلا الى مرحلة المراهقة تذكروا فيها تذكرا واضحا ما تم لهم فى مرحلة الطفولة المتأخرة أو الأخرى المبكرة قبلها · وكذلك اللغة نجد كثيرا من الكلمات ضمت ما يردده الطفل فى المرحلة السابقة ونمت بهذا الضم ثروته اللغوية فى مرحلته الحالية · والكلمات التى تظهر الآن تباعا فى لغة الطفل كانت مختزنة عنده من سماعها، وان لم تكن له قدرة يستطيع بها أن يستخدمها فيما مضى ·

وكثير من الآباء والأمهات ، والأخوة والأخوات يظنون ان الطفل فى مرحلة طفولته المبكرة الى السنة السادسة أو السابعة مثلا : لا يستطيع أن يعى شيئا اذا وقع له أو أمامه أمر ما ·· كما لا يستطيع أن يتذكر فيما بعد شيئا مما جرب معه · وهذا الظن وهم خاطىء فعدم قدرة الطفل فى وقت الحادث أو التجربة ، أو الحديث أمامه : على اعادة ما رأى وما سمع لا يدل اطلاقا على عدم تذكره فى المستقبل لما شاهده أو لما سمعه · وانما يتميز فى طفولته بأنه يشبه جهاز التسجيل يسجل ويرصد فى دقة وأمانة ما يحدث له· فقد يباشر الوالدان فى وجود طفلهما الصغير ما يعتبر سرا لا يطلع عليه سواهما وهو فى واقع الأمر سر مرصود ، وسيكشف عنه بعد حين ، عندما يتذكره الطفل ويستطيع تصويره · وكذلك قد يقع بين الأخوة والأخوات ما يعتقد انه تم فى ظلام تام ·· وأنه بانتهائه سوف ينسى الى الأبد · وهذا غير صحيح · والصحيح : ان كل ما يراه الطفل أو يسمعه أو يشارك فيه يظل ربما غير مفهوم له لوقت معين · فاذا دخل المرحلة التالية بدت عنده القدرة على المراجعة فى التذكر ثم على الاعادة فى تصويره والتعبير عنه ·

بالمرأة ٠ ولكن فقط أن تكون صلة شرعية ، يقرها دين الله ٠ والرسالة الالهية تمتن على الانسان : بأن الله خلق من الانسان : الذكر والأنثى ٠٠ واستهدف من هذا التنويع : الاطمئنان٠٠والمودة٠٠والرحمة ، فى الجمع بين النوعين : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) ٠**

واذا كان حبها للشخص الذى تحبه : لله ٠٠ وفى سبيل الله ، تكون شخصيتها غير مزدوجة ٠ فحبها للانسان تابع وقتئذ لحبها لله ، وشخصيتها شخصية واحدة ٠٠ : لا يسيطر عليها قلق ولا تناقض ٠ واذن الطريق السليم والمستقيم فى حياتها : ان تغلب حبها لله باتباع أوامره وتجنب نواهيه ، على حب من تهواه ٠٠ وأن تسلك معه المسلك الذى رسمه دين الله : ان فى الخطبة ٠٠ أو فى الزواج به ٠٠ أو فى معاشرته ٠٠ أو انجاب الأولاد منه ٠

ان الشيطان يحل من نفس الانسان ، ويكون له فيها منزلة ، ان قبل الانسان ما يوسوس به ٠ ووسوسة الشيطان لا تعدو أن تكون تزيينا لأمر ما ٠ كما يزين هنا فى نفس السائلة من سبق أن عرفته وأحبته ، بحيث يرى لها : انه يجمع محاسن الدنيا وزينة الحياة كلها ٠٠ وهى من أجل ذلك دائبة التفكير فيه ، وتشركه مع الله فى الحب والتفكير معا ٠ وربما لو تعيد النظر فيه وفى تصرفاته لوجدت ان حبها له ينطوى على غلو وتطرف ٠

● وحجاب السائلة الذى ترتديه الآن يجب أن يكون عنوانا على حب الله وقوة الايمان به ، وبما ورد فى رسالته ٠٠ يجب أن لا يكون مظهرا فقط للاغراء ، والا كان مصدرا لفتنة الرجال عند اقبالهم على الزواج من متحجبات ٠ وأهم ركن من أركان الحجاب : تجنب الخلوة بغير محرم من الرجال ٠٠ وعدم اتباع وسوسة الشيطان فيما تهواه النفوس ٠ وعلى من يوسوس له الشيطان أن يستعيذ بالله منه بقراءة سورة « الناس » ٠

***

١٣٧ ـ جريمة الاعتداء على العرض :

آنسة متدينة تسأل سؤالا ، يثير فى نفسها العذاب والألم من وقت لآخر ، وتحكى قصتها :

أنه قد اعتدى على عرضها فى السادسة من عمرها ، من شاب كان على دراية بما يفعل بها ، وهى لا حول لها ولا قوة ٠ وليس هناك أحد يعرف

---

(١) الروم : ٢١

وترجو أن ندلها على الطريق السليم والمستقيم ، الذى لا يدفعها الى أعمال الشيطان · كما ترجو ان نبصرها فى شأن التفكير فيه : هل هو حرام قطعا ؟ أم جائز ؟ أم ماذا ؟ ·

● الآنسة السائلة تمارس شخصيتين :

الشخصية الأولى ـ شخصية التى تعرفت على شاب وأحبته ·· وبقى حبها لها كما بقى تفكيرها فى هذا الحب لا ينقطع ·

والشخصية الثانية ـ شخصية التى تحجبت وتدينت ، والتى يحملها حجابها على التغاضى عن علاقة الحب بمن أحبته · وهى لا تستطيع تركها · بل على العكس : « كلما مر الوقت أحست بأنها فى حاجة اليه أكثر » ·

وهذا الازدواج فى الشخصية هو الأمر الذى يجعلها مترددة أو متحيرة· فمقتضى انها اتجهت الى الله وحده : كان يجب ان لا يشغلها كثيرا شاغل آخر من أمور الدنيا كتعلقها الآن بشخص عرفته وأحبته · ومقتضى انها أحبت شخصا ومازال التفكير فى حبه يسيطر عليها : ان تدينها مظهر فقط من مظاهر حياتها ، ولم ينفذ بعد الى أعماق نفسها فيوجهها حيث تكون القربى من الله ·

والازدواج فى الشخصية أو فى الاتجاه هو الذى يجعل الشخص ذكرا أو أنثى : مقسما على نفسه،وموزعا بحيث لا يكون لديه الاطمئنان والاستقرار ·· ولا يكون لديه التروى فى اختيار ما يجب أن يسلكه فى حياته ·

وتردد السائلة بين حب الله ·· وحب الشخص الذى عرفته : لا يجعل حبها لواحد منهما صادقا · فحبها لله يفرض عليها ان أحبت انسانا : أن تسلك الطريق المشروع لحبه · وليس هو طريق الوحدة ·· ولا اللقاء المنفرد، ولا الحديث فى السرية والخفاء ، والبعد عن الأهل والمحارم · وحبها للانسان ان ملك عليها تفكيرها ـ كما يفهم من رسالة السائلة ـ قد يجنبها رضاء الله فى معاملته والسلوك معه ، على الأقل فى بعض الأحيان ·

● وليس معنى تردد حبها بين الله ·· والشخص الذى عرفته : أن حبها لله يمنع من حبها لانسان ما · ولكن حبها للانسان يجب أن يكون عندئذ لله ·· وفى سبيل الله ·· أى أن يكون الشخص الذى أحبته يعرف الله ويؤمن به ·· ويؤدى واجب مسئوليته نحو الله ·· وأن تسلك معه فى العلاقة بينهما المسلك الذى يحدده دين الله ·· لا تتجاوزه الى ارتكاب المعاصى والآثام · اذ ليس من هدف الرسالة الالهية اطلاقا : ان تمنع صلة الرجل

مطلوبة وليست طالبة للرجل · وبالمهر اذن يتوفر لها حياؤها وكبرياؤها كأنثى ·

والرسول عليه السلام اذ يجيز زواج امرأة لرجل سأله الزواج بها ، على أن يحفظها بعض آيات من القرآن الكريم كمهر لها · فان اجازته لهذا الزواج أبعد ما يكون عن الماديات ·· والمهر أبعد ما يكون عن السلعة ·

● فاذن السائل فى رسالته الآن يشكو من صهره ووالد زوجته : انه يريد أن يحمله ما لا يطيق فى سبيل اتمام الزواج بابنته · فان طابع الحياة المادية فى مجتمعاتنا المعاصرة هو المسئول عن المشكلة الوقتية ·· وسيكون هذا الطابع المادى هو المسئول بعد الزواج عن مشاكل عديدة تتفرع عن هذه المشكلة ·

١ ـ هل الزوج ستسكن نفسه وتهدأ عندما يتذكر ما عاناه من مشقة بسبب تشدد صهره ووالد زوجته ؟

٢ ـ هل ستكون هناك مودة فى أسرة الزوجية والصهر عضو بارز فيها ·

٣ ـ هل سيحس أى منهم بالرحمة والعطف على الآخرين · فكما يقولون : ان المادة اذا دخلت باب الأسرة خرجت الرحمة وخرج العطف من نافذة أخرى ·

ونحن فى ردنا على السائل نأسف لأن المسلمين فى مجتمعاتنا المعاصرة يغلبون العادات والأعراف المادية ، وينسون الاسلام ورسالته فى حياتهم ·

★ ★ ★

١٣٦ ـ البنت والاختلاط :

احدى الآنسات ـ فتاة محجبة الآن ـ وتقيم الشعائر الدينية ·· وتقرأ القرآن ·· وتعمل كل شىء يرضى الله ـ كما تقول ـ وتحكى :

قبل أن تحجب تعرفت على شاب وأحبته · ثم قطعت كل صلة به بعد أن لبست الحجاب · « ولم اقابله اطلاقا الا لماما فى الشارع فقط » · ومع ذلك لا تكلمه ·

والآن تتملكها الحيرة : كلما مر الوقت أحست بانها فى حاجة اليه اكثر ·· وتسأل نفسها : هل تكلمه ؟ هل تترك الأمر لله يفعل ما يشاء ؟ ·

ثالثا : الرحمة بينهما · فالقوى منهما يرحم الضعيف منهما · والرحمة عطف ومعاونة ·

وهكذا اجتماع الرجل بالمرأة فى علاقة زوجية يقصد منه ابعاد النفس عن القلق ، وايجاد جو للراحة والتراحم والتساند ·· يقصد منه ابعاد النفس عن العزلة والاكتئاب فى الحياة ·· وبهذا الزواج لا تكون للنفس مشكلة تسيطر عليها · وانما طريق الحياة المستقرة مفتوح لكل من الزوجين: الذكر والأنثى ·

المشكلة الاجتماعية : وأما المشكلة الاجتماعية فهى حفظ بقاء النوع الانسانى باستمرار النسل وجاء ذلك فى قول الله تعالى : « **والله جعل لكم من انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات**» (١) · فالله يمتن على الانسان هنا كذلك بجعل الزوجية من الذكورة والانوثة مصدرا لامتداد النوع الانسانى واستمراره · وذلك بنسل البنين والحفدة ·· بنسل الأولاد والأجيال القادمة ، الى ما شاء الله · وفى الوقت الذى يمتن عليه بحفظ البقاء النوعى باستمرار النسل ، يمتن عليه بشىء آخر أيضا وهو توفر الرزق من الطيبات حتى لا يقلق الانسان من أجل معيشته لنفسه ، ولمن يأتى بعده من ابنائه وأحفاده واجيال البشرية جيلا بعد جيل ·

١ ـ وبهدوء النفس عن طريق الزواج يمكن أن يشارك الانسان فى بناء حضارته وأجياله ·

٢ ـ وبحفظ البقاء النوعى للانسان باستمرار النسل يمكن للانسان أن يظل صاحب السيادة على هذه الأرض ·· وأن ما عداه عليها مسخر له ·

٣ ـ وبضمان الله للانسان رزقه من طيبات هذه الحياة الدنيا يبعد عنه القلق النفسى كما يبعد عنه النظرة المتشائمة فى الحياة ، التى توحى بها المادية ، والتى توصل أخيرا الى وأد الأولاد وقد دبت فيهم الحياة·

وعندما يقرر الاسلام للزوجة مهرا لا يريده ثمنا لها · فالقرآن اذ يقول : « **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** (أى منحة وعطية) » (٢) ·· يأمر بأن يكون المهر بعيدا كل البعد عن ان يشبه ثمن السلعة فى شىء ما · وانما المهر عنوان من الرجل على رغبته فى الزواج ممن دفعه لها · وعندئذ تكون المرأة

---

(١) النحل : ٧٢ (٢) النساء : ٤

● الاسلام لا يرى فى عقد الزواج انه عقد بيع وشراء ·· لا يرى فيه انه عقد يقوم على المساومة · وانما المجتمع المادى ـ أو المجتمع الجاهلى ـ هو الذى ينظر اليه على أنه مصدر لكسب مادى فيحال مثلا بين المرأة وبين اتمام زواجها ممن خطبت له حتى تتنازل عن جزء مما لديها من مال : « **واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف** » (١) فعضل النساء هو الحيلولة بينهن وبين الزواج بمن يرغبن · والآية تنهى عنه اذا كان هناك اتفاق على الزواج · سواء أكان المنع من أهل الزوجة لأجل التنازل عن شىء من ميراثها ·· أو من الزوج المطلق طمعا فى باقى الصداق عندها ·

والمجتمعات الاسلامية المعاصرة أقرب الى طابع المجتمعات المادية أو الجاهلية ·· وفى الوقت نفسه بعيدة عن طابع المجتمع الاسلامى · فالطابع المادى للمجتمعات المعاصرة يعطى فرصة لولى أمر الزوجة : فى المساومة على تأثيث مسكن الزوجية من جانب الزوج ·· وعلى المهر ومقداره وعلى الرجوع عن اتفاق سبق مع الزوج المرتقب أو الزوج الذى تم عقد قرانه ولم يدخل بزوجته ·· وعلى نحو ما يشكو منه صاحب الرسالة هنا ·

والاسلام ليس مسئولا عن هذا التحول فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، الى الظواهر المادية فى حياة المسلمين التى كانت تسد عليهم نوافذ الروحية والقيم الانسانية فى علاقة بعضهم ببعض ·

● الاسلام يرى فى الزواج حلا لمشكلتين : مشكلة نفسية ·· وأخرى اجتماعية ·

المشكلة النفسية : أما المشكلة النفسية وحلها عن طريق الزواج ، فقد جاء قول الله تعالى « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » (٢) · فالله سبحانه يمتن على الانسان بأن خلق من نوعه زوجا : ذكر وأنثى ·· وانه استهدف من الزوجية بين الرجل والمرأة :

أولا : اطمئنان كل منهما للآخر ·· واسهام كل فى خلق الجو الذى تهدأ فيه النفس الانسانية ·

ثانيا : المودة فيما بين الزوجين · والمودة أمر آخر بعد الهدوء والاطمئنان · وهى أقرب الى التعاطف ·

---

(١) البقرة : ٢٣٢ (٢) الروم : ٢١

فاذا استقر فى نفوس الأولاد : ان المعاملة واحدة ٠٠ وان الاعتبار لهم واحترامهم جميعا واحد ٠٠ وأن الحديث مع أى واحد منهم هو الحديث فى نصحه وتوجيهه مع كل واحد منهم ٠٠ اذا استقر ذلك فى النفوس تولد عنه احترام الأولاد لزوجة أبيهم كأم ومصدر عاطفة فى الأسرة ، وكذلك احترامهم جميعا لأبيهم ٠

ولا شـــك ان احترام الوالدين هو عامل الترابط فى الأسرة ، وعامل الاحساس بالأخوة بين أفرادها ٠

والرأى الآن : أن يحاول السائل كشف ما فى نفسه لأبيه ، ازاء زوجته ٠٠ وأن يحـــاول الأب التدخل لتحقيق عـدل الله الذى أمر به أن يتحقق فى الأسرة : لتوفير الاحترام والاعتبار والترابط الأخوى بين الأبناء ٠ ولعل الله يوفق الجميع ٠

★ ★ ★

١٣٥ ـ العادات ٠٠ وتكلفة الاعداد للزواج :

مواطن من احدى القرى يقول :

انه تقدم لخطبة فتاة بقريته ٠٠ ووافق أهلها على شروطه ووافق هو على شروطهم وحددوا سويا موعدا لاعلان الخطوبة وقراءة الفاتحة ٠٠ وفى الموعد المحدد تراجع أهل العروس فى الاتفاق وأضافوا أشياء جديدة وطلبوا الموافقة عليها قبل اشهار الخطوبة فوافق عليها وتمت الخطبة ٠

وعندما حدد بعد ذلك موعد لعقد القران تزعزع ـ كما يكتب فى رسالته ـ أهل العروس وطلبوا تغيير أشياء متفق عليها فى البداية ، وأصروا عـلى تغيير أشياء معينة فى الجهاز : من طراز ٠٠ الى طراز ، رغم انه هو الذى يتحمل فروق الأسعار ، لكنه وافق ليتم عقد القران ٠ وقد تم والحمد لله ٠

ثم تم تجهيز المتفق عليه ٠ وكتبت قائمة الجهاز وسلمت لوالد العروس٠ وعندما طلب السائل هنا تحديد موعد للزفاف طلب أهل العروس أشياء أخرى تفوق طاقته ٠ وكما يقول : هى أشـياء لم يتفق عليهـــا من قبل ، وتعد من الكماليات ٠ وأقسم والد العروس أن لا تزف ابنته اليه الا اذا أتم اعدادها ٠ وصاحب الرسالة فى حيرة ٠٠ ويرجو توضيح حل وسط لهذه المشـكلة ٠٠ كما يرجو معرفة النتائج المتوقعة ، مع العلم بأنه متمسك بالعروس ولكنه قد تحمله المشاكل التى يثيرها أهلها على عدم المبالاة وعدم الاهتمام بها ٠

كانت الزوجة السابقة على قيد الحياة وهى مطلقة فان غيرتها وحسدها ضد اللاحقة بعدها : يظهر فى تحريض أبنائها من الزوج ضد زوجة أبيهم واخوتهم منه ، وهم أولادها ٠

ثالثا : ضعف الارادة عند الأب ـ وهو الزوج ـ فى معاملة أولاده من الزوجتين : السابقة واللاحقة ٠ فهو لا يستطيع أن يحزم أمره فى تسوية أمور الأولاد ، بما يرضيهم جميعا ، وبما يرضى الزوجة القائمة بالفعل ٠ وانما هو يتأرجح بين العواطف المختلفة ٠ فهو أب ٠٠ وزوج معا ٠ ولكل من أولاده جانب فى نفسه ٠٠ وزوجته التى تعاشره بالفعل لها جانب كذلك ٠ ومن هنا يبدو فى تصرفاته : التردد ٠٠ وعدم الحسم ٠

وينشأ عن هذا التأرجح : تفكك الأسرة وتراخى العلاقات بين أفرادها ٠٠ والنزوع الى العداء والخصومة ٠٠ ومحاولة تدخل الأجنبى عنها فى شئونها والتحيز لفريق ضد فريق من أفرادها ٠

وهذه الظواهر جميعها تسبب القلق فى العلاقات ٠ وقد يسبب القلق توترا فى النفوس ، يظل قائما الى ما بعد وفاة الأب ورب الأسرة ٠

● و « العدل » الذى أمرت به الآية الكريمة هنا بين الزوجتين عندما يجمع الزوج بينهما فى زيجة واحدة ، وفى حياة وأسرة واحدة : هو«العدل» الذى يجب أن يطبق عندما يتزوج الزوج بأخرى وله أولاد من زوجة أخرى سابقة ، متوفاة أو مطلقة ٠ لأن آثار عدم « العدل » بين الزوجتين فى الزيجة الواحدة ، هى آثار عدم « العدل » بين أولاد لأم سبقت ٠٠ وآخرين لأم قائمة بينهم ، وكزوجة لرب الأسرة التى تجمع الفريقين ٠

ورب الأسرة ، والأب ، والزوج لزوجة قائمة معه : مطلوب منه ، بجانب الحرص على « العدل » وتطبيقه ، وبالأخص بين الأولاد : أن يكون حاسما فى الفصل فى أمور الأسرة ٠٠ وأن لا تغلب عليه العاطفة فيتحيز لأولاد الزوجة السابقة ، أو لأولاد الزوجة القائمة ٠ وأمارة قوة ارادته فى الفصل : أن يعود زوجته القائمة ـ بعد أن يفهمها ـ على معاملة الأولاد جميعا معاملة مستوية ، لا يحس فيها واحد منهم بغبن أو بتحيز ضده ٠ نعم هى لا تستطيع أن تسوى بين الأولاد جميعا فى توزيع عاطفتها عليهم وهى عاطفة الأمومة ٠٠٠ لأن أولادها منها مميزون من غير شك على أولاد السابقة ٠ ولكن المطلوب أن لا يظهر تميز أولادها فى المعاملة التى تقع مع الأولاد جميعا ٠

وقد اشتكى لوالده من سخرية زوجة ابيه منه · فوعده بانه سياخذ له حقه منها ، كلما جاء اليه وعرض شكواه · وفى مرة بعد ما قص عليه ألوانا من ألوان سخريتها منه ، اجاب الأب فى جملة استنكارية : « يعنى اضربها لك ؟ مش عيب ؟ · ثم بسبب ابنها من غير ابيه طرده من المنزل ، فقرر أن يعيش مع والدته ·

ويسأل عن حكم الاسلام فى معاملة ابيه له ؟ وفى موقف الابن منه ؟ ·

● نحن لا نعرف شيئا عن علاقة الأب بابنه فى ظل الزواج بغير أمه الا ما يحكيه الابن من سوء معاملة زوجة أبيه له ·· وتراخى الوالد فى جعل هذه العلاقة محتملة بالنسبة للولد على الأخص : لا يعرف عمر هذا الولد ·· ولا من يتكفل بمعيشته الآن ان كان بحاجة الى من ينفق عليه · ولذا الرأى هنا ان تقف عند المشكلة الاجتماعية التى تتخلف عن الزواج بزوجة أخرى ثانية أو ثالثة أو رابعة فى مجتمعاتنا الاسلامية،وأثرها على الأسرة : فى علاقة الوالد بأولاده ·· وعلاقته كزوج بزوجاته ·· وعلاقة الأولاد بعضهم ببعض ، داخل الاسرة ، وخارجها ·

والاسلام عندما رخص بتعدد الزوجات جعل الترخيص به فى نطاق « العدل » بين الزوجات فى المعاملة : « **فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** » (١) · حتى لا يكون هناك حقد بينهن ·· وحتى لا يتوزع الزوج وهو رب الاسرة على الخصومات والحزازات النفسية عندهن ·· وحتى لا يتكون من اولادهن من الاب الواحد : مجموعات متفككة متحاقدة أو متعادية · وبذلك يضيع هدف الاسرة ، وهو العصبية ·

والأب فى زواجه بعد أخرى مطلقة أو متوفاة : يشبه من حيث الجمع بين أولاده من السابقة واللاحقة فى أسرته ـ ان كل لهما معا أولاد من الزوج نفسه ـ من جمع بين اثنتين فى زيجة واحدة · وتتولد النتائج السلبية فى الاسرة عندما تنجب الزوجة اللاحقة أولادا من الزوج ، بجانب اولاده من السابقة · ومن هذه النتائج السلبية :

أولا : الحقد بين الأولاد بين الفريقين : فريق السابقة ··وفريق اللاحقة ·

ثانيا : الغيرة والحسد فى نفس اللاحقة · ويظهر حسدها فى معاملة أولاد السابقة من الزوج نفسه ، وفى اثارته من وقت لآخر ضدهم · واذا

---

(١) النساء : ٣ ·

وفى حديث عن عائشة رضى الله عنها : ان النبى عليه صلوات الله وسـلامه قال : عشر من الفطرة (أى من الخلقة والدين) :

(١) قص الشارب ·

(٢) واعفاء اللحية ·· الى آخر الأمور العشرة التى جاء بهـا الحديث الشريف ·

● وللسائل أن يرجع عن يمينه ويتحلل منها بالكفارة ·· الى ما هو خير منها ·· ولا اثم عليه عندئذ · فيروى عن الرسول عليه السلام قوله : « وانى والله ، ان شاء الله ، لا احلف على يمين فأرى خيرا منها الا اتيت الذى هو خير وتحللتها (أى بالكفارة) » (١) ·

وقد جاءت الكفارة لليمين فى قول الله تعالى : « **لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم** (أى بما قصدتم) **الأيمان ، فكفـارته** اطعام عشرة مساكين من أوسط ما **تطعمون أهليـكم أو كسوتهم** (طاقية ـ منديل ـ عمامة) أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد **فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم.واحفظوا أيمانكم** (أى الا اذا كان فى الحنث خير) » (٢)·

وبالانتقال مما حلف عليه الانسان الى ما هو خير منه تسقط المعصية ·· وبأداء الكفارة وادناها الصوم لثلاثة ايام : يجبر الأمر ويسوى ·

وعلى الطالب اذا اراد القربى الى الله : أن يرضى الوالدين ·· وان يجد فى دراسـته ويتفوق فيها ·· وأن ينمى خشيته من الله فى هذه المرحلة ـ وهى مرحلة المراهقة ـ حتى ينجح فى حياته لخير نفسه ، وأسرته ، وأمته ·

★★★

١٣٤ ـ حيرة الأب بين أولاده ، وزوجته :

مواطن من احدى الضواحى بمحافظة القاهرة يقول :

ان أباه تزوج ثانية غير أمه بعد أن طلقها · وزوجة الأب هذه تستهزىء بـه هى وأختها ، كما يكتب فى رسالته · فان تكلم مثلا قالت له : ان أخلاقك أخـلاق « عربجى » ··

---

(١) اللؤلؤ والمرجان : ص ٤٠٨ ·
(٢) المائدة : ٨٩ ·

(١) التواضع ٠

(٢) والبعد عن المشاركة فى حماقة الآخرين ٠

(٣) واستمرار الاتصال بالله فى الليل والنهار على السواء ، بالدعاء وبالصلاة ٠

(٤) والخشية من عذاب الله فى الآخرة ٠

(٥) **والاعتدال فى انفاق المال ٠**

(٦) وتجنب الشرك بالله فى أية صورة من صوره ٠

(٧) وعدم مباشرة الكبائر من قتل وزنا ، وما شابه ٠

(٨) وعدم مباشرة الزور والكذب فى الشهادة ، والقول ، والرواية على العموم ٠

(٩) والحرص على العمل بما جاء فى القرآن ٠

● والسائل اذا عرف أن قوام التدين فى نظر القرآن الكريم هو محاولة اكتساب الصفات التى تجعله من عباد الرحمن ، والتى هى فى واقع الأمر مميزة له كمؤمن بالله وحده ٠٠ اذا عرف ذلك فانه لا يتشدد فى مخالفة والديه بأن يحرص على أن يكون ملتحيا ٠ نعم : اللحية سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ ٠ ففى حديث عن ابن عمر رضى الله عنه : « خالفوا المشركين ٠٠ وفروا اللحى ٠٠ واحفوا الشوارب » (١) ٠٠ ولكن طاعة الوالدين أمر مطلوب من الابناء الا فى حالة واحدة ، **وهى الشرك بالله** ٠

وطاعة الوالدين هنا ليست للأسباب التى ذكرها السائل فى رسالته ٠ وهى أن كثيرا من الذين يطلقون لحاهم من الفوضويين والشيوعيين ٠٠ وان ذلك يجعل صاحب اللحية عرضة لتتبع المباحث فى الدولة ٠٠ وليس أيضا لانصراف الفتيات عن الشبان عند الخطبة ٠ اذ كثير من الشبان اصحاب اللحى فى غاية الاستقامة فى السلوك وحسن المعاملة ٠٠ وفى غاية الجد فى الدراسة وأداء الواجبات ٠٠ وفى مقدمة العاملين المخلصين لله ولأوطانهم ٠٠ وفى الصف الأول فى ركب المتخرجين فى الجامعات ٠٠ وكذلك هناك العدد الوفير من الفتيات يرغبن فى الزواج من الشبان المتدينين ٠٠ ويعدون من أمارة تدينه أنه صاحب لحية ٠ فوق أن اللحية ظاهرة من ظواهر الرجولة ٠

---

(١) كتاب التاج جـ ٢ ص ١٧٧ ٠

(٣) « **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عـذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما** (أى والذين يخشـــون الله ويخشون عـذابه فى الآخــرة فيسلكون ســبيل الطــاعة له ‥ وبالتزامهم الطاعة لله : يدعونه سبحانه : أن يجنبهم نار جهنم) **انها ساءت مستقرا ومقاما** ٠

(٤) « **والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قـواما** (أى والذين اعتدلوا فى انفــاقهم المــال ٠ فلم يكونوا بخلاء ‥ ولا مبذرين ٠ وانما كانوا وسطا ، وليسوا الى التقتير ‥ ولا الى الاسراف) ٠

(٥) « **والذين لا يدعون مع الله الها آخر** (أى والذين يؤمنــون بالله وحده ٠ فلا يشركون معه جل جلاله أحدا : انسانا أو غير انسان ٠ فالله وحده هو الكامل المعبود وهو الخالق ، وهو الفاعل صــاحب الاثر فى الوجود كله ٠ وليس هناك انس أو جن ‥ أو صنم أو وثن ندا له أو ابنا أو شريكا له فى أية صورة) **ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون** (أى والذين يتجنبون الكبائر ٠ فيتجنبون قتل النفس التى حرم الله الا اذا كان ذلك قصاصا ، ويتجنبون الزنا وهتك الاعــراض) ، **ومن يفعل ذلك يلق أثاما ٠ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ٠ الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما ٠ ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا** ٠

(٦) « **والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما** (أى والذين يتجنبون الزور والكذب فى القول والشهادة لمصــلحة أحد أو ضد أحــد ‥ واذا مــروا بسخافات وتفاهات يباشرها بعض الناس : تجاوزوها ولا يشتركوا فيها وبذلك يحتفظون بكرامتهم) ٠

(٧) « **والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا** ٠ (أى والذين اذا ذكروا بالقرآن لم يغفلوه كانهم صم لم يسمعوا ، وعمى لم يبصروا ٠ وانما يتيقظون لما ذكر لهم منه ، ويثبتون على طاعتهم لما جاء فيه) » (١) ‥

وهذه الآيات تذكر من صفات المؤمن بالله الآن ما يعد مميزا له حقــا عن غيره ممن لم يدخلوا دائرة الايمان ٠ فتذكر :

---

(١) الفرقان : ٦٣ ــ ٧٣ ٠

والحكمة تقضى بأن لا تعاقب الزوجة بأن تظل معلقة والزمن يسير بهـا الى جهة غير معلومة · وصلات اولى الارحام وذوى القربى تفرض على من يخشى الله ويرجو خير الآخرة : أن يكون صاحب الفضل فى البـدء فى حـل الازمة · وهى أزمة خلقتها النفوس الأمارة بالسوء · وهى نفوس الشـياطين الخبثاء ·

* * *

١٣٣ ـ الشباب بين اللحية ·· وتتبع رقابة أمن الدولة :

من طالب باحدى المدارس الثانوية باحدى المحافظات · يطرح السؤال التـالى :

انه اقسم يمينا على المصحف الشريف : أنه سوف يطلق لحيته تنفيـذا لأمر الرسول · فكيف يبر بيمينه ، مع انه تقوم بعض الصعوبات فى طريق التنفيذ ؟ واخصها معارضة والديه بحجة :

أولا : ان الفتيات لا تقبل على الزواج منه · لأن اللحية سوف تغـير مظهره ·

وثانيا : ان هناك بعض الناس يطلقون اللحيـة ويتـوارون وراءها ، ويفعلون أشياء مخلة بنظام الدولة ، وهـذا من شانه أن يعرض كثيرا مـن اصحاب اللحى للقبض عليهم ·

● ان هناك صفات يدعو الاسلام الى توفرها فى الانسان المؤمن به ·· واذا وجدت فى مؤمن ما اعتبرها عنوانا على انتمائه الى الله حقا · وجاءت هذه الصفات فى قول القرآن الكريم فى سورة الفرقان :

(١) « **وعباد الرحمـن الذين يمشـون على الأرض هونا** (أى الـذين يتواضـعون فى مشـيتهم ·· ليس بهم صلف ولا كبرياء) **واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** (أى واذا احتـك بهم الحمقى من النـاس فى الكلام لا يعيرون لكلامهم أهميـة وانصرفوا عنهم فى هدوء) ·

(٢) « **والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** (أى والذين يذكرون الله فى لياليهم بالصلاة والدعاء ·· كما يذكرونه فى نهارهم بالعمل ·· وأداء الصلاة فى أوقاتها) ·

بعد غزوة أحد .. وهزيمة المؤمنين فيها بسبب خذلان بعض المنافقين للرسول عليه السلام واصفيائه من صحابته .. ينصحه :

- باتباع صفة الرحمة التى هى للمولى جل جلاله ، وذلك بعدم التشدد فى الخصومة .

- وبالعفو عن بعض الذى تسبب فى خذلان المؤمنين فى « أحد » .

- ويطلب المغفرة لهم منه سبحانه .

- وبمعاودة التشاور معهم فى شئون الأمة ، وفى مقدمة هذه الشئون : الحرب ... والسلام .. فيقول : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين** » (١)

وما يطلبه القرآن من الرسول عليه السلام هنا هو للحفاظ على وحدة الأمة وقوتها ، وارتباط أفرادها بعضهم ببعض . وذلك بابعاد العداء القائم على الغلظة والجفوة بسبب خطأ وقع من فرد أو بضعة أفراد .

ان القرآن يطلب هنا من الرسول عليه السلام أن يفصل بين قيم الأشياء . فهذا البعض من المنافقين فى « أحد » ان كانت له سلبية فيما وقع منه ، فبقاؤه فى مجتمع المؤمنين ـ ولو مؤقتا ـ له ايجابية بالنسبة للمؤمنين جميعا . وهى مظهر الأمة فى الوحدة والتكتل وعدم الفرقة فى نظر الأعداء والخصوم السافرين . وذلك من شأنه أن يرهبهم .

وكذلك أسرتا الزوج والزوجة ان وقعت بينهما أخطاء ، وحلت بينهما أزمات : فما تنسب اليه الأخطاء اليوم من أفراد الأسرتين ربما كان له فضل بالأمس على علاقتهما وعلاقة القربى بينهم . ولذا لا ينبغى عند الحكم على شىء ما أو على فرد من الأفراد أن تنسب اليه نقيصة ويجرد من المحاسن كلها . بل لابد أن تذكر بجانب سيئاته : حسناته وان كانت قليلة . وذكر المحاسن بجانب السيئات هو ما نستفيده هنا من الآية القرآنية الكريمة . وهو سبيل الى تصفية النفوس وعودة العلاقات الطيبة الى مسيرتها الاولى .

ان علاقة القربى بين الاسرتين فى رسالة السيدة السائلة ، أولى بأن يحافظ عليها وبأن يتقدم اصحاب الهدوء والتروى فى بحث الأمور الى معالجة ما يطرأ من نزاع وخصومة .

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

● عقد قران السائلة على قريبها وأصبحت بذلك زوجة له . وان كان لم يدخل بها بعد . وهناك سوء تفاهم بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة ، الى حد يشبه القطيعة بين الأسرتين . هل سوء التفــاهم حدث بعد القران ؟ . والسائلة لم تشر فى رسالتها الى وقت حدوثه . وان كان يظن ظنا راجحا : ان حدوثه كان بعده . والا لما تم .

وعندما تسأل الأخت المسلمة هنــا عما يجب أن تفعـله الآن ، فى هذا الجو العائلى الملبد بغيوم الخصومة والنزاع ، ليس من السهل الحصول على سبيل واضح يحقق هدف الزوجية بينها وبين قريبها ، فى وقت قريب . فهنــا فى أسرنا فى مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة نخلط بين الأمور ، ولا نفرق بين قيمها : نزاع ينشــأ بين الأسرتين لسبب من الأسباب ـ كما هنا ـ تكون له آثار سلبية على الزواج بين بنت من احــدى الأسرتين وشــاب من الأسرة الأخرى ، دون أن يكون هناك دخل من أى منهما فى هذا النزاع ، ولكن العلاقة الزوجية تصاب بأذى بسبب هذا النزاع ، وتصبح الزوجة مثــلا كالمعلقة : لا هى زوجة مدخول بهــا .. ولا هى مطلقة حل لغيره . وتستمرىء أسرة الزوج تأجيل الزفاف .. بينما تتضرر أسرة الزوجة بهذا التأجيل ، لأنه دليل على بقاء الأزمة وعدم انفراجها بين الأسرتين .

ولو لم نخلط بين قيم الأشياء فى حياتنا لتقدم والد الزوج ورب أسرته ، فى شجاعة الى والد الزوجة وأتم الزواج .. ولا يعتبر اتمامه للزواج عندئذ نتيجة ضعف منه . بل على العكس هو نتيجة قوة .. قوة الرجولة والمروءة ، والفهم المستقيم للأشياء ، والتقرب الى الله بما يرضيه . فالسائلة ـ وربمــا قرينها أيضا ـ يعيش كل منهما فى حال توتر للأعصاب .. فى حال التردد بين الأمل فى أن تتم الفرحة ، وخيبة الأمل فى أن لا تتم . ومضى أربع سنوات على عقد القران ، دون أن يدخل الزوج بزوجته ، يؤسس الشك فى مستقبل العلاقة الزوجية .

وربما لو تم الزواج وانفرجت عقدته ، تصير الأزمة كلها بين الأسرتين نحو نهايتها . ويصبح من السهل أن تتفاهم الأسرتان على زوال الأسباب التى أدت اليهــا .

● ان الانفعالات تتحكم فى أحاسيسنا ، وتسيطر على جانب العقــل والحكمة فينا ، وقد تخرج الانسان عن دائرة التروى والاعتدال . والاسلام ينصــحنا بأن لا نترك الانفعــالات تقودنا فى علاقة بعضنا ببعض ، وتخضع توجيهنا فى معاملاتنا ، وفى ســياستنا : للعنف والغلظة ، والاستكبار الذى قد يصاحبها . فالقرآن الكريم ينصح الرسول عليه السلام ـ والمؤمنين معه ـ

والشرير هنا فى وصف السائلة لوالد الطفلين ـ ليس عنده فسحة من الوقت ۰۰۰۰ ولا سعة فى القلب والنفس ۰۰ ولا بسطة فى اليد ، لقبول هذين الطفلين ورعايتهما والاشراف على تربيتهما ۰

وهو بادمانه على الشراب وتناول المخدرات ليس لديه الارادة الكافية لأن يعى أحوال نفسه وغيره ، ولو كان الغير ابنا له ۰ وانما هو مساق بحكم ادمانه الى مصيره الأخير ۰ وهو الهاوية والسقوط الى أسفل مستوى يصل اليه الانسان ، اذا غلبته نفسه الأمارة بالسوء ۰

وعلى أية حال يمكن للسائلة أن تستفسر عن زيادة النفقة ، وعن مدى الحضانة واحدا ممن يشتغلون بقضاء الأحوال الشخصية ۰ فهو على دراية بالتطبيق للقانون الذى صدر أخيرا فى شئون الأسرة ۰

★★★

١٣٢ ـ من العادات فى الزواج ما يعوق دون اتمامه :

من أخت مسلمة ، موظفة باحدى الوزارات ، تروى :

انه عقد قرانها على احد أقربائها منذ أربع سنوات ، ولم يدخل بهـا حتى الآن ۰ وكلما حدد أهلها موعدا لزفافها ، واجههم اهل الزوج بادعاء : انهم ليسوا على استعداد حتى الآن لاستقبال العروس لابنهم ۰

كما تروى : ان العلاقة بين الأسرتين شبه مقطوعة ۰۰ وانه يكاد يكون من غير المستطاع التفاهم على شىء ما ، بين أهل الزوجين ۰

وتفكير أسرة العروس فى اللجوء الى القضـاء ، ـ كما تقـول الأخت المسلمة ـ يعارضه فى نظر الأسرة :

اولا : نفقات التقـاضى كثيرة ، والحاجة الى المال فى تربية الأولاد قائمـة ۰

ثانيا : تهديد أسرة الزوج بطلب طاعة الزوجـة ، اذا رفع الأمر الى القضاء ، والغاء كل الامارات التى تدل على الفرح والزفة ۰۰ وكذلك الغـاء كل معاونة فى أعداد مسكن الزوجية ۰

وهى تسأل : ماذا تفعل فى هذا الموقف ، وفى وضعها منه ؟

فى سكن الزوجية ، بأن يكون عند والدتها مثلا · ومثل هذا الرجل الأنانى لا تتوقع منه الا المتاعب المتكررة ، بحيث انها تميل الى عودتها الى الحالة قبل الزواج به ، ولا تستطيع فى يسر أن تعود اليها ·

والجانب السلبى فى البقاء مع الطفلين من غير زواج : انهما بعد بلوغهما الرشد والتخرج فى المرحلة الأخيرة من التعليم قد لا تجد منهما الوفاء الذى كانت تنتظره أو الذى كانت تحلم به يوما من الأيام ، ليكون عوضا عما بذلته لهما من رعاية بالأمس وهما فى حالة الحاجة اليها · وليس ترقب ذلك تشاؤما · وانما المادية الكاسحة للمجتمعات الاسلامية المعاصرة تضغط على الشباب ضغطا عنيفا ، بحيث لا يفكر الشاب الا فى نفسه ·· وفى أسرته الجديدة التى يكونها ·· وفى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى تحيط به ، والتى تؤثر عليه تأثيرا عميقا ·

وهناك اذن جانب ايجابى ·· وجانب سلبى فى زواجها ، وقت حضانتها لطفليها ·

وهناك أيضا جانب ايجابى وآخر سلبى فى عدم زواجها والبقاء مع الطفلين الى أن تفرغ من تربيتهما ··

والسائلة وحدها هى التى تختار · والجانب السلبى فى هذا الاتجاه ·· أو فى ذاك هو احتمال قائم فقط · على معنى أنه قد يتم الزواج وتكون سعيدة بزوجها ·· وطفليها معا · وقد لا يتم هذا الزواج ويقدم طفلاها بعد الرشد والاستقلال : مثلا عظيما لوفائهما لوالدتهما · وتسعد الأم بهما سعادة تزيد عن معنى « العوض » الذى كانت تترقبه منهما ، يوم أن تفرغت لهما ، وتنازلت عن كل متعة لها فى حياة المرأة ·

● أما السؤال عن المطالبة بزيادة النفقة الشهرية من والد الطفلين فهى ممكنة نظرا لارتفاع التكلفة فى المعيشة ·

● وهو لا يستطيع ، ولا يرغب كذلك ، فى ضم الطفلين اليه · أما أنه لا يستطيع فلسوء سمعته ومداومته على الشراب وتناول المخدرات · وأما أنه لا يرغب فى ضمهما اليه فلأن بقاءهما فى حضانة أمهما أقل تكلفة بالنسبة له· وهو اذ يذكر لها من وقت لآخر انه يضم الولدين اليه ، فانه يذكر ذلك فقط لتهديدها ، وارغامها على السكوت وعدم مطالبته بأى شىء مادى لحاجتهما اليه ، وقبولها للوضع القائم فى العلاقة بينه وبين الطفلين ·

(ج) وهل هى مخطئة أم مصيبة : ان عفت عن الزواج حتى الآن ؟ مع أن رغبة أهلها رغبة ملحة فى أن تتزوج · اذ أنهم يقولون عنها : انها جميلة وحرام أن لا تستمتع بحياة زوجية جديدة ؟ ·

● **يأتى السؤال الأخير فى المرتبة الأولى ، عند الاجابة على هذه الأسئلة الثلاثة وهو زواجها ·· أو عدم زواجها ·**

لا أحد يستطيع أن يقدر وضع السائلة فى حياتها القائمة الآن سوى السائلة نفسها · هى الآن تعمل خارج المنزل كمشرفة اجتماعية فى احدى دور الحضانة ، من أجل مساعدة طفليها على تربيتهما · وكانت قبل الطلاق ربة بيت لا تعمل فى الخارج · ولكنها اضطرت الى العمل خارج المنزل لتساعد ولديها ·

لا شك انها مؤرجحة بين اتجاهين · كل منهما له آثاره الايجابية ·· والسلبية على حياتها · هى كامرأة وفى هذه السن بالذات تميل الى أن يكون هناك رجل تستند اليه ويحميها فى مواجهة الأذى والضرر التى قد تفاجأ بهما لسبب من الأسباب · اذ لا يخلو انسان ما ــ وبالأخص المرأة ــ من مواجهة صعاب قد يترتب عليها أذى وضرر فى النفس وفى العلاقة بالآخرين· والزوج يعتبر أحسن أنواع الرجال الذين تستند اليهم المرأة فى الحياة · فهو فى الزيجة الموفقة : يكون الصديق ·· والأخ ·· والأب فى كثير من الأحيان · والزوج هو وحده الذى يعرف أسرار المرأة التى تستند اليه وتحتاج الى حمايته · وبذلك يتمكن أكثر من غيره من مساندتها وحمايتها ·

وهى كأم من جهة أخرى تتلهف على أن يبقى طفلاها فى كنفها ، وفى حضانتها وفى رعايتها ، وليس هناك ما يسعدها فى حياتها وراء : أن ترى هذين الطفلين فى نمو : بدنى ·· ونفسى ·· واجتماعى ·· وتعليمى ·· وكل ما تقدمه من عمل لهما ·· أو تنفقه من أموال عليهما ، يعتبر تعبيرا عن سرورها النفسى · وفى هذا الوضع تنسى نفسها ، وميلها نحو الرجل ، والاستعانة به عندما تقتضى الأزمات وجود رجل كزوج لها ·

وهكذا : اما أن تبقى فى اطار الذات فتتجه الى الزواج ·· أو تنتقل الى اطار الأم فتستغنى عنه ، ولو كان استغناؤها أشبه بحالة تخدير مؤقت ·

أما الجانب السلبى فى الزواج فربما تصادف أن تتزوج رجلا أنانيا يضيق ذرعا بطفليها ، وبما تبذله من جهد ورعاية لهما ، ولو لم يكونا معها

ان اعتقدت ذلك ودربت نفسها على الاطمئنان اليه والعيشة معه كان لها أن تتزوج رجلها السابق ، وهى راضية ·

● وهل السائلة لديها من سعة الصدر ، وقوة الحيلة ، والصبر : ما يمكنها أن تعيش مع أولاد الرجل من غيرها فى وئام ؟ هل لديها الاستعداد للتضحية بشىء من أنانيتها بالنسبة للزوج ووالد الأولاد ، فتقبل أن يكون نصيبها من رعايته لها ومن عواطفه أقل من نصيب أولاده الى حين ؟ وهل تستطيع أن تحتوى الأولاد بين ذراعيها بالعطف والتسامح والتوجيه المثمر، والأسلوب الرقيق فى التعبير والمعاملة ؟ وهل تستطيع أن تنقل حنان الأمومة لديها الى هؤلاء الأولاد كأنهم أولادها بالتبنى ؟ ·

ان كانت تستطيع ذلك فلتقبل على الزواج من أب الأولاد،ولتنتظر حياة سعيدة من الزوج والأولاد معا · أما الزوج فانه مع راحته النفسية بما يرى ويشاهد من معاملة الأولاد الحسنة يشكر لزوجته حنانها وعطفها وحسن توجيهها · وأما الأولاد فتنطبع نفوسهم فى أعماقها على حبها ، وينقلب الحقد عليها الى مودة فى اللقاء ، وطاعة سهلة لما توجههم به ·

هل من بين سيداتنا فى مجتمعنا : من تغلب عاطفة الأمومة على أنانية الذات ؟ ان ذلك هو السبيل الى عدم انشقاق الأسرة اذا حلت فيها زوجة بدل أخرى ، لسبب من الأسباب ·

★ ★ ★

١٣١ ـ المرأة بين الأمومة ·· والزواج :

سيدة من احدى المحافظات ، تقول :

انها مطلقة منذ ثمانى سنوات ولم تبلغ الثلاثين من عمرها بعد · وزوجها الذى طلقت منه كان يتعاطى جميع المحرمات والمخدرات · وتصفه بأنه شرير وفاسق · ولها منه طفلان فى الاعدادى تقوم على رعايتهما منذ ثلاث عشرة سنة · ويكتفى والدهما بأن يعطيها كل شهر عشرة جنيهات ، نفقة لهما ، حتى الآن ·

وتسأل :

(أ) هل لها الحق فى أن تطالب اباهما بزيادة النفقة الشهرية ؟

(ب) وهل له الحق الآن فى أن يأخذ الولدين لاستكمال تربيتهما عنده ؟

.. كما تمارس متعة الأكل والشرب .. والملبس .. ومتعا أخرى عديدة فى حياتها .

وخيبة الأمل فى انجاب الولد تسد عليها منافذ السعادة كما تراها المرأة . وحياة بغير أمل هى حياة يأس مقنع . واليأس اذا سيطر على الانسان سيطر عليه القلق والتوتر .

ومفاد هذه المفاضلة بالنسبة للرجل الثانى - وهو الرجل صاحب الأولاد - انها تخشى أن تحدث مشاكل فى علاقتها الزوجية بسبب الأولاد . وهى مشاكل متوقعة وعديدة ... وأخصها مشكلة الصراع بين الزوجة الجديدة ، وأولاد الزوج من غيرها ، حول الاستئثار به . فالزوجة من جانبها تريد الاحتفاظ به وحدها .. لمصلحتها قبل أية مصلحة أخرى . والأولاد يريدون أن يظل أبوهم معهم يرعى شئونهم ، كما كان قبل الزواج ، وان كان على حساب شأن الزوجة الجديدة . والرجل كزوج وكأب يتردد عادة بين الزوجية والأبوة . وموقفه ليس موقفا حاسما . وانما هو « بين بين » . وهنا تبدو عواطفه متقلبة : مرة الى جانب الزوجة وأخرى الى جانب الأولاد . وهذه المشكلة كثيرا ما تؤدى الى غضب الزوجة الجديدة ورغبتها فى العودة الى حياة ما قبل الزواج ، تخلصا من طول هذا الصراع ومرارته .

وتوقع المشاكل فى الحياة الزوجية بسبب وجود أولاد للزوج من زوجة أخرى سابقة : يضع أمام المرأة عقبة ليس من السهل اقتحامها . وهنا تتردد المرأة كثيرا - ويحق لها أن تتردد - فى الاقدام على قبول زوج له أولاد من غيرها . وهذه العقبة وان لم تنطو على خيبة أمل لدى الزوجة فى حلها - كما ينطوى عدم انجاب الزوج للأولاد لدى الرجل الأول - الا انها تنطوى على انقباض النفس وعدم التفاؤل فى المستقبل ، فى الحياة الزوجية المقبلة .

● فهل السائلة لديها من قوة الايمان بالله ما يجعلها تعتقد أن انجاب الأولاد ، أو عدم انجابهم يتعلق بقدر الله وحده للانسان ؟ « **يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور.أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير** » (١) .. وتتخطى باعتقادها هذا : تأثير هذا الأمل فى نفسها .. وعندئذ تعيش سعيدة مع زوجها السابق ؟ . لأن الأمر الذى يقلق أى انسان فى حياته : هو كثرة الآمال ، وقلة تحقيق ما يتحقق منها أو قوة الأمل ثم تلاشيه . فان هى لم تركز أملها فى انجاب الولد ، فمع مرور الزمن يضعف هذا الأمل فى آثاره على النفس الانسانية .

---

(١) الشورى : ٤٩ ، ٥٠ .

١٣٠ ـ الزوجة ترغب فى العودة الى زوجها بعد الطلاق منه :

تذكر احدى السيدات :

انها تزوجت وهى فى سن السادسة عشرة ، رجلا كبيرا ، ولم تشر الى سنه ··· واستمرت معه فى هذه الزيجة مدة ثمانى سنوات · ثم انفصلا بعضهما عن بعض بسبب عدم انجاب الأولاد · وفى الفترة التى قضتها معه حجت بيت الله الحرام · ولم ينقصها أى شىء مما تستمتع به المرأة وتسعى الى اقتنائه ·

والآن يرغب زوجها السابق فى أن يعيدها الى عصمته ·· بينما تقدم لها رجل آخر فى سن الخمسين وله أولاد من زوجة سابقة ·

وأمرها يدور فى الوقت الحاضر بين ثلاث حالات :

اما أن تعود الى زوجها السابق · ولكن على غير جدوى بالنسبة لانجاب أولاد منه وستظل كذلك طوال حياتها معه ؟

واما أن تتزوج أب الأولاد الذى قد تقدم لها كذلك · ولكنها تخشى أن تحدث مشاكل مع أولاده لا تستطيع مواجهتها ؟

واما أن تبقى بدون زوج ، رغم أنها فى سن الثامنة والعشرين · وبقاؤها من غير زوج وهى فى هذه السن تراه : ظلما لها ·

وتريد حل هذه المشكلة بحكم الدين والشرع ·

● من الوجهة الفقهية يجوز للسائلة أن تقدم على الزواج من أحد الرجلين : زوجها السابق ·· أو الرجل الآخر صاحب الأولاد · فليس هناك مانع شرعى من الزواج بأيهما · كما يجوز لها أن تظل من غير زواج ، رغم انها فى سن الثامنة والعشرين ·

والمفاضلة بين الرجلين فى اختيار أحدهما أجرتها فى اختصار · ومفادها انها لو عادت الى زوجها الأول رغم التجربة السابقة ـ وهى التجربة التى أظهرت حسن سلوكه ومعاملاته معها ـ لخاب أملها فى انجاب أولاد منه · والمرأة بحكم خصائص طبيعتها تحن الى الأمومة · بحيث تحس بنقص فى حياتها ، وفى استمتاعها بالحياة الزوجية ، ان ظلت بغير ولد منه · وهى تتلهف منذ اللقاء الأول معه على وجود طفل لها ، تمارس معه حنان الأمومة

والمرأة الأولى قلقة ·· لأن كل شيء كان بالأمس بين يديها ·· ينتقل اليوم الى يد غيرها ·· فالرجل ينتقل الى غيرها ، والمال ينتقل الى غيرها كذلك ·

والمرأة الثانية قلقة لأنها حريصة على أن تمسك كل ما يصل اليها حتى لا يعود الى مالكته بالأمس القريب ·

● ان ما ألم بالسيدة السائلة ، وبزوجها ، من وفاة أولادهما جميعا هو من فعل القدر ·· ولا دخل لارادة أى منهما فيه ·

فهل جربت السائلة أن تتوكل على الله ·· وتترك للمولى جل جلاله شأن ما نزل بها وبزوجها ؟ يجب ان لا تخدع نفسها وتخدع زوجها بما يدور فى تصورها من أوهام ·· ومن آمال كاذبة على نحو ما تقترح ·· وأن تعيش فى واقع حياتها ·

ان نعم الله كثيرة · وقلما تجتمع لواحد من الناس · والله الذى يعطى هو الذى يحرم · وعطاؤه خير ·· وحرمانه ليس بشر على الأقل ·

فاذا لم تعتمد على الله وتتوكل عليه فانها ستعيش فى قلق نفسى يزداد، وربما فى سخط على الناس جميعا وعلى الحياة ·· وبذلك يشتد حزنها ، وتزداد كآبتها ·

« لله ملك السموات والأرض · يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور · أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير » (١) ··

لنفرض انها كانت عقيما ·· لنفرض أن هذا الثراء الكبير الذى تعيش فيه لم يكن قائما · هل كانت تقترح على زوجها أن يتزوج بثانية عندئذ ؟ ·· هل كانت ستندم على ان زوجها لم يكن بالرجل الثرى ؟ ·

يجب أن ترضى بما قسم الله لنفسها ولزوجها ·· والعوض عند الله على ما فاتها من نعم الحياة ·· ولا يعلم أمر هذا العوض الا هو جل جلاله ·



---

(١) الشورى : ٤٩ ، ٥٠

وعلى العكس سيحس الزوج الحزين الآن باحساس الرضا والاطمئنان مع الزوجة الجديدة ٠٠ وسيبادلها عاطفة بعاطفة ٠٠ وسيستمع لشكواها من غيرة زوجته الأولى ٠ فالكآبة والحزن بقيا للسائلة صاحبة الاقتراح هنـا ، وحدها دون زوجها ٠

والزوجة الجديدة ؟ ألا تخلق مشاكل فى حياة زوجها بسـبب زوجتـه الأولى ؟ ٠٠٠ ألا تحاول أن تظهرها أمامه بمظهر العاجزة على الأقل للمشاركة فى حياة زوجية هادئة ٠

فاذا أتت الزوجة الجديدة بولد ٠٠ هل تسر الزوجـة الأولى بولادته ؟ هل ترضى نفسـيا مسـتقبلا عن أن يرث الولد تركة أبيه فى تجارته الواسعة والناجحة ؟ ألا تتحول غيرتها من الزوجة الجديدة الى حقد عليها ؟ ألا يكون هذا الحقد الدفين مصدر قلق وعدم استقرار للثلاثة : الزوجة السـائلة ٠٠ والزوجة الجديدة ٠٠ وزوجها معا ؟ ٠

● ان الزوجة السائلة والحزينة والمعذبة بحزنها ، كما تقول ، عندما تعبر عن اقتراحها بزوجة ثانية لزوجها : تعيش فى وهم ، وعلى أمل بعيد قـد لا يتحقق ٠ وهى تريد فقط أن تقنع زوجها بأن مصلحته فوق مصـلحتها ٠٠ وأنها تحرص على صحته ، وماله معا ٠٠ وأنه طالما تحققت مصلحته تكـون سعيدة فى ظل ما يتحقق منها ٠

وتنسى ذاتها ٠٠ تنسى انها انسانة وانها امرأة ٠٠ وتنسى ان ما كانت تتمناه فى حياتها مع زوجها قد ولى ولن يعود مرة أخرى ٠ فقد أدار القـدر لها ظهره ٠

تنسى انها امرأة يثير انفعالها : ان ترى ما كانت تستمتع به وحدها ـ وهو زوجها ـ قد أصبح شركة بينها وبين غيرها ٠ والشريك الجديد هو المميز عنده بحكم جدته ٠

تنسى انها امرأة يثير حفيظتها ويثير حقدها : ان مال الزوج ـ وقد كان له بريقه وله اغراؤه وتأثيره عليها ـ ينتقل برضاها أو عن كره منها الى الولد من الزوجة الثانية ٠

أين استقرار الأسرة بالزوجة الجديدة ، كما تقترح السائلة ؟

الزوج قلق لأنه لا يستطيع الحصول على رضا الزوجتين معا فى وقت واحد ٠

عرفت من الأطباء الذين يعالجونها : انهم يكادون يجمعون على انها لم تعد قادرة على الحمل مرة أخرى ·

ثانيا : انها بوفاة أولادها أصبحت وحيدة مع زوجها فى الحياة ·· وأصبحت الحياة كئيبة وحزينة بالنسبة لهما وفى نظرتهما اليها رغم ما هما فيه من سعة الرزق · ولم يعد لها أمل فى ان تنجب من زوجها ولدا آخر ·

وازاء عدم استطاعتها الحمل وانجاب الولد الآن ، فانها تقترح على زوجها للخروج من حياة الحزن والكآبة التى يعيشان فيها : ان يتزوج بواحدة أخرى · لعله ينجب منها ولدا أو أولادا يرثون ما هما فيه من رزق واسع فى التجارة · وهى اذ تقترح أن يتزوج زوجها واحدة ثانية معها ، تقترح ذلك برضاء نفسى واخلاص تام · ولكن زوجها يتخوف من أن الجمع بينها وبين زوجة ثانية ربما يؤدى الى عدم الاستقرار فى الأسرة ·

وتسال فى النهاية : ما هو الحل لازالة الوحدة والوحشة من حياتهما ؟ ·· وما هو السبيل للحيلولة دون ان يرثنا غيرنا ، اذا ظل وضعنا على ما هو عليه من غير ولد ؟ ·

● ومشكلة السائلة كما تصفها تتلخص :

(أ) فى حياة الوحدة ، والحزن والكآبة ، بسبب وفاة الأولاد ، وبالأخص : البنت الأخيرة ·

(ب) وفى القلق على مصير المال الخاص بهما بعدهما · لأنه لا يوجد من أولادهما من يرثه ، فينتقل الى الأقارب ·

● والسؤال الذى يوجه الآن الى السائلة : هل سيذهب الحزن أو يخف ·· وهل ستذهب الكآبة اذا نفذ الزوج اقتراحها فتزوج بأخرى غيرها وشاركتها حياة الزوجية ؟

هل ستستقر أمور الأسرة ويسود الاطمئنان الحياة العائلية اذا دخلت عليها امرأة أجنبية وأنجبت ولدا لزوجها ،وعاش هذا الولد يحمل اسم الزوج ورب الأسرة ؟

•

سوف تحس الزوجة السائلة الآن باحساس الغيرة ان ابتعد عنها زوجها ليعاشر امرأة أخرى فى منزل الزوجية · وسوف تزداد غيرتها ان ادخل زوجها هذه الزوجة الجديدة مجال العاطفة عنده ·

فى الاسرة · فاذا كانت هناك علاقة قربى بين الرجل والمرأة دفعت هذه العلاقة الى الربط بينهما عن طريق الزواج ، وان لم يكن هناك ميل نفسى بينهما : ميل المرأة الى الرجل ، وميل الرجل الى المرأة ، على أمل أن يوجد الميل فيما بعد · وقد لا يوجد الا ميل الكراهية · وبالأخص كراهية المرأة للرجل · وفى حديث خنساء بنت خدام الأنصارية : « ان أباها زوجها وهى ثيب فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله ﷺ ·· فرد نكاحها (أى فألغى عقد زواجها لانها أكرهت من أبيها على قبوله) » · ولا فرق بين الثيب والبكر فى الارادة والاختيار كشرط لصحة عقد الزواج ، الا فى التعبير عنه فقط · الثيب يطلب منها الصراحة فى التعبير ·· والبكر لحيائها يكتفى منها بالسكوت عندما يطلب منها الرأى ·· فيروى عن عائشة رضى الله عنها قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « البكر تستأذن ، قلت : ان البكر تستأذن وتستحى ، قال : اذنها صماتها (أى سكوتها) » ··

وربما الرغبة العنيفة فى تزويج الأقارب بعضهم لبعض تنسى الأطراف المعنية التنبيه الى الأسباب الشرعية التى تحول دون اتمام عقد الزواج ، كالرضاعة هنا ، أو تحملهم على السكوت عنها ·

● ولو ترك أمر بناء الأسر عن طريق الزواج الى الأمارات والحدود التى وضعها الاسلام لاختيار الزوج والزوجة ، وللأهلية والصلاحية لكل من الزوجين طبقا للمشورة التى يقدمها الحديث الشريف لما وجدنا تعثرا فى طريق التفاهم بين الزوجين ولكان هذا التفاهم يخطو خطوات فسيحة نحو الانسجام والتوافق بينهما ·· ولأصبح الزواج اطمئنانا وسكنى للنفوس ·· ومودة ورحمة بين الزوجين ، ولم يكن ضياعا وهما وبالأخص للضعيف منهما ·

★ ★ ★

١٢٩ ـ الزوجان ·· وعدم انجاب الأولاد :

من سيدة معذبة باحدى القرى تعرض مأساتها ، على النحو التالى :

أولا : انها تزوجت شابا تاجرا ، فى سعة من العيش ، وأنجبت منه أكثر من خمسة أولاد وفى كل مرة أتت فيها بمولود كانت تضطر الى اجراء عملية جراحية لانقاذ الجنين · وتوفوا جميعا فى أعمار تتراوح بين السنة ، والخامسة عشرة · وقد اثرت وفاة البنت الأخيرة ـ عندما بلغت الخامسة عشرة من العمر ـ فى نفسها وفى نفس زوجها تأثيرا كبيرا ، وبالأخص انها

وحديث الفقهاء عن استحقاق الزوجة لنصف المهر هو لغير المدخول بها ، لما جاء فى قول الله تعالى : « **وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن** (أى من قبل الدخول بهن) **وقد فرضتم لهن فريضة** (أى حددتم لهن مهرا) **فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح** (أى الا أن يتنازل الأزواج عن حقهم فى المهر عندئذ وهو النصف أو يتنازل أولياء الزوجات عن حقهن وهو النصف أيضا فيصير المهر كله لمن وقع له التنازل)،**وأن تعفوا أقرب للتقوى** (وتنازل الأزواج عن حقهم فى نصف المهر عندئذ لزوجاتهم المطلقات أولى بالتقوى وأقرب الى رضاء الله) ، **ولا تنسوا الفضل بينكم** (والواجب أن يتذكر الأزواج أن الاليق بهم أن يكونوا أصحاب فضل فيقع منهم التنازل لزوجاتهم السابقات عن نصف المهر) » (١) ..

● والرضاع الذى يحرم به ما يحرم من النسب فى الزواج هو ما كان فى الحولين : أى ما كان فى السنتين الأوليين ، ولا يقل عن خمس رضعات معلومات فى رأى جمهور الفقهاء . وتقبل شهادة المرضعة وحدها ، كما يجب العمل بها .

فاذا تأكد أن الزوج كان قد رضع خمس مرات على شقيقة زوجته التى تكبرها فالزواج باطل منذ العلم بذلك لأحد الزوجين أو لكليهما . ومن يعلم منهما واستمر فى الزيجة فقد عصى الله بممارسته المعاشرة مع الآخر ، فى غير علاقة شرعية .

● والسائل يسأل اخيرا عمن يحمل المسئولية فى هذا الزواج الفاشل وعما جلبه من الهموم النفسية للزوجة المغلوبة على أمرها .

الاسلام ليس هو المسئول عن ذلك . لأن الاسلام يبغض الاكراه فى كل أمر يأتى به الانسان . ومهما كان وضع ما يأتى به الانسان من القربى الى الله وهو على كره منه فانه لا يقبل منه جل جلاله .

فالاسلام فى العلاقة الزوجية يتيح الفرصة فى خطبة الزوج لزوجته للتعرف والحديث بينهما وتكون الاحساس والميل الى القبول أو الرفض . والمرأة عندئذ لها مطلق الارادة فى التعبير لولى أمرها ولأهلها عما تختاره . ولا يقع العقد صحيحا الا اذا كان طبقا لارادة الرجل والمرأة معا .

المسئول هنا عن فشل الزواج بين الاثنين فى سؤال السائل هو الام ، وأخوال الزوج والزوجة .. المسئول هو العادة المسيطرة على توجيه الرغبات

---

(١) البقرة : ٢٣٧

ولعل الشاب يعتبر بهذه المأساة الخلقية الاجتماعية فيختار صاحبة الدين والسلوك الطيب ان أراد زوجة وأما لأولاده ، وحافظة لغيبته ، ومصدر سرور له فى حضرته ٠

* * *

١٢٨ ـ الزوجة ٠٠ وأثاث بيت الزوجية :

مواطن من احدى القرى ، يذكر :

ان امرأة تزوجت وانجبت أربع بنات واخا لهم ٠ وتوفى عنهم والدهم ، وتحملت والدتهم الكثير من المتاعب فى سبيل تربيتهم الى أن اصبحوا جميعا قادرين على الكسب ، وفى سن الزواج ٠ غير ان واحدة من البنات اكرهت على الزواج من ابن خالتها ، كما اكره هو على الزواج منها ، دون أن تكون بين الاثنين علاقة ميل لكل منهما للآخر ٠ وقد أكرههما على الدخول فى العلاقة الزوجية اخوالهما وأم البنت ٠

وبعد الدخول بشهر واحد عادت البنت الى بيت اهلها ، مصرة على الطلاق من زوجها واتضح ان ابن خالتها ـ وزوجها الآن ـ قد رضع على شقيقتها التى تكبرها ، من امها ٠ وحكمت الأسرة بالفصل بين الزوجين على ان يقتسما بينهما مناصفة : أثاث الزوجية ٠

والمواطن يسال :

أولا : ما حكم الله فى هذه التسوية الخاصة بقسمة الأثاث مناصفة بين الزوجين ؟

ثانيا : ما حكم الزواج الذى عقد بين الطرفين ، بعد أن اتضح ان زوجها اخ لها فى الرضاع ؟

ثالثا : من هو المسئول فيما تم،بعد تحطيم قلب هذه الفتاة ومستقبلها ؟

● كما هو واضح من سؤال السائل هنا : ان البنت التى اكرهت على الزواج بمن لا تحبه قد دخل بها زوجها وأنه استمر معها فى المعاشرة لمدة شهر ، عادت بعده الى منزل أهلها تطلب الطلاق وطلقت بالفعل ٠ فهى زوجة مدخول بها تستحق المهر كاملا ، وهو ما يتمثل فى أثاثها ٠ والحكم اذن بقسمة هذا الأثاث مناصفة بينها وبين زوجها الذى هو ابن خالتها : حكم غير منصف للزوجة فى حقها شرعا ٠

على المؤمنين » (١) ·· ليبعد الانســـان المؤمن بالله أن يتخذ رفيق الحيـاة زوجا أو زوجـــة ، أو أم الأولاد ، ممن هو مشرك بالله أو ممن هو قد باشر فاحشة الزنا فالمشرك نجس فى اعتقاده ، ومن باشر فاحشة الزنا لا يؤتمن على شىء ما · لأنه انتهك حرمة العرض ، وهى أشد أنواع الحرمات للانسان عند الله ·

« **الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحهـــا الا زان أو مشرك** » ·· أى أنه لا يقبل على الزواج من زانية أو مشركة تؤمن بالوثنية ، الا زان أو مشرك ·· وكذلك لا تقبل على الزواج من زان أو مشرك الا زانية أو مشركة « **وحـــرم ذلك عـــلى المـؤمنين** » ·· أى أن المؤمنين بالله مـــن شأنهم أن ايمانهم يحول بينهم وبين اختيار الرجل لزانية أو مشركة ، واختيار المرأة لزان أو مشرك · وفى رأى بعض الفقهاء أن عقد الزواج لو تم بينهما يستمر ولا ينفسخ ، وان كانت هناك حرمة ومعصية فى الاقدام عليه ·

● فهل يبتعد السائل الآن عن الزواج بهذه المرأة بعد سماع هذه الآية الكريمة ؟ · أغلب الظن انه ان انقطع عنها فترة من الزمن سيعود اليهـــا من جديد فى غير عقد زواج بها · وسيكون وضعه معها مرددا بين الانقطاع عنها والعودة اليها · وهى تقبل عودته ولا تأسف على انقطاعه · فليســـت لها قيم انسانية تحرص على التمسك بها · بل هى صاحبة منفعة خاصـــة ان وجدتها لديه اقتنصتها منه ، وقت أن تتمكن منه ثم تتركه وشأنه ·

وأما هو ـ وقد ساءت سمعته ، وضعفت ارادته ـ فقلما يجد من تقبل على الزواج منه ، وهى صالحة فى ذاتها · لانها تخشى أن يعود الى المرأة السابقة · وهو حتما سيعود اليها بحكم انه ألف وضـــعها واعتاد عـــلى صحبتها · وضعف الارادة ليس له من الاستطاعة البشرية ما يخرجه عن الفه ووضعه المعتاد ·

واذن يستوى عند السائل أن يكون جوابنا بحل زواجها ، أو بتحريمه فسيظل بين بين · ولو فرض وانه ترك القرية وأقام فى مكان بعيد عنها فـــلا يلبث أن يتصل بهذه المرأة فى صورة ما · واذ أن عوامل الاقبال عليها عنده يوم أن أقبل عليها فى أول الأمر لا تتوفر مرة أخرى عند الاقبال على امـــرأة بعدها · وربما كان تشجيعها له فى أول معرفته به لا يوجد فى كمه ، وفى نوعه عند امرأة أخرى ، فاحتلت هى المكان الأول فى نفسه ولم تزل تحتله حتى الآن ·

وهذا ما يدفعه الى الاتصال بها بعد انقطاع ·

---

(١) النور : ٣

أولا : انها تكبره فى السن ٠

ثانيا : أن لها طفلا غير شرعى ٠

ثالثا : ان سـمعتها سيئة ، وهو يعرف ذلك عن قرب ، كما يذكر فى كتابه ٠

رابعا : انها تدخن ، وقد سبق لها الاتجار بالمخدرات ، وتمارسـها ان وجدت الفرصة ٠

وأصبح بسبب هذه العلاقة يكره نفسه ٠ وتشير عليه أسرته بأن يتزوج من هى فى سنه ومن متعلمة تعاونه فى الحياة ٠

ويسـأل الآن هل يتزوجها اذا كان ذلك هو الحـلال أم يتركها ويرضى بتركه اياها عملا بوصية اسرته ؟

● والسـؤال هنـا الـذى يريـد السـائل أن نجيب عليـه يصور لنا أن الشاب واقع تحت تأثير عاملين ، كل منهما يشده ويجذبه نحوه بقوة : واقع تحت عامل الاغراء فى معاشرتها ٠ فهى تكبره سنا ، ولها تجارب مع غيره فى المعاشرة والاختلاط ، وهو غر دفعه القدر الى أحضانها ، دون أن يتيقظ حتى هذه اللحظة الى واقع أمرهـا ٠ والعامل الثانى هو عامـل الأسرة وما تنصحه به ، وسـوء السـمعة وما يحاول أن ينقذ به سمعته ٠ وتردده فى قوله : « اما أن أتزوجها اذا كان هذا هو الحلال أو أتركها وأرضى أسرتى » ٠٠ يدل عـلى أنه لا يسـتطيع أن يتخلص من أحد هذين العاملين الواقع تحت تأثيرهما معا ، رغم ان الطريق الى الصواب واضح ٠ ولكنه يفقد الارادة التى يحسم بها مستقبل هذه العلاقة ٠

● امرأة يعترف السائل بأن سمعتها سيئة فى القرية ٠

وأنها تدخن وتتجر فى المخدرات وتمارسها ، ان واتتها الفرصة ٠

وأن لها طفلا غير شرعى ، وحامل ، لا يعرف انه هو صاحب الحمل ٠٠ امرأة هذا شأنها لا يتردد انسان عاقل فى البعد عنها والنجاة بسـمعته ، وبخلقه ، ودينه ، من الاتصال بها ٠

والقرآن الكريم اذ ينص فى قول الله تعـالى : « **الزانى لا ينكح** (اى لا يتزوج) **الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك**

مروءته ورجولته · انها يجب أن تعتقد ان ما وقع ليس شرا وليس طـــلاقها مصيبة كما يظن الكثيرون · ربما يكون طلاقها فى واقع الأمر تخليصا لهـا من شرور كانت فى الطريق اليها لو بقيت مع زوجها ·

أما المرأة التى اختطفت الرجل وتزوجته ·· فغالب الأحـــوال انها لا تسعد بالزواج به · لأن كلا منهما قد أثم فى حق شخص برىء ضـــعيف · وأما أسرة هذه الزوجة فسوف ينكشف لها سوء ما فعلت · وعندئذ ســتندم على ما قدمت من أضرار لانسان لم يملك الدفاع عن نفسه ·

والعدائل الذين يتزوجون من شقيقات التى رضيت بالزواج ممن خطفته أسرتها لها ليسوا بحاجة الى الانتقام من هاته الشقيقات · لانهم سيسيئون الى من لا ذنب لهن وليعاملون اولاء الشقيقات بالمعروف ، ويحسنون اليهن، ويتركون الأمر لله وحده ، انه يعلم السر وما يخفى ·· وهو القادر عـلى كل شىء ·

* * *

١٢٧ ـ الزواج بالثيب :

شاب : فى سن الخامسة والعشرين حاصل على دبلوم الصناعة وله أخوأخت كل منهما أكبر منه سنا ، وكل منهما متزوج ويسكن بعيدا عن منزل الأسرة بينما هو يعيش مع والده المسن ووالدته المريضة وأخته الصغرى فى احدى القرى ·

عاد من الخدمة العسكرية الى هذه القرية فتعرف عـلى ســيدة مات زوجها ، وتكبره سنا ، ولها ولد يبلغ الســت ســنوات · ومن كثرة تردده عليها كانت علاقته بها موضوع حديث بين أهل القرية · واضطر ـ كما يقول ـ الى أن يتزوجها أمام شاهدين من شبان أهل القرية · وربما كان زواجـه بها زواجا غير معروف لهم · ولكنه رغم هذا الزواج المشبوه لم يزل اهـــل القرية يتحدثون عنه وعن علاقته بهذه السيدة فانفصل عنها وتاب الى الله كما يقول ·

وتوفى والده وأصبح المسئول عن والدته المسنة وأخته الصغرى فى بيت القرية · وبعد فترة قصيرة من وفاة والده رجع الى هذه السيدة تحت تأثير اغرائها وعلم منها انها حامل وعاد الكلام عنهما مرة أخرى فأجمع افــراد أسرته على أن يبتعد عنها للأسباب التى يذكرها فى كتابه :

وطلاق المكره لا يقع ـ فلم تعد الزوجة السابقة وحدها هى صاحبة البيت كما كانت من قبل بل البيت شركة بينها وبين الزوجة الجديدة ·

الاسلام ينهى عن أن يخطب الرجل على خطبة رجل آخر قبله · أى ينهى عن أن يتقدم رجل لخطبة امرأة يعلم انها مخطوبة لغيره · لأن ذلك يؤذى نفسيا من تقدم من قبل للخطوبة وبالأولى ينهى عن أن يتقدم أحد لحمل الزوج على أن يطلق زوجته التى فى عصمته ، ليزوجه بواحدة أخرى غيرها كما هو موضوع الشكوى من السائل · ففى الحديث الشريف يروى عن ابن عمر : ان رسول الله ﷺ قال : « لا يخطب الرجل على خطبة الرجل حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب » ·· وفى حديث لأبى هريرة ان الرسول عليه السلام : « نهى ان يخطب الرجل على خطبة أخيه ، أو يبيع على بيعه ، ولا تسأل المرأة طلاق اختها (أى فى الدين) لتكتفىء ما فى صفحتها أو انائها (أى لتأخذ ما فى يدها وهو زوجها) فانما رزقها على الله » ··

فمنهى : أن يخطب الرجل خطيبة رجل سبقه الى خطبتها .

ومنهى : ان يبتاع رجل ما قد بيع من قبل لغيره ، فهو يدخل ليفسد عليه البيع أو يصعد عليه الثمن .

ومنهى : أن تسأل المرأة طلاق زوجة فى عصمة زوجها لتحل محلها ، وكأنها تغتصبه منها . وهذا الحديث يصرح بالنهى عما تم فى تطليق الزوجة المريضة وتزويج المطلق بامرأة أخرى تحت تأثير الاغراء أو الاكراه المقنع · وهى الحالة التى يسأل عنها السائل ·

● ان الوضع الذى يشكو منه السائل هو وضع حب الذات أو الأنانية · فأهل زوجته يؤثرون أنفسهم باختطاف الزوج من زوجته · ولو كانت فى صحة لكان هذا العمل شائنا مع ذلك · فما بالنا والزوجة تفتح عينيها على خراب بيتها ، بعد مرض هددها فى حياتها ·

ان الايمان باللهيحمل المؤمن على أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه · ولو أحب المؤمن بالله أخاه كما يحب نفسه وأحبت المؤمنة بالله اختها فى الايمان والدين كما تحب نفسها لما تساندت عوامل الشر فى أسرة زوجة السائل على خطف الرجل من زوجته المريضة ولم يمض على زواجها به أكثر من عام ·

الايمان بالله هو علاج هذه الزوجة التى طلقت وكانت مريضة ، يجب أن تتوكل على الله وتعتمد عليه فى السراء والضراء · انه سيتكفل بها وسيرزقها بمن هو أحسن من زوجها السابق : فى دينه ، وفى ماله ، وفى

ويذكر ان ابنة عمه تزوجت بشاب فى القرية ، ولم يمض على زواجها به سوى عام واحد حتى أصيبت بمرض وشفيت منه تماما · فما كان من أهل زوجة هذا السائل الا أن عملوا على أن يترك الشاب القروى زوجته التى مرضت ويطلقها ليتزوج بعديلة السائل · وفعلا طلق الشاب زوجته وهى فى حال النقاهة وتزوج بعديلة السائل (أى بأخت زوجته) ·

والسائل يروى أن هذا العمل اللاانسانى أثار حفيظة نفسه كما أثار الأزواج الآخرين من شقيقات زوجته ، ودفعهم جميعا الى التفكير فى معاملة زوجاتهم بالمثل انتقاما من تحريض أهليهن على هذا العمل الخالى من المسئولية والذى ينطوى على الأنانية وأصبح حديث القرية كذلك · ويطلب الرأى فيما عمل ·· وفيما العزم على عمله من أزواج شقيقات زوجته وهو طلاقهن ؟ ·

● زوجة مضى على زواجها عام واحد ، ثم مرضت وسرعان ما شفيت من مرضها ، واستغل أهل زوجة السائل فترة المرض ليدفعوا بشقيقتها لتحل محل المريضة فى الزوجية ، دون رعاية لحرمة أو حق انسانى للزوجة التى كانت مريضة ، وفعلا طلقها زوجها وتزوج بأخرى ·

وهنا الآن امرأة اكره زوجها اكراها مقنعا على تطليقها · وليس هناك من سبب لتطليقها الا أن يتزوج الزوج المكره من الأخرى · والأخرى هى شقيقة زوجة السائل وشقيقة زوجات عدائله ·

والسائل وعدائله غاضبون بسبب هذا التصرف الذى يعدونه شائنا ولا انسانيا ·

● السائل قد يكون غضبه بسبب أن المريضة هى ابنة عمه ·

وعدائل السائل قد يغضبون مجاملة للسائل · وقد يكون غضبهم جميعا بسبب ما تم تعبيرا عن اعتداء على ضعيف · وهو تلك الزوجة التى خرجت من مرضها البدنى لتواجه مرضا أسوأ منه · وهو مرضها النفسى بسبب تطليقها وزواج زوجها بأخرى عليها · كانت بالأمس زوجة ، أى كانت صاحبة أمل فى من يساندها فأصبحت الآن بدون رفيق لها ، على الأقل فى الوقت الحاضر ·

ان الاسلام اذا كان قد ينظر الى الزوج الذى طلق زوجته هنا ، على انه مكره على الطلاق اكراها مقنعا بسبب وسوسة أهل الزوجة الجديدة ـ

الموهوم . اذا كان مخلصا لله فى تدينه وعبادته يجب أن يبعد عن توهمه غواية الشيطان ويستقر فى خط الدراسة لينجح ويتفوق فى نجاحه . وعندئذ يجد دائرة أوسع يختار منها زوجته التى يعتقد أنها تتفق معه ، وأنها تشاركه الحياة المؤملة .

يخشى عليه الآن من الفشل فى الدراسة لو استمر يفكر فى الحل الذى « يحجز » به الزوجة المقبلة . ويخشى عليه كذلك من أن ترفض رغبته من جانب صديقه . وعندئذ تحدث القطيعة بينهما بجانب عدم تحقيق الرغبة التى يسعى اليها .

ان القرآن يصدق الانسان حقا ، عندما يضع أمامه الحقيقة واضحة . وهى أنه يستحيل على الانسان أن يجمع فى نفسه بين متناقضين كالايمان بشىء والكفر به فى وقت واحد ، اذ يقول : « **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** » (١) فهنا فى سؤال الشاب يستحيل أن يستوعب جوفه فى وقت واحد: التفكير الصافى فى سبيل تحصيل المعرفة .. والانقياد للغريزة فى سبيل احتجاز الفتاة التى يريدها .

ان قوة الغريزة ستجعل تفكيره مشوشا فلا يحصل من المعرفة المدرسية الا ما هو مشوش كذلك ، كى ينصرف فى سبيل دفع الغريزة الى ما تشتهيه النفس .

ثم أخيرا : الايمان بالله يفرض الايمان « بالقدر » والقدر سر لا يعلمه الا هو وحده وخيره موكول اليه سبحانه .

* * *

١٢٦ ـ تدخل الأهل فى التفريق بين الزوجين :

مواطن من احدى القرى :

يشير فى رسالته الى عادة شائعة فى كثير من الأسر فى مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة . وهى عادة حمل الرجل على تطليق زوجته لسبب من الأسباب ، واغرائه على الزواج بأخرى ، دون رعاية لمعنى انسانى أو لصلات أسرية قائمة ، ودون اكتراث باعتداء على حرمة الانسان أو حقوقه.

---

(١) الأحزاب : ٤

تحصيل المعارف فى المدرسة أمر مطلوب للنجاح فى الدراسة · والتفوق فى التحصيل أمر مطلوب للتميز بين الناجحين الذين يرغبون بعد التخرج فى مراكز وظيفية مرموقة ·

وتذكر الخطيبة أو الصديقة أمر مطلوب كذلك حتى لا تنسى · والاهتمام بها فى الاتصال يوميا أو أسبوعيا أو بين لحظة وأخرى أمر يدفع اليه الاعجاب ، والحرص على الاحتفاظ بها الى وقت الزواج ·

هل يمكن توزيع النشاط الفكرى للمعجبين والمعجبات بين الدراسة من جهة ، والمحبوبة أو الحبيب من جهة أخرى ؟ · هل تتسع النفس البشرية للأمرين ؟ · قد يجيب الشاب ·· وقد تجيب الشابة : بنعم · ولكنها « نعم » تعبر عن خداع وليس عن واقع ·

ان فترة المراهقة ـ وتقع فى الدراسة الثانوية ـ من أقوى الفترات فى حياة الانسان تأثيرا على توجيهه · فان استطاعت « الغريزة الجنسية » ـ وهى صاحبة السيادة فى هذا الوقت ـ ان تدفع بالفتى أو بالفتاة الى الجانب الآخر فقلما تكون هناك فضلة فى النشاط الفكرى للفتى أو للفتاة يوجه الى تحصيل المعرفة فى الدراسة · على معنى أن الشاب الذى يشغل بفتاة ·· والشابة التى تشغل بفتى ، قلما يكون لدى أى منهما تفكير دراسى منظم يساعد على النجاح فى الدراسة فضلا عن التفوق والتميز فيها ·

فالطالب فى فترة المراهقة يجب أن يوجه تفكيره فى تحصيل المعرفة ، وفى عبادة الله كذلك ، ليبعد عن نفسه غواية الشيطان بالجنس الآخر · وعبادة الله عندئذ تساعده على تركيز الفكر فى التحصيل والتفوق فيه · وكذلك يجب على الطالبة فى هذه الفترة أن تصنع ما يصنعه الشاب الذى يريد النجاح والتفوق فيه ·

والآباء الذين يوجهون أبناءهم فى المرحلة الثانوية الى المعارف المدرسية ويصحبونهم معهم كل أسبوع لأداء فريضة الجمعة ، يحسنون صنعا الى أبنائهم · وكذلك الأمهات اللاتى يبعدن « الدردشة » أمام الفتى المراهق أو الفتاة المراهقة : عن زواج بنت الجيران ، أو عن زواج ابن أخ ، أو بنت أخت ، يحسن صنعا أيضا فى المحافظة على تركيز النشاط الفكرى لأولادهم فى فترة المراهقة للدرس والتعليم ·

● ان الطالب الذى يسأل هذا السؤال فى هذه الرسالة يخلق لنفسه مشكلة ثم يسأل عن حلها · انه يتوهم ·· ثم يؤمل ·· ثم يحاول تحقيق الأمل

١٢٥ ـ مرحلة المراهقة مليئة بصور الخداع فى الآمال :

طالب فى الثانوية العامة ، باحدى المحافظات ، يروى مشكلته · وهى تتلخص :

أولا : تعرف على زميل له بالمدرسة وأعجب بخلقه ، وتوطدت العلاقة بينهما ، وكان يذهب الى منزله · وهناك رأى فى يوم من الأيام شقيقة صديقه ومال اليها · ثم ازداد هذا الميل عندما عرف عنها : انها متدينة وانها تعمل على عدم الاختلاط بغير المحارم ·

ولانه ارتبط نفسيا بصديقه وشقيقته أيضا فانه يؤثر أن يتقدم لخطبتها حتى تكون زوجته فى المستقبل ، بعد أن يتم دراسته العالية · ويرى أن التقدم لخطبتها هو السبيل الوحيد الممكن الآن · لأن تقاليدنا ـ كما يقول ـ لا تسمح بـ « الصداقة » كعلاقة بين الاثنين ·

وهو يسأل :

ماذا أفعل ؟ · لا أستطيع أن أتقدم اليها وأنا طالب · فلا أستطيع أن أقول لها ·· ولا أستطيع أن أقول لأخيها · اذ هو لا يظن أننى أحب أخته ، ولن يتقبلها بسهولة · اننى فى حيرة من أمرى ووقفت الآ دون حل ·

● طالب فى المرحلة الثانوية لم يتم تعليمه بعد ·· ويريد بعد الحصول على الثانوية العامة قيد اسمه فى احدى الكليات الجامعية · ومنذ الآن يريد أن يرتبط بفتاة يتزوجها بعد التخرج من الجامعة · وهى أيضا طالبة فى الصف الأول من المرحلة الثانوية · ويريد أن يرتبط بها عن طريق خطبتها · ولكنه لا يعرف ماذا يفعل ؟ ·

قصة من القصص اليومية المتكررة بين الشبان والشابات منذ ابتداء فترة المراهقة · الشاب يعجب بشابة لسلوكها أو لجمالها · وشابة تعجب بشاب لسلوكه أو لخفة روحه · ويريد كل منهما أن « يحجز » الآخر للتزوج منه بعد التخرج · اما عن طريق الخطبة ·· أو طريق الصداقة ان أمكن ·

والسؤال الآن لهؤلاء الشبان والشابات فى مرحلة التعليم الثانوى ، الولهين · والعاشقين ·· والمحبين · هل يمكن أن يوزع النشاط الفكرى ممن يعشق ويحب فى مرحلة الدراسة ، على تحصيل المعارف المتنوعة ، وفى الوقت نفسه ، على العلاقة الخاصة بين الاثنين ؟ ·

والجمال ذاهب لحاله ، فما يكون اليوم موضع فتنة قد يصبح فى غد مصدر نفرة · ويهدد الاسلام الزوج اذا لم يكن التدين هو العامل الفاصل فى اختيار الزوجة : بسوء العاقبة ·

وقد سئل الرسول عليه السلام : أى النساء خير ؟ قال : « التى تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمر ·· ولا تخالفه فى نفسها ، ولا مالها بما يكره » ··

كما جاء فى اختيار الرجل قوله عليه الصلاة والسلام :

« اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد » ·· قالوا : يا رسول الله ·· وان كان فيه ؟ (كذا أو كذا) قال : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، ثلاث مرات » ··

فالفقر لا يشين الرجل ·· والثراء لا يزينه ·· واذا أصبح الأمر بين التدين ، والغنى ، كما هنا فى سؤال الفتاة فصاحب التدين أفضل فى واقع الأمر من صاحب الثراء ، عند الله ، وفى واقع الأمر ·

مر رجل على النبى ﷺ فقال : ما تقولون فى هذا ؟ (يسأل الرسول بعض صحابته معه) قالوا : حرى ان خطب أن ينكح ·· وان شفع أن يشفع ·· وان قال أن يستمع (لأنه ثرى) ثم سكت · فمر رجل من فقراء المسلمين فقال (أى الرسول عليه السلام) : « ما تقولون فى هذا ؟ » قالوا : حرى ان خطب أن لا ينكح ·· وان شفع أن لا يشفع ·· وان قال لا يستمع · فقال رسول الله : « هذا (أى الرجل الفقير) خير من ملء الأرض مثل هذا (أى الغنى) · فآثر الرسول عليه السلام الرجل الفقير صاحب الخلق على الرجل الآخر الموسر ، فى أنه ان خطب تستجيب له الأسرة فى قبوله زوجا لفتاتها ·

الخلق ·· وحسن السلوك ·· وتحمل المسئولية ·· والمروءة ، من الصفات التى ترشح الرجل كزوج · وهى من صفات المتدين ·

فهل للأسرة أن تعى ما يقيها شرور العبث والفساد فى اختيار الزوج لبناتها ؟ · الحرص على الغنى بين الأزواج هو حرص على الضياع والهموم بين الفتيات ·



● مشكلة هذه الفتاة هى مشكلة كثيرات من أمثالها · يأتى الى الفتاة رجل متدين ، وآخر ثرى يستند فى حياته الى ثرائه فترفض الأسرة الفقير المتدين ، وتلح على الفتاة فى قبول الثرى صاحب المال · بينما الفتاة تريد العكس ·· تريد الفقير وترفض الغنى · ثم تتسع الهوة بين الأسرة وفتاتها حتى اذا خضعت الفتاة لضغط أسرتها وتزوجت من ترضاه الأسرة لها ودخلت به عادت من جديد الى بيت الأهل والأسرة ، بعد شهر أو عام على الأكثر ، غاضبة مصممة على عدم الرجوع الى زوجها مرة أخرى · وبذلك تخسر الأسرة وتسىء الى الفتاة بعد أن تسىء الى نفسها ·

● مع أن الاسلام يضع أهمية على رأى المرأة فيمن تختاره زوجا لها ، سواء أكانت ثيبا أى بكرا فولى المرأة فى عقد الزوج لابد أن يقف على رأى ابنته ان كان وليا لها ·· يقف عليه صراحة ان كانت ثيبا ويكفى السكوت بعد السؤال ان كانت بكرا · فيروى : « لا تنكح الأيم (أى لا يتم عقد الزواج على الثيب) حتى تستأمر (أى حتى يؤخذ أمرها واذنها) ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، واذنها سكوتها » ··

وفى رواية أخرى : « أن جارية (أى فتاة) بكرا جاءت الى النبى ﷺ ، فذكرت : أن أباها زوجها وهى كارهة ، فخيرها النبى ﷺ (أى أعطاها الخيار فى الانفصال عنه أو البقاء معه ·· أعطاها الخيار فى الغاء عقد الزواج وعدم اتمامه استجابة لرغبتها ·· أو فى الموافقة عليه) » ·· وعلى أية حال لم يكرهها على القبول ، كما تصنع الأسر الآن مع فتياتهن اليوم ·

● والاسلام كذلك وضع ضوابط للزوجة المحمودة ، وللزوج المحمود · فالاسلام يؤثر « التدين » فى المرأة والرجل على السواء ·· يؤثره على المال ·· والحسب ·· والجمال فى المرأة · فيروى عن الرسول ﷺ قوله : «تنكح المرأة لأربع (أى يقبل الرجل على الزواج بالمرأة لسبب من الأسباب الأربعة) : لمالها ·· ولحسبها ·· ولجمالها ·· ولدينها · فاظفر بذات الدين تربت يداك» ·· واذا كان العرف الشائع والميول التى تدفع الرجل الى الزواج بامرأة : اما من أجل المال فهى ثرية ·· وأما من أجل الحسب والجاه والشرف فهى من أسرة كبيرة أو كريمة كما يقال ·· واما من أجل جمال الوجه والقوام فهى تصلح لعرض الأزياء ·· واما للتدين : تعرف الله ، وتعرف طريق الاستقامة ، وحقوق الزوج ، وحقوق رحمه ، وحقوق الولد فى حضانته وتربيته ، وحقوق المنزل فى تدبيره وترتيبه ·· اذا كان العرف والميول فى الرجل تدفعه الى الاختيار من أجل سبب من هذه الأسباب فالاسلام ينصح الرجل : أن يختارها على أساس من التدين · فالمال ضائع · وقد يسبب كثيرا من المشاكل بين الزوجين · والجاه قد يمضى لسبيله ، فما يعرف اليوم من الحسب قد يكون فى غد حسرة ·

وهكذا أمام الله لا يوجد لهذه السيدة السائلة زواج برجل آخر غير زوجها الحالى • ولكن الأوراق الرسمية هى التى تشهد بوجود الزوج الأول• ولذا يستحسن الاستفسار عن حل من رجال القانون فى الأحوال الشخصية • وهى قد تابت الى الله فيجب أن تكون توبتها قد شملت المعاشرة غير الشرعية للص ماسح الأحذية •

ثانيا : أما التحدث الى الزوج الحالى عن هذا الماضى الشائن ، فلا ضرورة له ، طالما اتجهت الى الله سبحانه وتعالى بالتوبة الخالصة والتزمت بأداء العبادات واستقامة السلوك والاخلاص فى خدمة زوجها الحالى وابنها منه • الا اذا أحست منه انه يغفر لها الماضى البغيض اذا حدثته عنه • وهذا أمر تقدره هى وحدها فى علاقتها به •

* * *

١٢٤ ـ بين الثراء والتدين فى قبول الزوج ورفضه :

طالبة بمدرسة تجارية بإحدى المحافظات ، تذكر :

انها فى أثناء الدراسة بالمدرسة تقدم لها خطيب يعمل سائقا وعلى خلق فاضل ومؤتمن على دينه ، وليس له عمل آخر يدر عليه ربحا اضافيا • ورغم فقره فقد ارتبطت به نفسيا كما تقول :

أولا : لايمانه التام بالله سبحانه وتعالى •

وثانيا : لأدبه واحترامه لى •

ولكن الأهل لم يرغبوا فيه اطلاقا بسبب قصور ماله ، ووجود شخص آخر يعمل فى الفلاحة أكثر منه غنى وثراء ، ويريدنى أن أكون زوجة له وأنا غير راغبة فيه بتاتا • فلما تقدم هذا السائق لخطبتى طلب اهلى منه ألف جنيه مهرا ، تعجيزا له ورفضا بالتالى لزواجه منى • وهى لا ترغب فى الآخر بحال رغم ثرائه ، ولا تطيق ـ كما تذكر ـ أن تراه بعينها ، فضلا عن أن تعيش معه كزوجة وتسأل :

ماذا تفعل ؟

وما هو حكم الاسلام فيما أرى لنفسى وما تراه اسرتى لى ؟ •

فالمملوكة التى تعذب من سيدتها يأمرها الاسلام ببيعها والتخلص من علاقتها بها · والمستأجرة حرة ان أدت عملا أجرت عليه · ولها بعد أدائها اياه أن تترك المنزل وهى كريمة على نفسها وغيرها ·

ولكن من الأسف معاملة كثير من السيدات المصريات للفتيات فى خدمة منازلهن : تسهم فى تضخيم هذه المشكلة ·

● وما تسأل عنه الآن هذه السيدة التى هداها الله وخلصها من شرور الفتيان العابثين فى هذا المجتمع : فالقول فيه :

أولا : انها لا تستطيع لقاء زوجها الأول للمخاوف التى أبدتها فى تساؤلها · وهى مخاوف قريبة من الوقوع · وفى رأيى : انها فى زواجها كانت مكرهة على زواجه ، عندما عقد قرانه بها · فهل كانت تستطيع أن تقول: لا ؟ · ثم انها وهى بكر زوجت من غير ولى لها · أى من غير وجود أبيها وكيلا عنها · فيروى عن عائشة رضى الله عنها قولها : « لا نكاح الا بولى · وأيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ·· باطل ·· باطل · فان لم يكن لها ولى فالسلطان ولى من لا ولى له » ·· أى لا يصح العقد عليها بدون ولى لها · ووليها هو أبوها هنا · وبالاضافة الى عدم وجود أبيها فى عقد زواجها فان الشاهدين اللذين شهدا على قرانها بماسح الأحذية ليسا من العدول فى شىء · اذ هما شركاء فى جرائم السلب والسرقة والعرض ·

ومن جهة أخرى أن غاية الزواج فى هذا العقد ليست السكنى ·· والمودة ·· والرحمة، على نحو ما يقول الله تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة** » (١) ·· بل غايته : مشاركة الفتاة المكرهة هنا فى ارتكاب جريمة المال والعرض ·

فالاكراه ، وعدم الرضا مبطل لعقد الزواج · والفتاة كانت مكرهة وغير راضية ·

وعدم وجود ولى للبكر مبطل أيضا لعقد الزواج · وقد دخلت الفتاة عقد الزوجية بدون ولى لها ·

وعدم عدول الشاهدين فى نظر من يشترط وجود شاهدين فى عقد الزواج ، مبطل كذلك لعقده ·

---

(١) الروم : ٢١

٥ ـ ومحاولة يائسة أو بائسة من أولئكن الضعيفات الى الخروج من مصايد الجريمة ٠ وقلما ينجون بأنفسهن ، أو بقليل من الصلاحية للحياة الانسانية العادية مع الآخرين ٠

● ولو أن الأسرة المصرية كانت تعنى بمثل هذه الفتاة التى تشارك فى خدمتها ٠٠ وتجعلها تلمس حسن معاشرتها لها ٠٠ وحرصت على نظافتها فى ملبسها ، وراحتها فى نومها ، وأطعمتها مما تطعم منه نفسها ٠٠ وصانتها من أى انحراف يستهويها ٠٠ لو أنها عاملتها كما يطلب الاسلام لأسهمت فى حل هذه المشكلة الاجتماعية والأخلاقية ، بنصيب كبير ٠ فيروى عن أنس رضى الله عنه قال : خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لى : أف ٠ ولا : لم صنعت ؟ ٠٠ ولا ألا تصنعه ؟ ٠ أى لم يظهر عليه الصلاة والسلام له تململه ولا غضبه من شىء ما ٠٠ كما لم يعاتبه ويراجعه ويقل له : لم فعلت ٠٠ أو لم لم تفعل ٠٠ فأنس وهو صحابى رضى الله عنه كان مستأجرا فى خدمة الرسول عليه الصلاة والسلام أى أن العلاقة بينهما كانت علاقة أجرة على منفعة ، ولم تكن علاقة مملوك لمالك ٠

وجاء فى الأحاديث الخاصة بمعاملة الارقاء وهم المملكون لأسيادهم قول الرسول عليه الصلاة والسلام ٠ : « هم (أى الأرقاء) اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ٠٠ وألبسوهم مما تلبسون ٠٠ ولا تكلفوهم (أى بالعمل) ما يغلبهم (أى ما يجعلهم غير قادرين على أدائه) فان كلفتموهم فأعينوهم (أى شاركوهم فى أدائه) » ٠٠

كما جاء قوله عليه السلام فى معاملتهم أيضا : « اخوانكم فضلكم الله عليهم ٠ فمن لم يلائمكم فبيعوه ، ولا تعذبوا خلق الله » ٠٠

فليس عندنا فى مجتمعنا المصرى ارقاء ولا رقيقات ٠ وانما عندنا مستأجرون ومستأجرات على أداء منفعة هى خدمة المنزل ٠ والعلاقة بين الأسرة المخدومة والفتاة التى تقوم بخدمة المنزل هى علاقة أجر فى مقابل منفعة ٠٠ هى علاقة أبعد ما تكون عن التعذيب والقسوة فى المعاملة وأقرب ما تكون الى المودة والرحمة ٠ فهذا رسول الله ﷺ ـ وهو القدوة الحسنة لجميع المسلمين ـ لم يقل لأنس رضى الله عنه لحظة ما وهو يقوم بخدمته : ما يحس منه أنه غير راض عن خدمته ٠

فلا الايذاء بالقول أو باليد ٠٠ ولا الصراخ أو السباب فى وجه الفتاة المستأجرة فى خدمة المنزل ٠٠ ولا الاهانة بانتقاص حقها فى الراحة والمسكن ، والأكل والشرب : يرضى عنه الاسلام فضلا عن التعذيب والقسوة فيه ٠

وعادت الى الله مستغفرة نادمة على الماضى ·· وتتقرب اليه سبحانه بالصلاة والصوم وما يجب عليها من فروض العبادة ·

وهى تسأل الآن عما تصنعه لتصفى حياتها من اخطاء الماضى :

فهى لم تزل من الوجهة الرسمية زوجا للص ماسح الاحذية ، كما تقول ·

وهى الآن زوجة لرجل آخر وكونت معه اسرة جديدة · ومعنى ذلك انها زوجة لرجلين فى وقت واحد ·

وهذا ما ينكره الاسلام ولا يقره · وهى من اجل ذلك مهددة بالعقوبة والسجن ·

فهل تكاشف زوجها الحالى بأمر ماضيها مع ماسح الأحذية ؟ · انها تخشى ان يذهب استقرارها وتذهب الأسرة كلها مع ذهاب الاستقرار فى الزوجية ·

هل تذهب الى زوجها السابق تسأله الطلاق ؟ انها تخشى على نفسها منه وعلى الأقل تخشى أن يمسك بها ويعذبها ، ويدفع بها هذه المرة الى ما يسىء اليها اساءة تامة · فلا تعود الى اسرتها ·· ولا تعيش عيشة زوجية عنده تشعر فيها بآدميتها ·

● قصة هذه الفتاة هى قصة كثيرات من مثيلاتها فى مصر :

١ ـ فقر وحاجة تدفع بالفتاة الى العمل فى منزل أسرة من الأسر فى مجتمعنا المعاصر · وبالأخص فى منزل أسرة مسلمة ·

٢ ـ وقسوة فى المعاملة اللاانسانية من الأسرة المخدومة للفتاة الصغيرة ، الفقيرة ·

٣ ـ وهرب من منزل الأسرة المخدومة : بسبب سوء المعاملة : الى أوكار الشياطين من الانس ، وهم المنحرفون من الصبية والشبان والعابثون بالقيم ، والذين يعيشون على استضعاف الضعيفات ·

٤ ـ ووقوع فى منعطفات اللاأخلاقية ، وانزلاق فى مزالق الانحراف والفساد التى تصعب العودة منها ·

والمشهور من مذهب الشافعى وجماعة من اصحابه : أنه لا يصل الى الميت ثواب قراءة القرآن اذ القرآن كتاب « هداية » من الله · وهدايته فى العمل بما جاء فيه · واذا قرئ فيقرأ على أحياء يستمعون له لعلهم يطبقون ما أوحى به الله لرسوله الكريم وسجل فيه ·

* * *

١٢٣ ـ زلة البنت فى شبابها وتوبتها الى الله :

سيدة من احدى المحافظات ، تذكر :

أنها كانت فتاة صغيرة تعمل عند أسرة فى القاهرة · وأن هذه الأسرة كانت تعاملها معاملة قاسية · فطلبت من والدها أن يبحث لها عن عمل فى أسرة أخرى ، فرفض · لأنه فى حاجة ماسة الى الاجرة التى تحصل عليها من الأسرة التى تعمل فيها ·

وتحت ضغط القسوة فى المعاملة تركت المنزل والأسرة معا · وهامت على وجهها دون أن تعرف هدفا لها · الى أن وصلت الى حديقة الازبكية · وهناك التقت بمجموعة من الفتيات العابثات ، وأغرينها على أن تعمل معهن فى بيع « اللب » بالنهار ·

وفى مساء اليوم اصطحبنها الى مكان ما فى الجيزة وألقين بها فى يدى مجموعة من الشبان المنحرفين · فأخذها واحد منهم : يذكر انه ماسح احذية ـ الى المأذون وعقد عليها قرانه بشهادة اثنين من افراد هذه المجموعة · واحتفظ بوثيقة الزواج عنده · ثم طلب فى الوقت نفسه أن تباشر العمل فى النشل والسرقة · وربما فى الاتجار بعرضها · وكان يعذبها ويشتد عليها فى التعذيب ان قل ايرادها عن مبلغ معين ·

وتحت وطأة التعذيب هربت منه ، وهى لم تزل من الوجهة الرسمية زوجة له · والتقت بوالديها مرة أخرى · وقصت لهما قصة زواجها فلم يصدقها والدها · وزوجها من ابن عمها · ولكن عندما اكتشف ابن عمها انها لم تكن بكرا ، وعندما اصرت على اخفاء حقيقة أمرها عنه ، عملا بوصية والدها ، طلقها بعد الضرب والاهانة لها ·

● وبعد الطلاق منه انتقلت مع والديها واخوتها الصغار الى بلدة بعيدة لا يعرفهم فيها احد · وهناك زوجها والدها برجل صالح ، كما تذكر هى · فابتدأت حياتها فى الاستقرار ورزقت منه بولد له من العمر سنة واحدة ·

فالرسول عليه السلام ينهى هنا عما كان من الشيطان ·· فى الحزن على الميت · وهو ما يتمثل فى فعل اليد من اللطم وشق الجيب ·· ويتمثل فى قول اللسان من الصراخ والعويل والنداء بالهلاك والخسران · ولكنه لا ينهى عن البكاء الصامت · وهو ما سماه ببكاء العين والقلب ·· لأن هذا أمر بشرى لا يستطيع الانسان رده · ثم فى الوقت نفسه تعاطف وتراحم بين الناس بعضهم مع بعض ·

فما كان من الطبيعة البشرية أمر مشروع · وما كان خارجا عن حدودها فهو غير مشروع · وكذلك ما يعمل للموتى : ان كان أمرا عاديا طبيعيا كقراءة الفاتحة له ، أو زيارة قبره من وقت لآخر فذلك جائز للرجل والمرأة · وأما ان كان أمرا مبالغا فيه ، كاقامة سرادق للمعزين يستأجر فيه المقرئون لكتاب الله ·· واعادة ذكرى وفاته يوم الاربعين ·· وزيارة قبره فى ايام معينة أو فى شهر معين من السنة : فذلك بعيد عن سنة الاسلام ·

ان سنة الاشتراك فى تشييع جنازة الميت : لعبرة الحى بالميت ·· وأن زيارة قبره من وقت لآخر بحيث لا تشغل هذه الزيارة الزائر عن اداء واجب عليه ، هى أيضا لعبرة الحى بالميت ·· هى لتذكر الانسان الحى بما انتهى اليه أجل الانسان بالأمس ، وهو الموت · ولذا : عليه أن يسلك المسلك الانسانى المهذب فى حياته ، طبقا لما أتى به الاسلام فى تعاليمه · اذ المصير واحد ، لا مفر منه ·

ولكن لم تقصد سنة الاسلام بالنسبة لما يؤدى للميت : تقديسه ·· ولا اعلان تعظيمه ولا تحمل وزر المعاصى عنه ·· ولا تجميد الأحياء حوله ·· ولا ربط حركاتهم فى الحياة بذكراه ·

فأهل الزوج قد يختلفون مع الزوجة السائلة فى عواطفها نحوه وهو حى ·· وفى حرصها أو عدم حرصها على مصلحته ·· وفى رغبتها أو عدم رغبتها فى الزواج من غيره ·

ولكنهم لا يستطيعون بنقدهم الذى يوجهونه اليها : أن يصفوها بالابتعاد عن تعاليم الاسلام : فى عدم اقامة السرادق للمعزين واستئجار القراء فيه ·· وفى عدم الحزن عليه بلطم الخدود وشق الجيوب ·· وفى الزيارة فى ايام معلومة لقبره ·

وما تسأل عنه السائلة هنا من جواز الصدقة من الولد لأبيه المتوفى فالمعروف بين جمهور الفقهاء : ان الصدقة من الولد تلحق بالوالدين بعد موتهما ، بدون وصية منهما ويصل اليهما ثوابهما ·

(٣) وانها لم تذهب كذلك الى المدفن : أيام الخميس ٠٠ وفى شهر رجب ٠

وهى تقول : انها تعتقد أن ذلك غير مجد ٠ وتؤثر التصدق عليه وتسال رأى الدين فيما يعاب عليها هنا من الأهل ٠ وعن حكم الصدقة من المعاش الذى تصرفه الدولة لها ٠ وهو المعاش الذى تركه لأسرته : زوجته ، وولده منها ٠

● أما ان أهل الزوج اتهموا الزوجة السائلة هنا بأنها قتلته فربما للظرف الذى مات فيه فجأة بالذبحة الصدرية ، وللوضع الذى وجد عليه ٠ فهى لم تقتله على سبيل الحقيقة ٠ ولكن ربما أغرته بنفسها بعد العشاء مباشرة ٠ وهذا أمر لا حكم عليه لانسان أجنبى عن الزوج والزوجة ٠

● وأما انها لم تسلك فى الحزن عليه يوم وفاته مسلك الكثيرات والكثيرين من لطم الخدود ٠٠ وشق الجيوب ٠٠ ورفع الصوت فى البكاء والنياحة عليه ، فالاسلام يزكى مسلكها ٠ اذ قد ورد عن ابن مسعود : ان النبى ﷺ قال : « ليس منا من ضرب الخدود ٠٠ وشق الجيوب ٠ ودعا بدعوة الجاهلية » (١) ودعوة الجاهلية هى النياحة ، والويل ، والثبور : أى الهلاك والخسران ٠ فمثل هذه الامور كتعبير عن الحزن على الميت قد تصل **بالانسان الى الشرك بالله ٠ فمهما** بلغ الانسان من القيمة فى حياة أهله فانه لا يخرج عن كونه انسانا لا يفعل لهم الا ما يريده الله لهم ٠ فتعظيم فقده باليد كلطم الخدود ، وشق الجيوب ٠٠ وباللسان كالنياحة والولولة : يسىء الى الايمان بالله وحده ٠ فهو سبحانه الخالق ، لا سواه ٠ وهو صاحب الملك والتدبير **فى هذه** الحياة ، ولا ما عداه ٠ وفى حديث عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ فبكت النساء ٠ فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال : « مهلا يا عمر » ٠٠ ثم قال (موجها الكلام الى النساء) : « اياكن ونعيق الشيطان » (وهو النواح والصراخ) **ثم قال : « ما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة ، وما كان من اليد** (كشق الجيب واللطم) واللسان (كالصراخ ودعوى الويل والثبور) **فمن الشيطان » (٢) ٠**

---

(١) نيل الاوطار : جـ ٤ ص ١١٠ ٠

(٢) نيل الاوطار جـ ٤ ص ١٠٥ ٠

هذا الولد سيتربى يتيما من غير أب · وهذا التصور الخاطىء هو سبب القلق والحزن فى حياة الزوجين معا ·

واعتقادهما فى هذا التصور الخاطىء ينطوى على الشرك بالله · وهو أن هناك انسانا يعلم ما يأتى به الغد · وهذا الانسان هو تلك المرأة الأجنبية ·· والعلم بما يأتى به الغد هنا هو أن الزوج سيموت وأن ابنه سيتربى يتيما · بينما القرآن يجعل علم ما يأتى به الغد لله وحده فيقول : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير » (١) ·

فما يأتى به الغد لأى انسان لا يعلمه الا الله وحده ·

● وليطمئن السائل وليعش فى ظل الايمان بالله وحده · فقد أنقذ القرآن الكريم البشرية كلها من ظلام الخرافات ، والأوهام ، والدجل ، واللعب بعقول الناس وبتحريك نفوسهم نحو الهواجس والضلال والحيرة فى حياتهم : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » (٢) · والتوكل على الله هو السبيل الى عدم تأثرهم بغير ما أتى به كتاب الله ·

★ ★ ★

١٢٢ ـ قدر الله لابد أن ينفذ :

سيدة من احدى المحافظات تقول :

أن زوجها توفى فجأة ·· وأنها لم تعلم أهله بالوفاة الا بعد فترة من الوقت غيرت فيها ملابسه والفراش الذى مات عليه ، اذ كان جنبا ، كما تقول ·

وعندما حضر اهله اتهموها بقتله ، رغبة فى التخلص منه والزواج من غيره · فقد كان هو فى سن التاسعة والثلاثين ، وهى فى الخامسة والثلاثين من عمرها · وهى تباشر عملها فى التدريس · ومن اسباب الاتهام :

(١) انها لم تقم سرادقا للمعزين ·

(٢) وانها لم تلطم الخدود ·· ولم ترفع الصوت بالنواح والبكاء عليه·

---

(١) لقمان : ٣٤ · (٢) ابراهيم : ١ ·

والايمان بوحدة الألوهية ينفى الشريك اذن مع الله فى الوجود ، وفى حياة الانسان على الخصوص . فليس هناك ساحر .. وليس هناك كاهن .. وليس هناك جن .. وليس هناك شيطان مارد أو غير مارد : يدخل فى حياة الانسان بفعل ما . هو الله وحده : الفاعل والخالق .

وجاءت فى القرآن الكريم سورة مستقلة هى سورة الجن لتبطل الكهانة التى كانت شائعة على عهد رسالة المصطفى ﷺ ، ولتؤكد أن « علم الغيب » يستقل به الله جل جلاله وحده ، لا يعلمه الا من أذن له الرحمن من رسول بشر ، أو ملك . فتختم هذه السورة آياتها بقول المولى سبحانه : « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا** » (١) .

فهذه الآيات الثلاث التى تختم بها هنا سورة « الجن » آياتها تفيد : أن على المؤمن بالله وحده : أن لا يتصور أن هناك أحدا غير الله يعلم الغيب وما يجد فى حياة الانسان غدا .. وأن على المؤمن بالله وحده من أجل ذلك : أن لا يصدق ما يقال له من : عراف .. أو منجم .. أو ضارب الحصى .. أو كاتب الأحجبة .. أو من ممارس للشعوذة والسحر أو من أى دجل فى صورة ما .

رسالة القرآن فى الدعوة الى الايمان بالله وحده تريد أن تبعد المؤمنين بعدا تاما عن الاعتقاد فى الخرافة .. وأن تجعلهم يعيشون فقط فى مجال العقل .. ومجال العلم واليقين .. ومجال الهداية الالهية فى كتاب الله الكريم ، فى السلوك والمعاملة .

فاذا وسوس الشيطان لحظة ما فى نفس أى انسان .. فعليه أن يستعيذ بالله بقراءة المعوذتين ، ويكل بعد ذلك أمره الى الله فتعود اليه طمأنينة الايمان بالله وحده .

● والزوج السائل الآن يقع تحت تأثير تصور خاطىء .. وهو أن ما أخبرت به المرأة الاجنبية زوجته فيما تخيلته من رؤية فى اليقظة سيقع فى مراحله التى تنبأت بها ، بعد أن جاء المولود الآن التى كانت حاملا فيه : ذكرا . والمرحلة التالية لها هى أن الزوج ، وهو والد الولد سيموت .. وأن

---

(١) الجن : ٢٦ ـ ٢٨ .

أية حال عادة سيئة تشد المراهق الى المرأة باستمرار ولو فى التخيل ، وتحول بينه وبين التفرغ لما هو جاد فى حياته ·

* * *

١٢١ ـ وسوسة الشيطان فى توجيه الانسان :

مدرس باحدى المحافظات ، يحكى :

أن زوجته ذات ليلة ـ وهى حامل فى الشهر السابع ـ صرخت قبل النوم بلحظات فجأة ، وبكت · فلما سئلت منه قالت : انها لا تستطيع أن تسكن هذه الحجرة · وذكرت ان السبب فى بكائها : أنها رأت وهى جالسة معه على السرير ، امرأة أخرى واقفة أمامها تقول لها : ان ابنها الذى تحمل فيه سيتربى يتيما ·

وانتقل هو وزوجته للسكنى عند والدته · واطمأنا معا نفسيا الى أن ولدت ابنها وعندئذ عاودها الخيال مرة أخرى · وتنتظر من وقت لآخر : أن زوجها سيموت وأن ولدها سيتربى يتيما · وكذلك توجس الأب ـ وهو الزوج ـ خيفة من قرب منيته · ويحس ـ كما يذكر ـ أن قلبه يخفق ·

ويسأل الآن وعمر ابنه شهران : هل سيموت ويترك ابنه يتربى يتيما ؟ · أم سيبقى على قيد الحياة ويربيه ؟ ·

● دعا الاسلام الى الايمان بوحدة الالوهية ·· وأن الله واحد لا شريك له ، لكى يخلق عند المؤمن بالله جوا نفسيا يعيش فيه وهو مطمئن الى ان الفاعل فى الكون كله هو الله وحده ·

فهو الذى يخلق الانسان ·· وهو الذى يحدد كون المخلوق ذكرا أو انثى ·· وهو الذى يحدد له رزقه فى الحياة ·· وهو الذى يقدر له أجله ·· وهو الذى يتوفاه ان حل أجل موته ·· وهو الذى يحفظ له الحياة ان كانت له بقية من العمر ، مهما تكاثفت عليه عوامل الفناء ·

وهو القائل : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » (١) · أى ليس هناك فى الوجود انسان ما يموت الا بارادة الله وحده ، والا بعد أن ينتهى أجله فى علمه سبحانه وتعالى ·

---

(١) آل عمران : ١٤٥ ·

التحفظ وعدم ترويج أمر سيء خاصا بامرأة ، رغبة فقط فى اشاعة الفاحشة بين المؤمنين . واذن أيضا لم يكن الصديق مذنبا ولا جبانا عندما كتم الأمر مع شقيقته .

● ولكن يأتى بعد ذلك مع الصديق أمر آخر . وهو أن يعلم عندما حرم الاسلام « الاختلاط » لغير المحارم لم يستثن الأصدقاء . وانما « الاختلاط » لمآسيه الكثيرة كان بوجه عام منكرا فى العلاقات بين الرجال والنساء ، فى نظر الاسلام . كيف يبيح الصديق لصديقه وهو شاب : أن يدخل منزله وأن يرى شقيقته ويتحدث اليها وتتحدث اليه عدة مرات ، وهى شابة أيضا ؟ كيف لا ينتظر مع كثرة التردد وتبادل الأحاديث : ان لا يحدث ميل بين الصديق وشقيقته وأن لا تحدث رغبة فى اللقاء المتكرر بينهما ، رغم أنه معقود قرانها على شخص آخر ؟ . ان عفة الشاب ، وكذلك عفة الشابة فى بعد كل منهما عن الآخر .. فى عدم الاختلاط بين الاثنين . ولكن أن يباح لهما الاختلاط ، ثم يطلب منهما العفة وعدم الميل الغريزى من كل منهما للآخر فذلك هو الأمر الذى قلما يقع . وعقد القران على شخص آخر ليس مانعا من وقوع الفاحشة عند الاختلاط .. والزواج بالفعل ليس أيضا مانعا من وقوع الفاحشة عند الاختلاط .

الاختلاط مركز الجذب بين الرجل والمرأة . وعلاقة السوء بينهما عند الاختلاط موقوتة فقط بالظروف التى تيسر لهما الاتصال . كما حصل الآن فى سؤال السائل من مبيت الصديق فى منزل صديقه .

فهل نكون مسلمين لمصلحتنا ، ومصلحة أسرنا ، ومصلحة اولادنا ؟ . هل نلتزم بالحلال والحرام فى السلوك والمعاملات ، اتقاء لكوارث الحياة التى قد تصيب المقاتل منا .

* * *

● ليست العادة السرية هى اللواط . وما جاء فى القرآن من قول الله تعالى : « **واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ، فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما،ان الله كان توابا رحيما** » (١) .. يراه بعض المفسرين خاصا باللواط، وعقبوته التعزير . والتعزير أدنى من الحد ، ويترك تقديره للحاكم . وقد عبرت عنه الآية هنا بالايذاء فقالت « **فآذوهما** » وينفذ تعزير الحاكم لهما اذا لم يتوبا . فان تابا : سقط عنهما بتوبتهما التعزير . وهو عقوبة الايذاء والتى يقدرها الحاكم .

أما مباشرة العادة السرية فيختلف الأطباء فى تقدير ضررها وعلى مقدار ضرر هذه العادة لصحة المراهق أو المراهقة يكون حكم الله . وهى على

(١) النساء : ١٦

كما يسأل سؤالا آخر :

ما رأى الدين فى العادة السرية التى تفشت بين الشباب هذه الأيام ؟· وهل معناها فى القرآن : هو اللواط ؟ · وهل هناك أحاديث صحيحة بشأنها ؟ وما عقاب فاعلها يوم القيامة ؟ ·

● ما فعله الزميل مع صديقه من مقاطعته وطرده من المنزل ، ومن عدم اثارته جدلا معه حول الفحش الذى ادعى أنه ارتكبه مع شقيقته تسترا على عرضها ، وبالأخص أنه معقود قرانها على شخص آخر : يعتبر مقبولا وقت الحادث · لأن اثارة ضجة حول الموضوع كانت ستنتهى بعذر مـا من الصديق ، بالاضافة الى اشاعة الأمر بين الجيران وغيرهم ، مما قد يفسر بما يسىء اساءة بالغة الى شقيقته فى مستقبلها وفى علاقتها بزوجها المقبل · وقد جاء فى أدب القرآن ، خاصـــا بحادث الافك قول الله تعالى : « **ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** » (١) · ·· فقد روج بعض الحاقدين من اليهود على الرسول محمد عليه السلام وعلى السيدة عائشة رضى الله عنها ، وأبيها أبى بكر رضوان الله عليه : اشـــاعة ســـوء عن عائشة بشخص آخر أثناء تغيبها عن القافلة فى البحث عما فقد منها ، فجاء نصح القرآن للمؤمنين جميعا ، ما تضمنته الآية السابقة من عدم الخوض فى موضوع لم يتأكد ولم تقم عليه بينة ·

وكان الأولى بالمؤمنين أن يتجنبوا الحديث فيه اطلاقا ، وأن يصـفوه من أول الأمر بأنه كذب محض : « **سبحانك هذا بهتان عظيم** » ··

وطبعا لا يقاس موضوع شقيقة الصديق فى هذا السؤال على موضوع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها · ولكن فقط ما تعطيه الآية من علاج لاشاعة فحش عن مسلمة ، ليس هناك دليل قاطع عليه·وهذا العلاج يكون فى عدم نشره واعتبار ما قيل أمرا غير مؤكد ، لم تقم عليه بينة وهى شهادة أربعة شهداء : « **فاذ لم ياتوا بالشهداء ، فأولئك** (أى المروجــون لأشاعة السوء) **عند الله هم الكاذبون** » (٢) ·

ثم تأتى فى آخر آيات الافك : النصيحة العامة فى قوله تعالى :

« **ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخره ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » (٣) · واذن ينبغى للمؤمن

---

(١) النور : ١٦ (٢) النــور : ١٣ ·

(٣) النور : ١٩ ·

فى الأسرة : كل عضـــو من أعضائها يسعى لنفسه · وقلما يشرك فى مسعاه الخاص : منفعة أخ أو أخت له · ربما يتبادل الأعضاء فى الأسرة : المنفعة بينهم · ولكن لا يقدمها لغير ذاته ، واحد منهم · وهنا زوج السائلة غير ملوم ، وغير مذنب ، وغير مصدر ضرر لزوجته حتى تفكر فى الطـــلاق أو تسعى اليه ، منه ·

● وزوج السائلة يعاتب فى شىء واحد فقط · هو أنه ربما قصر فى توضيح موقفه لزوجته من حادث السرقة · كان يجب أن يوضح لها : أن لا سلطان له على أولاد أخته ·· وأن الاتهام لهم بالسرقة من غير دليل قاطع لا ينبغى أن يوجه منه اليهم · لأنه عندئذ سيكسب فقط عداوتهم ، دون أن يعاد اليه المال المسروق ·

لو أن زوج السائلة ترك زوجته وحدها تتقاضى من أجل سرقة مالها : اناســـا أجانب عنها وعن زوجها : لكان ملوما ·· ولكان اهماله خيبة أمل لها ، كما تقول ·

ولعل السائلة يمكن أن تفهم الآن وضـــع زوجها بينها وبين أقاربه ، فتهدأ نفسها وتعود الى علاقتها الوثيقة به ، كما كان الأمـــر من قبل · والله يعوضها خيرا عما سرق منها من مال · ولكن لا ينبغى أن يكون المال المسروق سببا فى تطليقها من زوجها ، كما تريد ·

★ ★ ★

١٢٠ ـ السفور والاختلاط والأثر السيىء فى العلاقات :

يروى مواطن من احدى القرى ، قصة لزميله ، ويقول :

ان زميله كان يثق فى صـــديق له ثقة كبيرة ، وائتمنه على كل شىء · وكان يتوسم فيه الشهامة والرجولة حتى تركه يتردد عليه فى منزله · الى أن حدث ذات ليلة : ان الصديق كان موجودا بمنزل الزميل ·· واستيقظ هذا الزميل من نومه ليرى صديقه يداعب بدن شقيقته · فلما أحس به الصـــديق قطع مداعبته لشقيقته ، وكان أمرا ما لم يحدث · وهنا تجنب الزميل ان يثير مع صديقه شـــغبا أو جدلا ، تسترا على ما حدث · واكتفى بأن ابعده ·· وضرب شقيقته ضربا مبرحا · فهى معقود قرانها على شخص آخر ·

ويسأل : هل ينطبق على زميله : بسبب تستره وعدم اثارة الأمر الشائن مع صديقه ـ أنه ديوس ، يحـــرم عليه دخول الجنة ، رغم أنه غيور عـــلى عرضه ، ولم يحدث أن فعل بفتاة أخرى مثل ما فعله صـــديقه الخـائن مع أخته ؟ ·

● زوج السائلة قطعا فى حرج · لا يستطيع أن يكون بجانب زوجته ضد أولاد أخته ·· كما لا يستطيع أن يكون مع أولاد أخته ضد زوجته ·

فلو شارك زوجته فى طلب عقوبة السرقة لأولاد أخته : لأغضب أخته ، وأولادها ، ولنقلهم من أن يكونوا من عصـــبيته الى أن يكونوا أعداء له ، ولزوجته معا · وربما تكون عداوتهم عندئذ لزوجته عداوة مريرة · ولو تغاضى عن حادث السرقة ولم يشجع زوجته على مقاضاتهم ولم يقف فى صورة ما الى جانبها لأعدت موقفه اهمالا منه لشئونها الخاصة ، وعدم اكتراث لمـا يصيبها من أذى · وبالأخص على يد أقربائه ·

والحكمة هى فيما سلكه الزوج من موقف شبه حيادى ·· وان كان فى نفسه ضد أولاد أخته ، ويكون حكيما أكثر لو وعد زوجته بأن يدبر لها المبلغ كله أو بعضه · ويسدل بذلك ستارا على أمر بغيض بين أسرته وأقربائه · هل يفعل ذلك ؟ · ان فعله يتوقف على أمكانياته المادية ·

● أما ان السائلة لا تريد العيش مع زوجها ، وتسأل عن الطـــلاق منه : هل هو حلال ·· أم حرام ؟ · بسبب موقفه الذى تعتبره سلبيا بالنسبة لها : فليست الحياة الزوجية بهذا اليسر فى قبول التفكك ·

ان الطلاق شرع فى الاسلام لتجنب الضرر على أحد الزوجين أو كليهما معا · فأى ضرر أتى الآن ـ بسبب حادث السرقة ـ من الزوج لزوجته ؟ · أى ذنب ارتكبه الزوج ضد زوجته باعتداء أولاد أخته على مالها ؟ · هل وزر هؤلاء واعتداؤهم يكون وزرا واعتداء من الزوج عليهـــا ·· أو يكون هـو صاحب المسئولية ؟ · ان قرابة الزوج للمعتدين من أولاد أخته : لا تنقل اليه الجريمة ·· ولا المسئولية عنها ·· ولا اللوم والعتاب عليها ·

ربما كان يمكن ـ وكان ينتظر ـ ان تكون هذه القرابة وقاية من اعتداء أولاد أخته على مال زوجته ·· كان يمكن أن تكون مانعا وليست بسبب موجب للسرقة منها · ولكن هل كان فى امكان الزوج أن يجعل من اقربائه « حماة » لحرمات أسرته فى المسكن ·· وفى المال ·· وفى العرض ·· وفى النفس ؟ ·

ان مجتمعاتنا الاســـلامية المعاصرة مجتمعات كادت تخلو من القيـم الاسلامية : قلما يعرف الأفراد فى هذه المجتمعات : ان للمال حرمة تحول دون الاعتداء عليه ·· وأن للعرض حرمة تمنع الاقتراب منه بالضرر وبالأذى ، فى أية صورة ما ·· وأن للنفس حرمة تدعو للمحافظة عليها وصيانتها وابعاد كل ايذاء لها · ان الأسلوب المادى للتربية المعاصرة : يفرق ولا يجمع ·· لا ينشد التماسك بين الأفراد ، وانما يؤكد الفرقة بينها ·

·· فالرسول عليه الصلاة والسلام ينهى هنا أحد الصحابة ـ ونهيه نهى لجميع المسلمين ـ عن أن يبالغ فى الصلاة والصيام ، وبحيث يستغرق اداؤهما الليل والنهار معا ، ويترك بذلك حقوقا لآخرين ، وفى مقدمة أصحاب الحقوق : الزوجة ·· والزوج ·

وهذا ما تفعله السائلة المتدينة هنا بالنسبة لزوجها ·

● ربما يختلط على السائلة هنا معنى الحجاب بمعنى ترك الزينة ولو للزوج · ولكن الحجاب المقصود فى الاسلام : عدم اختلاط المرأة بغير المحرم لها · والحجاب سبيل من سبل الوقاية للمرأة من فضول الرجل · وأهم السبل الأخرى تدينها ، وما يتكون لديها من الخشية من الله ·

والسائلة متدينة والحمد لله والتدين يحث الزوجة على أن تزين نفسها لزوجها ، وأن تبعد من طريق حياته كل ما يكرهه · وزوجها والحمد لله لا يكره التدين من زوجته كما قد تتوهم · ولكنه يكره فقط المبالغة فيه ، التى أدت الى أن تهمل نفسها حتى أصبح دمها تقيلا عليه ، كما يقول · فعودى الى زوجك بطبيعة الزوجة الأنثى · وليكن تدينك مرغبا له فيك ، وليس منفرا منك · فالتدين هو سبيل لدوام العشرة الطيبة ، بجانب خصائص المرأة التى لم تحولها الحياة الى شبه رجل ·

★ ★ ★

١١٩ ـ بين المال فى ضياعه ·· وتماسك الأسرة فى بقائها :

كتبت سيدة من احدى القرى تقول :

·· انها متزوجة منذ زمن طويل · وتعيش مع زوجها الذى يعمل فى المجلس المحلى بالقرية وانها لم تنجب أطفالا · وحالتها المادية ميسورة ·

وقد ادخرت مبلغا من المال وخصصته لأداء فريضة الحج · ولكن أولاد أخت زوجها تعدوا عليه بالسرقة ، وطلبت محاكمتهم أمام القضاء ·

والذى خيب أملها هو أن زوجها لم يشترك معها فى الدفاع عن مالها ، ومقاضاة أولاد أخته بسبب اعتدائهم على مالها بالسرقة · وتعتبر زوجها من أجل مشاركتها : قد أخل كزوج بواجباته الشرعية · وهى تسأل بعد أن تذكر أنها لا تستطيع العيش معه وتود أن تنفصل عنه : ما رأى الدين فى ذلك ؟ ·

ولذا يطلب من الزوج اذا حضر من سفره فجاة : أن لا يدخل على زوجته فورا قبل أن يعلمها بمقدمه ، حتى تستعد للقائه ، وهى على الصورة التى يجب أن يلقاها عليها ·

مطلوب من الزوج أن يبعد عن نفسه ما ينفر زوجته منه من عادات أو تقاليد لا تحب الزوجة أن تعاشره عليها · ومطلوب من الزوجة أن تعد نفسها لأن تكون محبوبة زوجها ، وليس فى الأيام الأولى فقط من الزواج · وانما على مدى أيام الحياة بينهما ولا تظن الزوجة أن « المكياج » هو السبيل الى جذب زوجها نحوها · وانما النظافة : نظافة البدن ·· ونظافة الأسنان ·· ونظافة اللسان ·· ونظافة الثياب ·· ونظافة الأسلوب فى المعاملة · وكل ذلك فى مقدور الزوجة اذا أرادت أن تكون زوجة يرضى عنها زوجها وربها ·

ان السيدة : السائلة بأسلوبها فى التحجب وبامعانها فيه وهى بالمنزل تساكن زوجها : قد أبعدت زوجها عن أداء الصلاة ، كما تؤديها هى · فالمسلم الذى يخرج الزكاة ــ والمال أشد ما يحرص عليه الانسان ــ من السهل عليه بعد ذلك : أن يباشر الصلاة · ثم أبعدته أيضا عن نفسها كامرأة وزوجة · فالزوج عندما يجيب زوجته على سؤال خاص لها بقوله : « أنت بقيتى دمك تقيل » ·· لا يقول ذلك الا وقد بلغت النفرة منها فى نفسه مبلغا كبيرا · وهى نفرة لم تتكون فى يوم وليلة · وانما تكونت على أيام وشهور ·

وعلى السائلة الآن أن تعيد صورتها المقبولة لدى زوجها ، اليه مـرة أخرى · وليس بعدم الحشمة ·· وليس بصنع المكياج · وانما بعدم المبالغة فى تدينها · ان زوجها له حق عليها · فاذا هى حالت دون حقه بما ينفره منها أغضبت الله · ولا تستطيع صلاتها ولا يستطيع صومها أن يشفع لها عند الله فى ذلك ، مهما طالت مواظبتها على أداء العبادة ·

والزوجة لها حق على زوجها فاذا حال دونه بعمل ما ينفرها منه أغضب الله جل جلاله ، مهما كان محسنا فى جوانب أخرى فى العلاقة بينه وبينها ·

فقد علم الرسول عليه السلام · عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أنه يصـــوم النهار ·· ويقوم الليل للصـــلاة فطلبه ، فجاء اليه ، فقال له : « يا عبد الله ! ألم أخبر : أنك تصـــوم النهار ، وتقوم الليل ؟ · فقلت : نعم يا رسول الله · قال : فلا تفعل ·

« ·· وأفطر ·· وقم (بالليل) ·· ونم · فان لجسدك عليك حقا ··· وأن لزوجك عليك حقا ·· وأن لزورك (لضيوفك) عليك حقا » (١) ·

---

(١) اللؤلؤ والمرجان : ص ٢٥٨ ·

(ب) أم استمر فيما أنا عليه عسى الله أن يهديه يوما ما ، ويعرف أنه ظلمنى ، وأنتظر أن يشرح الله صدره بالايمان ، ويعود لى ؟ • أو أن يزهد نهائيا فى فيطلقنى ويتركنى لحال سبيلى ؟ •

ثم تختتم رسالتها بقولها :

لم يعد أمامى الا حل من الحلول الثلاثة • وأرجو أن تفيدنى بما لا يغضب الله عز وجل •

● هذه السيدة السائلة حريصة كل الحرص : أن لا تغضب الله فى موقفها من زوجها • وهذا أساس جيد لحل مشاكلها •

ان زوجها رجل طبيعى • أى لا يصح أن يوصف بأنه شاذ ، يبغض التدين من زوجته • لأنه اذا انقطع عن الادمان على الشراب •• وكان يخرج الزكاة قبلا فهو فى طريقه الى التقرب من الله • وربما يرجع عدم أدائه للصلاة الى العناد منه •• الذى نشأ عنده كرد فعل لموقف زوجته نحوه • فهى على ما يبدو لا تكرر على مسمعه النصح بأداء الصلاة فى غير انفعال ، أو فى غير تهديد له مما يصيبه من الله ، جزاء عدم ادائه اياها وانما فى نصحها له قد تنفعل وتغضب • وفى تكرارها النصح تلح عليه • بحيث يصر هو على الرفض . عنادا واحتجاجا على أسلوب نصحها له ومعاملتها له •

هذا شىء • وشىء آخر بالاضافة اليه : انها فى نظره تكون قد أهملت نفسها كامرأة وكزوجة • وأنها تظن أن تحجبها يبيح لها أن لا تهتم بزوجها • فهو قطعة من الدنيا • والدنيا فى نظرها لا قيمة لها ، طالما ترضى الله : بتحجبها ، وبصلاتها وبصومها •

واهمالها فى نفسها بأن تظل على صورة واحدة فى البيت فى الملبس •• والشكل •• طول النهار • وربما طول الليل كذلك • وبأن تترك لبدنها الحرية فى زيادة وزنها فيثقل ، وتقل حركتها •

● ونسيت السيدة السائلة : أنه بجانب تقربها الى الله بالصلاة ، والصوم ، وبحشمتها فى الملبس : هناك جانب آخر فى حياتها يجب أن تتقرب بالاهتمام به الى الله جل جلاله وهو جانب الزوج • يجب أن تظل ذات جاذبية له •• يجب أن تعمل على أن يزيد ميله اليها كأنثى •• يجب أن تزين نفسها له • وليس تزينها بعمل الماكياج • وانما بالمحافظة على قوامها ، وخفة حركاتها ، وبالاستجابة اللطيفة لندائه أو بنظافتها ونظافة بيتها ، وبتنسيق ملبسها وشعرها •

نعم هناك مساكن مفروشة تستغل لممارسة البغاء ، والفساد ٠٠ وتستغل كمورد حرام على سبيل القطع فى مباشرة المنكرات وانتهاك الحرمات والأعراض وهى معروفة وللرجال المشرفين على « الآداب » قبل غيرهم من الجيران أو البوابين ٠ ولكن وجود مثل هذه المساكن لا يجعل التعميم أمرا مقبولا ٠ ومن أجل قبوله يحرم تأجير واستئجار المساكن المفروشة على الاطلاق كما هى الفتوى هنا للرجل المسلم ٠

والسائل يرجى له الخير من الله ٠ فهو حريص على معرفة الحلال والحرام فى معاملاته وتأجيره للمسكن المفروش حلال ٠ وعليه قبل اتمام عقد الايجار أن يطمئن الى أن المستأجر من الأسر التى تريد الاستجمام وليس من العزاب أو الأثرياء الذين يزورون المصايف للاستمتاع بالحرام كما يشتهونه ٠

★ ★ ★

١١٨ ـ الزوج لا يرضى عن تحجب زوجته :

كتبت احدى السيدات ـ تذكر :

انها سيدة فى الأربعين من عمرها ٠ وتعيش مع زوجها وابنتين لهما ، وهما فى المرحلة الابتدائية ٠ وحياة الأسرة من الناحية المادية حياة اطمئنان وأمان ٠

وزوجها من الصعيد وتاجر ٠ وكان مدمنا على الشراب ٠ ولكن منذ سنتين تاب الله عليه ٠ وهو يخرج الزكاة ٠ ولكنه لا يصلى ٠

أما هى فمتحجبة ٠ وتصلى ٠٠ وتصوم ٠ وزادت فى التحجب بعد أن أوصت زوجها بالصلاة فرفض ٠ ولكنها لاحظت انه ابتعد عنها ٠ فلما سألته يوما ـ متجرأة كما تقول : عن سبب ابتعاده عنها اجابها : « أصلك بقيتى دمك تقيل ، عنذ أن تحجبت وعملت شيخة ٠ كل ما أشوفك اما صايمة ٠٠ واما بتصلى » ٠ وقد تألمت لهذه الاجابة ٠ وعزلت نفسها مع البنتين فى حجرة مستقلة بالمسكن ٠ وأصبحت لا تراه ، كما أصبح لا يراها ٠ وتمر على عدم الرؤية شهور عديدة ٠ واذا التقيا أشعرها بانه لم يعد يرغب فيها ٠ والآن تريد أن تعرف :

(أ) هل تخلع الحجاب ، وتعود الى عمل الماكياج ، وترجع للسهرات معه لتحجبه ؟ لكن عندئذ كما تقول : أغضب ربى وخالقى ٠ وهذا أصعب جدا على نفسى ؟ ٠

ان التعميم فيما يقوله الرجل المسلم هنا من أن جميع المساكن المفروشة تستأجر لمباشرة المنكر : خطأ فى القول وفى الفتوى ٠ والأصل أو المبدأ الذى تقوم عليه المعاملات الاسلامية هو : الحل وعدم التحريم حتى يظهر الضرر٠ وعندئذ تعرض الحرمة لما كان حلالا من قبل ٠ فاذا كان هناك عقد بين اثنين على بيع شىء وشرائه فالعقد جائز وحلال٠فاذا ظهر بعد الموافقة عليه من الطرفين : خداع من جانب أى منهما حرم العقد وفسخ ، بعد أن كان حلالا وتم ٠

وتطبيق هذه القاعدة أو هذا الأصل على التأجر للشقق المفروشة : أن التأجير حلال ولا ينطوى على التمكين من منكر ٠ فاذا ظهر ان المستأجر يمارس المنكر على وجه التأكيد فيما استأجره كانت ممارسته للمنكر فيه اخلالا بصحة عقد الايجار ٠ ومن ثم يلغى هذا العقد ويفسخ ٠

ومن أجل ذلك لا تعمم الشبهة ولا يقال : ان كل المساكن التى تؤجر مفروشة تدار للبغاء ، ولاحتساء الخمر ، أو لعب القمار ٠ كما لا يقال أيضا : ان جميع المصطافين فى أشهر الصيف سياح يمارسون المنكر فى الشقق المفروشة المستأجرة ٠

والحديث الشريف عندما يقول : « ادرأوا الحدود بالشبهات » ٠٠ أى اتركوا الحدود ـ وهى العقوبات المحدودة لجرائم الزنا ، والقتل ، والسرقة ، وشرب الخمر اذا لم تكن الجريمة قد وقعت على سبيل القطع : يقول ذلك ليبعد « الظن » فى مباشرة الحلال والحرام ، أو فى القول بهما ٠ والتعميم الذى يقول به الرجل المسلم فى سؤال السائل هنا : صورة من صور الظن فى مباشرة الحلال ، والحرام ٠

● تجب الحيطة تماما فى اعلان الحلال والحرام فى معاملات الناس٠ وبالأخص فى معاملاتهم المالية ٠ فعلى سبيل المثال : تأجير ، واستئجار الشقق المفروشة فى أزمتنا الاقتصادية الراهنة ، تمثل حجما ليس هينا فى الاقتصاد المصرى٠ليس بالنسبة للمستأجرين ولكن قبلهم بالنسبة للمؤجرين٠ فكثير من هؤلاء الذين يؤجرون مساكنهم مفروشة أو يملكون بعض المساكن المفروشة : تتوقف معيشتهم ، وحياتهم الاقتصادية طول العام على مقدار الايجار الذى يحصلونه مدة الاصطياف ٠ وربما يدفعهم الى تأجير مساكنهم المفروشة : أنهم يمارسون الأمانة فى حياتهم ، ولا يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل ، سواء عن طريق الربا فى استثمار ما يملكون من مال ٠٠ أو عن طريق قبول الرشوة فيما يقدمونه من خدمات فى مصالح حكومية أو فى شركات عامة ٠ ويرون أن أضمن الطرق فى البعد عن أكل أموال الناس بالباطل هو ما يسلكونه من تأجير الشقق المفروشة ٠

يجب على زوجة السائل أن تحس بالفخار ·· لانها زوجة مقاتل وضع حياته فى ميدان القتال من أجل أمته وسلامتها · ولا تحس بالضعة لأنها زوجة كفيف ، كما قد يقال لها · فأى انسان لا يسلم من قدر الله ! · وما هو مقدور للانسان لابد أن يلقاه · ان زوجة السائل لو وقع لها ما وقع لزوجها وأعرض عنها هذا الزوج ، لسعت الى قبرها بيدها ·· ولقضى عليها تفكيرها فى عدم وفاء زوجها لها ·· أطيعى الله فيما أمر به يجزيك خير الجزاء فى دنياك وآخرتك ·

★ ★ ★

١١٧ ـ الكسب الحلال :

مواطن من احدى المحافظات ، يذكر :

أنه يملك شقتين على كورنيش أحد الشواطىء : احداهما يسكنها هو وزوجته وأولاده · والأخرى يعدها مفروشة ويؤجرها للمصطافين فى أشهر الصيف ، حيث تدر عليه من المال ما يساعده على قضاء بعض الضروريات فى حياته المعيشية ·

ولكن فوجىء برجل مسلم ينكر عليه : التأجير للمصطافين فى اشهر الصيف · ويصفه بانه منكر · فالمصطافون سياح ·· ويمارسون المنكر فى الشقق المفروشة · والمال العائد من منكر يكون منكرا وحراما ·

ويسأل : هل ما يقوله الرجل المسلم هنا سليم ؟ والسائل يحرص على أن يعلم : الحلال من الحرام ·

● هل كل المصطافين فى أشهر الصيف الذين يقيمون فى مساكن مفروشة مؤجرة : يباشرون المنكر ؟ · هل هم جميعا يباشرون الفسق ·· والزنا ·· وشرب الخمر فى تلك المساكن التى يستأجرونها ؟ · حتى تكون تلك المساكن أمكنة لممارسة المنكر · أو طريقا لتمكين المنكر من وقوعه ؟وعندئذ يكون المؤجر شريكا للمستأجر فى وقوع المنكر : احدهما وهو المؤجر يمكن المستأجر من المنكر ، والمستأجر يباشر وقوع هذا المنكر · وبذلك يتم ركنا الجريمة لارتكاب المنكر ·

أم أن من بين المصطافين : أسرا تستأجر المساكن المفروشة لمدة موقوتة فى أشهر الصيف ، لاستجمام جميع أفرادها ؟ · والمؤجر عندئذ ليس مكرها على تأجير المسكن المفروش لديه والمعد للايجار فى أشهر الصيف ، الى غير هذه الأسر ممن يمارسون المنكر فيها من العزاب مثلا ؟ ·

١٩٧٣ بملزمة لها أمام الله ، وأمام الناس ، وأمام نفسها : برعايته والاستمرار فى الرعاية ؟ · قتل الانسان ما أكفره · لما يقض ما أمره · يجنح الانسان طغيانا · ويترك اوامر الله فلا يطيعها استخفافا ·

ما الفرق بين الأمس ·· واليوم فى حياة هذا الشاب الذى أصيب فى سبيل وطنه وأمته ، وكان يمكن ان يقضى عليه بالأمس ؟ · انه ظل انسانا : فى حديثه ·· وفى معاشرته ·· وفى معاملته لزوجته ولولديه · انه ظل رب أسرة ·· وزوجا ·· وأبا لولديه : ينفق كما كان ·· ويحرص على أسرته كما كان ·

أى شىء يغير الزوجة فى موقفها من زوجها ؟ · فتسير فى حياتها كما تهوى ! · وتستولى على مدخراته فتتصرف فيها تصرفا انانيا لمصلحتها الخاصة وحدها ؟ · كف بصره فأصبح دميما لا يرى ؟ ·· كف بصره فأصبح عاجزا عن معاشرة زوجته ؟ · كف بصره فأصبح غير قادر على الانفاق عليها ؟ ·· كف بصره فأصبح عديم الاعتبار كانسان ؟ ·

● لك الله أيها الشاب السائل · اسلام المسلمين اليوم أصبح انتسابا للاسلام ، وليس ايمانا به · ان اليوم جاهلية فى مجتمعاتنا الاسلامية · لا يعرف الأخ أخاه وأخته · وانما يعرف ذاته فقط ·· ولا تعرف الزوجة زوجها · وانما تعرف مصلحتها وهواها عنده · فان افتقدت اليوم ما كان لديه بالأمس تركته يسلك سبيل حال نفسه ·· ولا يعرف الولد والديه الا اذا كان يأخذ منهما ، دون ان يعطيهما شيئا ·

وحل مشكلتك ليس بأمر ·· ولا بنهى ، وليس بقانون ·· ولا عرف · وانما بقليل من الانسانية · فهل تراجع زوجتك نفسها ، وتحس لحظة ما : بمعنى « الوفاء » لما كان بينكما ·· وبالمحبة لولديها فتقبل على رعايتك أكثر مما مضى ·· وتخفف عنك ألم النفس وحزنها لما أصابك ؟ · انها ان فعلت ذلك تكون قد استجابت لما يقضى به الله فى معاملة الناس بعضهم لبعض · فمسئولية الزوجة فى أهل الزوج وأسرته : هى مسئولية فى الدرجة الأولى نحو الزوج نفسه : نحو حقوقه فى المعاشرة ·· وفى تدبير أمره ·· وفى التخفيف عليه فى كربه ، وفى مرضه ، وفى حزنه ·

● لا يقبل انسان ما ـ كزوجة السائل هنا ـ أن يقال عنها يوما ما : انها لم تطق زوجها فى الحياة معها ، بعد أن فقد بصره · ان ظروفها فى الحياة ستتغير ·· وانها ستصل الى الشيخوخة فى السن يوما ما ·· وانها ستعجز عن أداء بعض الاعمال لنفسها فتتذكر الله من الآن برعاية زوجها فى حاضره ، لعل الله يذكرها وهى عاجزة ويهيىء لها من يعينها ·

وأحيل الى المعاش بعد أن فقد بصره · وطلب من زوجته أن يعودا معا الى القرية · فعادا وسكنا سويا فى منزل الزوجة · رغم أن منزل أسرته هناك لا ينقصه شىء عن منازل المدينة · وله من زوجته طفلان : ولد ·· وبنت ·

ويشكو من معاملتها بعد أن كف بصره · فاستولت على مدخراته وتبلغ ستماية جنيه مصرى ، واشترت بنصف المبلغ حليا لها ، وتحتفظ بالنصف الباقى لديها · وأصبحت تسير على هواها ، كما يقول ·

ولما طلب منها أن تنتقل الى منزل أسرته هو ، لم تذهب معه وتركته يذهب وحده رغم أنه محتاج اليها كزوجة تدبر أموره الخاصة وتساعده على أن يتحمل مأساته بقية حياته · ويسأل عن رأى الدين والقانون ·

● لك الله أيها السائل : عرضت نفسك للموت فى ميدان الحرب من أجل وطنك ·· وأصبت بفقد البصر اثر مرض انتابك بسبب ظروف هذه الحرب ·· وتقعد اليوم وحيدا فى غرفتك ، ومعزولا عن الناس تناجى نفسك : أين هى حبيبتك ·· أين هى زوجتك وأم أولادك ·· أين هى التى كانت تأخذنى بين ذراعيها عندما كنت أعود فى اجازة قصيرة من القوات المسلحة ؟ ·· أين هى ؟ ·· أين هى ؟ ·

« **قتل الانسان ما أكفره** » (١) ·· أى قتل الانسان · ما اكثره جحودا بالنعمة · فهو يطغى أن رآه استغنى · ان طبيعة الانسان تميل الى نكران النعمة اكثر من الاعتراف بها · الا اذا صدق ايمانها بالله · فهى تفعل الخير وتسعى اليه ·

أى شىء ينقص الزوج السائل الآن ؟ · انه لم يزل رجلا فى سن الشباب · ولكن فقط أصابه الحزن ، بعد أن فقد البصر · ان له معاشا يساوى أجر العمل الذى كان يؤديه وينفق منه على نفسه ، وزوجته ، وأولاده · واذن زوجته ليست فى حاجة لأن تعمل حتى تطعمه وتطعم أولاده ، وحتى تجهد نفسها فوق طاقتها : فى خدمته وخدمة اولاده ·

انها تتنكر له اليوم وتشيح بوجهها عنه · الأنه كف بصره ؟ · أليس فقدانه لبصره بسبب كاف لأن تقبل عليه ، بدلا من أن تدير عنه ظهرها كانسان ؟ · أليست مشاركته للشباب دفاعا عن الوطن فى حرب أكتوبر

---

(١) عبس : ١٧ ·

● أدمن المخدرات . وانتهى به ضعف الارادة الى السلبية التامة . فان عرض عليه عمل يباشره تهرب منه . وان طلب اليه أن يشارك فى حياة الأسرة توارى واختفى وراء سوء الخلق . وان طرد من المنزل قبل الطرد وانزوى بعيدا عنه لفترة ثم يعود ، يسأل ويتذلل . انه مريض فعلا .. مريض بالادمان على تعاطى المخدرات .. مريض بالسلبية والهرب من الحياة : تضعف ارادته وضعف بدنه وقوته المادية .. يعيش فى التلاشى والفناء البطىء .

والسيدة السائلة غير مستريحة النفس لولدها الاكبر عندما يطرد من أخيه الى خارج المنزل .. غير مستريحة النفس عندما يطلب منها ان لا تقدم له ما يأكله أو يلبسه . انه ابنها على أية حال .

وعلاجه الآن فى ادخاله احدى المصحات الخاصة بالمدمنين . وربما مفتش الصحة فى المدينة يعرف واحدة منها أو أكثر .

والشقيق الأصغر فى محاولته مع أخيه لا ينتظر النجاح فيها . فهو يتعامل مع هيكل بشرى : لا روح فيه .. ولا قوة . انه ضعيف الادراك والوعى بالحياة معا . وكلما تقدم بارساله الى احدى المصحات كلما كان افضل له وللأسرة كلها .

● هل يأخذ الشباب عبرة من هذا الشاب الطالب ؟ . قد بهره الاختلاط فمشى فى موكبه ووقع تحت الاقدام . ولم يستطع ان يقوم ليسير فى الحياة وفق مشيئته . وجذبته تياراتها . ويحاول بعضها أن يقضى عليه الآن . وهو تيار الانحراف عن طريق الادمان على المخدرات . ما هى حياته الآن ؟ : حياة الذليل .. والضعيف .. والمستضعف .. حياة الخائف والهارب من حياة العقلاء .

★ ★ ★

١١٦ ـ مساندة الزوجة لزوجها عند الحاجة :

مسرح من القوات المسلحة ـ باحدى المحافظات ـ يبلغ من العمر الرابعة والثلاثين :

تزوج منذ سبع سنوات ، وهو يعمل بالقوات المسلحة . وحضر حرب اكتوبر ١٩٧٣ وبعد أن انتهت الحرب سرح من الجيش والتحق بعمل مدنى منذ ١٩٧٥ . ولكنه فقد بصره نهائيا بسبب مرض أصابه . وقبل أن يفقد بصره كان منظره مقبولا ..

(٢) وأن الولد الأكبر ألحقه والده فى حياته باحدى كليات الجامعة بمحافظة أخرى ٠ ولم يبخل عليه بالمال فيما يطلبه لمواجهة نفقات الاقامة والدراسة بهذه المحافظة ٠ ورغم ذلك تعاطى المخدرات ، وفشل فى الدراسة ، وآل أمره الى ذلك الموقف الذى يقفه منه شقيقه الأصغر ٠

● هذا الولد الاكبر كان يعيش فى مراحل التعليم السابقة على مرحلة الدراسة فى الجامعة : بين أهله ٠ أى بين والديه مع أخيه الأصغر ٠ وعندما أكمل مرحلة التعليم الثانوى وانتقل الى ـ المحافظة الأخرى ـ كمدينة كبيرة وبين أعداد من آلاف الطلبة : لم يكن مؤهلا نفسيا وعمليا للاقامة فى هذه المدينة الكبيرة وبين آلاف الطلاب ٠ فهو باعتبار أنه ابن لعالم من علماء الازهر كانت تنشئته تنشئة محافظة ، وكان اختلاطه بزملائه فى الدراسة بعد الخروج من المدرسة : قليلا ٠ واصدقاؤه من ابناء الجيران كانوا أقل ان لم يكن له صديق على الاطلاق ٠ وهذه التنشئة المحافظة كانت تكون خيرا وبركة عليه ، لو ظل يعيش بين أهله ويتردد عليهم فى الصباح والمساء ، بعد أن التحق بالجامعة ، ولو ظل والده كذلك يشاركه الرأى فى حل ما يصادفه من عقبات ٠

ولكن عندما انتقل الى المحافظة الأخرى للدراسة فى جامعتها ، واتصل بالاعداد الكبيرة من الطلاب فيها : فى الاقامة ٠٠ وفى التردد على قاعات الدراسة ، ورأى الاختلاط بين الشبان والشابات داخل الكليات ، وفى شوارع المدينة ، وفى المقاهى والنوادى فيها : وذلك كله شىء لم يألفه من قبل ، وان كان ربما قد رأى بعضه فى محيط ضيق ٠٠ عندما التقى وجها لوجه ، بهذا الوضع الجديد ، ولم يكن قد أعد نفسيا له من قبل : أخذت نفسه بما شاهد وتأثرت به ، واصبح يسعى لأن يسمع من الزملاء والزميلات : توضيحا لهذه الظاهرة الجديدة فى المجتمع الجديد الذى انتقل اليه ، وهو غير مؤهل للاندماج فيه ٠

سمع ٠٠ وسأل ٠٠ ورافق ٠٠ وصادق ٠ وكانت له قابلية بما يدور حوله بحيث كان يخضع فى الرفقة أو فى الصحبة لمن هو أقوى منه ٠ وتناول المخدرات ٠٠ وربما شرب أيضا من الخمور ٠ وفى سبيل استمراره على تناول المخدرات مع بعض الزملاء أو الزميلات : كان مبذرا للمال ٠٠ وغير أمين فيما يعطى له منه ، كأمانة ، أو كرسالة يقوم بتوصيلها الى آخرين ٠ كما كان فاشلا فى دراسته ٠٠ ومتخلفا فى جده ونشاطه ، حتى لم يستطع أن يجتز الصف الأول فى الدراسة ، بعد أربع سنوات من القيد فيه٠

ورعايتهم : لم يبق لديها كامـرأة ما تغـرى به رجلا أجنبيا ، عدا زوجها · ويؤمل أن يفهم الزوج السائل هذا الوضع ويراجع فى تفكيره العشرة الطويلة بينـه وبين الزوجة ·· وحاجة الأولاد الى والـد معهم فى الأسرة · ويترك نهائيا : فكرة الهرب من المنزل والأسرة فانها من وسوسة الشيطان ·

★★★

١١٥ ـ الولد يدمن المخدرات :

أخت مسلمة باحدى المحافظات تبلغ من العمر ستين عاما · وتوفى عنها زوجها منذ سنتين · وكان من علماء الازهر ولها ولدان · الاكبر منهما غير أمين ·· ومبذر فيما يقع تحت يده من مال ·· وفاشل فى دراسته الجامعية ·· وسىء الخلق فى معاشرته لوالدته وشقيقه ·· ويتعاطى المخدرات · ولم يبخل عليه والده فى حياته طوال اقامته ـ بمحافظة أخرى ـ من غير أسرته وهو يدرس فى جامعتها · والأصغر من الولدين : طالب جامعى ·· ورشيد فى تفكيره ·· ومستقيم فى سلوكه ·· ومحب لوالدته وشقيقه ·· ويسـكن مع والدته فى مسـكن مملوك له ولأخيـه بمحافظتهم ، وشاركت فيه أمهما بمال خاص بها ·

ومشكلتها : أن الأخ الاصغر طلب الى أخيه : أن يبحث عن عمـل أو يباشر احدى الوظائف التى عرضت عليه وهى كثيرة اذ ليس من المعقول ، وهو فى سن السابعة والعشرين الآن : أن لا يمارس عملا شريفا وأنذره بعد أن اعطاء مهلة ـ ان لم يباشر العمل : بأن لا يشارك فى المعيشة معه ومع والدته ، وبأن لا يتردد فى حرية على المسكن · وأمر والدته بأن لا تقدم له طعاما أو مساعدة ما ·

وتقول الوالدة : انه مر يومان الآن على انتهاء المهلة التى أعطيت لولدها الكبير من شقيقه الصغير · وانها غير مستريحة نفسيا للموقف السلبى تجاه ولدها الكبير · وتسأل عن بعض دور العلاج من الادمان على المخـدرات · وتطلب الحل الأمثل لهذه المشكلة فى اطارها الكلى ·

● الذى يفهم من رسالة السائلة :

(١) ان اسرتها فى حياة الزوج كانت تعيش باحدى المحافظات · وظلت تقيم فى المسكن المملوك لها ، حتى الآن · ويشارك الولد الأكبر فى ملكه · اذ نقلت ملكيته اليه ·· والى شقيقه ·

● وبسبب الأولاد ، ومن أجل مستقبلهم ترتكب هنا الأم أو الزوجة خطأ كبيرا ، عندما تحرضهم ضد والدهم ، لأنها غاضبة عليه أو غير راضية عنه · فالأولاد يجب أن تكون تربيتهم للوالدين معا ·· يجب أن ينمى فيهم معنى العاطفة ، ومعنى الرعاية : نحو والدتهم ونحو أبيهم بدون تفرقة · ان التربية الحزبية والتوجيه لأحد الأبوين ضار بالأولاد · وبصاحب النفوذ فى التوجيه كذلك · فالأم هنا لا تدرى : ماذا يكشف عنه الغد لها اذا كبر الاولاد وتزوجوا : أتظل أمهم صاحبة السلطان عليهم ؟ أم أن أسرهم تجذبهم بعيدا عن نفوذها وربما تبقى وحدها عاجزة ؟ ·

ولكنه الحمق عند الغضب هو الذى يدفع أحد الوالدين الى التوجيه نحو طرف من الطرفين : ان كان الأب ، أو الأم · ولهذا ينبغى أن لا تشتط الأم فى تجنيب الاولاد ·· وابعادهم عن أبيهم · فموقف اليأس الذى يقفه الأب الآن يرجع معظمه الى تحيز الاولاد نحو أمهم ·· وضده هو ·

● ونعود الآن للسائل نقول له : طالما الهرب لا ينبغى أن يكون حلا لمشكلته التى تقوم على اتهام زوجته بالاتصال بجاره القريب · وهو اتهام تدخله فيه عوامل لا تصل به الى درجة اليقين · فليحاول الآن أن يكون عاديا فى علاقته بها · فلا يتهمها بشىء اطلاقا ولا يعيد على سمعها ما يشير الى الماضى البغيض · كما يحاول أن يسترضيها · فالثلاثون عاما التى مضت على زواجه بها ليست ثلاثين يوما أو شهرا · انها مدة كافية فى توثيق الروابط بين الزوجين · ومهما كان غضب الزوجة فانها لا تنتظر الآن أن تطلق منه اليوم لتتزوج غدا بآخر · وليس من المألوف فى حياتنا الاجتماعية هنا : ان الزوجة تطلق لترافق عشيقها ، أو لتساكنه مع ما لها من الأولاد وهو عدد لا بأس به ، وهم على وعى واسع بالحياة الآن ·

ان الزوجة فى طلبها الطلاق ·· وفى تشددها فى أن يترك زوجها المنزل : تريد أن تحمله على أن يدير وجهه اليها · بدلا من ظهره ·· تريد أن تعود المياه لمجاريها ، كما يقال · والخطوة الأولى يجب أن تكون من الزوج السائل هنا ، احتفاظا للزوجة بكبريائها فان هو فعل هذه الخطوة ·· سيجد منها أول الأمر صمتا ·· ثم قبولا ··

وليلتفت بعد ذلك الى زوجته وأولاده ، وليجعل من وقته ما يمكنه من أن يوطد العلاقة بينه وبينهم · وسهل عليه أن يملك عواطف زوجته بشىء من المداعبة أو العتاب · فهى ان غضبت لا تقصد بما تقوله فى غضبها : الا التهديد فقط · انها فى هذه السن ·· وبعد هذا الزمن الطويل الذى مر على زواجهما ·· وبعد انجاب لهؤلاء الأولاد العديدين · وبعد التعب والمشقة فى تنشئتهم

● الهرب من المنزل والاختفاء فى مكان غير معروف بعيد عن الأسرة والأولاد ليس حلا للمشكلة · كالانتحار بعد اليأس : ليس حلا أيضا لأزمة تواجه الانسان · فكل من الهرب · والانتحار ، يدل على ضعف من يحمل نفسه على أى منهما ، خشية المواجهة اللازمة ·

مشكلة السائل : أنه استغرق فى العمل الحكومى ، والاضافى معا · فكان يخرج مبكرا فى الصباح ·· ويعود متأخرا فى المساء ، متعبا لا تكاد قدماه تطآن مسكن الأسرة حتى يعد نفسه للنوم · عندما يفرغ من تناول العشاء · وهكذا تنقضى الأيام ·· والشهور ·· والسنون ، وهو وحده ·· وزوجته وحدها ·· وأولاده من دونه ·

واختلاطه بزوجته كان قليلا ، أو نادرا ·

ورفقته لأولاده كانت قليلة أو نادرة ·

وحديثه مع زوجته ·· أو مع أولاده : اما كان حديث الأمر ·· والنهى ، أو حديث السؤال ·· والجواب · أين حديث العاطفة ؟ ·· أين حديث السمر والمداعبة ؟ ·· أين الحديث المفتوح : من القلب ·· الى القلب ؟ · انه لا يوجد حديث هنا من هذا النوع بين الزوج وزوجته ، والأب وأولاده ، ولا بين افراد الأسرة مجتمعة · لأن العمل اليومى : فى أدائه ·· وفى ترتيبه وتنظيمه ، اذا تحكم فى نفس الانسان وتمكن من أعصابه ، جعل منه انسانا يكاد يكون جامدا · أو قليل الحركة ·· يكاد يكون صامتا أو قليل الكلام ··

واذا طال هذا الحال على وضع الزوج فى علاقته مع زوجته : تبتدىء تمله وتمل عشرته · ثم مع مرور الأيام ، والشهور ، والسنوات : تنتقل من دائرة الملل الى درجة الكراهية له · ثم تأخذ تفكر فى مستقبلها كامرأة أولا · وتقارن وضعها مع اوضاع أخريات يعشن معها فى محيطها · ولديها الآن على الأقل : السبب فى الانصراف عن زوجها : اما الى الاقبال على رجل آخر ·· واما الى الزهد فى الحياة الزوجية القائمة ·

وكذلك الأمر مع الاولاد · فان استغرق الوالد فى العمل ، وحجبه هذا العمل عن الاولاد فترة طويلة : فانهم يصبحون أجانب عنه فى الشعور والاحساس : لا يحسون بميل بنوتهم له ، وان أحس هو بميل الأبوة اليهم · والعلاقة بينه وبينهم عندئذ علاقة غير متوازية · فان وقع ما يزيد فى القطيعة والفجوة بينهم وبين والدهم كان تأثرهم سلبيا بما يقع أكثر من تأثر أبيهم به · كما حدث هنا فى الانصراف عن الوالد عندما غضبت الأم – وهى زوجته – منه ، وحرضت الأولاد ضد أبيهم · فاستجابوا لها ، تحيزا لها أو دفاعا عنها ·

بالعملين معا كان يعود فى المساء متأخرا الى منزله · وانتقل فى مسكنه ثلاث مرات ، حتى استقر به المقام فى مسكنه الحالى ·

ثم لاحظ على زوجته ـ فى الايام الأخيرة ـ ما يحس منه : أنها زاهدة فيه ·· وانها ربما تكون على علاقة غير شريفة بغيره · فتوجس فى نفسه خيفة ، وشك فى سلوكها فترك العمل الاضافى كى يحضر مبكرا الى المنزل ·· وأخذ يراقب الوضع ـ كما يذكر ـ وذات صباح مبكر فى الساعة السادسة والنصف خرج من منزله ، وبالصدفة نظر خلفه فوجد جارا له يرقبه من النافذة · كما وجد زوجته ترقبه أيضا من نافذة مسكن الأسرة · وعندما التقى نظره بكل منهما توارت هى ، وتوارى الجار خلف النافذة · وهذا الجار يسكن وحده ويعمل على أن تسافر أسرته الى قريته أغلب أشهر السنة ·

حتى كان يوم عطلة سمع طرقا على الباب فى الساعة الثامنة صباحا فأراد أن يعرف من الطارق ؟ فمنعته زوجته بقوة من أن يغادر الفراش ، وأبطأ بسبب مقاومتها له : فى أن يرى هذا الطارق ، حتى انصرف · وحصلت مشادة بين الزوج السائل وزوجته المشكوك فى سلوكها انتهت الى تركها منزل الزوجية ، والاقامة عند أهلها لمدة ثلاثة أشهر وقد عمل فيها الزوج كوالد لجملة من الاولاد فى مراحل التعليم المختلفة : كل ما وسعه ان يعمله لراحة أولاده : سواء فى الانفاق ، أو فى مساعدتهم فى دروسهم · ولكن مع جهده غير العادى الذى بذله من أجلهم تراءى له فى وجوههم : انهم غير سعداء لعدم وجود والدتهم معهم : وهنا قرر أن يذهب اليها ويعتذر عما تم منه ويدعوها للعودة فعادت ·

وبعد أن عادت وجد سوء معاملتها له قد زاد ·· كما وجد تحيزا ظاهرا من جميع الاولاد ضده ·· وأحس بالعزلة ، وبأنه شخص غير مرغوب فى اقامته معهم · وابتدأت زوجته تطلب أمرين :

أولا : الطلاق البائن ·

ثانيا : ترك المنزل لها وللأولاد وتصر عليهما اصرارا عنيفا · وهو لا يريد ـ كما يقول ـ أن ينظر الناس الى اولاده : نظرتهم الى اولئكم الأولاد الذين طلقت أمهم · ويفكر الآن فى تسوية معاشه فى عمله وفى الهروب من المنزل ، بحيث لا يعرفون مكانه · والله كفيل بأن يعوضه عن زهرة عمره التى ذبلت فى تربيتهم ، كما يشكو ·

وهى قلقة من أجل ان صلاتها أصبحت ركوعا وسجودا فحسب لا روح فيها ، ولا تركيز فى جلال الخالق سبحانه وتعالى · هى قلقة بسبب ذلك لانها تعتقد أنه سيغضب الله وهنا يكون غضبه فى تصورها : سببا لعدم حل أزمتها · وأزمتها فى الحقيقة : انها لم تتزوج حتى الآن ·· وتخشى ان يفوتها الزواج وتظل عانسا بقية حياتها ·

● ان السائلة معذورة : فى أن وصلت الى الشك والوسوسة ·· وبالتالى الى نقص وزنها من كثرة التفكير ·· هى معذورة لأن تربية الفتاة فى مجتمعاتنا تقودها الى تحديد الغاية النهائية لأية فتاة : بالزوجية والأمومة · وهذه الغاية وان كانت طبيعية لكن الأسلوب فى ابرازها امام الفتاة اسلوب فج ·· ومبكر · فهى توجه منذ الصغر الى « الفرحة الكبرى » فتكون عروسة يوما ما · ويجمع لها من لعب العرائس ما يخلق عندها وعيا قويا ، ورغبة ملحة فى أن تكون زوجة وأما يوما ما ، وقريبا جدا · وهنا يسيطر عليها خاطر الزوجية والأمومة منذ دخولها مرحلة المراهقة · وتمارس أحلام اليقظة كثيرا ·· وتنتظر من وقت لآخر : قدوم الخطيب أو التعرف عليه على الأقل ·

والسائلة احدى الفتيات التى عاشت طويلا فى فترة أحلام اليقظة · ولو أنها حقا كانت مؤمنة بالله ايمانا صادقا لتركت للقدر مكانا فى حياتها ، وتخلت مؤقتا عن هذه الاحلام ·· وشغلت فراغها بالقراءة المستمرة وركزت على أن ما فى قدر الله سيأتى حتما : اليوم أو غدا · فان تأخر الى ما بعد غد كان لمصلحة حتما تعود عليها · وبذلك تهدأ وتستريح نفسيا · فما أجمل الاعتماد على الله ·

ان السائلة تؤذى نفسها بكثرة الشك والوسوسة · وأولى لها أن تقف وأن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم · وهو شيطان هواها الذى يتمثل فى امانيها وخيالاتها واحلامها فى يقظتها · اذا آمنت صدقا وحقا بأن ما يريده الله لها هو الخير لها فى حياتها فلتطمئن ولتقم الصلاة بنفس هادئة راضية · والله يهديها الى ما ينجيها من عذاب الشك الى اليقين ·

★ ★ ★

١١٤ ـ سوء مسلك الزوجة :

مسلم يرجو المشورة ·· والنصيحة ، يروى قصته ومشكلته ، فيقول :

انه متزوج الآن منذ ثلاثين عاما ·· وأنه يباشر عملا اضافيا بجانب وظيفته فى الحكومة ، كى يمكنه أن ينفق فى سعة على أولاده · وبسبب قيامه

لاشك ان خطبة شقيقتها التى هى أصغر منها ، قبلها : أثرت فى نفسها تأثيرا قويا . فهى ربما كانت تعتقد أن حصولها على مؤهل جامعى .. وأن كسبها من مباشرة العمل فى الخارج : هذا وذاك : يجعلها مميزة ومتفوقة فى طلب الشبان لها ، أكثر من شقيقتها التى خطبت بالفعل . فكثيرات من المترددات على الكليات الجامعية يترددن عليها كسبيل الى التعرف على الشباب .. ثم الزواج . وكثيرات من المتخرجات اللاتى يلتحقن بالعمل الخارجى يقصدن من الالتحاق بالعمل جذب الفتيان اليهن ، واغراؤهم على الزواج بهن . فاذا السائلة ترددت على الكلية ، ثم حصلت على المؤهل الجامعى .. ثم حصلت على العمل كذلك بناء على هذا المؤهل .. ثم تجاوزها الخاطب الى شقيقتها فانه عندئذ يحصل لها خيبة أمل . ثم تزداد خيبة الأمل فى تصورها اذا هى تذكرت انها تبلغ الآن : السابعة والعشرين من عمرها . أى أنها اقتربت من أن تصير : « عانسا » .

● هذه الصدمة النفسية جعلتها تشك فى نفسها .. وتعيد تقييم نفسها ، لتقف على النقص فيها كشابة : أفى بدنها وفى قامتها عيب ؟ .. أفى وجهها ما يصد الناظر اليها .. أفى نطقها ، وفى صوتها ، وفى أسلوب حديثها ما ينفر المتحدث معها ؟ .. أفى مشيتها وحركاتها ما لا يرضى عنه المشاهد لها ؟ كل هذا ، وغيره ، اعادت تقييمه وخرجت بحكم : هو أنها ليست جميلة ، وليست دميمة أيضا .. وهو حكم ترضى به نفسها ولكنها لا تقنع به . لأنها اذا كانت كذلك لأقبل عليها الشباب . فلديها من المغريات ما يشجع على خطبتها ، رغم انها متوسطة فى خلقها .

استمر الشك معها ، وحول ذاتها . ورضيت الآن بالحكم الذى استخلصته من تحليل ذاتها . وانتقلت الى الاخريات فى محيطها فى العمل . فهى ترى فى نظرتهن اليها نوعا من السخرية ، أو التهكم ، أو على الأقل نوعا من عدم الاهتمام بها فتغض نظرها وتشيح به عنهن . وذلك سبب عزلتها .. وسبب تساؤلها : كيف تعرف من حولها وتفهمهم : انها ليست بحاجة الى الزواج حتى يأذن الله ! .

ان السائلة الآن لا تستطيع بعد أن شكت فى نفسها .. وفيمن حولها أن تركز تفكيرها فى الصلاة ! . ان شكها ملك عليها جميع المنافذ التى تطل منها على العالم فأصبحت « موسوسة » والوسوسة زيادة الشك ، واعادته المرة بعد الأخرى فى الأمر الواحد . وهو مرض ان تمكن من نفس الانسان أصابه الهوس ، أو أصابته لوثة الجنون .

الاسلام لم يجعل هدف الزوجية الاستمتاع المادى وحده ، وانجاب الاولاد منها · وانما جعل قبل ذلك : الاطمئنان ·· والمودة ·· والرحمة بين الزوجين ·· وهى كلها معانى انسانية ترشح من يباشرها الى المستوى الفاضل فى الانسان ··

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) فاذا لم تحقق الزوجية هذا الهدف تظل عندئذ فى دائرة اجتماع الحيوان بالحيوان ·

★ ★ ★

١١٣ ـ الشك والوسوسة :

آنسة من احدى المحافظات · تشكو من مسألتين :

المسألة الاولى : ان أختها التى هى أصغر منها خطبت وستزف قريبا الى زوجها · بينما هى تبلغ من العمر الآن السابعة والعشرين عاما ، وتعمل بمؤهل جامعى · وليست جميلة ،ولكن ليست دميمة أيضا : ولم تخطب بعد · ولا يؤلمها ـ كما تدعى ـ أنها لم تخطب حتى الآن · لأنها تعتقد أن ذلك قدر من الله · ولكن الذى يؤلمها هو سوء تصور من حولها ـ وبالأخص زميلاتها فى العمل ـ لوضعها القائم · وهى شديدة الحساسية ، وتتأثر بالجو الذى يحيط بها · ومن أجل ذلك تعزل نفسها عن الأخريات ولكنها ، كما تقول : لا تستطيع أن تعيش وحدها وفى عزلة عن الناس لفترة طويلة ·

والمسألة الثانية : أنها تذكر : أنها لوامة · أى تلوم نفسها كثيرا اذا تصرفت تصرفا ما · ولو كان ما فعلته هو الخير فى ذاته · فهى تراجع نفسها وتشك فيما فعلته · واصابها من أجل ذلك : مرض «الوسوسة» والأمر الذى يقلقها الآن كما تذكر : انها لا تركز وهى تصلى فى جلال الله · وانما تعرض فى صلاتها لكل ما يدور فى حياتها ، فصلاتها موضع التقاء الاحداث فى حياتها · فهى ـ كما تذكر فى ختام رسالتها ـ « فأنا موسوسة جدا ، حتى فى تصرفات من حولى معى احللها من جميع النواحى · وانا لا اعرف : أهذا غضب من الله على ، أم هذا بلاء من الله يمتحننى به » ··

● هاتان المسألتان اللتان تشكو منهما الآنسة السائلة هنا : ترتبط احداهما بالأخرى · وكلتاهما ناشئتان عن صدمة أو هزة نفسية عندها · اذ

---

(١) الروم : ٢١

قدر الله خير قطعا لو كشف الانسان المقدور ، واقع الأمر فى علم الله واطلع عليه · والايمان بالقدر خيره وشره على السواء : واجب ·· والتسليم به خير طريق لراحة النفس ودفع الهموم والأحزان عنها ·

● على أنه هنا شىء آخر وراء قضاء الله وقدره ·· والتسليم والايمان به · هنا العلاقة الزوجية ، ووفاء كل من الزوجين للآخر ·

لا ينبغى اطلاقا أن تكون العلاقة الزوجية على حرف · أى لا ينبغى اذا نقص شىء فى هذه العلاقة يوما ما ، أو اذا لم يؤد كما كان : ان تنفر الزوجة ، أو ينفر الزوج توا من هذه العلاقة · فمثلا مما يرد الينا من رسائل :

(أ) زوج تتغير معاملته لزوجته ، الى أقل أو الى ارداً ، عندما فقدت بصرها بعد ثلاثين عاما كزوجة ، وأم أولاده ، ومدبرة لمنزل الزوجية ، وتضطر الى الانتقال الى مسكن والديها فى رعايتهما ، بعد هذه المدة الطويلة ·

(ب) زوجة تتنكر لزوجها الشاب الذى كان مقاتلا بالأمس ، والذى كان العزيز الأول ·· والمحبوب الاول لها ، ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين بعد أن فاجأه مرض بسبب حرب اكتوبر ١٩٧٣ ثم افقده بصره · وهو لم يزل فى رجولته وقوة شبابه ·· ولم يزل محتفظا بالقدرة على الانفاق على الأسرة من معاشه ·

(جـ) زوجة تترك منزل الزوجية وأولادها من الزوج · لأن الزوج أقعده مرضه مؤقتا عن معاشرتها فهى تستغيث بأهلها · وهكذا ·

الوفاء فى العلاقة الزوجية ، وبالأخص بعد مضى سنين على هذه العلاقة ، وبعد اطلاع كل من الزوجين على اسرار الآخر وماله من خصوصيات أمر يجب على الزوج وعلى الزوجة أن يضعاه دائما مشعلا يهتديان به ، عندما تطرأ أزمة أو شدة بينهما · ويجب أن يعلما أيضا : أن المتعة المادية فى الحياة الزوجية ليست كل شىء · بل قبلها توجد المتعة النفسية وهى المتعة الانسانية · أى المتعة التى يحس فيها الزوج ، وتحس الزوجة بأن كلا منهما قدم للآخر خدمة انسانية ، لا تقدر بمال : فبقاء القوى بجانب الضعيف خدمة انسانية ·· ومساندة العاجز خدمة انسانية ·· وتفريج كربة المهموم خدمة انسانية ·· وتقوية روح المهزوم خدمة انسانية ·· والحدب فى الرعاية على مأزوم فى بداية أزمته خدمة انسانية ·· وهكذا ·

أى احساس نفسى داخلى يتكون لديها ان هى سمعت أنه يفكر ، أو شرع فى أن يتزوج أخرى غيرها لغاية الانجاب ؟ · أهو احساس الأسف على الفرقة المقترحة ؟ أو الاحساس لتمنى : أنه كان باستطاعتها أن تنجب نفسها الاولاد حتى تحقق رغبة الزوج ·· وحتى تستمر العلاقة بينهما ·

هذا الاحساس النفسى الذى قدر أن يراودها لو كان سبب عدم الانجاب يعود اليها ، هو نفس احساس الزوج الآن · فكان يتمنى ان يسعد زوجته بالاولاد ، وأن لا يكون السبب فى عدم الانجاب يعود اليه أو اليهما معا · ولكنه المانع الطبيعى كما يقول بعض الاطباء · وقد يزول فى فترة لاحقة · وعلى أية حال : ذاك قدر الله ، فكتابه هو القائل : « **لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور · أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير** » (١) · ·· فهو سبحانه المالك للسموات والأرض ·· وهو الخالق لما يشاء ولما يريده فى محيط الانسان · فقد يهب لمن يشاء من الأزواج : بناتا فقط ·· وقد يهب لهم ذكورا فقط ·· وقد يهب لهم ذكورا واناثا معا ·· وقد لا يهبهم من النسل لا ذكرا ، ولا انثى ، وانما يتركهم فى حياتهم بدون انجاب اولاد · وهو سبحانه يعلم الخير فيما يريده ويشاؤه · وهو كذلك قادر على كل شىء · فاذا ترك سبحانه ازواجا بدون انجاب أصلا ·· أو اذا اعطاهم الذكر دون الانثى ، أو العكس ·· أو اعطاهم الذكر والانثى معا ، فذلك عن ارادة تامة حرة ·· وعن قدرة واستطاعة كاملة فى تحديد النوع الذى يهبه ·

وقدر الله لا يعارض · وانما يجب التسليم به ، والايمان بأنه ينطوى على خير الانسان فعلا · فربما هذا الزوج للسائلة الذى حكم عليه بعض الاطباء بالعقم ، وحكم عليه البعض الآخر : بأن هناك بصيص من الأمل فى انجابه ·· ربما لو أنجب هذا الزوج بعد العلاج كما يفترض : يأتى الولد شاذا فى تكوينه ·· أو مريضا ·· أو ضعيفا ، يجعل والديه أسرى طول حياتهما : لشذوذه ، أو مرضه ، أو ضعفه · كيف تكون حياتهما عندئذ ؟ هل يستمتعان بها كاسرة ؟ ·· هل يستمتعان بالولد ؟ أم أن الولد عندئذ يكون مصدر المتاعب لهما التى لا تنتهى ؟ ·· وربما طاقتهما المالية لا تكفى للمتابعة فى الانفاق على صحته ·

ولم لا يجوز أن يأتى هذا الولد متخلفا فى طاقاته العقلية ·· أو ذا ميول اجرامية لسبب عضوى أو وراثى · أعندئذ تسعد الزوجة به ؟ · وتستطيع أن تنشئه تنشئة اسلامية ؟ ·

---

(١) الشورى : ٤٩ ، ٥٠ ·

ولكن عليها ـ قبل ولدها واخوته ـ أن ترعى مصلحته الخاصة ·· وان توجـه بقية ابنائها الى مشاركتها فى بناء مستقبله · فهو ان لم يكن الآن متطلعا الى بناء أسرة خاصة به ، فقد يكون الحافز لديه على بناء هذه الأسرة قويا · فما توفره من المرتب يظل له ولشئونه الخاصة ·· وعندما تعمل أخت أو يعمل أخ له يجب ان يسهم فى نفقات الاسرة الكبيرة حتى يحس الابن الاكبر بتضامن اخوته معـه ·· وبالتالى يمكن له الآن أن يقتصد من مرتبه ما يبنى به مستقبل نفسه ·

وبهذا ·· وذاك : تظل الاسرة قوية فى تماسكها وتضامنها · والفضـل فى هذا التماسك والتضامن يعـود الى الأم ، السائلة هنـا · ونحن بدورنا نحييها ونتمنى للأسرة الترابط على أساس من الايمان بالله ، وشرع الله فيمـا يحدده فى السلوك والتصرفات ·

★ ★ ★

١١٢ ـ انجـاب الأولاد :

سيدة حائرة من احدى المحافظات ، تقـول انها متزوجة منـذ ثمـانى سنوات ، وهى لا تنجب أولادا ·· وشديدة الرغبة فى الانجاب · لأنها تحن الى الأمومة وتربية الأولاد تربية اسلامية سليمة ·

ولكن عدم الانجاب يرجع الى زوجها · وبعض الاطباء يؤكدون انـه لا ينجب ·· والبعض الآخر يضع امامه الأمل فى الانجاب اذا عالج نفسه · وهو يرفض الذهاب الى الأطباء ·

والآن تسأل ازاء رغبتها الملحة فى انجاب الأولاد :

هل تطلب الانفصال عن زوجها ؟ · وعندئذ تكون قد أساءت اليـه او ظلمته اذا هى انفصلت عنـه ؟ · وربما يعاقبها الله بالزواج من رجل غير صالح ·· أو بانجاب أولاد غير صالحين ايضا ؟ ·

ماذا تفعل ؟ · فهى فى حيرة شديدة وتفكير مستمر لا ينقطع ·

● ماذا يكون موقفهـا من زوجها لو أن عـدم الانجاب يرجع اليها وحدها ؟ هل كانت توافقه على أن ينفصل عنها بتطليقها ليتزوج غيرها ·· أو على أن يتزوج واحدة أخرى عليها مع بقائها هى على ذمته ، لينجب منها الاولاد ؟ ·

وتنظر الى ابنهـا الاكبر هذا على انه مكان أبيه المتوفى ، فى المسئولية عـن أخوته والأسرة كلها وتسأل عن أمرين :

الأمر الأول : هل حصولها على مرتب ابنها حرام ؟ ·

الأمر الثانى : هل اذا توفر منه شىء يمكن ان تساعد بما توفر بنتا لها حصلت على دبلوم ولكن لم تباشر عملا فيما بعـد ؟ ·

● نظـرة الأم الى ولـدها الأكبر باعتبـار أنه يحل محل والده فى المسئولية الادبية والاقتصادية عن الأسرة : نظرة سليمة ·

● واذا كان هذا الولد يباشر هذه المسئولية عن رضا واقتناع فهو وفى لمسئوليته الاسرية · لأن نفقة الاقارب تجب على الموسر بينهم · وأكبر الابنـاء هنا بالنسبة لأخوته هـو الذى يمكـن أن ينظـر اليه على أنه الموسر فيهم ·

● وما يتوفر لدى الأم السائلة من مرتب الابن الاكبر : **هو ملك له ·** ويجب أن يستأذن فى توجيه بعضه الى شقيقته · فان أذن استحلت شقيقته **ما يعطى لها من أمها ·**

وهكذا : موافقة الابن الاكبر على أن تأخذ أمه مرتبه كاملا للانفـاق منه على اخوته : يجعل حصول الأم على هذا المرتب حلالا · وكذلك اذنه فى توجيه بعض ما توفر منه الى شقيقته : يجنب تصرف الأم فى مال ولدها : الانحراف والخطأ ·

● والابن الاكبر يستحق الثناء والشكر · ليس لأنه يؤدى ما يجب عليه شرعا · ولكن لأنه يرضى بأن يؤثر اسرته واخوته على ما يتصل بخاصة نفسه · فهو لا يحتجز شيئا من مرتبه يدبر به أمر نفسه مستقبلا ، كما يقال · فقد كان يمكن أن يقتطع منه لنفسه ما توفره أمه الآن منه ، وتطلب الطـريق السوى لانفاقه · فهو انسان يضحى برغباته الشخصية فى سبيل مصلحة عامة تعـود على أقربائه ·

والأم تستحق أيضا الشكر والثناء · فهى لا تريد أن تستغل « طيبـة » ابنها ورضاه فى تسليمها المرتب كاملا ، ان كان صاحب ارادة وشخصية قوية فى نفسه ·· كما لا تريد أن تستغل استسلامه لها ، ان كانت هى ذات تأثير قوى عليه منذ صغره حتى انه قد تعـود على أن لا يخرج عن طاعتها ·

ولأنها لا تريد إستغلاله على أى نحو : تسأل عن شرع الله فيما يعطيه ولدها ·· وفيما تأخذه منه لبقية اولادها ·

فالدافع على الأخذ من مال الامانة عند السائلة واضح ·· وحكم الله فى حرمته كذلك واضح ·· وما يجب أن يعمل الآن ازاء ما أخذ من المال : اما رده ·· أو سؤال الأخ أن يجعله هبة لها ·

● ولكن حتى لو نفذت السائلة ما يجب أن يعمل هنا فالصراع فى نفسها باق · وقد لا يخمد · وهو صراع عن انفعال العواطف ، وليس عن منطق أو واقـع · فغيرة السائلة من خطيبة أخيها لم تدعها تفكر فى هدوء ، لتصل الى أن صنع شقيقها مع خطيبته أمر عادى ومقبول · وعندئذ لا تلجأ الى الحقد عليه ·· ثم الانتقام منه بخيانته فى مالديها من امانة له · فالمال من كسبه ، وليس من حق لها ·· والخطيبة زوجته المقبلة ·

وانضمام أمها لها لا يعنى ان أخذ المال على النحو الذى باشرته السائلة له ما يبرره شرعا · وانما مؤازرة الأم لابنتها هنا هى مؤازرة عاطفية أيضا · ولو كانت الأم متأنية لأشارت على ابنتها بعكس ما أشارت به · ولكن الأم باشرت دور « الحماة » قبـل أن تصبح حماة بالفعل ·· وبالأخص اذا كان الموقف بين ابنتها ·· وخطيبة ابنها أو زوجته ·

● والأمر الذى يجب ان يدركه شقيق السائلة قبل فوات الأوان : هـو أن يراعى عواطف شقيقاته ورغباتهن بقدر ما يمكنه · ولا يطلب منـه أن يسوى بينهن ·· وخطيبته فى الهدايا ·· أو فى المداعبة عند اللقاء · وانما المطلوب ان يترك لديهن الاحساس : بأنه لم يزل على صلة وثيقة بهن ·· وان دخـول خطيبته مجال اسرته ليس على حساب علاقته بهن وبوالدتهن ·· وأنه لم يزل الأخ الذى يحمل نيابة عن والده : رسالة الحماية لهن من الاضرار ·· والرعاية لهن فى المستقبل ·

انه أن استطاع ان يكسبهن على هذا النحو : فهو يعد لخطيبته وله ولهـا معـا فى أسرته : جوا من القبول ·· والمعاونة · وهو فى حاجة الى هذا الجو حتى يمكن أن يوفق بين اسرته الجديدة وأسرته الأخرى التى نشأ فيها ·



١١١ ـ تصرف الأم فى مال ولدها :

أم لستة اولاد كتبت تقول :

ان اكبر اولادها حصل بعد تخرجه على عمل · وهى تحصل على مرتبه كله ، بالاضافة الى المعاش الموروث عن والده · لأن المعاش وحده ليس بكاف للانفـاق على الأسرة · وهى اذ تحصل على مرتبه تحصل عليه برضاه ·

● طالما هناك أب موجود فنفقات بناته الثلاث عليه · الا اذا أعسر وضاقت يده عن الانفاق فنفقته هو عندئذ على ابنه القادر ·· وكذلك نفقة بناته الثـلاث ·

ولكن يبدو من سؤال السائلة : أن الأمر لا يتعلق بالأكل ، والملبس ، والمسكن وانما يتعلق بما وراء ذلك مما يرغب الانسان فى اقتنائه ـ لا لسد حاجة ـ بل لحسن مظهر أو زينة يتزين بها · لأن السائلة تشكو من شقيقها : أنه لا يهـديها ، ولا يهـدى واحـدة من أختيها ، كما يصـنع مـع خطيبته أو أقاربهـا ·

والشكوى اذن : أنه يقتر على أخواته الثلاث ·· ويبسط يده بالنسبة لخطيبته واقاربها · والتقتير من جانب ·· بينما يبسط اليد من جـانب آخر : هو فى الهدايا وليس فى النفقة ·

ومن أجـل أن الشقيق يفـرق فى الهـدايا بين خطيبتـه ·· وشقيقاته الثلاث ، فقد خانت شقيقته الامانة التى أودعها عندها · وهى ماله المدخر · فأخذت منـه مبلغا صغيرا ، كما تقـول ، لتحقق به بعض رغباتها كفتاة فى مقتبل عمرها ، تريد أن تظهر وان تتزين ككثير من نظيراتها ·

وتسأل : هل المبلغ الصغير الذى أخذته من المال المودع من أخيها لديها : يعد أخذه حراما ·· أم حلالا ؟ ·· وبالأخص بعد أن سألت والدتها وكانت اجابتها : أنه حلال ! لأن شقيقها لا يعدل بين أخواته من جانب ·· وخطيبته من جانب آخر ·

● السائلة أخذت المال من وديعة اخيها انتقاما · وليس لدافع الحاجة وبأخذها هذا القليل منه تعتبر خائنة · والخيانة صورة من صور سرقة المال · وان كان لا يقام عليها حد · لما ورد فى حديث صحيح : « انه لا قطع بسرقة مال من بينهما قرابة » · ولما ورد فى حديث آخر : « ليس على الخائن قطع » · والخائن من يأخذ المال ممن اؤتمن عليه كوديعة ، أو عارية · فعدم قطع يدها كسارقة باقرارها : يرجع أولا الى القرابة بينها وبين أخيها ·· وثانيا الى أن المال المسروق كان وديعة عندها ، فهو غير محرز بالنسبة لها ·

وسقوط حد السرقة عنها لا يعفيها من اثم السرقة ، ولا من عقاب الله عليه فى الآخرة ان شاء · ويجب عليها رد ما أخذته ·· والتوبة الى الله تلتزم فيها التصميم على عدم مباشرة الاثم مرة أخرى ·

وان أبت بعد المصالحة كذلك : ان تستجيب له كزوج فى علاقته معها ، فالسبيل معها هو ما سبق ٠

وان جمعت بين الامتناع عن أداء الصلاة ٠٠ وعن الاستجابة لدعوته كزوج : فالطلاق البائن هو الحل الاخير ٠ اذ لا خير فى امرأة : لنفسها ٠٠ ولزوجها ٠٠ ولأولادها لا تؤدى حق الله فى عبادة الصلاة ٠ بل قد تصبح شرا ومرضا يصيب الاسرة كلها بالتفكك والدمار ٠ فأى انسان يجحد حق الله ٠٠ يجحد قطعا حقوق الآخرين معه فى الحياة ٠ وأية امرأة لا تخشى الله ٠٠ لا تخشى زوجها ، واولادها ، وذوى رحمها ٠

* * *

١١٠ ـ الأخ يؤثر خطيبته بالهدايا على شقيقته :

فتاة فى العشرين من عمرها ـ من احدى المحافظات ـ وهى شقيقة لاثنتين أخريين ٠ وهى ـ كما تذكر ـ متدينة : تصلى ٠٠ وتقرأ القرآن ٠٠ وتعمل بسنة الرسول عليه السلام :

وتقص مشكلتها فيما يلى :

ان لها اخا يبلغ من العمر ثلاثين عاما ٠ وقد خطب فتاة فى سنها ، ولكن لم يعقد قرانه عليها بعـد ٠ ومع ذلك فهو يرسل اليها هدايا كثيرة ، مما يكلفه مبالغ جمة ، على حين لو طلبت هى أن يشترى لها شيئا ، أو لأى اخت لها : لم يستجب لطلبها ٠ فهو يقتر على اخواته ، بينما هو كريم بالنسبة للخطيبة واقربائها ٠

وتكمل ما ترويه : بأن اباها شيخ كبير ٠ ولا يملك من المال ما يربى بـه صغاره ، فضلا عن سد حاجات بناته الثلاث ٠

ثم تخلص فى رسالتها : الى أن شقيقها هذا استأمنها وأودع عنـدها بعض مدخراته فامتدت يدها الى هذه المدخرات وأخذت منها مبلغا صغيرا من غير قصد ـ كما تقول ـ وعندما سألت والدتها عن حل ما أخذته فى الخفاء من مدخرات شقيقها : اجابتها بأن ما اخـذته حلال ٠ لأنه يعطى الغرباء ، وهى الخطيبة وأهلها ولا يعطى الاقارب وهن شقيقاته وأمهم ٠ ثم تسال :

هل المبـلغ حلال ٠٠ أم حرام ؟ ٠

وسندا عندما يستضعفها أبواه ·· وأن يأخذ جانبها دون أن يغضبهما ولكنه كان مطواعا لهما فيما يشيران به ضدها ·

وتعبيرها عن تحررها فى الفترة الثانية ، ظهر ·

أولا : فى انقطاعها عن اداء الصلاة ، واصرارها على عدم ادائها كلما ألح عليها ، واستعان بأقاربها من الأب ·· الى الأخوة ·

ثانيا : فى بخلها وتشددها فيما يعطى للابوين من مال زوجها · اذ تعارض فى كل منفعة تصل اليهما ·

ثالثا : فى مضايقتها له وفى امتناعها عن ان تستجيب لدعوته ورجائه فى معاشرتها كزوجة له ·

وهذه الأمور الثلاثة تصور مطلوب الزوج منها · وهى اذن ترفض كل طلب خاص له وتستعين على تنفيذ ما ترفض : بوجود الأولاد بينهما وباستقلالهما الآن بسكن خاص والزوج عندئذ هو الطرف الضعيف أو المستضعف · والزوجة بذلك كأنها تثأر وتنتقم منه ، لما سبق · ومن الأسف : أن دخل اداء الصلاة ، أو عدم ادائها مجال الخصومة بين الزوجين · وكان ينبغى ان يظل امر الصلاة خارجها · لانها لله سبحانه وتعالى ولكن يبدو ان كثرة الطلب على ادائها من زوجته جعل زوجته تربطها بعدم رغبتها فى مساعدة والديه ·· وكذلك بعدم رغبتها فى تلبية ما يرجوه منها خاصا بالعلاقة الزوجية مع بعضهما · وبهذا الربط أصبحت « الصلاة » قضية شخصية تتصل بذات الزوج وليست عبادة لله جل شأنه ·

● وموقف الزوجة على هذا النحو حمله على التفكير الآن فى طلاقها · ولكنه حلل عاقبة الطلاق فوجد انه هو الذى سيخسر : سيخسر عمه وهو ابوها ·· وسيخسر اولاده لانهم سينشأون فى غير وجود أب لهم فى حياتهم · وفعلا الطلاق ليس الحل الامثل لمشكلته وله الآن ان يسلك هذا الطريق الآخر ·

وهو طريق المصالحة معها واسترجاع الاخطاء التى وقعت منها ووقعت منه كذلك واعتذار كل منهما للآخر عما وقع منه من خطأ ·

فان هى امتنعت بعد ذلك عن أن تؤدى الصلاة للمولى جل جلاله فليس هناك من سبيل للخلاص من ذنب امتناعها سوى تطليقها ·

ثالثا : ان والديه كانا يعيشان معه ومع زوجتـه لمـدة عشر سنين · ويعترف الزوج بأنه فى هذه المدة كان يتساهل فى حق زوجته معه ارضـاء لوالديه ، مما جعلها تهمل حقوقه الشرعية التى تزوجها من أجلها ـ كمـا يقول ـ بعد أن انتقل من بيت العائلة الى منزل خاص به وبأسرته ·

رابعا : انه بعد أن انتقل هو وزوجته وأولاده الخمسة الى مسـكنهم الخاص بهم : تغيرت العلاقة بينه وبين زوجته :

ـــ تركت الصلاة · وأصبحت تصر على تركها ، رغم تدخل عمـه وهو ابوها ·· ورغم تدخل اخوتها واقاربها ·

ـــ تشددت فى مضـايقته فى المعـاشرة الزوجية وهو ـ كما يذكر ـ بصحة جيدة ويخشى الانحراف · فهو يتعامل مع نساء كثيرات بحكم مهنته ·

ـــ وفكر فى الزواج بغيرها · ولكنه وجد انه سيخسر بالزواج باخرى : لأنه سيخسر عمه · وهو أبوها ·

وسيخسر أولاده الصغار · فسوف يشردون بدون ذنب لهم ·

وستسوء سمعته بين الناس ·

ـــ زادت من بخلها بالنسبة لوالديه ·

وهو فى حيرة شديدة ، ويرجو الراى فى مشكلته ·

● الزوج السائل اهمل فى الأولى ·· والزوجة اهملت فى الثانية · الزوج اهمل فى حقوق زوجته فى الفترة التى عاشاها معـا ، مع والديه · فهو يعترف بأن اهمالها لحقوقه التى تزوجها من أجلها ، بعد الانتقال الى السكن الجديد : رد فعـل لتساهله فى حقوقها الزوجية · ارضاء لوالديه ·· أى : ان اهماله لحقوقها الزوجية فى هذه الفترة كان تحت تأثير والديه ·

كانت زوجته على عهد السكنى مع والديه مستضعفة · فعندما طلب منهـا أن تؤدى الصلاة أدتها · وعندما طلب منها ان تكون فى خـدمة والديه لم تعارض · وعندما اهمل حقها كزوجة ، بناء على توجيه والديه ، صبرت حتى اذا انتقلت الى المسكن الجديد وهو مسكن غير مسكن اسرته ـ احست بالتحرر من ضغط والديه عليها وعلى زوجها كما أحست بضعفه وهو فى عزلة ، وبعيد عنهما · وعندئذ عبرت عن المرارة والألم ، والصراع الداخـلى فى نفسها ضد زوجها بالذات · فالمفروض فى تصورها ان يكون حماية لهـا

الحديثة أمر يعتبر واجبا اسلاميا · والأسرة والمدرسة كلتاهما شريكتان فى اعـداد الصغار لرد الاعتداء على حرمة النفس فى عرضها ومالها ، وما لهـا من حرمات أخرى ·

والاسلام وان كان دين السلام ، ولكنه ينفر من الاستسلام والخضـوع لمذلة الاعتداء ·

● أما أن يتشاجر المعتدى عليه بالمنكر فيما مضى هنا مع الرفاق الذين يثيرونه ويذكرونه بماضيه البغيض معهم فأغلب الظن أنه لا يستطيع ذلك · فالسنوات التى مضت حتى الآن ليست كفيلة بأن تنسيه ما كان معه منهم حتى يسترد ارادته فى مواجهتهم · فهو لم يزل يتذكر · ومما يتذكره : خزيه منهم ·· وسخريتهم به ·· واذلالهم له · وهذه معانى نفسية قلما تكون عنده شجاعة المواجهة لهم ·

وفى رأيى لو استطاع مواجهتهم لوجب عليه أن يفعل اذ لو أصـــاب واحدا منهم بأذى مرة واحدة فسوف لا يعودون الى اذلاله والســخرية منه مرة أخرى ·

وتوبته الى الله فى عزم وتصميم على أن لا يعـود الى قبول هذا الفعـل الفاحش : ستكون مقبولة عند الله ·

وعلى الأمهات ـ قبل الآباء ـ ان يباشرن فى حيطة توعية أولادهن ضد هذا العمل الشائن · وأن يوقظن فى الذكور منهم : معنى الرجولة فيهم · وهو عدم قبول المذلة فى أى وضع ·· والتصدى فى عنف لمن يعتدى عـلى كرامتهم ·

★ ★ ★

١٠٩ ـ الزوجة اذ تترك الصلاة تفقد صلاحيتها كزوجة وأم :

مواطن من احدى المحافظات : يقص مشكلته على النحو الآتى :

أولا : أنه متزوج من ابنة عمه منذ النصف الثانى من سنة ١٩٥٦ ولـه منها خمسة أولاد ذكور وكلهم بالتعليم ، وأكبرهم باحدى الكليات ·

ثانيا : ان الحياة الزوجية فى بدايتها كانت سعيدة وموفقة · وبالأخص ان الزوجة كانت تواظب على أداء الصلاة ·

على قبول الفعل الشائن معه ولو كرها أول الأمر · فاذا أطاعهم مرة استخدموا طاعته كسبيل لتهديده فى المستقبل · واذا وقع الفعل الشائن معه فى حضور مجموعة من زملائه استغلوا وقوعه فى اذلاله وكسر معارضته ، بحيث لا يصبح مطية لأى واحد من المجموعة السيئة ·

وعندئذ يحس بالضياع وقبول المذلة · والضياع الذى به هو ضياع رجولته فى المستقبل ·· وضياع كلمته التى يلتزم بها ·· وضياع كرامته كانسان ·· وضياع اعتباره البشرى كواحد بين التلاميذ · انه الآن ينتقل من واحد الى آخر · ووقته موزع بين معارفه من الرفقاء معه ·

● وخير طريق لانقاذ مثل هذه « الضحية » هو نقله من المدرسة ـ وليس من الفصل فيها ـ الى مدرسة أخرى بعيدة عن مدرسته الأولى ·· وحجبه عن رفقاء السوء والمنكر بعدم السماح له كثيرا بالخروج من المنزل بعد عودته من المدرسة ·· وتوجيهه الى التحصيل وهو فى المنزل ، والى أداء الصلاة ، والصوم عندما يحل شهر رمضان ·· والى افهامه أن التوبة من ذلك الى الله ستعيد اليه كرامته واعتباره البشرى ، وان ما وقع منه سيغفره له الله ·

وبجانب هذا كله ارشاده الى أن الانسان المسلم لا يقبل الاعتداء على حرمة عرضه أو ماله ، وأن من يقتل فى سبيل الدفاع عن العرض أو المال يقتل وله أجر الشهيد عند الله وهو أجر عظيم · فقد روى عن الرسول عليه السلام قوله : « من قتل دون ماله فهو شهيد » (١) ··

وليس من حسن التربية : دعوة الاولاد الى الاستسلام الى الزملاء وقبول الاعتداء عليه فى أية صورة من الصور · والاسلام لا يشجع على تعلم « الرمى » الا لأنه وسيلة الى الدفاع عن النفس ودفع الاعتداء عليها · فعن عقبة بن عامر ، قوله :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا ان القوة الرمى ·· ألا ان القوة الرمى ·· ألا ان القوة الرمى » ·· وعنه أيضا : « كل شىء يلهو به ابن آدم باطل الا ثلاثا : رميه عن قوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، فانهن من الحق » ··

فتعلم الانسان وهو فى طفولته : الرمى بالقوس ، كما كان على عهد الرسول عليه السلام ·· وتعلمه اليوم الدفاع عن النفس بالوسائل السائدة

---

(١) كتاب اللؤلؤ والمرجان ص ٨٥ ·

منه ، أو يغضبوا عليه ، وان كان يجوز لهم أن يغضبوا لوضعه الذى صار اليه · فهو منهم على أية حال ، وهم فى وضع اكثر منه حولا وقوة ·

ورعاية الأولاد للسائلة لا ينقص من أجرها عند الله شيئا ، لقاء ما صنعت لأسرتها وأولادها ، فالله سيجزيها بالخير ، ويؤجرها على ما قدمته من تضحيات فى سبيل الزوج والأولاد معا ·

★★★

١٠٨ ـ الشذوذ الجنسى وسلبياته :

مواطن باحدى المحافظات ·· يقول :

ان ابن عمه كان فى السنة الثالثة فى المرحلة الابتدائية وحدث من زملائه انهم باشروا اللواط معه ·

ثم تاب وأصبح الآن فى السنة الثالثة فى المرحلة الثانوية · وعندما يفكر فى الأيام التى مضت تتأزم نفسه · ومازال زملاؤه يوجهون اليه الفاظا قبيحة وسيئة بسبب ما حدث له · ويسأل على لسان ابن عمه :

(١) هل يتشاجر ابن العم مع هؤلاء الزملاء ؟

(٢) وكيف ينسى ما وقع له وهو فعل مشين ؟

(٣) وما جزاؤه عند الله ؟

● يقع هذا الفعل الشائن بين التلاميذ اذا كانت سنهم فى الفصل الواحد مختلفة غير متقاربين بعضهم من بعض · فبعض كبار السن منهم عندما يصل الى مرحلة المراهقة يفتش عن « الضحية » ويمارس معه هذا المنكر · والضحية عادة يكون ضعيف الشخصية لا يقاوم الاعتداء عليه · وضعيف الشخصية ليس بلازم أن يكون ضعيف البدن · بل بالأحرى يكون ضعيف الارادة ، وضعيف الارادة اما ان يكون وراثيا « لا يهش ولا ينش » كما يقال · واما بسبب مشاكل الأسرة فى المنزل أو بسبب الخصومات المتكررة بين الوالدين ، أو بسبب دفع الاولاد الى الانزواء وعدم المشاركة فى الحديث أو النشاط الجارى فى داخل البيت · فينطوى الولد على نفسه · ويبتدىء يفكر فى همومه · فاذا ذهب الى المدرسة ذهب وهو مسلوب الارادة والوعى ، ومشلول الحركة · فاذا رآه بعض الذئاب من رفقائه تجمعوا حوله وأرغموه

استغنى » (١) ٠٠ فاحساسه بالصحة اليوم يطغيه ويوهمه بأنه ليس فى حاجة الى موجود آخر ٠ ولو كان الله نفسه ٠ ولا يدرى أن الانســـان بطبيعته غير ثابت على حـــال واحـــدة : يكون اليوم ثريا ٠٠ وغدا فقيرا ٠ ويكون اليــوم صحيحا معافا ٠٠ وغدا مريضا هزيلا ٠ ويكون اليوم شابا قويا ٠٠ وغـــدا شيخا ضعيفا ٠ فطغيان الانسان عندما يحس بالاستغناء عن الآخرين : ظاهرة تتصل بطبيعته الانسانية ، اذا لم يهذبها الايمان بالله ٠ ولذا يقسم الله سبحانه بأن الانسان فى خسر وضياع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيقول :

« **والعصر ٠ ان الانسان لفى خسر ٠ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » (٢) ٠٠ أى ان شأن الطبيعة البشرية تسوق الانسان الى الخسران عن طريق الطغيان بالمال ٠٠ أو بالصحة ٠٠ أو بالعصـــبية والأولاد ٠٠ أو بالجاه والســـلطان ولكن المؤمن بالله الذى يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ، ويصوم رمضان هو بمنجاة من هذا الخسران ٠

واذا كان الزوج ـ بعد أن استعاد صحته ـ ولى هاربا من عبادة المولى سبحانه الذى أنعم عليه بالشفاء ، فليس بمستغرب عليه : أن يهرب من زوجته التى مرضت واعجزتها الشيخوخة عن العمل ، واصـــبحت لا تغريه كامرأة يعاشرها ٠

● وعلى اولادها الآن ذكورا واناثا : ان يرعوها وان يقـدموا لهـا ما تحتاجه فى هذه السن ، وبعد كدها وعملها المتواصل فى ســبيل تنشئتهم ٠ يجب ان يترجموا وضعها الحالى الى دوافع تدفعهم الى الاحسان اليها فى جميع صور الاحسان : بالقول ٠٠ الى المودة ٠٠ الى العمل ٠ يجب أن يعملوا على ان تنسى والدهم فى حياتها ٠ فمن نسى الله لا يؤمل فيه الانسان خيرا ٠ وتذكرها لوالدهم يثير فى نفسها : الغضب عليه ٠ وهى فى حاجة الى ان تكون هادئة البال ٠ وذلك بترك امره الى الله ٠

وهم أن احسنوا اليها كانوا بارين بها ، ومعترفين بجميلها عليهم ٠ اذ لولاها ولولا تضحيتها بصحتها وبمتعها المادية فى الحياة لما بلغوا مثـل ما بلغوا اليه الآن ، فكونوا أسرا جديدة ، وكانت لهم أولاد تقر بها أعينهم ٠

وهى وأولادها يجب أن يسدلوا ستارا على حياة الزوج والوالد ٠٠ وان يطلبوا من الله هدايته فيؤدى ما يجب عليه نحـو مولاه ٠ يجب ان لا ينتقموا

---

(١) العلق : ٦ ، ٧ (٢) سورة العصر ٠

فليكن السائل وفيا لزوجته · وليعلم بناته الوفاء لأمهن · ليكن محسنا · فما جزاء الاحسان الا الاحسان ·

* * *

١٠٧ ـ الوفاء فى الشدائد :

مواطنة من احدى المحافظات ـ تقول :

انها عاشت مع زوجها حتى الآن خمسة وثلاثين عاما · وقد كان فى السنى الأولى للزواج مريضا فتحملت هى تربية الأولاد ، وتزوج بعضهم · وقد من الله على الزوج بالصحة واصبح يكسب بيده على عكس ما آلت صحتها اليه من المرض والشيخوخة · ولم يقابل نعمة الله عليه بابرائه من المرض : بالشكر فيؤدى ما يجب عليه من صلاة ، وصوم ، وما يطلبمنه من نفقة على زوجته المريضة والطاعنة فى السن · بل على العكس يخاصمها مددا طويلة قد تصل الى الشهرين ·

وتسأل عن حكم الاسلام فى هذا الرجل ؟ ·

● ما قامت به الزوجة أثناء مرض زوجها من العمل للانفاق على الأسرة وتربية الأولاد يعتبر نعمة كذلك عليه من الله ، لا تقل عن نعمة شفائه مما أصابه من مرض · فلولا حدبها على العمل ما تكونت أسرة ، وربما ما شفى هو أيضا من المرض · ثم ما صارت اليه من ضعف فى الصحة وكبر فى السن: نتيجة لعملها المتواصل الذى استهلكت فيه ، ولم تستمتع فى الحياة بسببه · اللهم الا استمتاعها بالأولاد فى نموهم وفى نجاحهم وانتقالهم من مرحلة الى أخرى · حتى بلغوا سن الزواج وكونوا أسرا جديدة ·

وكان من المنتظر بعد أن تربى الأولاد ·· وبعد أن شفى أبوهم : أن تجد منه على الأخص ما يرد لها جميل الماضى ، وبالكلمة الطيبة قبل لقمة العيش أو كسوة البدن فهى انسانة تؤثر فيها الحسنى ، قبل أن تكون جسما يحتاج الى غذاء وكساء لستر عورتها ·

وكان المنتظر من الزوج وقد مرض زمنا طويلا : أن يعرف الله ، وأن يحس بوجوده قريبا منه ، وأن يهب بقية حياته لشكره جل جلاله على الشفاء والعودة الى مباشرة العمل فى صحة وفى وضع طبيعى · ولكنه يتجافى عنه وينكره فلا يصلى ، ولا يصوم ·· ويطغى بصحته اليوم وينسى ما كان فيه بالأمس · وذلك شأن الانسان غير المؤمن : « **كلا ان الانسان ليطغى · أن رآه**

بخدمات لها بعد أن فقدت بصرها ولم يتعود أن يقوم بها من قبل ؟ ٠٠ هل كان رقيق المشاعر نحوها وأبدى لها من العواطف ما تتأكد منها : أنه لم يزل يتعلق بها ويحرص عليها ؟ ٠

هل أولادها البنات كن حريصات على احســـاس والدتهن بعد فقدها بصرها ، أزيد مما كان من قبل ؟ ٠٠ هل لم يجرحنها بنكتة ٠٠ أو ضحكة ٠٠ أو همسة ٠٠ أو اشارة عابرة لا تراها ؟ ٠٠

ان الزوج السائل لو حاول ذلك ، ولو حاولت بناتها كذلك أن يحرصن على احساسها : لما خرجت من منزل الزوجية ، وتركت الزوج يشكو عـــدم معاشرته لها ويطلب حقوقه الزوجية منها ٠

ان الزوج فى سؤاله يرى انها بسكناها عند والديها : ارتكبت خطأ يشك فى أن الله سيغفره لها ٠ ولذا يقول فى السؤال : هل الله يسامح هذه الزوجة فى هجر بيت الأولاد ومنزل الزوجية ؟ ٠

ألم يكن ما قامت به قبل فقد بصرها لزوجها وأولادها الثمانى منه : بكاف فى التعبير عن قيمتها كأم ، وزوجة ؟ ٠

كان يظن ان الزوج يكون حدبا على رعايتها فى ذاتها بدلا من أن يطلبها لفراش الزوجية ٠ كان يظن ان الزوج يكون أكثر انسانية فيعوضها عن فقد بصرها بما لا يجعلها تفكر فى قدر الله لها فتهرب الى حيث ولدت ونشــأت فى منزل والديها ؟ ٠

● على السائل أن يتجه الى الله جلت قدرته ، ويطيعه فيما أمر به من عدل ، واحسان ٠ فأما العدل فهذه الزوجة التى كف بصرها على كبر : لهـــا حق فى عنق زوجهـــا ، يجب أن يؤدى لها ٠ وهو حق الرعاية لحاجاتها ٠٠ ومشاعرها ٠٠ وخدماتها ٠٠ دون أن تكلف باداء أمر ما ٠ وأما الاحســـان فهو احتضانها بالحنو ، والمحبة ، والتكريم طالما هى على قيد الحياة ٠

على السائل أن يترك الأنانية التى دفعته الى الشكوى من زوجته هنا، لأنها هجرت فراش الزوجية ، وهو له حقوق قبلها ٠ فالمسلم هو الذى يتعامل مع القيم الانسانية : يتعامل مع العدل ٠٠ والاحسان ٠٠ والرحمة ٠٠ والمودة ٠٠ والكرامة ٠٠ هو الذى لا تتحكم فيه شهوته ولا هواه ٠٠ هو الذى يحس بمسئوليته ازاء الآخرين ٠٠ والزوج مســـئول عن أهل بيته ٠ وفى مقدمتهم الزوجة ٠

وثالثا : انها تركت منزل الزوجيــة ببلدته ، وتقيـم فى بيت أبيهــا بمحافظة أخرى · وترفض العودة الى أولادها وزوجها ، منذ ثلاث سنوات مضت ·

ويسأل عن رأى الدين فى ذلك :

هل الله يســامح هذه الزوجة فى هجر بيت الأولاد ومنزل الزوجية ؟ وهناك من البنات من تحتاج الى رعايتها ·· وهناك الزوج له عليها حقوق ؟

● يظن السائل أو يعتقد أن زوجته ، بعد أن كف بصرها ، هجــرت منزل الزوجية وتركته كزوج ، وتركت أولادها منه · ولكن هى فى واقع أمرها هربت منه مكرهة · كانت تبصر فكان زوجهــا يراها وهى مبصرة · وكانت بناتها يرونها وهى مبصرة · وتعـودت أن ترى ·· وتعـودت أن تلاحظ ·· وتعودت أن تستقل فى حركتها ·· وتعودت أن تفعل ما تريد بنفسها أو أن تأمر بفعل ما تريد ·

أصبحت الآن بعد أن كف بصرها فى حاجة الى غيرها ·· وفى حاجة الى من يسايرها فى حركتها ·· أصبحت غير مستقلة فى تقدير الأمور : لا تلاحظ غيرها · وانما غيرها هو الذى يلاحظها ·

كانت بالأمس تعرف رأى زوجها فيها بالنظرة دون أن يعبر عنه · وتعرف رأى بناتها عندما يحدثن بعضهن بعضا من غير غمز أو لمز · أصبحت اليوم فى حيرة من أمرها · هل لم تزل مقبولة كزوجة عند زوجهــا ؟ هل بناتها لا يسخرن منها ولا يتغامزن عند الحديث عليها أو معها ؟ ·

انها لم تعد تملك أمر نفسها ·· ولا أمر بيتها ·· ولا شأن بناتها · انها قد عزلت عن حياة الأسرة وأصبح دورها فيها ســلبيا ·· ومن أجل ذلك : شــأنها شأن من كان يملك الكثير فأصــبح لا يملك القليل · انها عاجزة ·· وبائســة ·· وتكاد تكون يائســة · واذا ادعت أن عليها بعض أوليــاء الله الصالحين فلكى تدارى وضعها الذى وصلت اليه ·· فلكى تقول للآخرين : ان ما بها من حال قد تغير : يعود الى هؤلاء الأولياء ·· وانهم العوض عما كان لها من بيت ، وأولاد ، وزوج · انها تسلى نفسها بقصة الأولياء من عباد الله الصالحين !

● هل حاول الزوج السائل أن يعيد اليها الثقة فى نفسها ، بعد أن كف بصرها ؟ هل حدثها عما يكن لها من احترام ومحبة ، وتقديره لها عـلى خدماتها الماضية ؟ هل حافظ على احساسها فى معاملته اياها ؟ ·· **هل قام**

هذا هو طريق الله فى معاملة ذوى القربى · فيجب العفو والصفح عنهم ·· ثم مع ذلك يجب استئناف العطاء لهم ، ان كانوا أصحاب حاجة ، كما كان الوضع قبل مباشرتهم اساءة ما ، لأقاربهم من أصحاب اليسار · وتطبيق هذا التوجيه القرآنى من أخ السائلة عليها هو :

أولا : أن يغفر لها اساءتها ، ويصفح عنها ، ويعيد اليها الاحساس بالأخوة فهى شقيقة وترى فيه سندها بعد الله جل شأنه ·

وثانيا : أن يتيح لها دخول منزله لتزور والدتها ، وتزور أهله كذلك ولتفكر عن سيئتها السابقة ان كانت لها سيئة معه بهذه الزيارة ·

وهو ان فعل هذا وذاك : كان من الذين يحبون أن يغفر الله لهم أخطاءهم، ان أخطأوا فى حياتهم · ومن منا لا يحب أن يغفر الله له خطأه ؟ ·· فالانسان غير معصوم وجل جلاله وحده هو الكامل كمالا مطلقا ·

● يجب أن لا تأخذ الحمية الجاهلية القادرين من ذوى القربى ـ كالأخ هنا بالنسبة لشقيقته ـ ويمنعها حقا مشروعا أقرته شريعة الله ، بجانب حرمانها من اعتزازها بعصبيته · والاستناد اليه فى أزماتها يجب على أخ السائلة أن يتريث ويعيد تقييم العلاقة بينه وبين شقيقته · وسيجد ان التسامح مع ذوى القربى خير سبيل فى حياة الانسان ، وفى علاقته بمن لا يستطيع تجنبهم مدى الحياة ·

وربما السائلة هنا تلتمس من السماح لها بزيارة والدتها عند أخيها : عودة العلاقة معه الى طبيعتها · ولذا عليها أن تبدى استعدادها لقبول التوجيه من شقيقها اذا كان فيه مصلحة الطرفين ·



١٠٦ ـ من هم أولياء الله ؟

يعرض عامل نسيج ـ قطاع خاص ـ باحدى المحافظات ·· ما يأتى :

أولا : ان زوجته فقدت نظرها منذ ثلاث سنوات ، وأن له منها سبع بنات متعلمات وولدا فى الصف الثانى فى المدرسة التجارية ببلدته ·

وثانيا : انها بعد أن فقدت بصرها أصبحت تدعى أن عليها أولياء من عباد الله الصالحين ، رغم انها لا تؤدى فروض العبادات !

واذا كان الأخ لا يريد أن يأذن لأخته بدخول مسكنه لترى والدتها فيه فعلى الأقل يتفق مع أخته على أن تراها فى منزل قريب لهما معا · وفى الموعد المحدد ينقل والدته الى هذا المنزل ويتركها فيه الى أن تنتهى زيارة ابنتها لها ·

أما منع زيارة البنت لأمها ، وهى شقيقته ، فهو أمر بعيد عن الاحسان الى الأم·والاحسان مأمور به الى الوالدين من الأولاد·لأن الأم ستتأذى نفسيا بالحيلولة بينها وبين ابنتها ، مهما كانت علاقتها بأخيها سيئة · وكذلك بعيد عن المعاملة الواجبة والكريمة لذى الرحم · وهى شقيقته · فهى ابنة لأمها ، وأمها والدة لها · وعلاقة القربى فى الدم والرحم قائمة ، وتدفع الى المودة والتواد بين ذوى القربى ·

● على أن شقيق السائلة اذا رأى فى موقفه من أخته بمنعها من أن تلقى والدتها فى منزله : عقوبة لها على خطأ ارتكبته فى حقه أو فى حق أسرته الخاصة ·· أو ارتكبته فى مسلكها الشخصى ·· أو فى حق والدتها ، فليس ما يفعله هو السبيل الناجع للبعد عن الخطأ أو لتصحيحه · هى أخته ، وهى امرأة فى نفس الوقت · ولا ينبغى له أن يعلن عقوبة الخطأ على نحو ما يعلنه الآن من منعها دخول مسـكنه · بل كان ينبغى ان يذهب اليها فى منزلها أو يدعوها الى مقابلته فى مسـكن أحد الأقارب لهما ويعرض عليها رأيه فيما أخطأت فيه فان لم تستجب له أنذرها بخلافه معها ، ولكن ليس بحرمانها من لقاء والدتها ، فضلا عن طردها اذا حضرت اليها حيث تقيم معه ·

وقد امتنع بعض الصحابة عليهم رضوان الله من عطاء المال لبعض أصحاب الحاجة من أقاربهم وذوى رحمهم بسبب اشتراك هؤلاء الأقارب فى نقل أخبار السوء عن عائشة رضى الله عنها فى حادث الافك ، فنزل قول الله تعالى : « **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة** (أى لا يحلف أصحاب المال والرزق الوفير منكم)**أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله** (على أن لا يعطوا من أموالهم : أصحاب الحاجة من أقاربهم كما كانوا يعطونهم من قبل بسبب مشاركتهم فى أذى عائشة رضى الله عنها ، وأذى الرسول عليه السلام ، وأبى بكر رضى الله عنه ، بنقل اشاعة السوء عنها فيما يسمى بحادث الافك) ··

ثم يطلب الصفح والغفران من هؤلاء الموسرين ، والعودة الى العطاء من جديد ، فيقول : « **وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم** » (١) ··

---

(١) النور : ٢٢

● ان على الزوج السائل : أن يصبر ٠ وطالما أعلنت زوجته : التوبة عما مضى ، وأصرت على عدم العودة لما كان ، فلا يذكرها من وقت لآخر بما وقع منها ٠ وليكن حذرا فى المستقبل فى أمر الاختلاط مع زوجته ٠ وليفتش فى علاقته معها ان كان ينقصها شىء ٠٠ أو يفوت عليها أمر ترغب فيه ولا يؤديه لها ٠ فقد تتضرر الزوجة من عدم وجود وقت كاف لدى زوجها لها ٠ وهنا فى وحدتها قد ترتكب الخطأ فى شغل فراغها : اما بالزيارة لجارة لها ٠٠ أو بالدردشة من النافذة معها ٠٠ أو بمشاهدة المارة فى الشارع أو فى الحارة ٠٠ أو بالخروج والتسكع فى الأسواق المجاورة ٠٠ وغير ذلك مما يقتل الوقت فى غير جدوى ، أو فيما قد يوصل الى ضرر لها ولأسرتها ٠

وكلما كان الزوج قليل الحديث مع زوجته فى أخطاء ارتكبتها كلما كان ذلك أشد تأثيرا عليها ٠٠ وبالتالى كلما كانت متيقظة ٠ لما يدور فى محيطها ، فلا تندفع نحو خطأ مماثل لما فات ٠

أما الأخ الذى طرد من مسكن الزوجية فالأولى بالسائل أن لا يثير معه علاقته بزوجته ٠٠ بل الصمت ٠٠ وعدم اظهار العداوة أو الغضب عليه من وسائل العلاج الناجعة لمشكلة اعتدائه على عرضه مع زوجته ٠

وليكن الزوج فى أسرته قدوة عملية فى أداء ما يجب : لزوجته ولأولاده ٠ فان ذلك ادعى لاحترامه ٠ وتماسك بنيان أسرته ٠

* * *

١٠٥ ـ صلة الأرحام :

مواطنة من احدى المحافظات ، تقول :

لى والدة تعيش مع أخ لها فى منزله ٠ وتريد أن تزورها من وقت لآخر ٠ ولكن أخوها يمنعها من الزيارة ويهددها بالأذى ان هى اقتربت من المنزل ٠٠ وتسأل عن رأى الدين فى منعها من زيارة والدتها ٠

● يجوز أن يكون هناك سوء تفاهم بين الأخت السائلة وأخيها الذى تسكن أمها معه ٠ ويجوز أن يكون الأخ غير راض عن سلوك أخته ٠ ويجوز ان زوجته لا تريد أن ترى هذه الأخت لسبب من الأسباب ٠ ويجوز أن تكون هناك أسباب أخرى تحول دون أن يأذن الأخ لأخته فى زيارة أمها عنده ٠ ولكن الأم هى أم للأخ وأخته ، وليست أما لواحد منهما ٠ ومن حق ابنتها أن تراها ٠ كما انه من حق الابن أن يراها كذلك لو كانت تسكن مع ابنتها ٠

ان السائل يردد الآن فى نفسه :

— هل أخطأ التقدير عندما أباح لأخيه السكنى والاقامة معه ومع زوجته فى مسكن الزوجية ؟

— هل أخطأ التتدير عندما أحسن الظن بزوجته فى تمسكها بالعفة والكرامة، كامرأة تحرص على استمرار العلاقة معه : شريفة نقية ، لم تمسسها شائبة من شوائب الخيانة الزوجية ؟ ٠

— هل لم يعرف زوجته طوال الاثنتى عشرة سنة التى مضت ، معرفة تمكنه من الحكم على اتجاهها فى الحياة ؟ ٠

— ألم يرها تؤدى فروض العبادة لله وحده ؟ ٠ أو ألم يحس منها : النفرة ، اذا ما ذكر الله أمامها ؟ ٠

وغير ذلك من الأسئلة يدور فى خلده ٠

كثيرون من الشبان والشابات ينظرون الى مسألة « التدين » على أنها تتصل بالماضى أكثر من أن يكون لها تأثير فى الحاضر أو فى المستقبل ٠ وهذه النظرة غير صحيحة ٠ فالتدين الصادق هو صمام الأمان فى الانسان ٠٠ هو الوقاية من الانحراف فى السلوك ٠٠ هو السبيل الى معرفة الواجب وأدائه ٠٠ هو السبيل الى معرفة ما لله ، وما للشيطان ٠٠ وما يكون لله يصور القيم العليا فى حياة الناس ٠٠ وما يكون للشيطان يمثل الدنية والحيوانية فى نفس الانسان ٠

التدين هو ايمان بقيم ومثل عليا فى حياة الانسان ، فى علاقة الانسان بالانسان ٠ ولو كانت الزوجة متدينة لأدركت أن هناك أهدافا ومثلا أخرى فى علاقتها بزوجها وبولديها وراء متعة البدن واغراء الشيطان بشباب شقيق زوجها ٠٠ لأدركت انها ترتبط بزوجها بميثاق الحماية لكرامة كل منهما ٠ والكرامة لا تقاس بمتعة ، ولا بمال ٠ وانما هى معنى يزهو به الانسان ان تحقق فى نفسه ٠ لانها فوق الضعف ، والهوان ٠ هى تصور كبرياء الانسان وسموه ٠ والمرأة ذات الكبرياء يصعب عليها ـ ودون ذلك حياتها ـ أن تقبل الاهانة لنزوة عابرة ٠ وهى اهانة العار ٠٠ وعدم الأمانة ٠٠ وعدم العفة ٠٠ وعدم الوفاء لغيبة زوجها ٠٠ والاحساس لديها بالخسة والحقارة لنفسها فى نهاية تلك النزوة العابرة ٠

والتدين ليس فيه قديم وجديد ٠ وانما هو سلوك ، ومعاملة ، وتفكير ، يلتزم فيه الانسان بالمستوى الفاضل فى الانسانية ٠ وكلما بعد هذا المستوى عن خصائص الحيوانية ، كلما اقترب من ميزات الانسان كانسان ٠

١٠٤ ـ نزوات الشباب :

شاب متزوج منذ اثنتى عشرة سنة · ومنذ سنة سكن أخوه فى المنزل معه، بالاضافة الى بعض من افراد أسرته·ثم حصل خلاف بينهموبين زوجته·وعندما راجع هذا الخلاف اتضح له أن زوجته تقف بجانب أخيه مخطئا او مصيبا · وقد فاجأها بطرده من المنزل · وبأن طلب منها الحلف على المصحف بأنها ليست لها علاقة غير شريفة به · فاهتزت وانزعجت ، واعترفت بما كان بينها وبين أخيه ·

ثم يقول ان لى منها ولدين ·· وانه من تاريخ هذا الاعتراف وهو مرهق ومتعب نفسيا ، بسبب ما وقع بين أخيه وزوجته · ويسأل عن رأى الدين فى ذلك كى يطمئن · فارهاقه لا يحد ·

● ان السائل يشق على نفسه أن يعادى أخاه ، ويقف منه موقف الخصومة العنيفة كما يشق على نفسه كذلك : أن يترك زوجته ويفارقها وهو له منها ولدان · ومن هنا كان تعبه النفسى وارهاقه الذى يصفه بأنه غير محدود ·

انه ينظر الآن الى الحياة نظرة تشاؤم · كيف يستمر مع زوجته ـ على الأقل من أجل ولديه ـ ويطمئن نفسيا الى سلوكها ، بعد أن جنحت عن الطريق السوى وعاشرت أخاه معاشرة بغيضة ، أهانت بها زوجها ، وألحقت النقص بكرامتها ، وبأمومة الولدين ؟ ·

ان زوجة السائل لم تعد المرأة العزيزة والمحترمة فى نظر زوجها ·· ولم تعد الأم الكريمة التى تحتضن أولادها · انها أصبحت رخيصة كالسلعة التى يطلبها من يشتريها مكرها ، دون رغبة فيها لذاتها ·

وان أخ السائل لم يعد الرجل الذى يعتمد عليه أخوه فى أزماته · بل أصبح الشخص الذى يسبب له الأزمات ، ويعقد عليه أسلوب الحياة ·

السائل ربما لا يطيق الآن أن يرى زوجته ·· كما لا يطيق أن يرى أخاه · لأنه ان رآها لا يتذكر الأيام الجميلة التى قضاها معها ، ولا الفترات التى كان يداعب فيها معها : الأولاد فى سن الطفولة قبل أن يسكن أخاه معه · وانما يتذكر فورا : المآسى التى سببتها فى معاشرتها لأخيه على حساب كرامته بعد أن أقام معه · وان رأى أخاه لا يجول فى نفسه الأمل فى أخوته وفى عصبيته له ولولديه كما كان يؤمل فيه يوما ما · وانما يتذكر حالا : أنه قد دنس شرفه باعتدائه عليه ، لحظة أن أغوى زوجته أو تأثر باغوائها له ·

● ويأتى بعد السؤال هنا عن موقف الاسلام من الزواج : موقفه من الاهانة التى يوجهها الأولاد اليه · والاسلام – وهو الذى يأمر بالاحسان الى الوالدين – يعتبر قطعا أن أية اهانة توجه الى الوالد من أحد أولاده ، أو منهم جميعا : ضد ما يأمر به من الاحسان الى الوالدين ·

فمقاطعته ، وعدم التردد عليه للزيارة : ضد الاحسان اليه ·

وتوجيه النقد لأنه تزوج بنتا بكرا ، لم تتجاوز الثلاثين من العمر : ضد الاحسان اليه ·

واهانته ، والاستخفاف به ، واستخدام البذاءة فى الحديث معه : ضد الاحسان اليه ·

وارهاقه – وهو مريض بالقلب وتنتابه الأزمات – بالتفكير فى اساءة اولاده اليه وفى علاقتهم به : ضد الاحسان اليه ·

هو فى حاجة الى الراحة النفسية قبل حاجته الى الراحة البدنية · ولو كان يعلم من قبل : أن الزواج بغير أم الأولاد بعد وفاتها : سبب لانتقام الأولاد منه فى صورة ما : لما أقدم على الزواج ·· ولما عرض نفسه للتجريح والاهانة منهم · فمن الأصوات التى كانت ترتفع من أولاده ضده : صوت كان يطلب منه ويسأله « لماذا لم تحزن على أمنا ، ولا تتزوج أبدا » ؟ فهذا الصوت يحدد الدافع فى موأجهة والدهم · وهو صوت الانتقام منه ، لعدم الوفاء منه لوالدتهم ! ·

● ان الوالد يحمل الآن عبء نفسه فى المرض ·· ويحمل عبء زوجته فيما يجب عليه كزوج نحوها ·· ويحمل عبء الخصومة النفسية بينه وبين أولاده ·· وعبء غضبهم منه ·· هل يحتمل هذه الاعباء ؟ ولمدة طويلة ؟ ·

ان الواقفين الخيرين من المسلمين السابقين ، قد حبسوا من أملاكهم على رعاية أصحاب الشيخوخة فى سنواتهم الأخيرة ما يمكنهم من الحياة فى غير أعباء ·· وفى غير هموم وأحزان · ولكن أصحاب الزعامات فى المجتمعات الاسلامية بعد استقلالها اساءوا الى هذه الحبوس فعرضوها للضياع وبقيت مشاكل الناس من غير حلول · اللهم كن فى عون هذا السائل هنا ، واختر له ما يحفظ عليه كرامته الانسانية ·



ولكن بعد ما دخل بها وقف منه أولاده موقفا سيئا ومهينا له ·· وانقطع بعضهم عن زيارته ·· والبعض الآخر يزوره بعد فترات طويلة المدى · وهو لا يطلب منهم مالا ولا شيئا آخر ، مع أنهم موظفون ومتزوجون جميعا ·· ويسأل :

أولا : عن رأى الاسلام فى زواجه ؟

ثانيا : عن رأى الاسلام فى الاهانة التى يلقاها من أولاده ؟

● ان حالة السائل من وصفه اياها فى رسالته هنا : تستدعى الرعاية والعنـــاية به من غيره · من الذى يرعاه ؟ · أولاده ـ وهـم ثمانيـــة لا يستطيعون أولا يرغبون فى مباشرة مهمة الرعاية لوالدهم · بدليل أنهم اتفقوا جميعا فيما بينهم بعد مضى أربعين يوما على وفاة والدتهم : على أن يطلبوا اليه أن يتزوج · وقد تزوج فعلا ·

وبعد أن تزوج عابوا عليه : أنه تزوج بكرا فى الثلاثين من عمرها وهو فى الخامسة والستين · وكان ينبغى أن يتزوج امرأة فى سن متأخرة قريبة من سنه · وتدخلوا بنقدهم فى حياته الشخصية ·· وأساءوا فى النقد الى شخصه ·

وربما يوافقهم فيما أخذوه على والدهم فى هذا الزواج : أناس غيرهم · ولكن اذا كان هناك وفاق بينه وبين زوجته فى معاشرة أحدهما للآخر فليس لأجنبى عنهما ولو كان هذا الأجنبى من أولاده : أن يتدخل فى العلاقة بينه وبين زوجته ·

ربما قبلت زوجته الحـــالية الزواج منه لما تترقبه من فائدة مـــادية مستقبلا ، وهى الحصول على معاشه · فليس هناك واحد من أقربائه يستحق المعاش الآن سواها · وبذلك تضمن لنفسها معيشة فيها رخاء أكثر من ذى قبل · واذن ليس الأمر بينه وبين زوجته ما يستحق التعليق عليه من أبنائه أو من غيرهم ·· وليس هناك ما يغضب زوجته منه ·

● وايا كانت الدوافع لدى زوجته على قبول الزواج منه ، طالما كان هناك وفاق بينهما فالاسلام يباركه · ولا يتدخل فيه اطلاقا الا اذا وقـع ضرر على واحد منهما أو على كليهما · عندئذ قد تكون الفرقة بينهما ضرورية : اما بتطليق الزوج ·· أو باختلاع الزوجة منه ·

تمسك البنت بأن لا تكشف عن بدنها لأجنبى عنها الا الوجه والكفين : هو تمسك بالخط الذى يقيها : الانحراف والزلات ، اذا سارت عليه ·· والذى يمكنها من أداء المسئولية التى تناط بها كزوجة ، وأم · وهى المسئولية التى تناط بها فى أهل الزوج ، وجاء بها الحديث الشريف فى قوله عليه الصلاة والسلام : « والزوجة مسئولة وراعية فى أهل زوجها » ·

أما الأم فاذا كانت تعتقد فى الحجاب : أنه وقاية للبنت فعلا ــ ولا يقصد بالحجاب الشكل · وانما يقصد به المعنى الشامل وهو تجنب ما قد يميل بالفتاة الى الاثم والمعصية ــ ولكنه ربما يحول دون أن يرغب فيها الكثير من الشاب المعاصر الذى يكون قد تأثر باغراءات الحضارة المادية المعاصرة : من بريق ولمعان · والأم ــ كأم ــ تهتم بزواج ابنتها عندما تدخل مرحلة المراهقة ·· ويصبح زواجها عندها هدفا رئيسيا لها ·

● والسائلة الآن طالما تؤمن بالقضاء والقدر : لا تخشى فى حياتها الا الله وحده · وما يقضى به سبحانه سيكون خيرا لها · لأن من يقبل عليها الآن فى وضعها الحاضر ليس مطلق خاطب أو شاب ·· وانما هو واحد من الجادين الذين يضعون أنفسهم فى خدمة أسرهم : زوجاتهم وأولادهم ·· والذين يفرقون بين المظهر ، والجوهر ·· والذين لا تغريهم المظاهر ، بقدر ما يدفعهم الواقع الى تحقيق هدفهم من الزواج ·

ولعل تحجب السائلة يدفع عنها شياطين المجون والعبث الذين يسيئون الى الفتيات بشرورهم وبادعاءاتهم الباطلة · وعندئذ يكون الزى الاسلامى لها : وقاية وحماية ·

★★★

١٠٣ ــ بارادته سلم نفسه للاهانة :

يذكر مواطن مقيم بأحد أحياء محافظة القاهرة :

أنه أحيل الى المعاش منذ سبعة أشهر ، وأنه يبلغ الخامسة والستين عاما ــ ومريض بالقلب ، وتنتابه الأزمة فى بعض الأوقات ·

وتوفيت زوجته منذ أربعة أشهر وله منها ثمانية أولاد : أربعة من الذكور ·· وأربع من الاناث · وبعد مضى أربعين يوما على وفاة زوجته عرض عليه أولاده منها : أن يتزوج ولبى طلبهم كما يقول · وعندما مضت ثلاثة أشهر على الوفاة دخل بزوجته الجديدة · وهى بكر فى الثلاثين ·

العنق ·· ومرددة كذلك بين الحجاب · وهو عدم الاختلاط بالرجال : فى الشارع ، أو فى المدرسة ، أو فى الاجتماعات العامة ·· وبين السفور · وهو الاختلاط : فى العمل ، وفى الكلية ، وفى كل مكان يوجد فيه الرجل ، فى المواصلات العامة ، وفى الأندية ، والشواطىء ·· وغير ذلك ·

ومن أسباب هذه المتناقضات فى المظاهر والعادات : التأثر بالحضارة المادية الغربية واقتباس الكثير منها فى اللباس والشراب وغيرهما ، بجانب الابقاء على بعض العادات المتوارثة فى مجتمعاتنا الاسلامية · فهناك ازدواج · وبقدر ما يكون للطارىء من الحضارة المادية الغربية من أثر واغراء : بقدر ما يعترى القديم فى الموروث من ضعف ·

والمتناقضات تعدت المظاهر الى الجوهر والموضوع ·· تعدتها الى الحلال ، والحرام ، ·· والى ما ينبغى وما لا ينبغى · وقد يكاد يكون ما لا ينبغى هو المقبول والشائع أو على الأقل غير منكر وغير مستهجن · فالسفور والاختلاط ·· والرقص وملامسة الأبدان ·· واتخاذ الأخدان ·· وتناول الخمور والكحول ·· والعلاقات المريبة بين النساء والرجال : مما لا ينبغى، ومما هو مستورد وطارىء على ما فى المجتمعات الاسلامية من عادات ، ومع ذلك لا يستهجن · بل ربما الكثير من الشباب يرى فيه حضارة يقبل عليها ، ويزدرى الرأى الذى يحرمها ·

والسائلة هنا واحدة من كثيرات يعشن بين هذه المتناقضات · ووالدتها واحدة أخرى تعيش بينها · ولكن تختلف عنها فى النظرة الى هذه المتناقضات، تبعا لرد الفعل فى نفسها · فالأم اذ ترى : أن كشف شعر الرأس ربما يكشف عن محاسن البنت ، وبالتالى يجذب الشاب الخاطب اليها ، اذا بالبنت وهى متأثرة برأى الاسلام فى أن المرأة لا تكشف لأجنبى عنها سوى الوجه والكفين: تلتزم هذا الرأى ، وتعتقد ان التزامها به لا يفوت عليها الفرصة فى الحياة، اذا أراد الله أن يسعدها فيها · فالبنت تؤمن بالقضاء والقدر ·· وأن ما يكون من نصيبها لا يتخلف بل لابد أن يواتيها · وعليها فقط أن تلتزم طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه · كما تؤمن أن الشاب الجاد فى الحياة لا يرده عن خطبة امرأة ولا عن زواجها : تدينها واتباعها لتعاليم الاسلام · بل على العكس : تدين الفتاة هو مصدر صلاحيتها وأهليتها لأن تكون زوجة ، ولأن تكون أسرة قوية فى بنيانها ، وفى توجيهها · وأقل ما ينتج عن تدينها : احتفاظها بعفتها ·· ووفاؤها ·· وأمانتها ·· وقيامها بحقوق الزوج وتربية الأولاد وتنشئتهم ·

وتهرب الأزواج من مسئولياتهم نحو زوجاتهم وأولادهم · ألم يصل الى سمع السائلة : ما يقوله الناس من الجيران والمعارف عنها من سوء ، بعد انصراف زوجها العرفى متسللا من منزلها فى البكور وقد قذف بنفسه فيه تحت جنح الظلام ؟ · ألم يصل الى سمعها أيضا مشاكل هذا الزواج من انكار الحقوق الزوجية ·· وانكار الولد منها عند المواجهة ؟ · ان الزواج العرفى ـ فى نظرى ـ لا يحقق الغاية التى يشير اليها قول الله تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** » (١) فالقرآن الكريم يحدد أهدافا ثلاثة للزواج ، كما ترسم حدوده ومعالمه سنة الرسول عليه السلام : الاطمئنان بين الزوجين ·· والمودة ·· ورحمة كل منهما الآخر · وما أبعد الزواج العرفى عن اطمئنان النفوس واستقرارها·· وما أقربه الى زواج المتعة الذى كان شائعا فى الجاهلية وحرمه الاسلام الى الأبد فى حجة الوداع ·

★ ★ ★

١٠٢ ـ فلتراقب الله فيما تفعل :

آنسة من احدى المحافظات تقول :

انها حائرة بين أن تظهر بالزى الاسلامى كاملا ، بما فيه غطاء الرأس ، وتغضب بذلك والدتها ·· أو أن تكشف عن شعرها وترضى والدتها ، بينما تخرج عن التمسك بتعاليم الاسلام ؟ ·

وقد تقدم لخطبتها شاب لم يرها بعد ، وهو يعلم بتحجبها ·

● المجتمع المصرى فى مقدمة المجتمعات الاسلامية المعاصرة يجمع بين عدة متناقضات فى اللباس ·· وفى العادات والسلوك · فلباس الرجل يختلف بعضه عن بعض : بين اللباس القروى ·· واللباس الأجنبى · وعادات الناس تختلف فى الأكل والشرب : بين الأكل بالأصابع واستعمال البديل عنها مما يصنع من المعادن ·· وبين شرب الماء ·· أو شرب الكحول والخمور ·

والمرأة المصرية فى لباسها مرددة بين القصير جدا ·· والطويل جدا، فى الثياب التى ترتديها ·· وبين الكاشف عن مواضع عديدة من بدنها ·· والساتر لجميع البدن ··· ومرددة بين شعر الرأس المكشوف ·· والمغطى ·· وبين الشعر القصير الذى يعرى عنقها ·· والمرسل الذى يستر خلف

---

(١) الروم : ٢١

الأمر الثالث :

الوليمة التى تقام احتفالا بالزواج واعلانا للجيران والمعارف فى أوسع دائرة ممكنة : بوقوعه · وفى الأمر الثالث يروى عن أنس رضى الله عنه عن الرسول ﷺ ·· « أن الرسول لقى عبد الرحمن بن عوف فسأله ما هـذا ؟ قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب · قال : بارك الله لك ·· أولم ، ولو بشاة » ··

وبما ينصح به الاسلام هنا من اشهار الزواج والاعلان عنه : تبتعد السرية ، والتستر والتخفى فى اقامة العلاقة بين الرجل والمرأة ·· وفى انجاب الأولاد وتكوين الأسرة مستقبلا ·· وفى مسئولية الزوج عن شئون الزوجية وشئون الأسرة منذ اقامتها ·

وبعض الفقهاء يجيز عقد الزواج بغير ولى للزوجة وبغير شاهدين · كالعقد العرفى هنا · ولكن هذا الرأى ضد رأى الكثرة من الفقهاء ·· وضد الهدف الحقيقى من الزواج · وهو اعلان العلاقة بين الرجل والمرأة اعـلانا صريحـا وواضحا ، وقائما على المسئولية ·

ولنفرض الأخذ بصحة عقد الزواج العرفى بين السائلة وزوجها الأول فطلاقه لها بقوله : أنت طالق ، يقع صحيحا ولا يحتاج فى صحة وقوعه الى شهود · وطالما مرت سنة على وقوعه ـ وهو طلاق رجعى ـ يصبح طلاقا بائنا ونهائيا لا رجعة فيـه ، بانتهـاء عـدتها · وهى ثلاثة أشهر أو ثلاث حيضات ·

واذا كان الطلاق وقع صحيحا ، فعقد الزواج الثانى العـرفى صـحيح على افتراض أنه جائز عند بعض الفقهاء ، رغم أنه لا يوجد ولى للزوجة ، ولا شاهدان فيه · وعليه تكون معاشرة الرجل الثانى للسـائلة معاشرة شرعية ، وان تركز قصده عليها عندما يحضر لها متخفيا من زوجته الأخرى ومتهربا من المسئولية الزوجية فى الانفاق على الزوجة ·

● ولا أدرى ما اذا كانت الاعتبـارات التى تحمل الزوجة عـلى التخفى فى الزواج مرتين : أقوى لديهـا من المأمور به صراحة فى اعـلان الزوجية واشهارها ؟ ما يطلبه الله من عباده ، هو لصالحهم · فاذا كان يطلب العلانية فى الزواج فالصالح الرجال والنساء عندما يتزوج بعضهم بعضا ·· ولصالح المجتمع الذى يعيشون فيه ·

واذا كان لا يرضى عن التخفى والتهرب من العلانية فى عقد الـزواج فلأنه يريد أن يجنب أصحاب السرية فى الزواج : الشائعات السـيئة ··

ثم تزوجت زواجا عرفيا كذلك برجل آخر وتمت المعاشرة الزوجية . وهى تسأل : هل لابد من وجود شاهدين عند الطلاق ؟ وبناء على ذلك يكون الزواج الثانى غير شرعى ؟ وتكون المعاشرة الجنسية بين الاثنين : زنا ؟ علما بأن هذا الزوج الثانى لا يأتى الى المنزل الا لهذا الطلب ، أى للمعاشرة ، ولا يتكلف مصاريف هذا المنزل لزواجه من أخرى .

● ان الســائلة فتاة متدينة ، كما تذكر . وهل من التدين أن تخفى زواجها مرتين فلا يعلم به أحد ، أولا يعلم به الا قلة ؟ . انها تزوجت مرة بدون مأذون لأسباب عائلية كما تدعى . ولم يعجبها الزوج فطلبت منه الطـلاق فقال لها : انت طالق ، فى غيبة الشهود . وبذلك تكون قد تزوجت متخفية .. وطلقت متخفية عن الناس كذلك .

ثم تزوجت للمرة الثانية متخفية أيضا : أى تزوجت زواجا عرفيا كذلك . وتزوجت برجل هو متزوج بأخرى . وهذا أدعى للتخفى . ولا يزورها الا فى ظلام الليل لقضاء رغبته معها . ولا يتكفل لها بشىء ، مما يتكفل به الرجل شرعا لزوجته من نفقة المسكن .. والمأكل .. والملبس . وبالتالى لا يعلن عن مسئوليته عنها .

والسؤال الآن : هل كان هناك شهود عند عقد الزواج العرفى الأول .. والثانى ؟ لم يتضح جواب هذا السؤال من رسالة السائلة . والذى ذكر فى هذه الرسالة فقط ان الطلاق ممن عقدت قرانها عليه أولا كان فى غيبة الشهود. وهنا كان تساؤلها : هل عقد الزواج الثانى وقع صحيحا أم فاسدا ؟ . واذا كان فاسدا تكون المعاشرة الجنسية بينها وبين الزوج الثانى : زنا ؟ .

● الاسلام ينصح دائما باشهار عقد الزواج واعلانه حتى تتضـح معالمه وتتميز عن « الخدان » والمعاشرة السرية بين الرجل والمرأة .

ومما ينصح به فى اعلان الزواج : جملة أمور :

الأمر الأول :

وجود شاهدى عدل يشهدان بوقوع : الايجاب .. والقبول بين المرأة والرجل .

الأمر الثانى :

وجود ولى من عصبية الزوجة ، ضـــمانا لجدية العقد وصـــلاحية الاختيار . وفى هذين الأمرين يروى عن عائشة رضى الله عنها قول الرسول ﷺ : « لا نكاح الا بولى .. وشاهدى عدل » ..

توريط الشاب وتعقيد مشكلته مع الاثنتين · فقد يتحرج الآن فى استمرار علاقته بأم البنت · بينما لا يحس بأن الزواج بالبنت قد أعطاه شيئا جديدا لا يرضى به بديلا عن وضع العلاقة السابقة معها أثناء خطبتها ·

ان الأم مازالت تميل نفسيا الى زوج ابنتها ، وتتعلق به · وميلها اليه: عبء عليه الآن · والبنت بعد الزواج أصبحت ترى أن لها وحدها الحق فى الاحتفاظ بهذا الشاب ، ورفض أية مشاركة بأية صورة لغيرها فيه · ولو كان هذا الغير هو أمها ·

ان زواج البنت بالشاب خلق فى نفس الأم : الغيرة من ابنتها ·· كما خلق فى نفس البنت الغيرة من أمها · وأصبحت الأم والبنت كضرتين تربطهما برجل واحد علاقة قران بهما معا · وكما أوجد فى نفس الشاب الحيرة والقلق على مستقبل علاقته بهما ·

ذهبت الآن حرية الشاب القروى التى كان يستخدمها يمينا ·· وشمالا، مع الأم ·· والبنت · كما ذهبت العلاقة الودية التى كانت قائمة بين الأم وابنتها ، رغم أن الشاب كان يعاشرهما معا · وحلت الخصومة ·· وحلت الشحناء ·· وحل التفكك ·· وحل البغض والكراهية ·· وحل الحرج فى العلاقات بين الثلاث · الزوج لم يستطع أن يكون حرا ·· والأم والبنت لم تستطع كل منهما أن تكون على وئام نفسى داخلى مع الأخرى · ومن هنا يمكن أن يقال : ان هذا الزواج لم يبارك فيه الله ·

● والزوج السائل : ان أخذ بحل زواجه من البنت بعد الزنا بها وبأمها ، كما يقول بعض الفقهاء : فان لعنة الفحشاء والمنكر ازاءهما تطارده الى موته ·· وتؤذيه وتؤزمه فى حياته فلا يجد لأزماته حلا ·· وتؤرقه وتقلقه فلا يكون زواجه بها سكنا ولا مودة ولا رحمة ·



١٠١ ـ الزواج العرفى :

كتبت مواطنة قصتها كما يلى :

هى متدينة عقد قرانها عرفيا بدون مأذون لأسباب عائلية ـ كما تقول ـ ولم تدخل بمن عقد قرانه عليها · وطلبت الطلاق منه فقال لها : انت طالق، ومر عام على هذا الطلاق ·

الى فرج امرأة وابنتها ، ولم يفصل بين الحلال والحرام » ٠٠ فالدخول عام عن طريق الزنا ٠٠ أو الزواج ٠ فاذا كان المولى جل جلاله لا ينظر الى رجل ـ من غضبه عليه ـ نظر الى فرج المرأة وابنتها : فى الحلال أو فى الحرام ، فهو لا يبارك زواج الشاب هنا بالبنت التى عقد عليها بعد سنتين ونصف من الخطوبة ، وبعد أن أذل فيها الأم ٠٠ وأهان البنت فى علاقة غير شريفة طوال هذه المدة ٠

● واذن زواج الشاب القروى الذى كتب ما كتب فى جرأة فى رسالته عن الأم ، وابنتها : ان لم يكن فاسدا ولم يقع صحيحا ، فهو بعيد على الأقل عن رضاء الله ولا أدرى : ما هى أمارة عدم الرضا لله جل شأنه عن هذا الزواج : أهى عدم الوفاق بين الزوجين فى حياتهما الزوجية ؟ ٠٠ أهى الجفوة النفسية فى معاملة أحدهما للآخر ؟ ٠٠ أهى عدم اقبال الزوج على زوجته ، بسبب امتهانه اياها ، واحتقاره لها بعد أن أذل نفسها ورأت مهانة أمها من أجل نزوة عابرة ؟ ٠ أهى الأولاد التى تأتى من زواجهما : يقدمون للوالدين : الاساءة بدل الاحسان ٠٠ والكراهية بدل المحبة ٠٠ والغلظة بدل الرحمة ؟ ٠٠ ان علم ذلك عند الله !!! ٠

● ان الثلاثة الذين تجمع بينهم هذه المأساة سخروا من القيم الانسانية فى علاقة بعضهم ببعض : فأم البنت تجاوزت عن أن خطيب ابنتها هو بمثابة ابن لها ٠ وخطيب البنت تجاوز عن أن أم البنت بمثابة أم له ٠ والبنت تجاوزت عن أن أمها هى أم لها على سبيل الحقيقة ٠ وقبلوا الدنية وتنازلوا عن المستوى الانسانى الكريم ، وسقطوا فى مجال الحيوانية ليشبعوا شهواتهم ٠ ثم ماذا بعد ذلك ٠٠ بعد سقوطهم واشباع شهواتهم ؟ تيقظ الشاب القروى ليسأل الآن عن صحة عقد الزواج بالبنت وما كان من قبل يسأل عن الحلال والحرام ، وهو مستغرق فى علاقته البهيمية مع البنت ٠٠ وأمها ٠

تيقظ ليسأل الآن ٠ وتيقظه أمارة على ملل فى نفسه من معاشرته الزوجية بعد أن هدأ الوضع الطائش أثناء الخطبة لزوجته ٠ وأمارة كذلك على حيرته ازاء ما تطلبه منه حماته أو ازاء ما تشعره به من رغبة فى استمراء العلاقة القديمة معه على نحو ما كانت عليه هذه العلاقة من قبل ، أثناء السنتين ونصف السنة ٠٠ أثناء تلك الفترة التى عاش فيها الشاب فسادا مع الأم وابنتها ، والتى يصفها بأنها كانت تعسة ٠

ان الزواج بالبنت لم يصبح حلا لمشكلة الشاب القروى ٠٠ لم يصبح عاملا فى الاستقرار مع البنت ، ولم يصبح عاملا أيضا فى الخلاص من رغبات الأم التى كانت تتجه بها اليه ٠ بل ربما أصبح هذا الزواج عاملا فى

هما أمران مختلفان ، تحافظ عليهما المرأة : ان لا تظهر فى فتنة واثارة لغير زوجها ‥ وأن تتزين لزوجها ‥ وتحرص على أن يظل مقبلا عليها : يتذكرها ان غاب عنها ‥ ويهش فى وجهها ان سكن اليها · والزوجة العاقلة أو الصالحة هى الزوجة التى تجذب اليها زوجها بالصفات الطيبة فى سلوكها وتصرفاتها ‥ وبمنظرها الذى يوحى بانطباع الرضا فى نفس زوجها ·

★ ★ ★

١٠٠ ـ انها الجاهلية :

يروى مواطن من احدى القرى :

انه شاب من أهل القرية : وخطب احدى بناتها وطالت فترة خطوبتهما لمدة سنتين ونصف ، ثم عقد عليها وأصبحت فى بيته تعيش معه ·

وفى أثناء فترة الخطوبة حدث ما يقصه هنا بقوله :

« فى خلال هذه الفترة احتكت أم البنت بى ، ودخلت بها أكثر من مرة ‥ مرارا لا تعد · ودخلت بالبنت أكثر من مرة · وبعد هذه الفترة التعسة كتب كتابى على البنت على سنة الله ورسوله · وتزوجتها وأصبحت فى بيتى · فهل هذا الزواج حلال ‥ أم حرام ؟ » ·

● الشاب السائل : يعترف بأنه اتصل بالأم جنسيا غير مرة ‥ واتصل بابنتها أيضا جنسيا غير مرة · وذلك قبل أن يتزوج البنت · فهو قد زنا بهما ، واطلع على عورة كل منهما ·

والفقهاء يختلفون فى صحة زواج هذا الشاب بالبنت ، بعد أن اتصل بها وبأمها جنسيا قبل الزواج واطلع على عورتها · فبعضهم يقول : انه يجوز له : أن يتزوج بنت الأم بعد أن يقام عليه حد الزنا · ويروى عن الرسول عليه السلام قوله « أنه سئل عن رجل زنا بامرأة فأراد أن يتزوجها ‥ أو ابنتها فقال : لا يحرم الحرام : الحلال » ·

والبعض الآخر منهم يقول بتحريم زواج هذا الشاب من البنت ، بعد أن كانت له علاقة جنسية معها ومع أمها قبل الزواج · وينسب الى الأوزاعى من أئمة العلماء قوله : « اذا دخل بالأم (عن طريق عقد الزواج) فعراها ولمسها بيده ، وأغلق الباب وأرخى الستار ، فلا يحل له نكاح ابنتها » ‥ واذا كان الدخول بالأم عن طريق عقد الزواج يحرم ابنتها فانه لا يقل عنه فى التحريم اذا كان عن طريق الزنا · والحديث الشريف يقول : « لا ينظر الله الى رجل نظر

الرقص واللهو والعبث فى الحفلات خارج المنزل أو فى داخله ·· حضارة البار والشراب ·· حضارة المرافقة والمصادقة ·· حضارة الرحلات المختلطة والدراسة المشتركة ·

اذا كانت تلبس ما ينفره منها ، وما يبغضه فيها أو يقلل من اقباله عليها فليرشدها الى ما يريده منها فى الملبس والزينة · ولتحرص الزوجة على أداء ما يطلب منها زوجها فالاسلام يحرص على دوام العشرة بين الزوجين ·· فكثير من الزوجات يهملن أنفسهن : فى الملبس ·· أو النظافة ، ان هن أقمن فى المنازل : تظل الواحدة يومها من الصباح الى المساء بلباس البيت وقد يكون غير نظيف ·· تتحرك به فى المطبخ ·· وعند مباشرة العمل المنزلى فى الغسيل والتنظيف · كما تظل منكوشة الشعر وغير مرتبة ولا منسقة فى الصورة التى هى عليها · يفعلن ذلك عن كسل أو عن استهتار فى علاقتهن بأزواجهن ·

● وربما يكون خلاف الزوج مع السائلة هنا هو خلاف الزوج الحريص على زوجته التى يريد لها : أن تبقى دائما مقبولة عنده ·· وهى لا تتجاوب معه ، وتهرب من المسئولية بدعوى : انها تحافظ على الحشمة وتلبس ما يستر كل بدنها ، وهو ما يطلبه الاسلام فى اللباس · لكن الاسلام عندما يطلب من المرأة التى تستر بدنها ، عدا الوجه والكفين ، يطلب منها أيضا : أن تتزين لزوجها · ولذا اذا قدم زوجها بعد غيبة طويلة فيطلب منه أن لا يدخل عليها ليلا فجأة ، وأن يعلمها بمقدمه قبل أن يراها لتعد نفسها للقائه وهى فى وضع يستريح اليه وينجذب نحوه ·

وسؤال السائلة عن « الملاية اللف » ·· هل هى من الحشمة أو لا : يوحى بأنها تميل الى الكسل · فالملاية اللف يمكن لأية امرأة أن تجسد بها بدنها · وعندئذ تكون محددة لمعالم الجسم · فهى ليست على الاطلاق عديمة الاثارة · ولكن من جانب آخر هى سهلة ارتدائها وخلعها · والكسول من النساء ربما يفضلها من أجل ذلك ·

والسائلة الآن ان كانت تخفى كسلها فى تحقيق رغبة زوجها : بما يسمى بالحشمة واللباس الاسلامى : فهى الخاسرة أخيرا · لأن زوجها سيملها ويزهد فيها · وكلما يتذكر منظرها وهى فى لباس البيت مقبلة مدبرة كلما ينصرف عنها ·

وان كانت تريد أن تستر بدنها بما تلبسه فى المنزل أو فى خارجه ، دون أن تنفر زوجها منها بل وفى حرص منها على أن يقبل عليها وينجذب نحوها : فليس هناك ما يعاب عليها ·

٩٩ ـ ليس للاختلاط بين الأجانب مكان فى الاسلام :

كتبت احدى السيدات :

انها متزوجة منذ تسع سنوات ·· وانها على خلاف شديد مع زوجها · لأنها تريد أن تتزيى بزى يكسو بدنها ·· وهو يريد أن تكون عارية كاسية · فاذا خرجت لبست البنطلون تحت الفستان · واذا بقيت فى المنزل تكون محتشمة · لأنها تعيش مع أمه واخوته الشباب · وتتأسف على شاب كان يحبها ويحترمها ولم تره منذ أن تزوجت بزوجها الحالى · وتسأل : هل « الملاية » اللف من ضمن الحشمة ؟ ·

● لم أفهم : لماذا يصر زوجها على أن تكون عارية : تكشف عن ساقيها ·· وعن ذراعيها ·· وظهرها ·· وصدرها ·· وشعرها ·· الخ · أمام غير المحارم اذا خرجت ·· وأمام اخوته الشباب اذا قعدت فى المنزل ولم تخرج ·

ألم يكفه انه يمكنه أن يستمتع بزوجته وهو فى خلوة معها : كيف شاء ·· ومتى شاء ·· ؟ ·

أيظن ـ أو يعتقد ـ أن الزوجة اذا كشفت عن بدنها فى الشارع أو فى المنزل : تكون موضع فخر له ، ويباهى بها أقرانه وزملاءه ؟ ·

أيظن ـ أو يعتقد ـ أن زوجته تفقد الكثير من جاذبيتها وأنوثتها له ، ان هى تحشمت فى الملبس ووقت نفسها من اثارة الفتنة الجنسية للمحارم وغيرهم على السواء ؟ ·

كم من المآسى تقع بين شبان وزوجات اخوتهم وهم معا فى مسكن واحد ، وفى معيشة واحدة ؟ ·

● لا يكفى هنا أن نقول للسائلة : انها على حق فيما تعامل به نفسها فى الملبس ·· وأن زوجها ليس على حق فى خلافه معها من أجل الحشمة والتحشم · فالأصل فى الاسلام : الوقاية من الوقوع فى الأضرار · فهو اذ يأمر باستقرار المرأة فى بيتها لا يبغى سوى وقايتها من الوقوع فى الفتنة ·· ومن تعرضها لايذاء أصحاب البذاءة فى القول · واذ يأمر بعدم تبرجها ان هى خرجت من المنزل لانهاء حاجة لها فللغاية نفسها ·

ولكن الوضع بين الزوجين هنا هو أن الزوج قد يكون مستغرقا فى تأثره بالحضارة المادية المستوردة : حضارة العرى فى الملبس ·· حضارة

وليكن ما تظنه السائلة ٠ فان أحدا لا يوجب عليها مساعدة حماتها فى عمل المنزل ولو كانت قادرة ٠٠ ولو لم يكن لها أولاد ٠ ومساعدتها أيا كانت تدخل فى باب « الاحسان » وليس فى باب الواجب ٠٠ أو الحلال ٠٠ أو الحرام ٠٠

والاحسان لا يشترط فى جواز أدائه استنفاد المحسن اليه : كل الوسائل المتاحة له ٠ ومعنى هذا فى التطبيق هنا : لا يشترط مساعدة الزوجة لحماتها السابقة : انها تطلب اليها المساعدة ، مع مشاركة أولادها فى العمل المنزلى بالفعل ٠ فالاحسان تبرع بالخير لمن يقدر عليه ٠ صادف الخير صاحب حاجة شديدة أو غير شديدة ، على السواء ٠

نعم لمن يحصل على خير من محسن اليه ، اذا لم يكن صاحب حاجة الى خيره فان عليه أن ينقله الى من هو فى حاجة اليه ٠ والأجر عندئذ له ، ولمن أحسن اليه ٠ فالمحسن له أجر احسانه على أية حال ٠٠ والناقل للاحسان الى صاحب حاجة اليه : له الأجر كذلك ٠ لأنه لم يستأثر به وليس له به حاجة ٠

● لتتذكر السائلة : حسن معاملة حماتها لها ، فى حياة زوجها وهو ابنها ٠ وتذكرها لذلك ليس بالحديث والثناء فقط ٠ وانما يكون بالعمل والمعاونة بالفعل ، اذا أمكن ٠ وطالما هى تستطيع بدنيا أن تقوم بمساعدتها فلا يعوقها عن الأداء مطلقا : أن لا تكلف أولادها ـ قبلها أو معها ، بالاسهام فى عمل المنزل ٠ اذ ربما ترى ان لهم حاجة الى استذكار دروسهم ٠٠ أو القيام بعمل الواجب المدرسى الذى كلفوا به ٠

ان الاحسان عمل انسانى ٠٠ والعمل الانسانى يؤجر عليه الانسان من الله تعالى وليس من مخلوق مهما كان شأنه ٠ ان الذى يسارع الى انقاذ واحد حاصره الخطر ، دون أن ينتظر مشاركة الآخرين معه فى الانقاذ هو أفضل عند الله من زملائه الذين تقاعدوا عن المعاونة فترة ثم قاموا يشاركون فى الانقاذ ٠

والسائلة اذا استطاعت بدنيا أن تساعد حماتها فلتفعل دون تردد ٠ وليبارك الله لها فى أولادها : فى تربيتهم ٠٠ وفى سلوكهم ٠٠ وفى توفيقهم ٠ فما تفعله هو زكاة مدخرة لهم عند الله ٠٠ ان حماتك قد سبقت بالمعروف اليك ٠ فلا تترددى فى رد المعروف لها ٠ فهى من القلة بين الحموات التى تستحق الشكر والمعاونة من زوجات الأبناء على الأخص ٠



وترغب هذه الحماة فى أن تساعدها زوجة المرحوم ابنها : فى أعمال المنزل · ولكن الزوجة وهى أم أولاد ثلاثة لا تستطيع القيام بخدمة حماتها·· وأولادها معا · ولذا تفضل أن تقوم بخدمة أولادها الثـلاثة ·

وتسأل : هل عدم مباشرة المساعدة لحماتها فى عمـل السـكن : يعتبر حراما ؟ علما بأنها هذه الحماة فى حياة ابنها الذى هو زوج السائلة : كانت طيبة ·· وكانت تعاملها معاملة كريمة ·

● الوضع هنا : أن السائلة تقول : ان حماتها فى حياة زوجها كانت تعاملها معاملة انسانية كريمة · ومن أجل ذلك تحس بأنها ممتنة لها · وربما يزداد احساسها بأنه يجب عليها أن تقوم بمساعدتها · ولكنها من جانب آخر عندها أولاد ثلاثة · وهى ملتزمة بأن تؤدى لهم الرعاية الكافية · ومن ثم ليس فى استطاعتها البدنية : أن تساعد حماتها فى أعمال مسكنها ، وبالأخص ان لها أولادا : بنين وبنات ·

والمشكلة هنا ليست مشكلة حلال ·· أو حرام ·· ولا مشكلة ما يجب ·· وما لا يجب · وانما تعود الى « المعروف » ·· أو الى « الاحسان » ·· والاحسان هو أن يؤدى الانسان : خدمة مالية ·· أو غير مالية ، الى انسان آخر يحتاجها · فاذا أعطى ما عنده المال : مالا لصاحب حاجة كان محسـنا اليه ·· واذا أعطى صاحب العلم والمعرفة ، من علمه ومعرفته لآخر يحتاج الى العلم والمعرفة : كان محسنا اليه · واذا أعطى طبيب مشورة طبية فى غير مقابل لمريض فى حاجة الى مشورته : كان محسنا اليه · واذا قدم صاحب قوة بدنية لفاقد هذه القوة : خدمة فى منزله أو فى رفقته فى الحج أو فى العمرة مثلا ، أو فى صحبته الى المسجد للصـلاة جماعة فيه : كان محسنا اليه · وهكذا ··

والسائلة تكون محسنة الى حماتها لو استطاعت مساعدتها فى انجـاز عمل المنزل فى مسكنها · ولكنها تقول : انها لا تستطيع أن تجمع بين خدمة أولادها ·· وخدمة حماتها · ثم تضيف فى رسالتها : ان حماتها لها أولاد من الذكور والاناث · وكأنها باضافتها هذه : تقول لماذا لا يساعدها أولادها فى العمل المنزلى ؟ ·· لماذا تطلب منى أن أسـاعدها ولا تكلف أولادها : المشاركة فى العمل ؟ ·

وبذلك تعترف ضمنا : ان لديها الطاقة على العمل بعض الوقت عـلى الأقل بحيث يمكنها أن تساعد حماتها بعض الوقت ، فى مسكنها الملاصق لها: جنبا الى جنب ولكن تخلفها عن المساعدة يعود الى تكليفها هى من حماتها ، دون تكليف أولادها ·

لباركوا زواج أمهم ، ولأوسعوا منزلهم بعد أن أوسعوا صدورهم ، لقبول زوج أمهم فى السكنى معهم ، فى هذا الوقت الذى تتحكم فيه أزمة المساكن ٠

أى وضع يكون مقبولا لديهم : بقاء أمهم من غير زواج ، مع احتمال أن تسوء سمعتها ٠٠ أم زواجها على سنة الله ورسوله وعلى علم من الأقارب والجيران ٠٠ وعلى مسئولية من جانب زوجها أمام الله والقانون ؟ ٠٠ يوم تسوء سمعتها ماذا يكون حلهم لمشكلتها ؟ : قتلها ٠٠ أم ضربها واهانتها ، واذلالها ؟ ٠

منطق الحكمة والشرع يعطيها الحق كل الحق فى الزواج ٠ ومنعها من ممارسة هذا الحق يعتبر « عضلا » لها ٠ وقد نهى الله عن العضل فى قوله تعالى : « **واذ طلقتم النساء فبلغن أجلهن** (انتهت عدتهن) **فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف** (أى فلا تمنعوهن أن يباشرن الزواج مع من ارتضن الزواج به) ، **ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » (١) ٠٠ وهذا ما يقرره الله سبحانه هنا يتبعه أولئكم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ٠٠ أى الذين ليسوا كافرين ولا مشركين ٠٠ كما أنه فى واقع أمره : تزكية وطهر ، ونقاء لعلاقة بعضكم ببعض لأنه يبعدها عن السوء ومظنة المنكر ٠٠ والذى يوجهكم فى هذا : هو المولى جل شأنه ٠ وهو يعلم مصالحكم أكثر مما تعلمون أنتم بها ٠

والسائل الآن قد سمع ما جاء به القرآن الكريم فى موضوع سؤاله ٠ ومهمته أن يحاول اقناع الأولاد ٠٠ ويرشدهم الى الطريق السوى ، وهو طريق الله فى حل مشكلتهم مع والدتهم ٠٠ ويوضح لهم حق أمهم عليهم ، وهو الاحسان اليها ٠٠ والاحسان اليها هنا يكون بموافقتهم على زواجها ٠ فالبزواج تحقق هى مصلحة لها ومصلحة لهم كذلك ٠

★ ★ ★

٩٨ ـ أولوا الأرحام :

كتبت مواطنة من احدى القرى تقول :

ان زوجها توفى وترك لها ثلاثة أولاد صغار ، وهى فى سن الثلاثين ، وتسكن الآن فى مسكن تجاورها فيه حماتها وأولادها منها : من الذكور والاناث ٠

---

(١) البقرة : ٢٣٢

وهل سيتنازل الولد فى سن رشده أيضا عن فتاته التى أعجبته وأصبح يحلم بها وبالزواج منها ؟ ٠

أليس انجاب الأم لأربعة أطفال وتسخير نفسـها لخدمتهم حتى بلغوا الآن من الوعى ما يجعلهم ينكرون على أمهم حق الزواج ثانية ٠ وهى فى آخر شبابها : أليس ذلك بكاف من تضحية قدمتها الأم لهؤلاء الأولاد وهم لم يقدموا أى شىء لها حتى الآن بديلا عما استمتعوا به من رعاية أفنت فيهـا صحتها ٠٠ ومتعتها فى الحياة ؟ ٠

ان الاسلام يلزم الأم بارضاع ولدها حولين كاملين ٠ فقد جاء فى قول الله تعالى : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتـم الرضاعة** » (١) ٠٠ يقول ذلك للأمهات اللاتى طلقن من أزواجهن وأولادهم لم يزالوا بعد فى سن الطفولة المبكرة ومع ذلك اذا أردن الأمهات أجرا عـلى الرضاعة فيوجب الاسلام على آباء الأولاد : أن يعطين أجرا لأمهاتهم ، فيقول جل شأنه : « **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** » (٢) ٠٠

ومعنى الزام الأم فى فترة الرضاعة بارضاع طفلها لمدة عامين كاملين من حياته : أنها لا تلتزم بعد العـامين بمباشرة أى أمر يتصـل بالرعاية نحو أبنائها ٠ وما تقدمه من صنوف الرعاية بعد السنتين فهو لها عند الله ٠٠ أى ما تقدمه بعد ذلك يعتبر تبرعا واحسانا منها ٠

● واذا كان هذا هو موقف الاسلام فى الأم ، بعد أن تركها زوجهـا بالطلاق ٠٠ أو بالوفاة ٠٠ فلم يجعلها الاسلام رقيقة الأولاد مدى حياتها ، وانما ألزمها فقط بالمشـاركة فى الرعاية لهم الى أن يتجاوز الأولاد الفترة الحرجة من حياتهم ٠ وهى الفترة الأولى فى طفولتهم ٠ وقد حددها بسنتين : فليس لأى انسان ــ ولو كان الابن ــ أن يلزمها بالبقاء معه طوال حياتهـا حتى يكبر هو ، ويستقل ، ويكون أسرة جديدة ، ثم يتركها فى شيخوختهـا وفى ضعفها وحدها ، أو يصحبها معه ، فتعيش تحت رحمة الانفعالات المختلفة التى قد تتملك زوجته ، من حين الى آخر ٠

والأولاد بعدم موافقتهم على زواج أمهم يسايرون « الأنانيـة » منهم ٠ والأنانية هى مصدر الشرور والأهواء ٠ وليس لهم حق من قبل الاسلام ٠٠ ولا من قبل مصالح الآخرين : أن يمنعوها من الزواج ٠ ولو كانوا غير أنانيين

---

(١) البقرة : ٢٣٣ (٢) البقرة : ٢٣٣

وهو أقرب اليه من حبل الوريد · ولذا لا ينبغى أن تشرك نفسها مع الله فيما يخصه وحده · والأولى لها اذن أن تترك هذا العمل ولا تشغل نفسها بما يضرها فى علاقتها بالله سبحانه وتعالى ·

★★★

٩٧ ـ مصلحة الأم فى الزواج ومصلحة الأولاد فى تربيتهم · وليس هناك تناقض بين المصلحتين :

كتب مقاتل مجند يقول :

أن له أختا من غير زواج الآن منذ ثلاث سنوات · ولها أربعة أولاد ·وهى تريد أن تتزوج على أن يقيم زوجها معها فى منزل الأولاد · ولكن الأولاد لا يوافقون على الزواج · ويسأل :

هل الأفضل أن أساعدها على مصلحة الأولاد ؟ · أم أساعدها على الزواج وترك الأولاد ؟ · ويرجو الايضاح بما هو أفضل ·

● المفهوم من الرسالة : أن الأولاد لا يوافقون على مبدأ زواج أمهم برجل آخر ، بعد أبيهم · وتأتى عدم رغبتهم فى سكناه فى منزلهم فى مرتبة تالية :

والمفهوم أيضا من هذه الرسالة : أن الأم لها رغبة فى الزواج مرة ثانية . بعد أن مضى على عدم زواجها ثلاث سنين · فهى لها مصلحة خاصة فى الزواج · وهذه المصلحة على الأقل : أن تتجنب الانحراف فى السلوك فى معاشرة غير زوجية مع هذا الرجل ·· أو مع غيره · اذ أنها لا تشكو من ضيق الانفاق حتى تحتاج زوجا آخر يتكفل بالانفاق عليها ويساعدها بذلك على تربية أولادها الأربعة ·

● هنا الآن مصلحتان متضاربتان : مصلحة الأم فى حماية نفسها من الانزلاق والوقوع فيما لا يرضاه الله ·· ومصلحة الأولاد فى اقامة أمهم معهم الى أن يتركوها ، كبارا وهى ضعيفة وهم أقوياء ·

والسؤال الآن : هل سيضحى الأولاد ـ بعد أن يبلغوا سن الزواج ـ بتحقيق رغبتهم فى الزواج ويظلون معها فى عيشة واحدة : يقومون بخدمتها فى شيخوختها كما تقوم هى بخدمتهم الآن فى طفولتهم أو فى شبابهم ؟ · هل ستتنازل البنت عن خطيب تقدم لها فى سن رشدها ونال من قلبها استحسانا؟·

وعندها هذه المشكلة : أكثر مما ذكرته فى رسالتها · وتدعو الله له بأن يبرئه من مرض المال · فهو أخطر مرض يصيب الانســـان · لأن حب المال يذهب بانسانية العابد له ويجرده تماما من صفاتها الحميدة ·

● والمشكلة الثانية : وهى زيارتها لابنتها المتزوجة التى أنجبتها من زوج سابق على زوجها الحالى ، وحملها أثناء الزيارة بعض الهدايا لها : فذلك أمر مرغوب فيه ويقره الاسلام تماما · وبالأخص ان هذه البنت ليست لها عصبية من الرجال ·

والهدايا التى تحملها السائلة ـ وتقول بشأنها : انها تدفع ثمنها من مالها الخاص ـ ليس فيها ما يحرمه الدين · بل على العكس تدخل السرور على ابنتها · ولكن اذا حملتها معها من بيت الزوجية ، أو أنفقت فيها مـن مصاريف البيت التى تتسلمها من زوجها المرة بعد الأخرى : فان حلها يتطلب موافقة الزوج · وبالأخص انه ليس أبا لها ·

وأنا لا أدرى : لماذا لا تأخذ السيدة الحاجة السائلة : اذن زوجها · فانها فى خروجها لزيارة ابنتها لا ترتكب منكرا ؟ · فالزوج وهو أقرب انسان الى زوجته ، من المصلحة للطرفين أن يعلم خطوات زوجته · وبالأخص فى غيبته ·

● والمشكلة الثالثة والأخيرة : هى أن السيدة الحاجة ، البائســـة ، الحائرة ، والسائلة الآن : تباشر من العمل داخل بيت الزوجية ، وخـارجه فى منازل الأخريات ، ما تكسب به مالا ، بالاضافة الى الريع والعائد مـن الزراعة والحيوان ، لها ، دون أن يعلم زوجها بنوع العمل وبالعمل نفسه ·· ودون أن تســتأذنه فى ذلك · وهى كزوجـة يجب أن تأخذ اذنه فى مبـاشرة الدروس الخصـوصية خـارج المنزل ·· كما يجب أن توقفـه على كنه العمل الذى تباشره فى المنزل وهو عمل « الأحجبة » من أجل الضيق والكرب ·

فالعمل خارج المنزل ربما يفوت الكثير عليها من عمل المنزل · فــلا تستطيع القيام به · وعندئذ تكون قد أصابت الزوج والأولاد بضرر · وهـو ضرر التقصير فى مسئوليتها نحوهم · ومن هنا يجب عليها أن تحصل على اذن الزوج · وربما يكون نوع العمل الذى تقوم بتدريسه فى الخارج يؤذى الزوج ايذاء أدبيا · وبالأخص انه هو موظف كبير فى الدرجة الثانية · ولهذا أيضا يجب أن يحاط منها بنوعية العمل ، ويأذن فيه ·

أما عمل الأحجبة لاشفاء الصدور فذلك ليس شأنها ولا شأن أى انسان آخر · ان تفريج أزمات النفوس هو لله وحده · وعلى المأزوم أن يدعو ربه،

● اما المشكلة الأولى ، وهى مشكلة مطالبة الزوج بالحصول على مال زوجته الخاص بها : فغير جائز شرعا · فالاسلام يمنع الزوج من أخذ شىء من المهر الذى اعطاه لزوجته ، لسبب من الاسباب · فاذا كان المهر وهو مال الزوج اصلا ، لا يجوز له استرداد شىء منه فبالأولى لا يجوز له أن يأخذ شيئا من مال زوجته الخاص بها الا برضاها هى · وأخذه بدون رضاها يكون من أكل أموال الناس بالباطل · وقد نهى عنه القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** » (١) ·· كما نهى من قبل عن أخذ الازواج شيئا من المهور فى قوله جل شأنه : « **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا** » (٢) ·· والنهى عن أخذ الزوج شيئا من مال زوجته قائم : سواء أكان الزوج فقيرا فى حاجة الى المال ·· أم موسرا أغناه الله عنه ·

ومع نهى الزوج ــ ولو كان فقيرا ــ عن أخذ شىء من مال زوجته : فان عليه نفقة زوجته ، وكذا اولاده · لأن « قوامة الرجل على المرأة » فى الأسرة : فى نظر الاسلام قائمة على أمرين ·· أحدهما : وجوب نفقة الزوجة عليه · كما يعرف ذلك من قول الله تعالى : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** » **(٣)** ··

والزوج اذا كان موسرا ويلح فى أخذ مال زوجته ، أو بعض منه :يكون جشعا أو جاهليا ، ممن يحبون المال حبا جما · كما جاء فى وصفهم قول الله تعالى : « **ولا تحاضون على طعام المسكين · وتأكلون التراث أكلا لما · وتحبون المال حبا جما** » (٤) ·· وكما جاء فى عاقبة أمرهم قوله سبحانه : « **وما يغنى عنه ماله اذا تردى** » (٥) ·· أى لا ينفعه ماله اذا هلك ومات ·· أو وقع فى أزمة وفى شدة · فلا ينجيه من الموت ·· كما لا يخلصه من الشدائد · لأنه كثيرا من الأزمات والشدائد ليست اقتصادية · بل قبل ذلك تكون نفسية ، أو عائلية ، أو اجتماعية ·

والزوج الجشع أو البخيل أو الملح فى تحصيل مال الغير ولو بالباطل ــ وخصوصا اذا كان الغير زوجته ــ فاقد المروءة والخصائص الانسانية · اذ هو أنانى يحب نفسه فقط ·· وبعيد ما يظن انه يصون الذات ويحفظ عليها وجودها فى الحياة · والأنانى لا غنى فيه للغير · فلتترقب السيدة السائلة

---

(١) النساء : ٢٩ · (٢) النساء : ٢٠ ·

(٣) النساء : ٣٤ · (٤) الفجر : ١٨ ــ ٢٠ ·

(٥) الليل : ١١ ·

● وهكذا : العمل الذى باشره السائل مع هذه الزوجة الأجنبية عنه ـ ولو كان تعليمها دينها ـ هو عمل ينطوى على الاثم والمعصية · والغاية لا تبرر الوسيلة فى نظر الاسلام · وما ينسب الى الرسول عليه السلام من قوله : « ليتها لم تزن ولم تتصدق » يعتبر قاعدة فى أن الوسيلة لو كانت حراما فتستظل حراما ، وان كانت نتيجتها أمرا حلالا ·

والحل فى يد هذا الشاب المتدين · وهو أن يكف تماما عن الالتقاء بها · وعلى الزوجة أن تفكر فى أولادها وفى اسرتها ، وفى زوجها ، وتنسى هذا الشاب · ولتعد الى الدين · فما فعلته حتى الآن مع هذا الشاب هو من عمل الشيطان قطعا ، ولتستعذ بالله من الشيطان الرجيم ·

★ ★ ★

٩٦ ـ الزوجة لها حرية التصرف فى أموالها ولكن بما لا يسىء الى الزوج :

من القاهرة تكتب احدى السيدات : وتروى مشاكلها الثلاث :

المشكلة الأولى : انها تملك شيئا من الثروة الزراعية والحيوانية وتباشر بعض الأشغال اليدوية ، وتكسب منها · وقد حجت الى بيت الله من مالها الخاص · وزوجها موظف فى الدرجة الثانية ، وله ـ كما تقول ـ ثلاثة منازل ·· وودائع فى البنك ·· ومال فى التجارة ·· ومن البخل يمسك يده عن الانفاق عليها وعلى الاولاد منها فلا ينفق على كسوتهم ·· ويقتر فى مصروف البيت ·

ورغم ثرائه فانه يريد أن يأخذ ما عندها من مال خاص بها ·· وهى تريد ألا تعطيه شيئا منه · وتسأل عن رأى الاسلام فى موقفها منه ·

والمشكلة الثانية : أن لها بنتا أنجبتها من زوج آخر قبل زوجها الحالى · وقد أخذتها فى حضانتها وعلمتها حتى حصلت على دبلوم فوق المتوسط · وهى فى العشرين من عمرها الآن · وتزوجت · ولكنها من وقت لآخر تطلب أن تزورها أمها · فتذهب اليها ومعها بعض الهدايا لها ، كعادة الأمهات عند زيارة بناتهن المتزوجات · فما حكم الشرع فى ذلك ؟ ·

والمشكلة الثالثة : انها فى فترة الصباح قد تباشر ، من غير علم زوجها ، دروسا فى المنازل وتأخذ أجرا عليها ، كما أنها تكتب ـ كما تذكر ـ فاتحة الكتاب بطريقة معينة تتخللها كلمات ، كحجاب لكل من يكون فى ضيق · فهل هذا حرام ؟ ·

بالمرأة · وما يطلبه القرآن بالنسبة لنساء النبى عليه السلام هو مطلوب أيضا من كل امرأة مؤمنة تؤمن بالله وبرسالته ·

أين مجالسة الشاب المتدين « للأخت فى الله » والزوجة لرجل آخر ·· وأم لأولاد منه : من امر الله تعالى المؤمنين فى قوله : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** » (١) ·· ومن امره للمؤمنات فى قوله : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** » (٢) ··· أكان يغض بصره عندما كان يتحدث اليها ؟ · وأكانت تغض بصرها عندما كانت تتحدث اليه ؟ · والا كيف تعلقت به وأصبحت تغار عليه ؟ ·

ان السائل يقول فى رسالته المرسلة الينا : انه يخشى عليها لو تزوج من امرأة أخرى : أن تتوتر أعصابها ، أو تنهى حياتها بنفسها : فهل تحول أمرها ـ لو تركها ـ الى انهاء حياتها أو الى توتر اعصابها : يتم لو كانت تغض بصرها عندما تراه ·· وكان هو أيضا يغض بصره عندما يراها ؟ ·

والآن : هل معرفة الدين التى حصلت عليها من الشاب المتدين ، ولم تحصل عليها من قبل من جانب زوجها : تساوى عند الله ، وعند نفسها ، وعند هذا الشاب : ارتباكها ·· واضطرابها ·· وقلقها الذى وصلت اليه فى حاضرها ، بعد أن علمت بأنه سيكون فى علاقة زوجية مع غيرها ؟ · أليس اضطرابها الآن تخريبا للأسرة التى كونتها مع زوجها ؟ · أليس دخول هذا الشاب فى حياتها : مصدرا لتعاستها وتعاسة زوجها وأولادها ؟ ·

ان الشاب الذى يسأل الحل لهذه المشكلة بعد أن أوجدها وركبها ، ربما يعتقد خطأ : انه قد أحسن الى ايمانه فعلم زوجة لرجل آخر ، الدين ، وربما يتقرب بعمله هذا الى الله !!· ولكنه ان اعتقد ذلك يكون قد ضل الطريق· فما يبيحه الله هو بداية الطريق المستقيم · وما يحرمه هو بداية الطريق المعوج والخاطىء · والله قد حرم الاختلاط · والاختلاط هو مجالسة الرجل للمرأة التى هى أجنبية عنه ، أى ليست محرما له ·· والحديث معها ·· ومبادلة النظرات بينهما ، والنكات ، والضحك معها · والاختلاط هو أن يرى الرجل الأجنبى من المرأة التى ليست محرما له : ما لا يجوز له أن يراه منها ، وما يجوز له ان يراه منها هو الوجه والكفان · فرؤية شعرها ·· وما فوق قدميها من ساقيها ·· وذراعيها أمر لا يبيحه الاسلام لرجل أجنبى من امرأة اجنبية ·

---

(١) النور : ٣٠ · (٢) النور : ٣١ ·

ومشكلته : ان هذه الزوجة التى هى أخت فى الله كما يقول : لا تريد ان تترك زوجها وأولادها منه لتتزوجه هو ٠٠ كما لا تريد أن تتركه هو يتزوج من غيرها ٠

ويسأل هذا الشاب : انه لا يستطيع ان يقدم على الزواج خشية ان تقتل نفسها أو تتوتر اعصابها ٠٠ وعندئذ يكون قد تسبب فى الاساءة اليها ٠٠ كما لا يستطيع أن يترك الزواج ، لأنه يريد أن يتم دينـه ٠ ويرجو ان يكون الحل الذى نعرضه مقنعـا ٠

● هذا الشاب المتدين ـ كما يقول ـ تعرف على « أخت فى الله » ، وهى متزوجة ولها أولاد من زوجها : كيف تعرف عليها ؟٠٠ وكيف كان يجالسها ؟٠٠ وكيف لم يدخل الشيطان بينهما مرة واحدة فى خلوتهما ؟ ٠٠ وكيف تعلقت به وأحبته ، وارتبطت به الى درجة انها تغـار عليه الآن ، وهو يخشى عليها أن تسىء الى نفسها لو فارقها ؟ ٠

أين التدين فى هذا كله ؟ ٠ وهل يرى التدين فى ارسـال اللحيـة ، أو فى حفظ بعض المعارف الدينية ، أو حفظ بعض السور أو الآيات القرآنية ؟ ٠ وهل يرى « الأخوة فى الله » ـ كما ينعت الزوجة التى تعرف عليها هنا فيما حكى ، بأنها « أخت فى الله » : ـ مشاركة الشاب والشابة ، وهما اجنبيـان عـن بعضهما لا تربطهما رابطـة سـوى القراءة المشـتركة والمعـارف الدينيـة المشتركة ؟ ٠

ان التدين هو سلوك للانسان ، وفق تعاليم الاسلام ٠ هل الاسلام يوافق على الاختلاط بين الرجل الأجنبى والمرأة الأجنبيـة عنه ، كمـا اختـلط هـو بـ « اخته فى الله » ؟ لماذا كانت دعوة القرآن الى نسـاء الرسول عليه الصلاة والسلام : الى الاقامة فى المنزل كسبيل لوقاية أنفسهن من الاختلاط وآثـاره المؤذية أو المخربة للعلاقات الانسانية الكريمة ٠ فيقول الله تعالى : « **وقـرن فى بيوتكن** » (١) ٠٠ فهو لا يريد حبسهن أو حبس المرأة فى المنزل ، كمـا يدعى ٠ وانما يريد أن يجنب المرأة « الاختلاط » الـذى ينطـوى على ضرر بالفعل ، أو على ضرر متوقع ولأنه لا يريد حبس المرأة فى المنزل كما يدعى : يبيح لها الخروج منه كما تشاء ، ولكن على شرط أن يكون خروجها بعيدا عن الفتنة واثارة الرجال ٠٠ بعيدا عن دعـوة الرجال واغرائهم بها ٠ وهذا هو معنى قوله : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (١) ٠٠ أى اذا خرجتن فلا تخرجن على حـال مـن التبرج تثير الرجال ٠٠ ويدفعهم الى الاغـراء

---

(١) الأحزاب : ٣٣ ٠

انها الأنانية : انانية الأم ·· وأنانية الوالدين ، هى التى أوجدت مشكلة الابن الموظف ·· ومشكلة البنت المتزوجة ·

● وعندما يدعو القرآن الكريم الأولاد الى الاحسان للوالدين ، فى قول الله تعالى مثلا : « **وبالوالدين احسانا** » (١) ·· يريد أن يخفف من قوة الانانية التى قد تتمكن من الاولاد فى معاملة والديهم · فاذا كان الاولاد الآن على أهبة الاستعداد لتلبية رغبات والديهم فقد استجابوا لدعوة الله لهم : فلا ينبغى للوالدين ازاء هذه الاستجابة أن تتمكن منهما الانانية الآن ويفرضا على اولادهم ما يفوت اداءهم للواجب عليهم : نحو أنفسهم ونحو أسرهم ·

والسائل ، والسائلة هنا يجب أن يعلم كل منهما : ان الاحسان ·· الذى يدعو الاسلام الأولاد الى مباشرته ازاء الوالدين : لا يتضمن ترك واجباتهم نحو الله ·· ونحو أنفسهم ·· ونحو أسرهم الخاصة · وما تطلبه أم السائل ·· وما يطلبه الوالدان للسائلة هنا : لا يستقيم مع الاحسان المطلوب فى شىء · وكل منهما فى حل من عدم السماع له ، فضلا عن الاستجابة اليه · والله مطلع على ما فى النفوس · وسيجزى كلا منهما بالخير على تلمسهما ارضاء الوالدين ··

وليستمر الآن السائل فى اطمئنان : فى طريقه الذى يسلكه مع والدته · ولا يصغى بجد الى ما تطلبه منه · ولتستمر السائلة فى اطمئنان : فى خدمة اولادها وزوجها · فهم أحق برعايتها لهم · والوالدان عندئذ ليست لهما حاجة الى الرعاية طالما يقومان بالعمل خارج المنزل · وحاجتهم فقط الى خادم أو خادمة تقوم بعمل المنزل · ولديهم من الربح على العمل الخارجى ما يمكنهم من توفير ذلك الخادم أو تلك الخادمة ·



٩٥ ـ التدين يجعل الحب لله وحده :

يذكر : أحد الشبان : أنه شاب متدين ·· وتعرف على « أخت فى الله » ـ كما يقول ـ وهى متزوجة ولها من زوجها اولاد · وأخذ يعلمها الدين وأصوله · ويعتبر جلساته معها جلسات ذكر ، لم يتدخل الشيطان فيها · وتعلقت به وأحبته وأصبحت تغير عليه · وظهرت غيرتها عندما وصلها الخبر بأنه سيتزوج من امرأة أخرى ·

---

(١) الاسراء : ٢٣ ·

والسائل لا يستطيع تنفيذ الرغبة ٠ لأنه مرتبط بعمله فى القاهرة ومرتبط أيضا بأسرته فيها ٠ ووالدا البنت السائلة يطلبان منها : أن تقوم بعملهما فى المنزل أثناء مباشرتهما العمل فى خارجه ٠ بينما السائلة ـ وهى ابنتهما ـ مشغولة بأولادها الثلاثة ٠٠ وببيت الزوجية ولا تستطيع أن توزع نفسها على المنزلين ٠٠ كما لا تستطيع أن تترك اولادها وبيت زوجها ، لتتفرغ للعمل فى منزل والديها ٠

● والحقيقة كما تبدو فى كتابى السائلين : أن المشكلة ليست بين الوالدين من جهة ٠٠ والاولاد من جهة أخرى ٠ وانما هى بين : أنانية الوالدين ٠٠ وعدم أنانية الأولاد ٠ فتشبث الأم بانتقال الابن اليها ظاهرة من ظواهر الانانية ٠٠ وغضب الوالدين من ابنتهما لانها لا تباشر عمل منزلهما فى غيبتهما ، وتخشى على اولادها وزوجها : ظاهرة من ظواهر الانانية منهما كذلك ٠

والابن الحائر بين واجبه فى عمله ورغبة والدته ٠٠ والبنت الحائرة بين واجبها نحو أولادها وزوجها ورغبة والديها ، ليست حيرة أى واحد منهما : ترجع الى أنانية لديهما ٠ وانما تعود حيرتهما الى أنهما يريدان أن يكونا فعلا فى خدمة الأبوين ، ولكن فقط ليس على حساب الواجب عليهما نحو انفسهما واسرتيهما ٠

أى شىء ينقص الأم التى تعيش فى الصعيد اذا كان ابنها يتردد عليها من وقت لآخر ٠٠ واذا كان يرسل اليها من النقود ما يستطيعه ؟ ٠ أتريد أن تتدلل ؟ ٠ أتريد أن تتحكم لتعرف مدى نفوذها على ابنها ؟ ٠ أتريد أن يظل ابنها طفلا ، ولا يصبح رجلا يوما ما : يكون أسرة جديدة ٠٠ ويعرف ما يجب عليه فى الحياة بعيدا عنها ؟ ٠

والوالدان اللذان يغضبان من ابنتهما المتزوجة : لماذا لا يترك احدهما العمل الخارجى ٠٠ لماذا لا تترك الأم هنا مثلا العمل خارج المنزل ، وتعود الى البيت لتقوم بشئونه ، وواجب الزوجية فيه ، بدلا من أن تعلن غضبها على ابنتها ؟ ٠ لماذا ـ ان هى أصرت على العمل الخارجى ـ لا تستأجر من يقوم لها بالعمل المنزلى فى مسكنها هى وزوجها ؟ كان ينتظر منها اذا عرضت ابنتها عليها ان تباشر العمل فى مسكن ابويها ـ ان تنبهها الى واجبها الأول ٠ وهو رعاية اولادها الثلاثة وزوجها فى بيت الزوجية وأسرتها ٠٠ كان ينتظر ان ترفض رفضا باتا عرض ابنتها عليها ٠ لأن تنفيذه سيكون على حساب المصلحة الخاصة للأولاد الثلاثة وأبيهم ٠ وهو زوج البنت ٠

٩٤ ـ معاونة الأقارب أولى الرحم فى حدود الاستطاعة البشرية :

● يقص مواطن يعمل باحدى الشركات ـ مشكلته فيقول :

أن له شقيقا يعمل باحدى الدول العربية ·· وشقيقته تقيم بالقاهرة ·· وأما تقيم فى محافظة بالصعيد · وهو متزوج ويعول أسرته الخاصة ويعيش معها فى القاهرة لأنه يعمل فى شركة فيها ·

وهو يذهب الى مقر والدته من وقت لآخر ليزورها · وكذلك يرسل لها ما يستطيع من نقود ··

ولكن الوالدة تريد أن يكون بجوارها فى الصعيد ·· وترفض أن تنتقل للسكنى معه فى القاهرة · وتعتب عليه وتقول له : انها لا ترضى عنه الا اذا انتقل وأقام معها ·

ويسأل : أن نوجهه الى حل هذه المشكلة لأنه مؤمن بالله ، وحريص على رعاية الوالدين ·

● كما تسأل سيدة أخرى من احدى المحافظات ، لها نفس المشكلة مع والديها ·· عن حل يطمئنها نفسيا ويبعد عنها الحيرة التى تعيش فيها ، فهى متزوجة ·· ولها ثلاثة أولاد ·· ترعاهم · وبيتها وأولادها يأخذون كل نشاطها فى العمل اليومى · ولكن الوالدان يوجهان لها اللوم · لأنها لا تقوم بانجاز حاجتهم المنزلية أثناء غيابهما فى العمل الخارجى · وهى مترددة الآن بين ترك أولادها الثلاثة والذهاب الى مباشرة العمل المنزلى فى مسكن والديها ·· أو رعاية الأولاد وبيت الزوجية ، وعدم انجاز العمل فى مسكن الوالدين ·

● هنا فى هاتين المشكلتين قدر مشترك : وهو انهما ترتبطان بعلاقة الوالدين بأولادهما :

جانب الوالدين يحدد طلبات ·· ويتجه بها الى الأولاد ·

وجانب الاولاد يحرج فى تنفيذ هذه الطلبات ـ لأنه لا يستطيع تنفيذها ·

فوالدة السائل الأول تطلب من ابنها فى القاهرة أن ينتقل اليها ويسكن بأسرته معها فى احدى محافظات الصعيد · ولا تكتفى بأن يتردد عليها من آن لآخر ·· ولا بما يرسله من نقود ، كلما استطاع الى ذلك سبيلا ·

الأولى ٠٠ كما يتوجهوا كذلك بالشكر الى امهاتهم ،وأدنى صورة من صور الشكر للأمهات : احترام الأبناء لهن ٠٠ وتكريمهن ٠ وليس من صور الشكر اطلاقا : الاستخفاف بهن ٠٠ والتندر بحركاتهن أو بأقوالهن ٠٠ وايذاؤهن بالصراخ والمواجهة الكريهة ٠٠ وما شابه ذلك ٠

● ان السيدة السائلة اذا لاقت ما تشكو منه : من زوجها وأولادها فلاشك : أن تحزن ٠٠ وان يضيق صدرها فى الحياة ٠ فقد خاب أملها فى الأسرة ٠٠ وأصبحت معزولة عن العواطف التى كان يجب أن تحيط بها من كل جانب ٠ فالسخرية والاستهتار يحيط بها الآن من كل جانب ٠

واذا كان زوجها هو القدوة لأولاده فى الاساءة اليها فما قدمته طوال هذه المدة من الرفاهية لهذه الأسرة يشبه نبات الأرض بعد أن أصبح هشيما تذروه الرياح ٠

● ان الزوج وهو رب الأسرة هنا يجب أن يغير موقفه ازاء زوجته واولاده ٠٠ يجب أن يتذكر ما مضى من علاقات طيبة بينه وبين زوجته ٠٠ وكيف قامت بالواجب نحوه خير قيام ٠ يجب أن يقف فى وجه الاساءة التى يوجهها اولاده الى أمهم ٠ فهى اساءة ستنعكس على تربيتهم وعلى موقفهم هم من ابيهم عندما يضعف ٠٠ أو عندما يكون وحيدا بعد وفاة والدتهم ٠ ان مباشرة الابن الاساءة وتشجيع الأولاد على مباشرة الاساءة ٠٠ أو السخرية والاستخفاف بالآخرين لا يضر الا الأولاد أولا ٠ انه يسىء الى تربيتهم بالذات ٠ لتشجيعهم على الاتيان بالفاحشة والمنكر : يصيبهم هم بالضرر ، قبل أن يصيب غيرهم ٠

ليحسن الزوج الى زوجته بالاقبال عليها واظهار المودة لها والتعبير عن رضاه عنها ٠ وليحسن الى أولادهما بمنعهم منعا تاما من مباشرة الاساءة بالقول ٠٠ أو بالحركة ٠٠ أو بالفعل الى الآخرين ٠ فذاك من حسن التربية لهم ٠

أما الزوجة التى ضحت بصحتها ٠٠ وبشبابها ٠٠ وبراحتها ٠٠ وصبرت وتحملت الأذى النفسى : فعليها ان تصبر اليوم كذلك ، كما صبرت بالأمس ولتسامح زوجها ٠٠ وتدعو لاولادها بالهداية ٠ والله سيجزيها خير الجزاء ، ان فى دنياها أو فى آخرتها ٠ ولعله سبحانه يغير من هذا الوضع الذى يضيق به صدرها الآن ، وليحل اليسر بدلا من العسر والشدة ٠

* * *

بيت ، أصون الأمانة ، وكل أقاربى يشهدون بذلك عندما يمرض أكون له المرضة ٠٠ والأم ٠ وأحترمه بكل معانى الكلمة » ٠

ومشكلتها ان زوجها لا يبادلها نفس الشعور : اذا مرضت بخل عليها بالنقود ولا ترى منه أية عاطفة ٠٠ ولا كلمة حنان ٠٠ ولا أى اهتمام ٠ ويشجع الاولاد على عدم احترامها بسلوكه هو معها ٠٠ ثم بعدم استنكاره سخفهم وشتائمهم لها ٠

وتختم رسالتها فتقول : انها فى حيرة : هل تعامل زوجها مثل ما يعاملها ٠ انها لا تريد ذلك لانها تعتقد : ان رضاء الزوج من رضاء الرب ٠ فماذا تفعل لكى لا تغضب الله ؟ ٠

● حقا هى مشكلة للمرأة التى هى : زوجة ٠٠ وأم : أنها لا تجد الاحترام لها لا من زوجها ٠٠ ولا من اولادها ٠

وستزداد هذه المشكلة تعقيدا لها ، اذا كانت هى تقوم بما يجب عليها نحو الزوج من احترام ورعاية لصحته وشئونه فى المنزل ٠٠ ونحو الاولاد فى تنشئتهم ، وفى رعايتهم ، وفى تربيتهم ٠

اذا لم تجد الزوجة الاحترام من زوجها ٠٠ والعطف والحنان منه فى مرضها وأزمتها ٠٠ والعناية بها أثناء قيامها بما يجب عليها ٠٠ والتعبير عن الشكر والرضاء عنها من وقت لآخر : فأى شىء يمكن ان يقدمه الزوج بديلا عن ذلك ؟ ٠ أيقدم لها الأكل والشرب واللباس ؟ انها انسان له عواطف قبل أن تكون له معدة ٠٠ وله نفس وشعور ، قبل أن يكون بدنا : له رجلان ويدان ٠

واذا لم تجد الأم من اولادها الاحترام وحسن الرعاية والتهذيب فى معاملتها والسلوك معها : أى شىء يمكن ان يقدمه الاولاد لأمهم فى حياتها جزاء ما تحملته من العناء والمشقة فى الحمل بهم ٠٠ والدأب على تربيتهم ٠٠ والحنان والعطف فى حضانتها اياهم ؟ والله اذ يقول : « **ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير** » (١) ٠٠ يوضح للأولاد : صورة من صور المشقة التى تعانيها الأم فى الحمل بأبنائها ، وفى حضانتهم واعدادهم للحياة ٠ ويطلب اليهم أن يتوجهوا بالشكر الى الله على ان هيأ لهم حنان الأم فصانهم وهم فى طفولتهم

---

(١) لقمان : ١٤ ٠

عن الذكريات الطيبة التى مرت فى حياتهما معا · فهو يحب أن يعيش فى هذه السن على مثل هذه الذكريات ، أكثر مما يعيش على الطعام والشراب ·

سلبيات الحياة كثيرة · وسلبيات الانسان ـ أى انسان ـ أكثر · انه لو يذكرك بشىء من سلبياتك : فى بدنك وجسمك التى اطلع عليها ·· وفى سلوكك ومعاملاتك وفى صوتك ومشيتك ·· وفى عاداتك ·· وفيما تأتين به وقت ضعفك أو وقت حاجتك : لا تهجريه فى فراشه فقط · وانما تهجرين المنزل كله · بل ربما الحياة أيضا ·

لندع السائلة : أن تعيد عقارب الساعة الى الوراء · ما قبل الخمسين فى حياتها · ولو أعيدت لها الآن جميع متع الحياة التى تشتهيها لا تستطيع أن تستمتع بها · فالذى فارقها فى الأمس ليست هى المتع المادية فى الحياة وانما هو طاقتها وامكانياتها البشرية على الاستمتاع · فأجهزة البدن قد تغيرت · والشىء الباقى الذى لم يتغير هو الخيال ·· فلا تتركى الخيال يفرز احلاما فى اليقظة فانها خداع ·· وسراب ليس له واقع ·

لا تصرى على أن تكون حياة اليوم من عمرك هى حياة الأمس فيه · فعمر الانسان مراحل · اللاحق منها يختلف عن الماضى فيها · وتلك سنة الله مع الانسان : « **هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ، ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون** » (١) ·

★ ★ ★

٩٣ ـ ليس من حقوق الزوج سوء معاملة الزوجة اذا كانت وفية له ولأولاده ·

كتبت سيدة من احدى المحافظات ·· تقول :

انها مسلمة متدينة ، تعرف ما يجب عليها نحو زوجها وأولادها ·· ونحو ربها فى طاعته · وأنها عاونت الاولاد حتى الانتهاء من التعليم الجامعى · فكانت لهم الأم ·· والمدرسة ·· والخادمة ·· وزوجها يكبرها بخمس وعشرين سنة · وهى الآن فى سن الاربعين · وقد عاشت معه تحترم شعوره · وكما تقول فى رسالتها : « عشت معه هذه السنين الطويلة : سيدة

---

(١) غافر : ٦٧ ·

العلاقة الزوجية طوال الثلاثين سنة التى قضتها مع زوجها • فان كان ما سجل فى حياتهما الزوجية مقنعا لها : بأنها أخذت من حظها من المتع الدنيوية ما يجعلها غير ساخطة على ما يفوتها منها فى السنوات القادمة : اطمأنت نفسيا واستقبلت هذه السنوات القادمة بالشكر لله •

ولكن فى استعراضها اليوم لعلاقتها مع زوجها تستهجن منه سلوكه ، وتصف هذا السلوك بأنه بعيد عن تقوى الله •• كما تستهجن منه طريقته فى معاشرته الجنسية معها • وتتهمه بالقسوة فى معاملتها • وتبرر ذلك : هجرها له فى الفراش ما يقرب من السنتين • وبعده عن تقوى الله فى السلوك ـ فى نظرها ـ يصعد به الى قطع العلاقة مع ذوى رحمه •

ومن هذا الاستعراض تبرز السائلة ان الثلاثين عاما التى قطعتها مع زوجها لم تكن على وئام معه • فكثيرا ما اختلفا • وكثيرا ما ضربها ان اختلفا • وتشير الى انها لم ترض حاليا عن علاقتها الجنسية به ، ولم تكن كذلك فيما مضى راضية عنها • وتسخر منه فى وصفها لممارسته هذه العلاقة معها فى سنه الحالية وهى الثالثة والستون • مما يدل على انه يحاول ارضاءها كى تخفف هى من نقدها له •

ثم تعود فتسأل عما يجب أن تتقرب به الى هذا الزوج ارضاء لله ولرسوله مما يدل على انها مضطربة النفس : تثور على زوجها ، وتسخر منه • ثم تعود الى الهدوء فتسأل عما يقربها اليه • واضطرابها النفسى الآن يصور شدة أزمتها بدخولها سن اليأس • فهى تنظر الى الماضى فلا تجد فيه ما يشدها اليه اعترافا بآثاره الجميلة عليها فى الحياة •• وتنظر الى المستقبل فلا تجد فيه الا ما يضحك فى نظرها والا ما تسخر منه • فالماضى لا يشبع •• والحاضر قحل ، لا أمل فيه •

● والسائلة أعرف من المسئول عما تتقرب به الى زوجها ارضاء لله ولرسوله : يجب أن تخفف من نقدها له • فما تسخر منه فى كبر سنه الآن عند المعاشرة الجنسية ، هو محاولة منه لاقناعها بأنه لم يزل فى رجولته ، وليس مباهاة بفروسيته • عند من يباهى ؟ عند زوجته وقد مضى على اتصاله بها فى علاقة أسرية ثلاثون سنة ؟ • ان الذى يباهى بشىء مثل هذا يباهى به عند امرأة لا تعرفه • اما من عرفته وخبرته فلا يدخل عليها خداعه لها •

يجب على السائلة أن ترحمه فلا تسمعه ما يؤذيه ، أو تجرح كبرياءه فى رجولته • انه يخلد الآن الى الراحة • وان أحسن شىء تقدمه اليه : أن تحدثه

ينهى الاسلام عن سب « القدر » ولعنه · فما يقع فى الكون هو من الله وبارادته ·

فاذا آمنت « بالقدر » خيره وشره : استراحت نفسيا · وعندئذ ان أدت فريضة الصلاة أو الصوم ، تؤديها وهى هادئة النفس · ومن ثم تلقى الله فى صلاتها وصيامها وهى راضية مرضية ·

نعم : ان من شأن الطبيعة البشرية ، ان فات الانسان شىء من المتع المادية فى الحياة ، أن يأسف على ما فاته منها ويندم ، وربما يحزن على ذلك وربما يكون عدم حصوله على هذه المتعة خيرا فى واقع الأمر ، وان لم يره ·· وان لم يدركه فى حينه · فالايام ربما تريه فى المستقبل . كيف انه كان من الخير لهذا الانسان : أن فاتته المتعة المادية فى ذلك الوقت · وتجارب الحياة وحدها هى التى تعلم الانسان ·

* * *

٩٢ ـ التهذيب فى السلوك والمعاشرة أمارة الايمان :

مواطنة من احدى المحافظات تقول :

● انها تبلغ من العمر الآن الحادية والخمسين ، بينما زوجها يبلغ الثالثة والستين · وقد مضى على زواجهما ثلاثون عاما ، فتذكر ان زوجها : قليل التقوى ·· ولا يحب أقاربه ·· ويقطع صلته برحمه ··

وهى تهجر زوجها فى الفراش الآن منذ سنتين · لقسوته فى معاملتها ··· وحيوانيته عند معاشرته لها معاشرة جنسية : « كذلك معاملته الجنسية والتى فترت تتميز بالعنف ، وبتعويض ما عليه من نقص ، بأن يباهى بطرق حيوانية ولا انسانية لكموله الجنسى ·· وأنا مشفقة عليه » ··

وتسأل عن أن تعلم : ما هو وزنها ·· وأين هى الآن ؟ وتقول : فأنا أحاول التقرب منه بشتى الوسائل ـ لرضاء الله ورسوله ·

● السائلة تبلغ الآن الحادية والخمسين · فهى تعيش فى سن « اليأس » ·· أو تدخل فى هذه السن · وبدخولها فى هذه السن تترقب مصيرها فى الحياة · وهو مصير ينتهى بالشيخوخة ثم الفناء · ومعنى ذلك : انها لا تنتظر أن تستمتع بمتع الحياة المادية ، كما تنتظر ذلك امرأة فى الخامسة والعشرين · أو فى الثلاثين من عمرها · فهى تدبر ·· بينما من هو أصغر منها مقبل على الحياة · وهى تستعرض ما مضى من حياتها فى سجل

وتخرج عن الوضع الطبيعى - وهو وضع الاتزان - بعد الاستحمام مباشرة أى بعد معاشرة زوجها لها · اذ هى عندئذ تكون أكثر سخطا عليه ، وعلى قدرها فى زواجه · وفى هذه الفترة بالذات يقوى شكها وربما يميل بها الى اليأس من الحياة فهى قاب قوسين أو أدنى من اليأس المرير · لولا انها متدينة وتعبد الله حقا ·

وصراعها مع « القدر » ·· هو صراع نفسى ·· ومستمر ·· ويشتد أمره على النفس الانسانية فيها ، عندما تلزم من زوجها بقبول طلبه منها ، وتنتهى منه بالاستحمام · وما اعلنته لزوجها بعد السنتين الأولىين من الزواج : بالابتعاد عنها الى الأبد كان اعلانها هذا هو الوسيلة التى ترجوها لانقاذها مما قدر لها فى هذا الزواج ، لو استجاب زوجها الى ما طلبته منه · انها عندئذ كانت ستعيش لاولادها الاربعة وحدهم ، وتتغاضى عن عيب زوجها وربما تنساه ·

لكن أن تظل من وقت لآخر : تحمل على ما تكرهه فيه . فتتذكر « قدرها » من جديد ، وما أتى به من اساءة اليها ، كما تعتقد ، فان ذلك سيصل بها الى الهاوية · ان بزوجها عيبا لاشك فيه ، ربما يجوز فسخ عقد الزواج بها ، لو تمسكت بحقها فيه ·

ولها بسبب ذلك أن تكاشف زوجها ولا تخشاه · اذ ربما يستجيب لطلبها المؤقت ويكف عن الحاجة اليها ، طالما تتضرر بعشرته والاتصال به · وعندئذ تبقى بينهما مهمة مشتركة · وهى مهمة الأولاد فى تربيتهم وتنشئتهم · وعليه بعد المكاشفة : أن يتوجه الى طبيب مختص · فقد يكون الشفاء فى مشورته له · وبذلك يعود وضعه طبيعيا ، ويستأنفا الحياة الزوجية معا ·

● أما اطمئنانها على قبول الأداء للعبادة من صلاة وصوم عند الله ، فيعود الى محاولتها تخفيف العبء النفسى عن أعصابها المتوترة · ولا يكون الا بالايمان « بالقدر » كله ·· خيره ·· وشره ·· على السواء · فالله له نعم كثيرة ولا يعطيها جميعها لواحد من الناس : ذكرا أو أنثى · وانما يعطى بعضها لواحد ويحرمه من باقيها · فمثلا فى زواج السائلة ربما كان يعطيها رجلا تستمتع به ، يجذبها وتنجذب اليه فى عاطفة قوية · ولكن يحرمها من الأولاد ·· أو يحرمها من الصحة ·· أو يضيق عليه فى المال ·· أو يجعل منه زير نساء : يميل الى هذه المرأة الاجنبية عنه فى لحظة ، ثم يميل الى أخرى فى لحظة أخرى ، على مرأى ومسمع من زوجته ·· وهكذا · ومن هنا ما يقدره الله للانسان ، خير فى واقع أمره · وان بدا أنه شر · ومن هنا

٩١ ـ زوجة متمردة على قضاء الله بسبب زواجها :

كتبت احدى المواطنات ٠٠ تقول :

انها تبلغ الآن الخامسة والثلاثين من العمر ، ومتزوجة منذ خمسة عشر عاما ولها أربعة اولاد من هذه الزيجة ٠ ولم تستمتع بالعلاقة الجنسية مع زوجها منذ أن دخل بها حتى الآن ٠ وتخشى أن تقول له أو لأحد غيره ٠ وقد طلبت بعد سنتين من زواجهما أن يبتعد عنها الى الأبد ، فرفض ٠ وكثيرا ما ترفض الآن طلبه ٠

ثم تذكر انها مسلمة ومتدينة ٠ وتشك فى بعض الاوقات فى قبول صلاتها وصيامها عند الله ٠ لأنها ليست مستقرة نفسيا ٠ ولو كانت من غير زوج لكانت نفسها مطمئنة ٠ وكثيرا ما تكون فى حالة غير طبيعية بعد الاستحمام مباشرة ٠ وتسأل :

ماذا تفعل لتطمئن على صلاتها وصيامها ؟ ٠

● ان السائلة فى صراع نفسى مع « القدر » بسبب الزواج من زوجها الذى تعيش معه الآن ، منذ خمسة عشر عاما ، فهى لم تسترح اليه منذ البداية ٠ وعلى حد تعبيرها : « لم أرتح معه فى وقت الاجتماع » ٠٠ وأول صورة ظهرت لهذا الصراع : أن طلبت منه بعد سنتين من الزواج أن يبتعد عنها الى الأبد ٠ ومازالت ترفض طلبه فى كثير من الأوقات ٠

ثم ظهر هذا الصراع النفسى الداخلى مع « قدرها » فى هذا الزواج فى صورة الشك فى قبول عبادتها لله ، من صلاة وصيام ٠ فهى تسائل فى نفسها « قدرها » لماذا يا رب ربطت مصيرى فى الزواج بهذا الرجل الذى لا استريح اليه فى الجانب الذى تحلم بالاستمتاع به كل فتاة وكل امرأة ؟ ٠ انه لم يضيع على شبابى فحسب ٠ انه أتى منى بأربعة أولاد سأظل فى خدمتهم ، وفى رعايتهم ، وبذلك أظل مرتبطة بهم الى ما شاء الله ٠٠ الى ما بعد سن اليأس وفوات الأوان ، دون أن أستمتع بشبابى وبأنوثتى فى علاقة زوجية مشروعة عند الله ؟ ٠

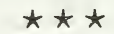
هذا التساؤل النفسى « لقدرها » هو الذى يوحى لها بالشك : فى أن الله لا يقبل صلاتها ، ولا صيامها فى بعض الاوقات ٠ فهو ينطوى على عدم التسليم والرضاء بقضاء الله وقدره ، ومشيئته فى كونه ٠ ولذلك تقول : « لو كنت من غير زوج كانت نفسى تستقر » ٠٠ فالزوج مركز تعاستها وخيبة أملها فى العشرة الزوجية وبالتالى فى ترددها فى قبول قضاء الله ، وفى شكها فى أن الله لا يقبل لها صلاة ولا صياما ٠

الشدة والأزمة · بينما يشير الى النهاية الثانية فى السورة قول المولى جل جلاله : « **وما يغنى عنه ماله اذا تردى** » (١) ·· أى اذا سقط فى أزمة أو فى قبره بعد موته· فالمال ليس بديلا اطلاقا عن العلاقات الطيبة بين الناس،بعضهم ببعض · والعلاقات الطيبة بين الناس هى مفتاح الأزمات ، ومفرجة الكروب والشدائد · فالمريض لا يسعف فى مرضه بماله وحده وانما بقلوب الناس حوله أولا ·

● والسائلة ربما يوم أن وافقت على الزواج من هذا الغنى ، وافقت عليه بسبب فدادينه من الأرض ، وأعماها عن الجوانب الأخرى فيه : يساره وغناه · فلم تدرك مدى انسانيته فى المعاملة · فكان ما كان مما تشكو منه الآن · والاسلام اذ يرشد المؤمنين به : رجالا ونساء : أن يختار الرجل فى زوجته : الاهلية للاسرة والزوجية قبل المال ، والجاه ، والجمال ·· وان تختار المرأة فى زوجها : الصلاحية لتحمل المسئولية فى قيادة الاسرة والانفاق عليها ، قبل المال ، والجاه ، والشرف ·· انما يرشدهم الى خير طريق يجنبهم : توتر الاعصاب ·· والمشادة ·· ويؤمنهم على الاستقرار ، والطمأنينة ، والمودة فى حياتهم الأسرية الجديدة · وصلاحية المرأة للزوجية وأهلية الرجل للقيادة ، تكمن فى التدين والأخذ بالاسلام فى مبادئه وفى رقابة الانسان على نفسه فى كل عمل يؤديه ·

الاسلام لا يطلب من أحد اذا آمن به : أن يصوت لزعامته ، أو أن يشارك فى اقامة ملك له ، أو أن يسهم فى اتاوة تجمع له · انه لا يطلب سوى أن يكون المؤمن به : مستريح النفس والخاطر ·· مستقرا فى علاقته مع الآخرين ·· بعيدا عما يؤذيه فى صحته وماله ، وحرماته ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ·

● وعلى السائلة أن تصبر فهذا قدرها · وهى لم تزل بعد فى سن الشباب : فى سن الثلاثة والثلاثين · وخير طريق لها الآن : أن تفكر فى اولادها ، وفى تفوقهم وفى استقامتهم · فهم أشبه بالزهور التى يسر بها الناظر اليها ·· وان تتجاهل زوجها فى اهماله لمظهره أو لبيته · ولا اتصور ان تسعد زوجة بزوجها ان عاشرها وهى كارهة لمسلكه وتقتير يده · ورسالتها رسالة شاقة ان هى حاولت ان توفق بين ما فى يدها من نقود ، وما يحتاجه البيت من نفقات · ولكن كما ذكرنا هو القدر ··· وسترى بعد فترة من الزمن ان شاء الله : الخير الكثير فى اولادها وستكون نشوتها بتفوقهم فى الحياة ، نشوة تفوق كل مستوى عرفته من قبل ·



---

(١) الليل : ١١ ·

وفى أول الأمر عندما كان يهينها كانت لا ترد عليه اهانته · ولكنها اليوم ترد بعضها عليه · وتسأل عن رأى الاسلام فى هذا الزوج المتعب للغاية ؟ ·

● تصف زوجها : بالبخل ·· وبالكذب ·· وبالغلظة فى القول ·· وبالاهمال فى مظهره وفى بيته ·· وبعنفه فى الخصام ·· وهذه صفات ترجع جميعها الى « البخل » فالبخيل يحرص على المال ، وفى خدمته · ان سئل عن قرض ، أو نفقة ، أو احسان منه ، كذب فى تبرير موقفه · وهو موقف المعتذر عن عدم وجود مال لديه · فان ألح عليه سائل فى ماله أغلظ له القول : سبا واهانة · وقد يهمل فى مظهره وفى بيته عمدا ، كى يدلل على أنه لا يملك مالا لديه · أما عنفه فى الخصام فلأنه يرى فى المال قوة ، ومصدر غنى له ، واستغناء عن الناس · فلا يعنيه من فلان أو فلان اذا خاصمه ·

وسورة الليل فى القرآن الكريم جاءت لتؤكد : أن أصناف الناس فى موقفهم من المال صنفان :

صنف يبخل بالمال · وهذا الصنف يستغنى بالمال ، ويرى غناه عن كل شىء فى الوجود ، فى المال وحده · والمال فى نظره عوض عن الأسرة ، والأولاد ·· والزوجة ·· وعوض عن الأقارب ، والعصبية ، والجيران ·· وعوض عن الاحسان والعمل الصالح : « **وأما من بخل واستغنى · وكذب بالحسنى** » (١) (أى بالعمل النافع) ·· وهو يكذب بآثار العمل الطيب على نفسه وعلى الآخرين ، بسبب اعتماده على المال واستغنائه به عن كل شىء عداه فى محيطه ·

وهذا الصنف البخيل من الناس سينتهى أمره وموقفه من المال الى نهايتين :

النهاية الأولى : وقوعه فى الأزمات · فحرصه الشديد على المال سيدفع به الى توتر فى العلاقات فى أسرته ، وأهله ، وأقاربه ، والآخرين ممن يتعاملون معه · على نحو ما تصفه السائلة فى علاقتها مع زوجها · وهى علاقة تشقى كلا من الزوجة والزوج معا ·

النهاية الثانية : أنه يخيب أمله فى ماله اذا وقع فى أزمة وشدة · فلا ينقذه المال منها بحال·ويشير الى النهاية الأولى قوله تعالى فى سورة «الليل» ·· « **فسنيسره للعسرى** » (٢) ·· أى سندفع به الى الشدائد · فالعسرى هى

---

(١) الليل : ٨ ، ٩   (٢) الليل : ١٠

ان التضـــييق على السـيدة السائلة من زوجات أولادها ، وأولادهـا معهن : لا ينم عن انسانية واحسان فى معاملتها · بل ينم عن تربص بهـا ، واساءة موجهة لها ·

ألم يكفهم انهم ابتعدوا عنها ؟ ·· ألم يكفهم انهم لم يسألوا عن حاجتها ؟ ألم يكفهم انهم قطعوا زيارتها ؟ فاذا جاء لها خير يعينهـــا فى معيشتها كان الانقضاض عليها لاغتصابه من يدها ·

انها الأنانية وحب الذات ·· انها ايثار المال على العطف والرحمـــة والمودة · لعن الله الشيطان وهوى النفس الأمارة بالسوء ·

وأنت أيتها السائلة لك الله فى وحدتك ·· وفى ضعفك ·· ولا يحملنك سوء معاملتهم لك على الغضب عليهم ·· فكنت مصدر الخير لهم فى الأولى ·· فكونى أيضا مصدر الخير لهم فى ختام حياتك ، بالعفو عنهم وسعة الصدر لهم · فهم أبناؤك عن قرب ·· وعن بعـد ·

★ ★ ★

٩٠ ـ زوجة تضيق ببخل زوجها :

سيدة من احدى المحافظات تحكى :

انها متزوجة منذ سبعة عشر عاما · وهى تبـــلغ الثالثة والثلاثين من عمرها وزوجها يكبرها بسبع عشرة سنة · وهى متـدينة وحجت الى بيت الله الحـرام ··· وتشكو :

١ ـ من بخـل زوجها بخلا شديدا ، مع أنه متيسر الحال · فهو يمتلك سبعة عشر فدانا ·

٢ ـ كما تشكو من كذبه فى جميع ما يقوله ·· ومن اهانته لها ·· ومن عدم اهتمامه بمظهره وبنظافة بيته · مع انها من عائلة كريمة ·· وأن أولادها متفوقون ·

وقد سألت بعض الفقهاء فى بخله وتقتيره فى الانفاق على أسرته فأفتوها بأن تأخذ من ماله بالمعروف · وفعلت ذلك · ولكنه بدأ يلاحظ ، ومنع النقـــود من حفظها بالمنزل · وهى لا تستطيع الآن مواجهة النفقات · واذا سألته عن شىء لها أو للأولاد ، أو للمنزل : يسبها ويخاصمها ، ويهجرها فى الفراش · وقد يطول الخصام بينهما الى الشهرين ·

فما تطلبه احدى زوجات الأولاد لزوج السائلة من الحصول على المبلغ المتجمد الذى يمثل الزيادة فى معاشها عن المدة الماضية : هو جشع ومعاملة غير كريمة واستغلال لكبر سن السائلة ·

وكان الأولى قبل أن تفكر هذه الزوجة ـ نيابة عن أولاد الزوج الثلاثة ـ فى الاستيلاء على هذا المبلغ من السائلة : أن تسأل نفسها : ماذا قدمته أو قدمه أحد الأبناء الى هذه السائلة يوم أن كانت تشكو من ضآلة المعاش ، ويوم أن كانت تعيش على الكفاف ، بينما الزوجات الثلاث مع أزواجهن كن يعشن فى رخاء ·· أو على الأقل : كن فى وضع أحسن منها بكثير ؟ ·

انه لم يكن هناك وفاء من الأبناء الثلاثة للسيدة السائلة ·· انه لم يكن هناك تجاوب فى الاحساس معها · ان كل واحد من هؤلاء الأبناء بعد أن تخرج فى الجامعة ترك منزل الأبوة وكون أسرة جديدة ، واستقل تماما ، ولم يعد يسأل عن حال هذه السيدة التى بلغت الآن الخامسة والستين ، والتى أفنت حياتها فى خدمة ابنها من زوجها وخدمة الولدين الآخرين اللذين أنجبتهما شقيقتها من هذا الزوج : من الرضاعة فى عهد الطفولة ، الى الزواج فى عهد الرجولة : ومن الحبو فى الحركة الى الاستقلال فى العمل ، ومن الأمية الى التخرج فى الجامعة ·

هى أم لواحد من الثلاثة · وهى بمثابة الأم لأخويه وخالة لهما · أين موقفهم منها الآن ، مما يطلبه الاسلام من الأبناء نحو آبائهم وأمهاتهم ؟ · فالقرآن يقول : « **وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما · واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » (١) ··

فأين الاحسان الذى يأمر به الله الأولاد : أن يقدموه الى آبائهم وأمهاتهم· والاحسان ليس عطاء ماديا ، بقدر ما هو احساس انسانى نحو الآباء والأمهات : احساس التكريم والاحترام ·· احساس البعد عن أى ايذاء معنوى : احساس الطاعة والرحمة ·· احساس الوفاء ورد الجميل ·· احساس الجزاء الطيب على ما بذلوا من أموالهم ، ومن جهدهم فى الرعاية ، ومن حرصهم على دفع الضرر عنهم ومن عواطفهم نحوهم ·

---

(١) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ ·

٨٩ ـ تنكر الأبنـاء لرعاية الآباء :

سيدد مسنة من احدى المحافظات ، تبلغ من العمر الخامسة والستين ، وتعرض أمرها ، فتذكر :

بأنها تزوجت زوج شقيقتها بعد وفاتها · وأنجبت منه طفلا ، بجانب طفلين أنجبتهما شقيقتها المتوفاة · وكان أحد الطفلين يبلغ سنة ونصف سنة ، بينما الطفل الثانى لم يبلغ الا اياما فقط ·

واهتمت برعاية الثـلاثة : فى تنشـئتهم وتعليمهم حتى تخرجوا من الجامعة وتزوجوا ، وكونوا أسرا مستقلة · وتركوها وحدها تعيش فى منزل والدهم بعد وفاته وعلى المعاش الذى قدر لها يومئذ له · وهو معاش ضـئيل كانت تدفع نصفه أجرة السكن وصبرت على ضآلته · ولم يتقـدم واحد منهم الى مساعدتها ·

وزيد معاشها فحمدت الله على هذه الزيادة ، وهى تكفى لسترها الآن · وكانت الزيادة بأثر رجعى ، نشأ عنه مبلغ من المال هو الفـرق بين المـاضى والحاضر · وهنا فوجئت بمشكلة · وهى طلب احـــدى زوجات أولادها أن تحصل على هذا المبلغ المتجمد بحجة أن لأولادها حقـا فيه بطريق الارث ·· وأن تكتفى هى بالزيادة منذ الآن · وهى تسأل :

هل يستحق أولاد زوجها ـ وقد توفى منذ عشر سنوات ـ فى هذا المتجمد من فروق الزيادة فى معاشها ؟ ·

● أولا : ان أولاد زوجها ـ ومن بينهم ابنها ـ لا يستحقون فى معاش أبيهم فضلا عن أن يستحقوا فى الزيادة التى طرأت على ربط المعاش لوالدتهم · فهم قد بلغوا سن الرشد ·· وأنهوا تعليمهم العالى · وعينوا فى وظائف ذات مرتب جيد · فلم يعودوا بحاجة الى المعاش من الدولة ·

ثانيا : ان المبلغ المتجمد الذى تطلب به احدى زوجات أبناء زوج السائلة هو مجموع الزيادة عن الأشهر الماضية لمعاش السيدة السائلة نفسها · وهو من حقها وحدها فلو فرضنا أن ورثة تملكوا عن مورثهم قطعة من العقـار ، ثم باع جميع الورثة أنصبتهم فى هذا الميراث ، وبقى نصيب واحد منهم لم يبعه حتى الآن · فهل الزيادة فى ثمن نصيب الوارث الذى لم يبعـه ـ تبعـا لارتفاع أثمان العقارات الآن ـ تكون حقا له وحده أم للجميع ؟ · **لا شك أنها** للوارث وحده الذى لم يبع نصيبه كما فعل الآخرون ·

فاذا لوحظ فى وقت ما : ان عاطفة الأم نحو أولادها ضعفت أو انعدمت فذلك يعود الى شذوذ فى طبيعة الأم التى ضعفت أو انعدمت عاطفتها نحو أولادها . فجارة السيدة التى تؤثر نفسها بأكل طعام طفليها - وليس الطعام من اعدادها وانما هو هبة من جارتها - وتعتدى عليهما بالضرب والايذاء كى يناما ، وتهمل فى رعايتهما اهمالا تاما : هى شاذة بين الأمهات ، لسبب هو سر فى حياتها .

كيف تخلت هذه الأم عن روح الأمومة ؟ .. كيف تخلت عن خصائص الأنوثة فى المرأة ؟ .. كيف تخلت عن معنى الزوجية وارتباطها بزوجها ؟ .. فخصائص الأنوثة فى المرأة : الرقة .. والميل الانسانى ، والتردد فيما يؤلم الغير .. وخصائص الزوجية والارتباط بالرجل : العمل لارضاء الزوج ، والحرص على راحته ، وتوفير الاطمئنان له .

هذه الأم عدوة لنفسها قبل أن تكون عدوة لزوجها . وقد جاء فى قول الله تعالى : « **ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم** » (١) .. فوضع القرآن أمام الأزواج : احتمال أن تكون الزوجة عدوا لزوجها . فقد تكون عداوتها فى خيانتها له مع غيره - وقد تكون فى الوشاية به لأعداء السوء أو أعداء الأمة .. وقد تكون فى شذوذها فى أمومتها لأطفاله وأولاده . وعداوة الزوجة لزوجها ، أو عداوة الزوج لزوجته من أشد العداوات وأقساها على أى منهما .

ان هذه الأم ، والزوجة فى الوقت نفسه ، ليست أمينة على أولادها ، وزوجها . انها فقدت روح المسئولية نحو الأولاد ، والزوج معا . والجارة السائلة يجب عليها وجوبا شرعيا : أن تبلغ زوج هذه المعتدية بما تباشره من تعذيب لطفليها وتجويعهما وبالأخص الرضيع منهما . ولا تخشى اطلاقا من أن يضربها . فسوف لا تحس بضربه اياها . لأنها لم تحس من قبل بآلام طفليها عند تعذيبهما .

انها فقدت روح الأمومة .. وروح الأنثى .. وروح الزوجة . فماذا بقى لها من خصائص الانسان ؟ انها تلتهم أكل أبنائها أمام أعينهم وهم جياع، فما الفارق بينها وبين الحيوان عندما ينطح ابنه ، منعا له من مشاركته فيما يأكل ؟ والتى تحبس « الهرة » دون أن تطعمها ليست بأغلظ ولا بأكثر وحشية عند الله ، من تلك الأم ، التى ليس لها قلب .. ولا دين .. ولا انسانية ، فى معاملتها لطفليها . فلتنتظر مصيرها عند الله ، وهو نار جهنم .

★ ★ ★

---

(١) التغابن : ١٤ .

وتقول السائلة هنا : انها تحدثت مع الأم كثيرا ونصـــحتها فى شـأن معاملة طفليها ، ولكن بدون جدوى · وترسل اليها من وقت لآخر : ما تطعم به الطفلين ولكن سرعان ما تلتهمه هى ، دون ولديها · وتسأل الآن :

هل عليهـا وزر أمـــام الله ان هى اسـتمرت فى السـكوت ولم تكلم زوجها بما يقع لطفليه من أمهما ؟ ·

انها تخشى ان هى كلمته أن يضربهـا · ولأنها لم تنجب أطفـــالا تعبت أعصابها من هذه الأم القاسية ·

● حكمة الله فى اعداده لطبيعة الانسان · ان كان الانسان أبا أو أما : فقد أودع فى طبيعة كل منهما من العطف والحنـان على أولادهما ، ما قـد يتجاوز فى بعض الأحيان دائرة المصلحة لهؤلاء الأولاد · فمن المبالغة فى عطف الوالدين وحنانهما يتدلل الأولاد ·· وتعبث الأولاد وتنحرف عن الطريق السوى والسـلوك المستقيم لأى انسان ينتظـر له النجاح فى الحياة · ومن المبالغة فى عطف الوالدين وحنانهما قد يصاب الأولاد بأمراض الافراط فى الأكل ، أو الافراط فى السهر وعدم النوم ، أو الافراط فى عـلاقات الصحبة مع الآخرين أو الأخريات فى سن الشباب والمراهقة ، أو الافراط فى الاهمال لأداء ما يجب اداؤه كالاهمال فى اداء الصلاة ، والصوم ، أو الاهمال فى مراجعة الدروس والتردد على المدرسة ·

ومصائب الأولاد ، وحوادثهم ، وتخلفهم فى السلوك أو فى الدراسة · يعود فى الأكثر الى مبالغة آبائهم وأمهاتهم فى محبتهم ، وفى حنانهم ، وعطفهم عليهم · وسـوء معـاملة الأولاد لآبائهم وأمهـاتهم ، بالقول أو بالفعل ، أو بالحركة يرجع كذلك الى تلك المبالغة فى عواطف الآباء والأمهات نحو أولادهم·

ومن أجل أن عاطفة الأبوين على أولادهما عاطفة قـوية فى وجـودها واستمرارها فى طبيعة الانسان : لم يوص القرآن الوالدين بشىء ما فى جانب الأولاد · سوى نصـــحهما بعدم الافتتان بهم · فيقول تعالى : « **انما أموالكم وأولادكم فتنة** » (١) ·· ومعنى الفتنة : الاغراء ، والخداع فيكون المال سبب غرور مالكه وخداعه ·· ويكون الولد سبب غرور الوالدين وخداعهما وبالغرور والخداع ينحرف صاحب المال ، ووالد الولد فيستغنى صاحب المال بماله عن الآخرين أو ينحرف عن خط الهداية الالهية ، ويترك الوالد لولده : الحبل على الغارب ، فلا يلتزم بقانون ، أو خلق ، فى السلوك مع من معه وفى معاملاته لهم·

---

(١) التغابن : ١٥

على حساب الأسرة المكونة من اخوتها الصغار وأبيهم الكبير · كما يتأثرون بالعادة فى المجتمع · وهى زواج المرأة خير من وحدتها ·

نعم زواج المرأة خير من أن تظل وحيدة ، اذا قيض الله لها الرجل الصالح الذى يقيها التعرض للأزمات وتملأ فراغ نشاطها برعاية أفرادها · فتفكيرها ووجدانها معهم ·

والأمر يدور الآن لدى السائلة بين مهمة هى مشغولة بها فعلا ـ ومهمة أخرى منتظرة : قد تأتى ، وقد لا تأتى · وهى حياتها الزوجية · وهى اذا كانت ستسعد بالزواج لوقيض لها ، فانها سعيدة فعلا باهتمامها بأسرتها · ومن ثم فهى مستريحة نفسيا لوضعها الحالى · ورأيها فى البقاء مع أسرتها ، وعدم التطلع الى الزواج ، على الأقل فى وقتها الحاضر : هو رأى سديد يوفر لها رسالة « الأمومة » وهى رسالة المرأة فى حياتها · كما يوفر لها البعد عن المتاعب التى قد تحل ، بسبب غيرة الرجل الذى أصبح زوجا لو وجد ، على اهتمامها بشئون اخوتها وأبيها وحده · فالزواج له آثاره فى حياة المرأة والرجل · وأخص هذه الآثار : أن كل واحد منهما يريد قصر نشاط الآخر عليه وحده · بل ويريد قصر عاطفته عليه وحده كذلك · وهذا يفسر : لماذا تكون علاقة الزوجة بحماتها علاقة تقوم على الغيرة ، بل وعلى الكراهية أحيانا فى واقع أمرها ؟ ·

ثم من يدرى ؟ فقد تقطع السائلة شوطا كبيرا فى رعاية أسرتها يصل باخوتها الى مستوى الاستقلال والاعتماد على النفس ·· ثم يرزقها الله بمن يسعدها من الأزواج بقية حياتها ، جزاء ما وهبت من نفسها وأجرها لاخوتها حبا فى الله ورضاه · وبذلك تكون جمعت بين الحسنيين ·

★ ★ ★

٨٨ ـ أم تأكل ما يجب أن تطعم به أطفالها :

مواطنة بأحد الأحياء بالقاهرة :

تستنجد من جارتها فى المنزل ـ وهى أم لطفلين صغيرين · والولد منهما رضيع · وهى تحكى : أن الأم تعذب طفليها بعدم اطعامهم وبضربهم لكى يناموا · مع أن زوجها متيسر ، ويحب أولاده جدا ، ولا يعلم ما تفعله الأم مع طفليها ولا يقصر اطلاقا فى علاج الأولاد ، ان هم كانوامرضى ·

● الزواج فى الاسلام ليس فرض عين ٠ على معنى أنه ليس كل رجل ٠٠ وكل امرأة يجب أن تتزوج ٠ وانما هو للقادر عليه : صحة وانفاقا ٠ اذا كان رجلا ٠٠ وصحة اذا كانت امرأة ٠ وغايته النسل ٠٠ والمتعة ٠٠ والسكن ٠٠والمودة ٠٠ والرحمة ٠

والسائلة وضعها القدر بين مهمتين انسانيتين : مهمة رعاية أبيها الكبير واخوتها الصغار من جهة ٠٠ ومهمة الحياة الزوجية ان قدر لها أن تتزوج من جهة أخرى ٠ وهى بميولها وبما اتفقت عليه مع زوجها المتوفى ، تؤثر الآن : أن تكون بجانب أبيها واخوتها ، على أن تقبل الزواج لو تقدم اليها من يسعى الى الزواج بها ٠

وترحيبها بأن تكون فى رعاية أبيها واخوتها : أمر يذكر لها بالتقدير ، ويعبر عن بعد نظرها فى الحياة ٠ فرعايتهم رعاية لمهمة قائمة بالفعل ٠ واذا كان لا ينتظر نفع شخصى لها من رعاية والدها فاطمئنانها النفسى بأنها أدت واجبا عليهـــا لأعز انســـان لديها كفيل بأن يكون جـزاء لها ٠ واخوتها سيذكرونها بالخير والفضل ، وسيقفون بجانبها عندما تحتـــاج اليهم ، لو أثمرت فيهم رعايتها ٠

أما أن تنتظر زوجـا ـ وربمـا لا يأتى ـ فقـد يخيب أملها بعد عشرة قصيرة ٠ وعندئذ يساورها الندم ٠ لأنها فقدت شيئا عندئذ كان فى رعايتها ، وهو أبوها واخوتها وكان محل أملها ولم تحصل فى مقابل فقـده الا عـلى الحزن والندم ٠

● ان المرأة بحكم أنوثتها تميل الى الأمومة ٠ والأمومة رعـاية من يحتاجون اليها سواء أكان لصغير السن أو لكبيره ٠ فاذا وجدت المرأة موضعا لأمومتها ممن ترعاهم تكون قـد اســتجابت لهذا الميل ـ وهو ميل الأمومة ـ عندها ٠ وكأنها تكون قد اكتفت ذاتيا وقتئذ ٠ وهذا هو السر فى أن السائلة تحكى عن راحتها النفسية ببقائها فى رعاية الأخوة الصغار ، والأب الكبير ، دون تطلع الى الزواج ٠ فمهمتها فعلا قائمة ٠ وهى مهمة القيـــام بدور الأم فى الاهتمام بأسرتها ٠

والناس الذين يشيرون على الســائلة بالزواج ـ لأن عدم الزواج ضد الطبيعة البشرية ، ومن أجل ذلك يحرمه الدين ـ هم يشيرون عليها بذلك من واقع معين ٠ وهو واقع مصلحتها الشخصية ٠ وهم بهذه المشورة يؤثرون أن تكون أنانية ٠ أى تنظر الى مصلحتها وحدها ، ولو كان تحقيق هذه المصلحة

وادعاء السائل أن والده يحرمه من حقه هو ادعاء يحيط به الشك · فالمفهوم من رسالة هذا السائل : ان به حمقا · وهو طائش فى تصرفاته · ودليل ذلك انه يسرق مل أبيه ليتصدق به على اصحاب الحاجة ، كما يزعم ·· والعاقل يترك صاحب المال ـ وهو الوالد هنا ـ يتصرف فى ماله ، كما يشاء · فان كانت للولد رغبة فليبدها لوالده ، دون أن يأخذ لنفسه الحق فيما لا يملك ·

● وليست هناك وسيلة لاصلاح ما بين السائل ووالده الا أن يواجهه بالاعتذار عما فعل ، ويعده بعدم العودة الى انتهاك حرمة والده فى أى جانب منها · وله أن يوسط بعض من له حظوة عند والده من الأقرباء وغيرهم ذوى السمعة الحسنة الطيبة فى البلد · وقبل هذا وذاك يعود الى الله بالتوبة ، وبأداء الواجبات عليه التى يطلبها الاسلام من المؤمنين به ، كما يغير من سلوكه ومعاملاته بحيث يستعيد ثقة والده به ، فالثقة هى كل شىء فى العلاقة بينهما ·

وأما العقوق فى تصرف السائل نحو والده فهو واضح · اذ بدل الاحسان فى المعاملة ـ وهى الرعاية الكريمة لوالده ـ يسرق ماله ، ويدفعه الى الغضب والقطيعة له · وليس هناك أشق على النفس من أن يقاطع الوالد ولده ، لخيبة أمله فيه ·· ولسوء تصرفه ·

★★★

٨٧ ـ بين والد واخوة ترعاهم ·· وزواج تنتظره :

تكتب آنسة باحدى المحافظات :

انها مدرسة فى مدرسة ابتدائية ، وأنها ترعى والدا لها متقدما فى السن واخوة صغارا فى المدارس الابتدائية والاعدادية · وليس للأسرة دخل تعيش عليه سوى مرتبها هى ، وقد تزوجت مرة ، وتوفى زوجها قبل أن يدخل عليها · وفى حياة الزوج اتفقت معه على أن أى واحد منهما توفى قبل الآخر فلا يتزوج الآخر بعد ذلك ·

وقد وطدت نفسها على أن تعيش فى خدمة أسرتها ، وخدمة التعليم كمدرسة وهى مستريحة من الوجهة النفسية · ولكن بعض الناس ينصحها بالزواج · اذ أن عدم الزواج يخالف الطبيعة البشرية ·· ومن أجل ذلك يحرمه الدين · وتسأل : هل الدين يحرم مسلكى هذا ؟ ·

فى منزل أبيه : ليس حلا كما يقترح وانما فيه الضياع لنفسه ، والتشهير اكثر بأسرته فضلا عما قد يصيب والده من صدمة ، ربما لا يحتملها ٠

والامر الآن قد انتهى ٠ وذكرياته هى الباقية ٠ فان كانت والدته لم تزل تمارس الخيانة الزوجية - كما يظن السائل - أو لم تزل تضع نفسها موضع الشبهة ، فالسائل وقد بلغ الآن العشرين من عمره عليه ان يراجعها فى هدوء ، ويذكرها باساءتها له ، ولوالده ولأسرته ٠ ولا بأس أن يواجهها بالتهديد بأنه ينقل ما يسىء سمعتها الى والده ٠ فان امتثلت وتابت الى الله توبة قاطعة فلا حرج من تركها لغفران الله لها ٠ ولعل الله يهديها ويغفر لها ٠

والسائل نفسه لكى يقل أو يضعف انفعاله بتلك الذكرى السيئة : عليه أن يترك جزاء ما فعلت أمه الى الله وحده ٠ وليكن على يقين بأن الله اذا أمهل فانه لا يهمل أبدا : الجزاء على اقتراف الفاحشة ٠ وبذلك ينصرف إلى شئون نفسه وليتخذ من هذه الواقعة عبرة يعتبر بها فى حياته ، ان هو شارك زوجة له : الحياة المقبلة ٠ وليس هناك أشد تأثيرا من « الاختلاط » ٠٠ على علاقة الرجل بالمرأة ٠

● أما الشاب الثانى فيجب أن يعرف : أن انفاق ما يسرقه من مال ابيه طوال خمس سنوات ، على الفقراء ، وأصحاب الحاجة - كما يذكر - لا يبرر اطلاقا جريمة السرقة فى ذاتها ٠ فالاسلام لا يضفى على الوسيلة طابع الغاية ٠ على معنى أن الغاية ان كانت حلالا ، فحلها لا ينتقل الى الوسيلة ان كانت هى فى ذاتها محرمة ٠٠ وغير مشروعة ٠

وسرقة السائل من مال أبيه هى سرقة ٠٠ هى جريمة من الجرائم التى يعتبرها الاسلام جرائم اجتماعية ٠٠ وكون المال هو مال والده لا يغفر له ، ولا يحول الجريمة عند الله الى أمر مقبول غير منكر من الله جل شأنه ٠

هناك فى نظر الفقهاء استثناء من جريمة السرقة ٠ وهو استثناء الزوجة اذا اخذت من مال زوجها فى غيبته للانفاق منه على نفسها ، أو على الأسرة معها كذلك ٠ ويعللون ذلك بأن الانفاق على الزوجة واجب شرعا ٠ فاذا قتر الزوج فللزوجة أن تأخذ ما يكفيها عرفا من مال زوجها من ورائه ٠

والولد وان كانت تجب نفقته على ابيه لكن صلة الأبوة لا تجعل الأب يقتر على ولده الا فى حالة الشح الشديد ٠ وهو أمر نادر قليل الوقوع ٠ ولذا أخذ الولد : المال من وراء والده يعتبر سرقة وجريمة ٠٠ بخلاف أمر الزوجة ، كما سبق ٠

ويبرر سرقته بأن ما يأخذه من المال ينفقه فى شىء له فائدة ، ويقول « كم مسكين اطعمته • وكم فقير عاونته ؟ وكم محتاج أعطيته ؟ وكم من مستدين داينته ؟ • ثم يسأل :

(١) هل السرقة من الأب حرام اذا كانت فى أمور نافعة ؟ ورغم انه يحرمنى من حقى الذى ينبغى عليه ان يعطيه لى ؟ •

(٢) وماذا أفعل لأستعيد ثقته بى ، ولأزيل الخلاف الدائم بينى وبينه ؟

(٣) وهل هذا يعتبر عقوقا للوالد ؟ •

● الشاب الأول الذى رأى أمه مع رجل أجنبى فى فراش أبيه ، ولم يتجاوز التاسعة من عمره اذ ذاك : اختزن هذا المنظر فى نفسه ، كما يختزن الالفاظ والكلمات التى يسمعها من الآخرين • حتى يأتى الوقت الذى يعى فيه ما شاهده أو ما سمعه • وهذه سنة الانسان فى طفولته ، ثم فى نموه بعد ذلك فى مرحلة المراهقة أو التى بعدها • فاختزان الاحداث والمشاهد ، والألفاظ والكلمات فى سن مبكرة عند الانسان ، ميزة يتميز بها فى بناء اللغة •• وفى تكوين المعلومات • والطفل فى مرحلة الطفولة وان لم يدرك فى اللحظة التى يشاهد فيها ما يقع •• وان لم يفهم كذلك كل ما يسمعه من غيره •• فانه يسجل ما يراه وما يسمعه بدقة • ويضمه الى رصيد عنده ينتفع به عندما يتمكن من استيعابه وفهمه فحياة الطفولة هى شريط للأحداث يستعرضه الانسان بعد ما يتجاوز عهد الطفولة الى عهد الادراك والفهم • والاحداث التى تهز نفسه فى مرحلة الطفولة تظل واضحة فى تسجيلها على هذا الشريط • ولذا من الخطأ ان يظن الانسان الكبير : ان الطفل فى مشاهدته لبعض الاحداث • أو فى سماعه لبعض الكلمات فى حديث ما : انه لم يدرك شيئا •• وانه سينساها بسرعة •• نعم هو قد لا يفهمها ، وقد ينساها •• ولكنها مسجلة لديه وسيستعرضها لحظة ما ، فيما بعد ، كما كانت وانتهت •

فهذا الشاب يحكى عن صدق وواقع لما شاهده • وانفعاله الآن بما شاهده فى سن التاسعة ، نتيجة تذكره له • وأزمته ليست أزمة اخلاقية بقدر ما هى أزمة نفسية ، فوفاؤه لأبيه جعل خيانة أمه مع رجل غريب عنه فوق طاقة تحمله • وهو الآن ليس مرتبطا نفسيا مع أمه • وانما هو كاره لها • بدليل أنه فكر فى أن يقتلها ، انتقاما لشرف أبيه ووفاء له •

● ولكن مع صدق هذا الشاب فيما يرويه ، وفيما تنفعل به نفسه من خيانة أمه ، فان قتلها وحدها •• أو قتلها مع الرجل الذى وجده معها

الموعد · بل يتأنى ويراجع ما لديه من أعمال يجب أن تنجز قبل الوقت الذى يحدده ·

ويكفى فى صدق هذا السائل : أنه يعنى بأمر ليس موضع عناية للملايين فى مجتمعنا · وهو دقة الموعد ، وعدم الخلف فيه ·

★★★

٨٦ ـ الأزمات النفسية بين الشباب :

شابان متقاربان فى السن · احدهما فى سن العشرين ·· والثانى فى سن الثامنة عشرة · وكلاهما يقع تحت أزمة نفسية عنيفة ، تعود الى الصلة بأحد الوالدين · ومن فرط عنف ازمتهما يقترحان كحل لها : اما مباشرة القتل ·· أو الهرب من الحياة بالانتحار ·

● الشاب الذى هو فى سن العشرين : نشأت أزمته النفسية من أنه قد شاهد والدته فى وضع مستهجن مع رجل غير والده ، عندما دخل المنزل دون أن يحس به أحد · وكانت سنه اذ ذاك تسع سنين · ولم يحط طبعا فى ذلك الوقت بما احيط به ، بعد أن دخل مرحلة المراهقة ووقف على أمر العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة · فهو يقول : عندما كبرت تذكرت هذا المنظر ، وعرفت ماذا يعنى ، وما كان بينهما · وأخذ من نفسى مأخذا قويا بحيث انى فكرت فى قتل والدتى ، أو قتلها مع هذا الرجل الذى كان يخالطها · وخشيت فقط ان يسبب ذلك صدمة فى نفس والدى ··

وحتى الآن فان سمعة والدتى سيئة ، وأحس اذا مشيت بين الناس : أن الناس يعرفونها ويعرفون قصتها · ولذلك أمشى وانا منحنى الرأس · ومنذ خمس سنوات تشاجرت مع واحدة من الجيران فكان من هذه الواحدة ان قالت لها « لست مكسوفة : يا بتاعت فلان » ·· فما رأى الدين ؟ ·

● والشاب الآخر الذى هو فى سن الثامنة عشرة ، طالب بالثانوية العامة : ساءت علاقته بوالده · ويدعى ان والده بخيل يقتر عليه فى ملابسه وفيما يحتاجه من ضرورات الحياة · وأخذ يسرق منه المال ، وظل يسرقه طيلة خمس سنوات ، حتى كشفه والده وغضب منه ، وطرده من المنزل : المرة بعد الأخرى ·

وقد يضرب من رئيسه فى العمل ، أو من صاحب العمل نفسه · وعن القسوة أو المذلة والاهانة له تكون عنده نوع من العناد · وهو العناد الذى يتمثل فيه الدفاع عن النفس ·

هذا العناد ، أو الحرص على كرامة الذات فى مبالغة وغلو ، هو الأمر الذى يجعل العامل المصرى لا يحفل بالمواعيد التى يعطيها رئيسه الى الزبائن ، أو يعطيها هو نفسه اليهم · واستهتار العامل بالآخرين ، كسبيل الى الارتفاع بقدر نفسه ، هو الذى يخل بالمواعيد ويسبب عدم انتظام العمل ، وعدم الوفاء بالوعد فى وقته ، والموعد فى دقته ·

● والسائل هنا لا يعتبر منافقا ، لأن المنافق يغلب عليه طابع الكذب ، وكثرة الحلف ، وعدم الاهتمام بالسلوك الحسن فى ذاته ، وعدم الايمان بالله والخشية منه · وجاء كتاب الله فى وصفهم فى قوله تعالى : « **اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون · اتخذوا أيمانهم جنة** (أى ستارا وغطاء حتى لا ينكشف امرهم) ، **فصدوا عن سبيل الله** (أى منعوا الناس عن أن يدخلوا فى دين الله) ، **انهم ساء ما كانوا يعملون · ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** » (١) ··

فهذه الآيات تصف المنافقين بالكذب فى اعلانهم الايمان بالله ، وبرسوله عليه صلوات الله وبركاته ·· كما تصفهم بأنهم يحلفون بالله غير صادقين ، متخذين من حلفهم بالله شعارا يحول دون كشف أمرهم على حقيقته ·· وبأنهم يحولون دون سلوك الطريق المستقيم ·· وأخيرا بأنهم فى حقيقة أمرهم كافرون · وايمانهم بالله كان اعلانا منهم فقط ، لينتفعوا بأموال المسلمين ومساعداتهم ·

ولكن السائل مؤمن بالله ، يخشى عذابه · وسؤاله عن خلف الموعد قهرا عنه ليقف على الطريق المستقيم الذى يقربه من الله جل شأنه · وهو الطريق الذى يبتعد فيه عن أن يصيب أى أحد بضرر أو بأذى ·

وخلفه فى المواعيد لا ارادة له فيه · اذ أمره فى العمل متعلق بغيره من العمال أو ممن يتعامل معهم من التجار كصاحب مهنة · ولكننا ننصحه بأن يكون تقديره فى تحديد المواعيد أكثر دقة من ذى قبل ، حتى تقل الفجوة الزمنية بين الموعد والوقت الذى يقع فيه فعلا · فلا يسرع فى تحديد

---

(١) المنافقون : ١ ــ ٣ ·

● الأمر الذى يبدو فى كتاب السائل : أنه حريص كل الحرص على أن يكون قريبا من الله فيما يؤديه من عمل ٠ سواء فى انجازه ، أو فى دقته ، بحيث لا يكون هناك ضرر لأحد من زبائنه الذين يترددون عليه ٠ ولذلك يخشى أن يكون فى خلف المواعيد الناشئة عن غير ارادة له ، ما يساوق النفاق ٠ وهو أمر مكروه ومبغوض عند الله ٠

والسائل من القلائل فى مجتمعنا هنا الذى يعنى بالدقة فى العمل ٠ وبالأخص فى المحافظة على أن تقع المواعيد التى يحددها : فى أوقاتها ٠ فالوقت فى مجتمعنا المعاصر ليس ذا أهمية ، ولا ينظر اليه نظرة جدية ٠ فالذى يعطى الموعد هنا قد يعطيه وهو يعلم انه لظروف خاصة أو لسبب معين ، سيخلفه ٠ ومع ذلك لا يصارح الطرف الآخر معه بحقيقة الوضع ٠ والذى يقبل الموعد ممن يعطيه اياه ، قد يقبله كذلك وهو على يقين من أنه لا يحققه من جانبه ٠ ورغم ذلك لا يعتذر على قبوله فى الوقت الذى حدد له ، فيكون صادقا مع نفسه ، ومع الطرف الذى يتعامل معه ٠

فاعطاء المواعيد المكذوبة ، وقبولها : خلق شائع فى مجتمعنا المعاصر ، يعود الى عدم ضبط النفس ، والى عدم الرغبة فى تنظيم العمل ٠ وهو خلق سىء يحسب علينا وضدنا دائما ٠٠ هو خلق يدل على الاستخفاف بشأن الآخرين ممن يعطى الموعد ، وعلى عدم الجدية فى الحياة ممن يقول نعم ، وهو يعرف مدى ما يوعد به ٠

ولا ينجح فرد يخلف فى الموعد ٠ ولا ينجح مجتمع يتعامل افراده على اساس الخلف فى الموعد ، والوعد ٠ وكان يقال فى التعبير عن بعض تقاليدنا التى صاغتها التعاليم الاسلامية : « وعد الحر دين عليه » ٠٠ والوعد هو وعد فى الزمن بتحديد الوقت ٠٠ ووعد فى العطاء بتوقيته بالحاجة أو بالضرورة ٠ فالحر ٠ وهو الذى لا يقيد فى التصرفات ولا فيما ينسب اليه على العموم : بوصى ، أو سيد ، أو رئيس ، اذا اعطى وعدا ، أو موعدا فانه يلتزم التزاما ادبيا امام نفسه ، والتزام مسئولية أمام الله ، بالوفاء بما وعد ، أو تواعد عليه ٠

والسائل اذا أشار فى سؤاله الى أنه قد يخلف الموعد أو ما وعد به لسبب خارج عن ارادته ، فالسبب قد يكمن فيمن يعمل عنده أو معه من العمال ٠ فالعامل فى مجتمعنا ـ حتى ولو كان ذا مهارة فائقة ـ ينشأ على الاستهانة بما يكون لصاحب العمل عنده ، وعلى الحساسية الشديدة بما يتصل بذاته ٠ ولعل مصدر الاستهانة والحساسية بما يتصل بذاته ، عنده ، وهو : أنه فى تنشئته كصبى فى العمل الى أن أصبح عاملا : كان يهان ، ويشتم ٠

صحية عديدة · وفى مقدمتها أمراض المسالك البولية · وعلاجه مما يشير اليه فى رسالته ويحمله على اجراء عمليات بسبب عدم تمكنه من المعاشرة الزوجية : ألا يفكر فى هذا الجانب على انه أمر حيوى ويكف تماما عنه · فكثيرا ممن توفيت زوجاتهم عنهم ، وقد دخلوا سن الشيخوخة ، يرفضون الزواج مرة ثانية · وليس ذلك وفاء فحسب لزوجاتهم السابقات ، وانما ايضا حفاظا على حياتهم ووقاية لهم من مشاكل يدفع بها الزواج الجديد فى هذه السن · وهى مشاكل صحية ، قبل ان تكون مشاكل اجتماعية ونفسية ، واقتصادية ·

● ان الاستمتاع بالعلاقة الجنسية فى الحياة الزوجية ، لا يقوم على الاكراه أو الاغتصاب ، أو الالزام · ان له جوا نفسيا خاصا تخلقه الزوجة والزوج معا بتبادلهما الرضا والمحبة ، والذكريات الطيبة ، والتمنيات فى الصحبة معا ، الى آخر نفس فى الحياة · ان متعة هذه العلاقة ليس فى مباشرتها ، بقدر ما هى فى مقدماتها ·

ونحن لا نستطيع أن نقول للشاكى الباكى هنا : ان الاسلام يوجب على الزوجة فى حالته الآن أن تستجيب لرغبته · لانها بعد الاثنين والثلاثين عاما من معاشرة زوجية لا تعتبر ناشذة فى نظر الاسلام ، اذ هى لظروف خاصة الآن ، تقدرها هى وحدها ، قد لا تستطيع من الوجهة العضوية ، ولا من الوجهة النفسية : أن تحقق رغبته ·

وعليه الآن أن يتجه إلى الله بالصلاة ان حزبه الأمر واشتد عليه · ويترك وساوس الشيطان ، ان زين له ممارسة العلاقة الجنسية ، ووضع فى تصوره : أنه ان لم يمارسها يصاب بأذى وضرر ·

★★★

٨٥ ـ تغيير الموعد لظرف طارىء خارج عن الارادة لا يعد نفاقا :

يقول مواطن باحدى القرى :

انه يباشر عمله كترزى ، ويعطى مواعيد لزبائنه · غير أنه قد يقع تغيير فى هذه المواعيد ، بحكم ظروف طارئة وخارجة عن ارادته · ويسأل :

هل الخلف فى هذه المواعيد يعتبر نفاقا ، وبذلك يعد من المنافقين ؟

العمل المكلف به ان استطاعت ان تساعده وكان لديها فراغ من الزمن بجانب الخبرة فى العمل ·

وبهذه البداية المشتركة فى الحياة الزوجية لا تكون المعاشرة الجنسية وحدها هى الهدف للزوجية · اذ قد تبرز لهما خطوط مشتركة أخرى يميلان الى التعاون فيها ويأخذ هذا التعاون قدرا كبيرا من نشاطهما ووقتهما · واذا لم تصبح هذه المعاشرة هى الهدف · فكلما تقدم السن بهما كلما ضعف أمرها فى واقع حياتهما · وعندئذ لا يكون هناك الحاح من أى منهما على الآخر ، من أجل تحقيق رغبة لا يستجيب لها الطرف الثانى ، فى غير رغبة ·

والفراغ فى الحياة وعدم تنظيمه فى انجاز ما يعود على الزوج أو الزوجة من مصلحة : هو الأمر الذى يوحى للزوجين بالملل ، أو يوحى لهما أو لأحدهما بشغله بالعلاقة الجنسية بينهما · فلو شغل أى منهما فراغه بممارسة نوع من الرياضة البدنية ·· أو بتعلم بعض اللغات الأجنبية ·· أو شغلت الزوجة نفسها بتعلم التفصيل والحياكة ، أو شغل الزوج نفسه بقيادة السيارات ، أو بالرسم ، أو بالقراءة ، أو ببحث بعض الاتجاهات السائدة فى الحياة المعاصرة ·· لو شغل أى منهما نفسه بأى لون من هذه الالوان فى وقت الفراغ ، لا يحس بضغط الغريزة الجنسية عليه ويغلب عند اللقاء بينهما : اسلوب الواقع ، وليس اسلوب الشهوة ·

● والزوج الذى يشكو هنا من عدم استجابة زوجته لرغبته الجنسية ، بعد اثنين وثلاثين عاما من الزواج ، هو رجل شغل حياته وفراغه فيها بالمرأة : فى النظر اليها فى الشارع أو فى النادى ·· وفى الحديث معها ، أو عنها مع ثالث أو ثالثة ·· وفى سماع القصص والخيالات التى تنقل اليه عن طريق المشافهة أو القراءة ·· وفى المناقشة والحوار مع الآخرين ·

والأولى بالسائل والشاكى فى الوقت نفسه أن لا يقترح الحل فى تركه زوجته الحالية والزواج بأخرى · بل يجب عليه أن يراجع نفسه ، بعد هذه السنوات العديدة من حياته الزوجية ، ويقنعها بأن السن التى يعيش فيها الآن هى سن الشيخوخة ·· والافضل لمن يعيش فى هذه السن أن يساير اتجاه الطبيعة البشرية · واتجاه الطبيعة فى سن الشيخوخة يختلف اختلافا كبيرا وواسعا عن اتجاهها فى سن الشباب ، بالنسبة لعلاقة الرجل بالمرأة ومعاشرتها معاشرة جنسية ·

ولعل من نعمة الله على السائل هنا : أن زوجته ترفض الاستجابة لالحاحه فى الاتصال بها · فهى بهذا الرفض توفر له عدم الدخول فى مشاكل

لا تقدم منحا للدراسة فيها ، الا للموهوبين فقط ومن فيهم أمل كبير فى النجاح فى الدراسات الاكاديمية ·

ومن الأسف أن شعار : « التعليم كالماء والهواء » ·· الذى رفع فى مصر منذ سنة ١٩٥٠ قد فهم خطأ ، وبق أيضا خطأ ، ولم يواجه خطأه فى الفهم والتطبيق معا من اصحاب المسئولية بالحزم فى تصحيحه · لأنه رفع كشعار سياسى ، وفهم بفهم السياسيين ، وطبق تحت تأثير المصلحة السياسية ·

★ ★ ★

٨٤ ـ الزواج بثانية تقدير شخصى :

مواطن من احدى المحافظات ـ يذكر :

انه متزوج منذ اثنين وثلاثين عاما ، ويشكو زوجته من انها لا تستجيب لرغبته اذا طلبها · وتلفت نظره الى عدم الاهتمام بهذا الجانب من حياتهما · اذ أن زمنه فيها قد انتهى · ولكنه يعلل طلبه بأنها تعلم أنه قد أجريت له عدة عمليات بسبب عدم اتصاله الجنسى · ويسأل : هل يتركها ويتزوج واحدة أخرى ؟ ·

● نعم قد تأتى فترة على الزوجة فى حياتها لا تقبل على المعاشرة الجنسية فاذا بلغت سن اليأس أو تجاوزت الخمسين من عمرها ، أو استهلكت فى عمل المنزل وتربية الاولاد ورعايتهم ، أو كانت تباشر عملا خارجيا تساعد أسرتها من أجره ، فانها تحمد الله اذا أقبل الليل واوت فيه الى فراشها وسكنت الى الهدوء وحدها ·

والحياة الزوجية يجب أن يكون معروفا منذ بدايتها للزوجين : أنها تستهدف الطمأنينة ، والمودة ، والرحمة ، قبل المعاشرة الجنسية ·· يجب أن يمارس الزوجان تحقيق السكنى والطمأنينة بينهما بحسن التفاهم والتشاور فى أحداث الأسرة ومشاكلها واختيار العلاج الناجع لحلها ·· يجب أن يسعيا لتحقيق المودة بينهما بالمعاملة الكريمة ، والاحترام المتبادل ، والتسامح وعدم الوقوف عند الامور التافهة ·· يجب أن يكون الجو بينهما هو جو الرحمه والعطف والمعاونة : جيد الصحة منهما يخدم المريض ، والقوى فيهما يساعد الضعيف · ولا غضاضة اطلاقا أن يساعد الزوج زوجته فى انجاز عمل المنزل ان كان لديه وقت · ولا غضاضة أيضا أن تساعد الزوجة زوجها على انجاز

وكذلك نجد أن الأجر الذى تأخذه الزانية على تمكين الآخرين من مباشرة جريمة الزنا معها ، لا ينطوى على ضرر تفشى هذه الجريمة فى المجتمع فحسب · وانما ضرره يتعدى هتك العرض وحرمة الانسان ، الى اختلاط الأنساب ، ونشر الأمراض الوبائية الخبيثة ·

ومن مبادىء رسالة الاسلام : دفع الضرر ، قبل جلب المنفعة أو المصلحة الشخصية · أى أنه اذا ترتب على حصول منفعة لفرد ما : ضرر لفرد آخر، فيساند الاسلام الفرد الذى سيضار بابعاد الضرر عنه ، وان أدى ابعاده عنه : عدم حصول من يترقب المنفعة ، عليها ·

والاسلام من جهة أخرى لا يحلل الوسيلة المحرمة كالزنا مثلا وقبول الأجر عليه اذا استخدم أجره فى مصلحة طرف آخر · كأن يستخدم فى الانفاق هنا على اتمام الدراسة لطالب ، لا يتمكن أن يتمها من غير أن يقبله · فالاسلام – كما يقال – لا تبرر الغاية فى نظره ، الوسيلة للوصول الى تحقيقها · على نحو ما يذكر هنا من كون الزنا وسيلة الى اتمام الدراسة للطالب · فالمحرم فى نظره محرم لذاته · ومن أجل ذلك لا يكون حراما اليوم ، وغدا يكون حلالا ، باختلاف الاعتبار · وينقل عن الرسول ﷺ قوله : « ليتها لم تزن ·· ولم تتصدق » ·· عندما سئل عن الأجر الذى تحصله المرأة من مباشرتها للزنا كعمل تؤجر عليه ، ثم تتصدق بالأجر على أصحاب الحاجة ، وقوله عليه السلام هنا يرفض أن يكون المنكر أو تكون الفاحشة طريقا الى المعروف والعمل الخير ·

● على أن السائل ينفى أنه يستطيع العمل وقت الدراسة · ولكنه لم ينف أنه يستطيع القيام به وقت العطلة · ومن الممكن أن يمارس الطالب فى عطلة الدراسة السنوية بعض الأعمال ، ويدخر أجرها للانفاق منه أثناء الدراسة · وأعرف عن قرب بعض الطلاب فى الجامعة كانت حاجتهم الى المال شديدة · وكانوا لا يستكبرون اطلاقا أن يباشروا اعمال الفلاحة بالأجر فى قراهم · ومع ذلك كان تقديرهم النهائى فى كلية الهندسة تقدير الممتازين ، وعينوا بالفعل معيدين فى الكليات الجامعية ، ثم أرسلوا فى بعثات الى الخارج ، بعد حصولهم على درجة الماجستير فى مصر ·

وهناك شىء آخر ·· وهو أن الحصول على الشهادة الثانوية فى كثير من البلاد الأجنبية لا يوصل آليا وفورا الى كليات الجامعة · كما هو الحال هنا فى مصر · لأن الحاصل على الثانوية فى البلاد الخارجية يميل الى الاعتقاد – وهو صحيح الى حد كبير – أن الدراسة الجامعية ينبغى أن تكون نفقاتها من أجر عمله هو ، وليس من مساعدات تقدمها اسرته له · والجامعة هناك

أنه يريد أن يتم دراسته · والمال الذى ينفق عليه الآن يأتى من مصدر حرام ·· تأتى به أمه · وهى العائلة له ولأخوته · ولا يستطيع أن يعمل أثناء الدراسة حتى يمكن أن ينفق على نفسه · فاما أن يقبل هذا المال الحرام ، أو ينقطع عن الدراسة ·

ويسأل عن رأى الدين فى هذا الموقف ·

● التدين لا يتجزأ · لأن التدين هو العمل بدين الله ، كما جاء فى رسالة الرسول محمد عليه السلام · ورسالة الرسول تكون من مبادئها: منهجا يسير عليه المؤمن بها فى حياته · فاذا كان من منهج هذه الرسالة : أن يؤدى المؤمن بها فروض العبادة من صلاة ، وصوم ، وغيرهما ، وحب للخير للآخرين ، فان من منهجها كذلك أن يتجنب المال الحرام والانفاق منه ، واستخدامه ولو فى حلال أو فى ضرورة من الضرورات · وجاء النهى عن المال الحرام فى قول الله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، الا أن تكون تجارة عن تراض منكم** » (١) ·· فكل ما يحصله الانسان من الأموال المتداولة بين المؤمنين ، من غير عمل مشروع : باطل · وأكله أكل لأموال المؤمنين بالباطل· فغصب المال أكل للأموال بالباطل ·· وسرقة المال أكل للأموال بالباطل ·· والخداع فى البيع والشراء أكل للأموال بالباطل ·· والاحتكار أكل للأموال بالباطل ·· والربا أكل للأموال بالباطل والأجر على قتل النفس التى حرم الله قتلها أكل للأموال بالباطل ·· وأجر الزانية أكل للأموال بالباطل ·· ولكى يوضح القرآن الكسب الحلال ، فى مقابل أكل الأموال بالباطل ، ضرب مال التجارة والربح فيه مثلا فى الآية ذاتها · فالربح فى التجارة هو اقتطاع جزء من الأموال المتداولة بين المؤمنين · ولكن فى مقابل عمل مشروع · وهو حركة التاجر فى المال الذى يتاجر ويضارب به · والربح الذى نشأ عن المتاجرة ناتج عن اتفاق الطرفين · والعمل المشروع هو العمل الذى لا ينطوى على ضرر لأحد · وفيما سبق من الأمثلة نجد الغاصب لمال الغير ·· والسارق له ·· والمخادع فى المعاملة والمحتكر للسلع حتى يبيعها بثمن أعلى ·· والمرابى ·· كل واحد من هؤلاء وأمثالهم يضر الآخرين بما صنع من غصب ، وسرقة، وخداع واحتكار ، وربا · كما نجد أن أخذ الأجر على قتل النفس التى حرم الله قتلها لا ينطوى على ضرر للمقتول فحسب وهو ازهاق روحه ، وربما وراءه أسرة كان يتكفل برعايتها ، فأضرها فى هذه الرعاية · وانما يمتد ضرر الأجر على قتل النفس التى حرم الله قتلها الى تهديد المجتمع كله بالفناء ،

---

(١) النساء : ٢٩

وزيارة الأقارب التى يتحدث عنها السائل ليس الحرج فيها انها مفاجئة وعلى غير ميعاد فقط · وانما الحرج يشتد فيها لأنها تتكرر · وتكرارها أخرج السائل وهو من الأسرة التى تزار ، عن دائرة اللياقة والمعاملة الحسنة لأقاربه · فبالاضافة الى ضياع هدوئه واستقراره عند مراجعة دروسه ، وفوات الوقت عليه بدون فائدة له ، فان تكرارها قد يكلف أسرته فى سبيل اكرام الأقارب ، ما لا تحتمله الا بمشقة ·

● ومن الأسف الشديد : ان الحساسية شديدة عند أصحاب هذه العادة ـ وهى عادة الزيارة للآخرين من غير علم سابق ـ اذا لفت نظرهم أحد الى ان الاسلام ينهى عن اتباع هذه العادة السيئة · ويطلب الى المؤمنين جميعا ان يكونوا انسانيين فى علاقة بعضهم ببعض · فلا يقدم أحدهم على ايذاء الآخر بحمله على قبول ما يكرهه · فالانسان له حرمات عديدة · وحرمة المسكن لا تقل عن حرمة النفس ، والمال ، والعرض بين حرماته · ان المسكن جعل للسكن والهدوء · واقتحامه بدون اذن ورضا من الساكن يخرج السكن عن غايته ، ويجعله كالشارع الذى يقع عليه ، أو أقل حرمة منه ·

ولكن بلادة الاحساس بالانسانية ، وطغيان الانانية فى الانسان هى التى تجعله يتجاوز الذوق ، ويرتكب أقبح العادات وأبغضها الى النفوس الكريمة ·

ورد الفعل الذى يباشره السائل ازاء تكرار الزيارة المفاجئة من أقاربه ، وتغضب له أسرته : ينبغى أن يكف السائل عنه · لأنه اذ يتضرر من عادة سيئة لغيره ، فلا يصح أن يسىء هو فى التصرف مع الأقرباء وان كانت اساءته رد فعل لسوء قبله · فالمبدأ الأصيل فى القرآن : أن بغض أى انسان لسبب من الأسباب لا يجب أن يحمله على الاعتداء عليه ، أو على عدم العدل معه : « **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا** . (أى لا يحملكم بغض فريق من الناس على عدم العدل بينهم) » ·· (١) · والقياس على ذلك : يجب أن لا يحمل بغض نفر من الناس على الاساءة اليهم فى صورة ما ·

★ ★ ★

٨٣ ـ بين المال الحرام ·· والاستمرار فى الدراسة :

طالب من احدى المحافظات يبلغ الثمانية عشر عاما ، ويذكر :

أنه متدين يؤدى فروض العبادات ، ولا يحب الشر والأذى لأحد ، ولكنه يعيش الآن فى مشكلة وهى :

---

(١) المائدة : ٨

وقد تسبب هذه العادة حرجا لطرف من الطرفين ، أو لهما معا · وقد تسبب كذلك ضررا ماديا أو أدبيا لمن يزار فى بيته فجأة · وقد يكون رد الفعل على الزيارة من الأسرة التى تزار ، سيئا أو غير لائق بالقادمين للزيارة من الأقارب ، والأصدقاء والمعارف · والسائل هنا يذكر أثر هذه العادة على نفسه، وعلى عمله · فهو لا يستمتع بهدوء واستقرار ولا يستطيع انجاز عمله المطلوب منه ، وهو مراجعة دروسه · كما يذكر رد الفعل للزيارة المتكررة والمفاجئة · وهو يتمثل فى مباشرة أمور منه ـ تتصل بالزائرين طبعا ـ تغضب أسرته · اذ أنها ترى فيها ما يحرج الضيوف ، أو يحرجهم فى العلاقات معهم ·

● ومن آداب القرآن التى يوصى بها المؤمنين فى سلوكهم : أن يستأذن الزائرون أولا عند الزيارة لمنازل الآخرين ، قبل أن يدخلوها · وهى منازل الأقرباء والأصدقاء والمعارف·ومعنى الاستئذان أن يطلبوا الوقوف على وضع الآخرين فى منازلهم · وهل هو وضع يسمح بالزيارة أم لا ؟ · وهل لا يكون هناك حرج اذا قام الزائرون بزيارة مفاجئة ؟ وهل لا يترتب على عدم الاستئذان فى الزيارة ارتكاب محرم فى بيت من يزار دون سابق علمه ؟ فيقع اختلاط يجر الى علاقة اثمة بين رجل أجنبى وامرأة أجنبية عنه ، يقول القرآن الكريم : « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا** (أى حتى تستأذنوا فيؤذن لكم) **وتسلموا على أهلها** (وعندما يؤذن لكم فى الدخول حيوا الموجودين فيها بالقاء السلام عليهم) ، **ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون** (وهذا الاستئذان فى دخول بيوت غير بيوتكم ، والقاء السلام على من فيها : خير لكم من التهجم عليها بغير اذن ، ومن الدخول بغتة وفجأة · ويرجى منكم ان تتذكروا دائما : أن الاستئذان خير من المباغتة) ، **فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم** (أى وعندما لا تجدوا فيها أحدا يعطيكم الاذن فالنهى عن دخولها مستمر ·· الى أن يؤذن لكم ممن له الاذن وهو رب الأسرة · ومعنى ذلك : ان غير المحارم لا يجوز للزوجة أن تأذن لهم فى الدخول ، اذا كان زوجها غائبا) ، **وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو أزكى لكم** (أى فاذا استأذنتم فى الدخول ولم يؤذن لكم وطلب اليكم الرجوع فينبغى الاستجابة لما طلب منكم · وهو أن ترجعوا ولا تدخلوا · اذ الرجوع عندئذ طريق الطهر والصفاء والبعد عن الشبهات فى العلاقات بين بعضكم بعضا) ، **والله بما تعملون عليم** » (١) ··

ووجوب الاستئذان فى زيارة الآخرين فى منازلهم يرفع الحرج عن هؤلاء الآخرين فى بيوتهم بالزيارة المفاجئة ·· كما يحول دون تكوين العلاقات الآثمة التى قد تنشأ فى غيبة رب الأسرة عن منزله ·

---

(١) النور : ٢٧ ، ٢٨

● والأم بدورها يجب أن تدرك انها ضــحت بالكثير فى حياتها لأجل أولادها : ان فى حملهم ٠٠ أو فى ارضاعهم ٠٠ أو تربيتهم ٠٠ أو فى تدبر المنزل لشئونهم ٠ يجب أن تدرك ان الواحد والسبعين عاما التى مضت عليها الآن كانت كلها أعوام تضحية فى سبيل الأولاد كلهم ٠ فاذا ما قدر عليها ان تكون ابنتها الأخيرة ــ وهى السائلة هنا ــ لم تزل فى حضانتها فلتقدم لها الآن من التضحية ، بالسماح لزوجها بالسكنى معها فى هذه الضائقة فى المسكن ، ما يطمئنها على مستقبلها ٠ والله وحده هو الكفيل بأن يتولى الأم والبنت معا ، برعايته ، ويهدى السبيل للجميع ، ويصون حياتهم من القلق بسبب الخوف ٠ فقد امتن الله على قريش بأن جنبها الجوع والخوف معا ، فيقول : « **فليعبدوا رب هذا البيت ٠ الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** » (١) ٠٠ انقاذا لهم من الموت ، بسبب الجوع ٠٠ أو بسبب الخوف ٠ فابعاد الخوف عن الانســان كابعاد الجوع سواء بسواء ، نعمة كبرى من الله سبحانه لا يدركها الا من ابتلاه الله بهذا أو بذاك ٠

***

٨٢ ــ منع ذوى القربى ٠٠ أو اغضاب أسرته :

يتحدث مواطن من احدى المحافظات :

عن أن له أقارب من أقرب الناس اليه ٠ ويترددون كثيرا عــلى منزل أسرتــه ٠ وبسبب ترددهم يفقد الهدوء والراحة ويؤثر على عدم استمراره على مذاكرته ٠ كما يسبب ترددهم أمورا أخرى لا مكان لها فى رســالته ٠ فيضطر الى فعل أشياء ضدهم تثير غضب أسرته ٠

ويســأل عن موقف الدين من هذا ٠ أى من تردد الأقارب ٠٠ والفعل السىء الذى يباشره ويغضب الأسرة ٠

● من العادات الشائعة فى المجتمع المصرى تلك العادات التى يذكرها السائل هنا ٠ وهى تردد الأقارب والأصدقاء ، والمعارف على منازل أقربائهم ، وأصدقائهم ، ومعارفهم للزيارة فجأة وبدون الوقوف على وضعها فيها :

أهم موجودون بالمنزل وقت الزيارة ؟ وعلى استعداد نفسى ومادى لقبول زيارتهم ؟ أليس لديهم عمل يشغلهم عن لقاء الزائرين ؟ والضرورة العاجلة تدعــو الى انجــازه ؟ أليست لديهم واجبــات تؤدى خارج المنزل وقت زيارة أقاربهم ، او أصدقائهم ، أو معارفهم المفاجئة ؟

(١) قريش : ٣ ، ٤ ٠

أطول مدة ممكنة فى ليلها ونهارها ، على السواء . فالشخص الثالث الذى سيدخل عليهما فى المسكن وهو زوج ابنتها .. ستكون علاقته بالبنت علاقة زوج بزوجته . وهى علاقة خاصة تفرض عليهما فى كثير من الأحيان : أن تكون لهما أسرار خاصة .. وجلسات خاصة .. وأحاديث خاصة .. ورفقة خاصة .. الى غير ذلك مما تؤدى اليه علاقة الزوج بزوجته فى حياتهما الزوجية .

وبالاضافة الى هذه العلاقة الخاصة التى ستعزل الأم عن ابنتها ، والتى ستجعل من الأم « وحيدة » بقية حياتها ، وهى أحوج الى من يكون برفقتهـا ومصاحبتها : قد يكون الزوج من أولئكم الذين يمارسون الارادة ممارسة لا ترعى الرحمة والشفقة بحماته المسنة ، أو من أولئكم الذين يعصفون براحة السكنى وهدوء العلاقات ، لأوهى الأسباب . وهنا تحترق الأم : اما عـلى حالها التى صارت اليه . أو على حال ابنتها مع زوجها ، .. الغضـوب ، أو الأحمق .

● والخوف اذن هو العامل الرئيس لدى الأم ، ولدى ابنتها فى هـذه المشكلة على السواء . الأم تخاف من العزلة والوحدة ، وعدم الاستقرار فى السكن . والبنت تخاف الوحدة والعزلة،وعدم الاستقرار فى الحياة . والسبب فى خوف كل منهما واحد وهو الزوج الجديد . فاتمام الزواج مصدر خـوف للأم . وعدم اتمامه مصدر خوف للبنت .

والأم اذن لا تكره ابنتهـا ، وقد حملتها وهنا عـلى وهن .. لا تكره سعادتها فى الزواج . بل بالعكس هى تتمنى : أن يكون لها زوج فى أقـرب فرصة .. وهى تدعو لها فى الصلاة أن توفق الى زوج ينقذها من حيـاة العنأس . والبنت لا تبغض أمها ولا تشكو منها عن حقد أو غل . وانما القلق النفسى لديها هو مصدر شكواها منها .

● وربما كان سلوك الخطيب ، وكانت تصرفاته مصدر الخوف عند الأم على مستقبلها معه ومع ابنتها . فالبنت لا ينتظر منها فى هذه السن ان تتريث وتتأنى فى اختيار زوجها . اذ هى تدفع دفعا الى قبول من يتقدم اليها ، بحكم هذه السن . وبالتالى يجب على البنت لاقناع أمها : أن تلاحظ تصرفات خطيبها الآن ، وسلوكه معها أو مع والدتها . وترشده الى الأسلوب الذى ترضى عنه الوالدة ، أو يجعلها تميل الى قبوله معهما فى السكن . والأسلوب الذى تباركه الوالدة هو أن يكون هادئا فى حديثه ومقنعا فى منطقه ، وذا عفة ، وقنـاعة فيما يشارك فيه الأسرة من الأكل والشرب ، ولا تحس منه اطلاقا : أنه لا يقدرها ولا يحترمها ، وان لا يكثر من الوعود التى قد لا يفى بها ويتجنب اللغو والنكتة فى القول ، والصراخ عند الانفعال .

٨١ ـ بين أمل البنت ·· واستقرار أمها :

آنسة بالقاهرة تجاوزت سن الثلاثين ، وتسكن مع والدتها التى تبلغ الحادية والسبعين من العمر فى شقة مكونة من ثلاث غرف · ومشكلتها :

ان اخوتها جميعا يسكنون فى أسرهم ، فى مساكن خاصة بهم · ويترددون فقط على مسكن والدتهم لزيارتها ·

وأن امها قد وعدتها بأنه اذا تقدم خطيب لزواجها فانها ستأذن له بالسكنى معهما فى هذا المسكن · اذ انها فوق حاجتها الى رعاية ابنتها لها ، تايد أن تسهم فى تيسير الأمر لزواج هذه البنت ·

ولكن بعد ان تقدم لها شاب ، ونفذ كل ما كلف به من المهر والشبكة ، رغم أن التكلفة ـ كما تقول ـ كانت مرهقة فى ذاتها ، رفضت امها ان يسكن معهما ، كما وعدت من قبل ، علما بأن عقد الايجار باسم الأم ·

وترى الآنسة السائلة : ان مشكلة السكن فى الوقت الحاضر تكاد تكون العقبة الصعبة التى قلما تزلل فى طريق الشباب نحو تحقيق أمانيهم فى تكوين الأسرة · وترجو أن نساعدها فى اقناع والدتها بالسماح للزوج المقبل بالسكن معهما ·

● الآنسة السائلة تخشى أن يفوتها « القطار » كما يقال · وهى الآن وان كانت تسكن مع والدتها التى بلغت بها السن الحادية والسبعين فانها فى غدها قد تكون وحيدة · وحزنها عندئذ سيكون حزنا مزدوجا : أولا : انها أخفقت فى تحقيق أملها فى الزواج ·· وثانيا : ترى أن شريط الحياة يمر أمامها فى صخب ، وهرج ، ومرج ، وهى معزولة قعيدة المسكن · وينتابها من الأوهام والوساوس ما لا قبل لها بتحمله · كما ينتابها الشك ، ثم اليأس من الحياة ·

فالمرأة فى سن الثلاثين اذا فاتها الرجل فى حياتها دخلت مرحلة التلهف عليه فى غير تؤدة ، وفى غير اختيار منها ، ثم أخيرا يعذبها الشك ، وينقلها الى مرحلة بين الموت والحياة ، لا تستمتع بمتع الدنيا فيها اطلاقا ·

فخشية السائلة من عذاب المرحلة القادمة فى حياتها اذا لم تتزوج : هى التى تجعلها تلح على والدتها فى قبول زوجها المقبل : أن يسكن معهما ·

● ووالدة السائلة تخشى أيضا أن يتحول الأمر بالنسبة لها ، بعد سكن الزوج : الى عدم الاستقرار والى الوحدة التى ستحتم عليها البقاء فى حجرتها

من جديد عن الزوجة الرابعة · واحرص الناس على سعادة البنت هو أبوها · نعم قد تكون أمها أكثر حرصا من الأب على هذه السعادة لابنتها ولكن عواطف المرأة ـ وهى كثيرة وقوية ـ قد تدخل فى الحكم على « السعادة » · ومن أجل ذلك لا يمثل حكمها : الواقع أو المستقبل المرتقب ·

● على السائلة ان تراجع اباها فى الأمر اذن فى غير ثورة عاطفية وربما تقنعه باتجاهها أو يقنعها هو برأيه · وعندئذ يتفقا على حل مشترك ، تكون فيه مع ابيها جبهة واحدة ، ويكون لها سندا فى حياتها المقبلة · والمراجعة هى خير سبيل للاقناع والاقتناع ·

أما أن تتزوج السائلة حبيبها من غير موافقة أبيها فرأى الكثير من فقهاء الاسلام : أن زواج البكر بغير وليها ـ وهو هنا الأب ـ وبغير شاهدى عدل ، باطل · اعتمادا على اخذهم بصحة الحديث الشريف القائل : « لا نكاح ـ اى لا زواج ـ الا بولى وشاهدى عدل » ·· وهكذا رأى الأب ضرورى ، سواء فى الحكم وتقييم الزواج من هذا المحبوب ، أو فى اتمام عقد الزواج نفسه ، عند الاتفاق عليه ·

● واليمين الذى أقسمته على أن لا تتزوج غيره فى حياتها اذا لم تتزوجه هو ، فهناك حديث شريف يقول : « واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك ، وأت بالذى هو خير » (١) · وطبعا اذا لم تتزوج هذا المحبوب لأمر ما ، ثم لاح لها زوج آخر فى حياتها فمن الخير : أن تكفر عن يمينها السابق وتتزوج هذا الذى ظهر لها · فارادد الله هى التى تفصل فيما يقع فى حياة الانسان ، وفى هذا الكون كله ، والله لا يريد بالانسان شرا ، أبدا ·

وكفارة اليمين جاءت فى قول الله تعالى : « **لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم** » (٢) ·

وبالعدول عن اليمين السابقة لا يحرم على السائلة الزواج مستقبلا ·



---

(١) كتاب اللؤلؤ والمرجان ص ٤٢٤ ·

(٢) المائدة : ٨٩ ·

٨٠ ـ انفعال البنت ، وحرص الوالد فى ولايته عليها :

مواطنة من احدى المحافظات :

تبلغ من العمر الرابعة والعشرين ، وهى حاصلة على دبلوم عـالى تجـارى ، وتحب شابا فى الثانية والثلاثين · وهو تاجر جلود ، ومتزوج زوجتين ، ولكنه غير موفق فى زواجه منهما ، كما تروى · ومشكلتها : ان اباها لا يوافق على زواجها منه ، وانهـا اقسمت اذا لم تتزوج منه لا تتزوج من غيره طول حياتها · وتسأل :

كيف السبيل الى اقناع والدها ؟

وهل يجوز لها ان تتزوجه من غير موافقة ابيها ؟

وهل يحرم عليها ان تبقى بدون زواج طول حياتها ، اذا لم تتزوجه ؟

● يجب على السائلة قبل كل شىء أن تعرف الاسباب التى تحمـل والدها على عدم الموافقة على زواجها من الشاب الذى تحبه · فما يسـمى « بالحب » قد لا يكفى فى الموافقة على عقد الزواج من رجل عنده زوجتـان اخريان · اذ الحب عاطفة وميل للمرأة نحو الرجل ، وللرجل نحو المرأة · وقد يكون فى بداية اللقاء بينهما قويا ، ثم يضعف بالتدريج · وعندما يضعف لا يصلح ان يكون الرباط بين الرجل والمرأة · الشاب الذى تحبه السـائلة اذا سئل : ألم يكن يحب المرأة الاولى التى تزوجهـا ؟ وألم يكن يحب المـرأة الثانية التى تزوجها بعدها فأصبحت زوجته الثانية ؟ ·· اذا سئل عـن ذلك فانه حتما سيجيب : انه أحب الواحـدة بعد الأخـرى · والآن تحكى عنـه السائلة انه غير موفق فى زواجه معهما · وهذا دليل كاف على أن الحب وحـده ، أو العاطفة وحدها لا تغنى عن عناصر أخرى يجب أن تشارك فى قيام الزوجية وتماسكها ·

ان الشاب الذى بلغ الثانية والثلاثين من العمر ، ويعيش مع زوجتين ، لديه من « التجارب » قطعا فى جوانب عديدة من الحياة ، ما يؤثر بها عـلى السائلة ، بحيث تقسم بالله : انها ان لم تتزوجـه لا تتزوج أحدا سواه بعده ، طوال حياتها ، ثم يضاف الى تجاربه : انه تاجر ، ليس محدود الدخل ، ولا جامد الحركة ، فيستطيع فى يسر ان ينفق فى سعة ، وان يتحرك الى غير جهة · وهذا الوضع له اغراؤه على المرأة وجاذبيته فى رفقته · وربما لدى الوالد من الأسباب ما يرى منهـا عـدم الجـدية فى زواج هذا الشاب بابنته · فزواجه منها قد يكون للاستمتاع بها فترة من الزمن ثم يعـود بعدها يبحث

● والسائلون الثلاثة هنا يلجأون الى الاسلام كى يعيد لهم احترام زوجاتهم اليهم · والاسلام اذ يقول بقوامة الرجل ، عندما تذكر الآية الكريمة : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** » (١) ·· فانه يقيد هذه القوامة بأمرين : بانفاق المال ·· وبالأهلية فى الصفات الانسانية التى تعده لها · وفى مقدمة هذه الصفات ما يوفر الاحترام للزوج من زوجته وأهله · واذا لم يتوفر لهؤلاء الأزواج ـ كما يبدو من الشكاوى المرسلة منهم الينا ـ الاحترام من زوجاتهم لسبب أو لآخر فالاسلام لا يعيد بابداء رأيه هنا الى فاقد الاحترام من الآخرين احترامهم له · وانما الأمر الذى يعين الى هؤلاء الأزواج الثلاثة احترام زوجاتهم اليهم هو مراجعتهم لعلاقتهم بينهم وبينهن · ووضعها من جديد على الأسس التى أقام عليها الاسلام صلاحية الرجل للريادة فى أسرته · وهى فضله على الصفات الانسانية واستطاعته انفاق المال ·

أما الطلاق فقد شرع فى الاسلام لانهاء الضرر الذى لا يحتمله الزوج أو الزوجة ، أو هما معا · فالرجل اذا تضرر كان له أن يطلق · والمرأة اذا تضررت كان لها أن تختلع · والضرر الذى لا يحتمل فى المعاشرة الزوجية يحدده المتضرر من الزوجين · وله خطوط عامة فى الفقه الاسلامى تبرز معالمه ·

وأما الزواج بثانية فقد رخص به الاسلام وقاية للرجل من الوقوع فى الزنا ·· اذ الأمر يدور فى الحياة الانسانية بين الترخيص بتعدد الزوجة مع المسئولية المعلنة صراحة عن الزوجات ، وبين منع التعدد واباحة الزنا مع غير واحدة للرجل ، اذا كانت تسيطر عليه الغريزة الجنسية ، بحيث لا يكتفى بامرأة واحدة فى معاشرته للمرأة · والاسلام يؤثر تعدد الزوجات على اباحة الزنا مع زوجة واحدة ، كما هو الوضع فى المجتمعات الغربية المعاصرة · ولم يرخص الاسلام أيضا بتعدد الزوجات للعناد أو التحكم ·· أو التهديد للزوجة القائمة ·

والنصيحة للسائلين اذن أن يراجعوا علاقتهم بزوجاتهم أولا ، ويبعدوا عنها ما يسىء اليهن · وعلى وجه التأكيد سيرون من زوجاتهم كل اقبال وكل رغبة فى الاحسان اليهم والى آبائهم وأمهاتهم ·

★★★

---

(١) النساء : ٣٤

● مشكلة هؤلاء السائلين الثلاثة : أن زوجاتهم لا يوفرن لهم الاحترام ، ولا يقبلن عليهم كأزواج يقومون بالمسئولية الزوجية فى نظرهن · وعن عدم احترام الزوجة لزوجها لا تهتم فى كثير أو فى قليل بشئونه الخاصة · ومن شئونه الخاصة : رعاية والديه ، فضلا عن الاقبال عليه والاستجابة لرغباته العاطفية معها ·· فضلا عن تنسيق المنزل والعمل على راحة السكنى فيه ، والسعى الى بقاء زوجها معها فيه ، وعدم مغادرته اياه رغبة فى اللقاء بأصدقائه فى الخارج ·

ان الزوجة التى تحترم زوجها تحس بما يرضيه قبل أن يعبر عنه ·· وتعمل على تحقيقه قبل أن يطلب منها ·· وتعلن رضاها عما يباشره من عمل ـ أى عمل ولو كان غير مقبول لديها أصلا ـ وتود عدم مفارقته اياها ولو لوقت قصير · ويمكن أن يقال : ان لديها حاسة سادسة تكشف بها ما يرغبه زوجها وما لا يرغب فى صمت · ويتجلى اخلاص الزوجة لزوجها عندما تحس فى قرارة نفسها باحترامه ·

فاذا لم تحترمه تهمل أمره أو تتراخى فى الاستجابة لما يطلبه · فاذا زاد عدم احترامها له تسخر من قوله ومن فعله على السواء · وهنا تبتدىء الكراهية له أو يبتدىء فى نفسها الاستخفاف به · وبمرور الوقت تتحول الكراهية ، أو يتحول الاستخفاف به الى الانتقام منه : أولا من أهله وبالأخص من والديه : تسىء اليهما بالقول ، وبالايذاء النفسى ، بدل الاحسان المأمور به ، اليهما · وثانيا بالانتقام منه : بالتنكيد عليه فى كل أمر تافه ·· وفى اثارته بفعل كل ما يغضبه ، وينغص عليه الحياة · وهى تعرف على وجه التأكيد : ما يثيره وما يغضبه ·

وكأمارة على الاستخفاف به : انها لا تنفعل عندما يهددها بالطلاق أو بالزواج عليها · اذ أنها فى عمق نفسها لا تبقى عليه · وكأمارة على الاستخفاف به كذلك : انه اذا أحرجها باللفظ البذىء وأهانها بالكلمة المسفة ، تكيل له الاهانة أضعافا مضاعفة · واذا اعتدى عليها بالضرب اعتدت عليه بالبصق وبالحذاء ·

● والزوجة يقل احترامها لزوجها أو تفقده اذا كان بخيلا ·· أو اذا كان لا يستطيع معاشرتها كزوج مع زوجته ·· أو اذا كان مستعليا ومستكبرا عليها فى غلظة ·· أو اذا كان غير مهذب فى سلوكه وفى معاملته لها ·· أو اذا كان مدمنا للشرب وواقعا تحت تأثير العادات المستقبحة ، فيسوء خلقه وتضعف أعصابه · وبالجملة اذا خرج عن مستوى الانسانية الذى يؤهله لأن يكون رائدا فى أسرته ، وصاحب قوامة فيها ·

والسائل اذا كان متدينا حقا لا يقدم على شىء مما يقترحه : من الانتقام من الشاب العابث ٠٠ أو الانتحار وترك الدنيا ٠٠ أو قطع علاقته بالشركة ٠٠ أو الاستمرار فى الحيرة اما أن يستأنفا معا حياة جديدة بعيدة عن العبث والسير فى خط اسلامى بعيد عن النزوات والشهوات ٠٠ أو يفارق كل منهما الآخر ٠ فلم تزل أمامه الحياة مديدة ويمكن أن يسعد فيها بزوجة أخرى صالحة ٠

أما زوجته الحالية فلها بعد ذلك أن تختار شابا فاشلا فى دراسته ، عابثا فى سلوكه كمحبوبها الذى تصر على حبه ٠ فكل منهما أليق بالآخر ٠ اذ هما يعيشان من منطلق واحد ٠ وهو منطلق اللا أخلاقية أو الوجودية ٠

* * *

٧٩ ـ عندما تستضعف الزوجة زوجها :

ثلاث مكاتبات متشابهة تكاد تعبر عن مشكلة واحدة للسائلين فيها :

مكاتبة من : مواطن من الاسماعيلية يشكو من أن زوجته وهى قريبة له ـ تقسو على والدته فى المعاملة رغم كبر سنها ورغم انه استخدم معها كما يقول : طريق الذوق ٠٠ وطريق الهجرة فى الفراش ٠٠ وطريق الضرب ٠٠ وكل ذلك لم ينجح معها ٠ ثم يذكر أنها لا تصلى ، وتستعلى عليه ، على حين انها من أسرة فقيرة ، ولم تتعلم نهائيا ، ويسأل عن رأى الدين اذا تزوج عليها ، وعن طلاقها اذا طلبت الطلاق ٠

ومكاتبة ثانية من مواطن بدمنهور : يشكو من سوء معاملة زوجته له ، وعدم استجابتها لما يطلبه منها كرجل وامرأة ٠ وتسخر منه عندما يقرأ القرآن فى المصحف ٠ وتعلن له : ان « بختها أسود ، ونصيبها زفت » ٠ ولا تريد أن تعيش مع أهله ٠ ويسأل عن حكم التنزيل فى قوامة الرجل على المرأة ، وفى ادبار الزوجة عن زوجها اذا أقبل عليها ٠

والمكاتبة الثالثة من مواطن ببنى سويف ٠ ويشكو من أنه تحت ضغط زوجته وشقيقتها ترك القرية وفيها والداه وانتقل بزوجته للسكنى فى المحافظة ٠ وهو يحس بغضب والديه عليه ٠ اذ انه العائل الوحيد لهما ٠ كما يشكو من أن زوجته لا تحترم له كلمة ، ولا تقوم بعمل شىء فى المنزل الا اذا لفت نظرها اليه ، وتنغص عليه المعيشة وتنكد عليه الحياة ، سواء برفع صوتها أو بمسلكها وموقفها من والديه ٠ وهو يسأل الآن : ماذا يفعل وهو يحس بغضب والديه ، ويعيش مع ذلك فى عذاب وجحيم مع زوجته ؟ ٠

بالألوان ·· والميوعة فى الحركة أو فى الحديث · والكشـف عما يثير من بدنها وشعرها ·

بينما « ثورة تحرير المرأة » : تدعو النســاء عاريات وكاسـيات الى الاختلاط بالرجال فى المنازل ، والشواطىء ، والنوادى ·· وغير ذلك فى كل مكان يمكن فيه الاجتماع · كما تدعو الى « الحرية » فى الخروج من المنزل ، والى اختيار العمل فى الخارج ، وباذن الزوج أو بدون اذنه ، عـلى حـد سواء · وليس هناك من حرج فى منطق هذه الثورة : أن يكون للمرأة صديق أجنبى عنها يزورها فى منزل الزوجية أو فى غيره ، وتزوره هى فى المنزل أو مكان العمل ، وعلى الزوج أن لا يغضب ، وأن لا يكون ـ كما يقال ـ غيورا من صديق زوجته اذا زارها فى المنزل أو دعاها الى حفلة فى غيبته ·

وخطأ الســائل من البداية اذن : فى اختيار زوجته · فهى تعيش فى مفاهيم ثـورة التحرير للمرأة ·· وهو يعيش فى مفاهيم الدين التى يقضى بعضها ببعد المرأة ـ زوجة أو غير زوجة ـ عن الاختلاط والتى تجعل للنساء حرمات خاصـة ، احتفاظا بكرامتهن ووقاية لهن من العبث بها من مرضى النفوس ·

« وثورة تحرير المرأة » كما تدعوها الى السفور ، والخروج من المنزل دون حاجة الى اذن الرجل ، والى الاختلاط تدعوها أيضـا الى رفض مـا يسمى « بالرجعية الدينية » · وهى كل ما يقيد حريتها فيما تفعله أو تشتهيه · فاذا اشتهت أن يكون لها ولد فليس هناك مانع أن يكون من غير زوجها ، ان كان لها زوج ، أو من رجل ما تختاره ان لم تكن متزوجة · وليس من مانـع أيضا أن تكون لها حرية الانتقال من مسكن مع رجل الى مسكن آخر مع رجل آخر طالما تشاركه فى نفقات السكن ·

ولعل ثورة تحرير المرأة من أعنف الثورات وأشدها سخطا على الدين ، وعلى الاسلام بالذات · لأن رسالة الاسلام دعوة الى تحرير انسانية المرأة والى استقلالها فيما يجب أن تكون مستقلة فيه · والى صيانة حقوقها قبـل الرجل فى الأسرة أو فى الزوجية ، وصيانة حقوق الرجل كذلك قبلها · كما انها دعوة الى تحريرها من طغيان الشهوة فلا تذل لنزوة عابرة ، ولا تقـع تحت اغراء خادع ، مما تشجع ثورة التحرير للمرأة على مباشرته ·

والاسلام بدعوته اذن الى تحرير انسانية المرأة يقف وجها لوجه أمام دعوة الثورة لتحرير المرأة : الى الاستمتاع بما يسميه « الحرية » حـرية الجنس ·· وحرية العلاقة الشخصية ··· ففى الاسلام حدود لتأمين المرأة على انسانيتها ·· وفى ثورة التحرير انطلاق لغريزتها ·

وبعد أن عرض الشاب عليها فعل المنكر ، ورفضت باعترافها ،

فهل أصدق ذلك ، خاصة بعد مقابلتهم على انفراد مع بعض ؟

فالآن هل أطلق زوجتى ؟ أم أنتقم من هذا الشاب ؟ أم أترك الدنيا ومن عليها ؟

وهل أنهى الشركة التى بينى وبين أخيه ؟ ماذا أفعل ؟ اننى فى حيرة من أمرى وحياتى كلها شقاء ، وتعاسة ، وعذاب : مع نفسى ·· ومع زوجتى ؟»··

● ان السائل فى كتابه يذكر : انه « متدين » ويشكو من أن زوجته سبت له الدين فى لحظة من لحظات الشجار بين بعضهما بعضا ·· ومعنى ذلك : ان الزوج له اتجاه فى الحياة ·· وان الزوجة لها اتجاه آخر على الضد منه ·

ومن هنا كان ينبغى فى خطبته قبل الزواج أن يختار المرأة التى تساند اتجاهه فى الحياة · وهو اتجاه التدين · فالعادة جرت على أن الرجل فى خطبته للمرأة التى ستكون زوجة له وأما لأولاده : يختار ذات الجمال ·· أو ذات النسب والجاه ·· أو ذات المال والثراء · والاسلام ينصح بأن يختار الرجل دائما ذات الدين ، قبل الجمال والنسب والمال · لأن ذات الدين تقاوم اغراء الحياة المادية ، ومظاهر الحضارة التى ترتكز على ما يسمى الآن « بثورة تحرير المرأة » ··

المرأة المتدينة تعمل بقول الله تعالى فى وصيته لنساء النبى ، صلوات الله عليه وسلامه ، وهى وصيته لجميع المؤمنات : « **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ، ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا · وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » **(١)** ·· وما يطلبه الله تعالى هنا :

أولا : أن يذكر المرأة بأنه هناك من الرجال مرضى القلوب فى كل عهد · وهم الذين يحاولون العبث ·

وثانيا : أن يحذرها من الاختلاط فتلزم منزلها ان لم تكن لها حاجة الى الخروج منه · واذا خرجت لقضاء مصلحة فلا تلفت النظر اليها بما تصنعه فى نفسها من تبرج · ومن التبرج : تحديد الجسم بالملبس ·· وصبغ الوجه

---

(١) الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣

٧٨ ـ عفة المرأة فى بعد الرجل عنها :

كتب موظف باحدى المحافظات ، يقول :

انه فى الثلاثين من عمره ، وتزوج بفتاة كان يحبها ويثق فيها لدرجة كبيرة · وله منها بنت فى الثانية من عمرها ، وزوجته حامل الآن ، وهى فى سن التاسعة عشرة ·

وقد اشترك مع أحد أصدقائه فى بعض المشروعات التجارية·وكان يتردد هو وزوجته على منزله من وقت لآخر لتبادل الزيارة معه · وكان لهذا الشريك أخ شاب فى الثالثة والعشرين من عمره · وهو أعزب · ولم يزل طالبا ولكنه فاشل فى دراسته ·

ولاحظ بعد فترة من الزمن : أن زوجته تغيرت فى علاقتها به · وكانت تغضب منه لأتفه الأسباب ، رغم أن معاملته لها كانت حسنة · فأرجع هـذا التغير ظنا منه الى علاقة أجنبية بينها وبين هذا الشاب الأعزب · ولذا امتنع عن زيارة منزل شريكه وحذر زوجته كذلك من زيارته منفردة فى غيبته · ولكنها استمرت فى الزيارة · كما استمرت علاقتها بهذا الشاب ، وتكررت بحيث كانت تقابله يوميا عدة مرات · سواء فى منزله أو فى منزل الزوجية · وبسؤاله زوجته اعترفت بانها تحب هذا الشاب ، وانها تقابله · وأنكرت ان حبهـا له وصل الى درجة الاطلاع على جسدها ، رغم انه عرض عليهـا أكثر من مرة ولكنها كانت ترفض كما ينقل عنها زوجها ·

وأخيرا تأكد له أمر هذه العلاقة عندما ذهب الى مكتبه قبل أن يغادره فى اليوم نفسه فى رحلة الى بلدته · اذ جاء هذا الشاب فى المكتب وسـأله عـن سفره اليوم فلما رد عليه بالايجاب كلفه ببعض المشتروات له من هناك · وقبل أن يباشر الزوج رحلته التى اعتزم القيام بها مر على المنزل فوجد هذا الشاب مع زوجته فى حجرة الجلوس · ولكن فى وضع يعبر عن العـلاقة الغراميـة بينهما · ويقول : ان رحلته الى بلدته لم يكن يعلم بها أحد سوى زوجته ·

وهنا عزم على تطليقها · ولكن تدخل الوسطاء من الأقارب ، ووجـود الطفلة الصغيرة بينه وبين زوجته ، حال دون تطليقها ، على شرط أن تمتنع عن لقاء هذا الشاب ·

ثم ينهى كتابه بقوله :

فالآن بعد أن بعدت عن المنزل المجاور لهذا الشاب ،

وبعد هذا الاعتراف ،

فكأنه يزنى بأمه · فضلا عن انه ينتهك حرمة أبيه فى قبره · وانتهاك حرمته معناه : عدم تقديره ، والاستخفاف بمنزلته · ومن يصنع ذلك يحتقر نفسه بالذات باحتقار أصله ·

وبجانب مراجعة كل من الاخ وزوجة أبيه فى هذه الفاحشة فانه كان يجب على السائل أن يدبر الأمر مع أخيه بالذات فى عدم معاودته لها مرة أخرى ، حفاظا على كرامة الأسرة وعلى مستقبل الأختين معهما · وان كنت أشك فى أن الأخ يفى بوعده لو وعد بعدم معاودته الفاحشة مع زوجة أبيه · فهى سوف لا تتركه وحده ، طالما آثرت من أول الأمر طغيان المتعة المادية على الكرامة الانسانية · وهى كرامتها كأم ، وكزوجة لأب ينتسبون اليه جميعا ·

● ان القيم الاسلامية المعاصرة كقيم : العفة ·· والكرامة ·· والأمومة ، وان حرمة الانسان فى عرضه ·· وفى نسبه وقرابته ، لم يعد لها وزن فى مواجهة الشهوة والرغبة الجارفة فى المتعة المادية · فالابن لا يعرف المروءة من جانبه ، ولا الكرامة ، ولا حرمة العرض وحرمة النسب لزوجة أبيه اذا ما اتيحت له الفرصة لمعاشرتها معاشرة جنسية · وزوجة أبيه من جانبها لا تعرف حرمة الأمومة لأبناء زوجها ، ولا كرامتها كزوجة لرب الأسرة وكسيدة ينظر اليها كقمة للأسرة بعد وفاة ربها ، اذا ما تحركت عاطفتها نحو شاب مراهق ، ونحو فتى يلقاها ويساكنها فى غيبة اخوته ، وفى حضرة الشيطان يجمع بينهما عندما تعجز عن مقاومته · ان عدم الاعتداد بالقيم الانسانية فى علاقات الأفراد فى الأسرة والمجتمع معا ، يعود الى وسائل الاعلام التى تنقل حركات الموجة المادية الطاغية التى تصاحب الآن ما يسمى بالثورة الجنسية · وهى تلك الثورة التى ترى فى علاقة المرأة بالرجل : انها فقط علاقة استمتاع بدنى من الجانبين · فعلى المرأة أن تغرى الرجل بمظهرها وزينتها ، ومشيتها ، وحديثها · وعلى الرجل أن يستجيب للاغراء فى أشكاله وصوره المختلفة · أما ما وراء علاقة المتعة المادية أو البدنية : من مشاركة فى رسالة الانسان فى الحياة ·· أو فى المحافظة على البقاء النوعى بالنسل وتربية الأولاد ·· أو فى بناء الأسرة والمجتمع ، فذاك أمر اضافى ، يأتى بعد الاستمتاع والمتعة ·

● ونرى أن السبيل الذى يبعد الأخ عن زوجة أبيه ، هو السعى فى زواجه · فاذا تزوج ابتعد عنها حرصا على زوجته ، وابتعدت هى عنه كرها له وحقدا عليه آنئذ · وقلما تحاول أن تتصل برجل آخر بعده الا اذا كان زوجا · فهى تخشى عاقبة الأمر فى أن تسوء سمعتها بينما تمضى بها السن ، ويحول ماضيها دون أن ينظر اليها رجل أى رجل ·

★ ★ ★

ان مارست الفاحشة مع اخيه ، والسائل موجود معها بالمنزل ، وفى وضع يمكن له أن يراقبها كما يراقب اخاه ، فهى بدافع الحمق ، وبسيطرة الغريزة، وخلو المكان لها ، وهى شابة مع شاب يشاركها السن والعمر والشباب ، يتوفر لها الآن أكثر من ذى قبل الاتصال بعشيقها ، وهو ابن زوجها الذى توفى عنها ٠

والحل الثانى وهو محاولة قتلها ينطوى على انفعال وغضب مما وقع اكثر مما ينطوى على علاج للموقف ٠ ولو كان الأمر فى مجتمع تطبق فيه الشريعة سواء فى النظر الى الجرائم الاجتماعية ـ وفى مقدمتها الزنا ، أو فى حدود هذه الجرائم وعقوبتها ، لنالت زوجة الأب من الخزى فى المجتمع اكثر مما ينال بدنها من الأذى عند اقامة الحد عليها ، ولما فكر السائل فى أن يسلك طريق القتل عقوبة لها على ارتكابها الفحشاء ٠ ولكن المسلمون فى مجتمعاتهم المعاصرة يعيشون اليوم بين نقيضين : بين الايمان بالاسلام ومبادئه من جهة ٠٠ وبين التجاوز عن الاسلام فى التطبيق فى حياتهم من جهة أخرى ٠ فهم يصدمون من وقت لآخر ، عندما يشاهدون مباشرة المنكر أو الفاحشة ، ويحسون بثقلها فى عمق نفوسهم ثم لا يجدون ما يحول بينها فى يومهم ، أو فى غدهم ٠ انه صراع نفسى قوى عند من يتردد على الاسلام ويؤمن بمبادئه ، ثم يفاجئه الواقع فى حياة الأسرة أو فى حياة المجتمع بما يضاد الاسلام ويعلن الاستسلام لما يضاده ويناقضه ٠

ان السائل فى قصته التى يرويها عن هذه الواقعة يذكر قوله :

« هذا علما بأنه فى الفترة التالية للواقعة لم أر منهما أى حرج تجاهى ، حيث شاهدتهم وكأنهم قد فهموا ان رضائى هذا موافقة على ما يفعلون » : ومعنى ذلك انه لم يراجع زوجة أبيه ولا أخاه فيما وقع بينهما من فاحشة ، كما يدعى ٠ وكان الأجدر به أن يراجع كلا منهما على حده لمصلحة الأسرة ، ويذكرهما بقول الله تعالى : « **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا** » (١) ٠٠ أى يذكرها بأن الاسلام يرى فى زواج الابن بامرأة أبيه فاحشة ، وبغضا ومنكرا وطريقا سيئا فى الحياة ، فضلا عما يراه من زنا الابن بامرأة الأب ٠ فهو جريمة تتعدى حدود الفاحشة والمنكر لنكاح الجاهلية ٠ وكان يعرف زواج الابن بامرأة الأب فى الجاهلية باسم زواج « المقت » وهو الزواج المبغوض عند الله والناس ٠ فزوجة الأب بمثابة الأم لأولاده من غيرها ٠ ومن يزنى من الأولاد بزوجة أبيه

---

(١) النساء : ٢٢

ولماذا تحمل الصليب معها ؟ هى لا تحمله الا تحت تأثير جيرانها ، وربما لا تفعل ما تفعله مع الزوج وفى منزلها الا تحت تأثيرهم أيضا · وأخيرا لا أظن أنه سبق لنا أن أذعنا أن الجن تسكن الخرابات ، والبيوت الخالية ، أو المسكونة الا نقلا عن سائل فقط ، لنرد عليه ·

★★★

٧٧ ـ ارادة المرأة لا تقوى على جماح هواها :

كتب مواطن من احدى المحافظات يقص :

ان والديه قد توفيا ، وانه تسكن معه فى المنزل زوجة أبيه ، وهى تبلغ الخامسة والعشرين ، وأخ يبلغ السادسة والعشرين ، وهو طالب معه فى الجامعة ، واختان : احداهما فى الجامعة ، والأخرى فى الثانوى ·

وفى صباح يوم استيقظ فى السادسة ليتأهب للذهاب الى الكلية فلم يجد أخاه على سريره فى نفس الحجرة التى يسكناها معا · وبعد التفتيش عنه شاهده مع زوجة أبيه فى حجرتها فى وضع شائن · وهو يسأل عن موقفه ازاء هذه الواقعة :

(أ) هل يترك هذا المنزل النجس ـ على حد تعبيره ـ وعندئذ ألا يعتبر تركه للمنزل تخليا عن مسئوليته نحو أختيه ؟ ·

(ب) هل يأخذ الطريق الى قتل زوجة أبيه ، عقابا لها على مباشرتها الفحشاء مع أخيه فى منزل الأسرة ، وبذلك يسىء الى مستقبل اخوته بالاضافة الى الفضيحة الخلقية التى ستصحب هذا العقاب ؟ ·

(جـ) وما يخشاه أن تتجاوز زوجة أبيه بفعلها الشائن : القريب الى الغريب ، طالما هى فى زهرة عمرها وطالما هى أيضا فاقدة الاحساس بحرمة الأسرة وبكرامتها ؟ ·

● ان الحل الأول الذى يقترحه السائل هنا حل سلبى لا يقدم ولا يؤخر فى المشكلة · ومن أجل أنه يحس بسلبيته يعلق عليه بأن فيه هروبا من المسئولية نحو أختيه · وهذا صحيح · هو هروب من المسئولية ولكن ليست مسئوليته نحو أختيه · وهذا صحيح · هو هروب من المسئولية ولكن ليست مسئولية نحو أختيه فحسب · بل مسئوليته نحو الأسرة كلها · فزوجة أبيه

فعلم الله من الأزل يعلمه الناس فقط عن طريق الرسالة الالهية ، وليس عن طريق الكهان ، أو عن من يسمون بشياطين الجن · والجن فى اللغة هو غير المعهود للانسان هو غير المعروف له · وفى حقيقته قد يكون انسانا ولكن هويته غير معروفة لمن معه يخفيها على الآخرين · وقد يكون شريرا · وقد يكون خيرا ·

والقرآن فى سورة الصافات فى قول الله تعالى :

« **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون** (١) يطلق على الملائكة « جنة » من الجان لعدم ظهورهم · فقد ادعى المشركون فى مكة : أن الملائكة بنات الله وينقل هذا الادعاء قوله تعالى : « **فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون** » (٢) ·· وبادعائهم أن الملائكة بنات الله جعلوا علاقة نسب بين الله وبينهم · ثم كذلك يطلق عليهم فى الآية نفسها « جنة » عندما يقول : « **ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون** » (أى أن الكفار الذين ادعوا هذا الادعاء الباطل لمحضرون الى جهنم) ·· فالذين يعلمون بحضور الكفار الى جهنم هم خزنتها · وخزنتها من الملائكة كما جاء فى قوله تعالى : «**وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة** » (٣)

وكما ورد فى سورة التحريم : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** » (٤) ·· وليس الجان اذن عفريتا يسكن الأبدان والأجسام : الذكر يسكن بدن الأنثى ·· والأنثى تسكن بدن الرجل ·

● وما تفعله زوجة السائل من اشعال النار ، أو من النزاع والخصومة مع زوجها كما يحكى السائل نفسه ، قد يكون صادرا منها عن هوس وخفة عقل · وربما الأمر فى بدايته لم يكن على النحو الذى هو عليه الآن · فلما تصورت ـ تحت تأثير من يقول لها ـ ان عفريتا قد ركبها ، وان اسمه كذا ·· زاد هوسها ، وأصبحت تخيف غيرها بدلا من أن تخاف منه · وعلاجها أن لا يترك لها الحبل على الغارب·وانما يجب أن يقف زوجها فى وجهها موقفا حازما ولو بالايذاء البدنى ، أو يرسلها الى مستشفى الأعصاب أو الأمراض العقلية فترة من الزمن ·

---

(١) الصافات : ١٥٨ — (٢) الصافات : ١٤٩

(٣) المدثر : ٣١ — (٤) التحريم : ٦

● الســائل يقصد بالجان هنا : « العفريت » .. ويحكم عليه بأنه كافر . أى هو ذكر وليس بأنثى ، كافر لما يصدر عنه فى شخص زوجته من أفعال شريرة بالنسبة له . كالنار التى تسـلطها عـلى زوجها عندما يريد الراحة ، كما يدعى ، وكالنزاع والخصومة التى تثيرها معه ، بعد أن تعود من دورة المياه ، عندما يطلب منها شيئا .

من الذى قال : ان الجن هـو « العفريت » .. ومن قال : ان العفريت الذكر يسكن المرأة من الانس ، وأن العفريتة الأنثى تسكن الرجل من الانس أيضا ؟ وكيف يجتمع الذكر من العفاريت مع الذكر من الانس فى الاتصـال ببدن امرأة واحدة وجسمها ؟ .. وكيف تجتمع الأنثى من العفاريت مع الأنثى من الانس فى الاتصال كذلك ببدن الرجل ؟ . والجان من النار ، والانسـان من التراب . كيف يتماشيا معا فى مكان واحد ؟ .

هل جاء ذلك فى رســالة الله وفى قرآنه ، وفى تعاليم الاسلام ؟ أم ان الذى جاء فعلا فى وحى الله فى سورة « الجن » .. هو نفى الخرافة التى كانت سائدة عند العرب على عهد الرسول عليه السلام . وهى خرافة « الكهانة » ؟ .

فقد كان الكهان ـ وهم الزعماء الدينيون الذين يمارسون زعامتهم فى الكعبة وتتبعهم قريش وغيرها من القبائل العربية ـ يدعون انهم يحصـلون على « علم » السماء عندما يتحدث الله مع ملائكته ، عن طريق شياطين الجن. على نحو ما تحكيــه عنهم هذه الآية الكريمة : « **وأنه كان رجال من الانس** (وهم الكهان) **يعوذون برجال من الجن** (أى يلجأون الى رجال من الجن طالبين تزويدهم بعلم السماء) .. **فزادوهم رهقا** (أى زادوهم اثما وحمقا ، بدلا من علم الله) » (١) ..

فهذه الآية تحكى ادعاء الكهان بأنهم يعرفون علم السماء عن طـريق الشياطين من الجن . وهو ادعاء باطل لقول الله تعالى فى آخر سورة الجن نفسـها : « **عالم الغيب** (أى هو الله تعالى) ، **فلا يظهر على غيبه أحدا** (أى على علمه الغيبى أحدا) . **الا من ارتضى من رسول** (من ملك كجبريل ، أو بشر من الرسل الذين أرسلوا) .. **فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** (وعند اختيار الرسول تشتد رقابة الله ضد تسرب علمه ، حتى يقوم الرسل بابلاغ رسالة الله الى الناس ، كما أمروا . وعندئذ ينكشف علم الله للناس عن طريق التبليغ من الرسول وليس عن طريق شياطين الجن ، كما يدعى الكهان) » (٢) ..

---

(١) الجن : ٦
(٢) الجن : ٢٦ ـ ٢٨

عقوبة أدبية لهما · والشافعى وأبو حنيفة يجوزان : أن يتزوج الرجل بامرأة قد زنى بها) ·

« وحرم ذلك على المؤمنين (أى والصادقون فى ايمانهم حريصون على أن يتجنبوا الزواج بزانيـة ، أو مشركة · اذ يكاد يكـون الأمـر بين المؤمن الصادق من جانب والزانية أو المشركة من جانب آخر : على الضد تماما · فالزانية لا تأبه للايمان وربما تسخر منه · والمشركة كافرة منكرة لله واليـوم الآخر) » (١) ··

والسـائلة اذ نحييها على صبرها واحتمالها فى المحنـة المشـئومة لها وعلى أسلوبها الهادىء الذى أعادت به الزوج اليها وهو خاشع لله ومطيع لها ·· نجيبها بأن معاشرتها لزوجها معاشرة زوجية أثناء الشدة أمر مشروع، وبأن طلاء الأظافر بعد الوضوء لا ينقضه ·

★★★

٧٦ ـ لم تزل الخرافة لها سيطرتها :

يذكر مواطن بالقاهرة :

(أ) ان زوجته معها جان من الكافرين ، وملازم لها فى جميع الأوقات منذ أربع سنوات الآن ·

(ب) فاذا حضر الزوج ـ الى المنزل ليستريح سلطت زوجته على جسمه نارا تشـبه تلك النار التى يخرجها وابور الغاز الذى يسـتخدم في الطعام · وطبعا لا يستريح ·

(ج) وانه اذا طلب منها شيئا لا تلبى طلبه الا بعد توجههـا الى دورة المياه ثم تعود وتنقلب الحالة الى نزاع طويل بينهما ·

(د) وانها تحمل صليبا من صلبان النصـارى ، ويخشى أن تكون فى حملها الصليب قد وقعت تحت تاثير الجيران فى المنزل ·

(هـ) وأخيرا يقول : انه سمع منا فى الاذاعة : أن الجن يسكن الخرابات والبيوت الخالية ، وكذا البيوت المسكونة ·

---

(١) النـور : ٣ ·

ولا يقام حد الزنا أيضا اذا لم يكن هناك شهود أربعة على وقوع الجريمة · وفيما ترويه السائلة فى كتابها الينا لا يتعدى شبهة الظن القوى عندها ، وان ادعت ان زوجها اعترف لها بالعلاقة الآثمة بينه وبين تلك المرأة الأجنبية فترة من الوقت اذ يجوز أن يكون ادعاؤه : انه على علاقة غير شرعية مع امرأة أجنبية : سبيلا يحمل عن طريقه زوجته على أن تتمسك به ، وتلزم نفسها بطاعته ان رجع اليها وأصبح لها وحدها · وهذا سبيل معروف لاثارة المرأة· ولكنه غير محمود · والمحمود أن يكون قدوة حسنة للانسان الفاضل المهذب · وحديث السائلة عن زوجها فى ارتكابه جريمة الزنا لا يعتبر كذلك قذفا له · والقذف جريمة بالقول ، ومن الكبائر · لأن شرط القذف أن تعلن الزوجة على الملأ أن زوجها باشر جريمة الزنا · فاذا تاب الى الله قبل أن يقام عليه الحد سقط عنه · بالاضافة الى ان الحاكم لا يقيم الحدود الاسلامية فى كثير من المجتمعات الاسلامية المعاصرة ·

وعلى أية حال فالسائلة تقول الآن فى الحديث عن زوجها فى رسالتها: أنه إعتمر معها ، وهو دائب على أداء العبادات والحديث عن « العلاقات الآثمة»· اذن يجب أن ينتهى ، وأن تعود الزوجة فى علاقاتها طبيعية مع الزوج، متسامحة ، ومحبة له ، كما كان الوضع بينهما وبالأخص انها تنتظر منه مولودا آخر ·

● ومعنى قول الله تعالى فى سورة النور : « **الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة** (ان من يمارس الزنا من شأنه أن لا يفتش عند زواجه على امرأة صالحة مؤمنة · بل قد تروق له امرأة كانت أيضا تباشر الزنا أو امرأة مشركة وهى التى لا تؤمن بالله واليوم الآخر · فالزانى غير حريص الا على تلبية شهوته من النساء ، ولو كانت فى جوهرها معيبة لا تصلح للزوجية ، والمشاركة فى بناء أسرة مؤمنة) ·

« **والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك** (فالتى تعودت من النساء الزنا قلما تستمتع بالعلاقة الزوجية بعد ذلك ، فضلا عن انتستمتع بالعلاقةالأسرية· والذى تعود الزنا قلما يكون وفيا لزوجته وأسرته الا عن عجز أو فقر · فعجزه أو فقره قد يظهره بمظهر الوفى · ولكن فى واقع الأمر لا وفاء له · فالآية تشير الى الشأن والاتجاه الخاص بالزانى والزانية · فهى جملة خبرية لا تنطوى على النهى · هى تشير الى أن اتجاهها أصبح غير عادى·· أصبح متأثرا بالجانب الجسدى والمادى،أكثر من الجوانب النفسيةوالاجتماعية التى يجب أن تراعى فى العلاقة الزوجية · والكشف هنا فى الآية عن مصير أمر الزانى والزانية يقلل من الرغبة فى الزواج منهما ·· وبالتالى يكون

الفصل الثالث

في شئون العادات والتقاليد

٧٥ ـ التوبة النصوح مدخل لغفران الله :

تذكر احدى المواطنات :

أن زوجها عاشر امرأة أخرى معاشرة آثمة فترة من الوقت · وانها هي كانت لا تمتنع في هذه الفترة عن الاستجابة لزوجها في المعاشرة الزوجية · وقد تاب بعد جهد منها ، وصبر على ابتلاء الله لها · واعتمرا سويا ، وهو الآن : مواظب على أداء الفروض · ولكن رغم ذلك لم تسامحه بعد ·· وتسأل :

١ ـ هل كان يجب أن يقام عليه حد الزنا ؟

٢ ـ ثم ما معنى قول الله تعالى : « الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين » (١) ···

● ان أي حد من حدود الشريعة الاسلامية ، كحد الزنا هنا ، لا يقام الا اذا كان الامام أو الحاكم في الأمة الاسلامية يحكم بكتاب الله وقرآنه · والمجتمعات الاسلامية المعاصرة في أي مكان يغلب عليها طابع «العلمانية» أي فصل الدين عن الدولة · وترجمة هذا الفصل : ما لله · وما لقيصر لقيصر · فالحاكم السياسي قد لا يكون مستوفيا لشروط الولاية العامة في الاسلام · ونظام الدولة في الحكم قد يختلف اختلافا كبيرا في بعض هذه المجتمعات عن ما يريده الاسلام في حكم المؤمنين بعضهم ببعض ·

والذين ينتسبون الى الدين في هذه المجتمعات المعاصرة ليست لهم سلطة يشاركون بها الدولة في الحكم · اذ انهم يختارون لوظائفهم من الحاكم السياسي ومن أجل المصلحة السياسية في نظام الحكم القائم ·

---

(١) النور : ٣

فعله . لان الاحساس بظلم الوالد قد ملأ على الشاكية فراغ نفسها ، وهنا تقدم على التخلص من الحياة .

● وحل مشكلة الشاكية : أن يسعى والدها الى تطمين نفسها .. وأن يؤكد لها أنه يتمنى الخير لها كما يتمناه لشقيقتها .. وأن يعدل عن الجهر بتمييز ابنته المدللة . والا خسر الجميع : هذه وتلك . فتدليل الولد سبب لخسرانه . وظلم الولد أيضا مدعاة لانحرافه . ويجعل من العدل فى معاملة أولاده المنهج الذى لا يتخلف عنه . والعدل المقبول منه هو أن لا يميل كل الميل الى واحدة دون بقيتهن . على غرار ما يطلب القرآن الكريم فى عدل الزوج بين زوجاته فى قول الله تعالى : « **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء** (وهو العدل فى العواطف) **ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل** » (١) .

والقرآن يطلب هنا أن لا يكون رجحان الميزان واضحا فى جانب واحدة منهن دون الاخريات .

ولاشك فى أن ما يباشره الاب هنا مع البنت الصغيرة من التدليل هو ميل واضح لها وخروج عن محيط العدل بالنسبة لغيرها ، وما يفعله مع الاخرى الشاكية من الصد وعدم الاستجابة هو كذلك خروج عن محيط العدل ، ولكن ضدها وليس لمصلحتها .

ان أسرة الشاكية أسرة واحدة . ووظيفة الأبوة رعاية الأولاد جميعا بحيث يحس كل واحد منهم أنه فى كنف الأب ورعايته ، بدون فارق بينهم . وهذا ما يدعو اليه الاسلام وتطلبه التربية السلمية للاولاد .

وعلى السائلة أن تصبر . وأن لا تضيق صدرا بأختها التى هى أصغر منها وان تتوفر على الدراسة وتترك وساوس الشيطان فيما يتصل بالزواج . فهى لا تعلم الآن ما هو مقدر لها فى علم الله . ولعله يكون خيرا يرضيها ويحقق امنيتها .



---

(١) النساء : ١٢٩

— هناك تقدم السن عن أختها ،

— هناك خطبة شقيقتها التى هى أصغر منها ،

— هناك عدم شفاعة وجودها فى مدرسة المعلمات فى تحسين وضعها واقبال الشباب على خطبتها والاقتران بها ·

فاذا جاء الوالدان وجعلاها تحس بنقص فيها فانهما يضيفان الى الجو الذى توجد فيه ما يصعب عليها الحياة · فالبنت قد تقبل ان أخاها يتميز عنها من الوالدين ولكنها قلما تقبل تميز شقيقتها عنها ، وبالاخص اذا كانت الشقيقة التى تتميز عنها أصغر منها سنا او أكثر منها جمالا ، كما هو الحال هنا بين الشاكية واختها ·

● ليس هناك حرج على الولدين فى أن تكون عاطفتهما نحو البنت الاصغر سنا هنا ، أكثر حنانا · لان الانسان لا يطالب بأن تكون عاطفته نحو اولاده فى درجة واحدة ، أو ذات مستوى واحد · فهذا أمر لا يستطيع أن يتحكم فيه · وانما هناك أمر يمكنهما أن يتحكما فيه · وهو العدل بين الأولاد : فى المعاملة ، وفى القول ، وفى ابعاد ما يسىء ، وفى احساس المساواة · فالشاكية لو وجدت من أبيها عندما تتحدث اليه ، قبولا وانصافا ·· وعندما تعبر له عن الم نفسى اصابها بسبب معاملة واحدة من شقيقاتها : اطمئنانا لخاطرها ، لما تبرمت بالحياة ولما تشاءمت فيها ·

والعدل بين الاولاد فى المعاملة النفسية ، وبالاخص اذا كن بنات ، مصدر التعاطف والتحاب بينهن من جانب ، ومع الوالدين من جانب آخر ·

● البنت لا ترى فى والدها انه العائل لها فقط · وانما ترى فيه سندها فى الحماية والوقاية · ولذا تعتز بحمايته لها ان أظلها بها · ولحظة ان تراه قد تخلى عنها تحس بظلام الحياة وبفراغ لا تستطيع ان تملأه مهما كانت لها من قوة أخرى ·

لا عوض مطلقا عن موقف الاحسان من جانب الوالد نحو بناته · فهو وحده الذى يوقظ فيهن الرضا بالحياة ، والصبر على الآلام ، ان كانت هناك الام ·

وموقف الاب من الشاكية هنا لا ينطوى على ظلم فقط ضدها · وانما هو العامل الرئيسى فى يأسها ومحاولة انتحارها · اذ انها اعتقدت أنها فقدت نصيرها ، ومهما كانت تؤمن بالله · فالايمان بالله فى مثل هذه الحالة لا يفعل

٧٤ ـ أثر التفرقة فى معاملة الأولاد :

طالبة فى مدرسة المعلمات ـ لم تذكر المدرسة ولا المنطقة التى بها وسنها الآن ٢١ عاما تشكو :

ـــ من ان اختا لها سنها سبع عشرة سنة ، مفضلة عنها عند والديها · لانها كما تقول : جميلة المنظر ، رغم انها شديدة الخلق ، وهى ليست فى مدرسة وهى مخطوبة ·

عندما تطلب من والديها أى طلب ينفذ فورا بينما الشاكية لا يجاب طلبها الا بعد لأى أو الا اذا أوصت عليه الصغيرة المدللة ·

ووالد البنت الشاكية ووالدتها لا يحتملان أية غلطة ولا جفوه فى معاملتها لأختها الصغيرة · وانما على الفور يقومان باهانتها ورفض أى تبرير منها ·

ومن سوء معاملة الشاكية من الوالدين ، وتدليلهما للأخرى الصغيرة حاولت الشاكية أن تنتحر ولكنها استغفرت الله ، وعادت الى الايمان به · ومع ذلك هى تطلب حل مشكلتها حتى تطمئن ·

ولذا تسأل فتقول : وما الحل ؟

● الطالبة فى مدرسة المعلمات هنا تشكو التفرقة فى معاملة ابيها لها ولأختها التى هى أصغر منها سنا ·· تشكو : أنه يحب الصغرى أكثر منها : وأنه يدللها : وأنه يسرع فى الدفاع عنها اذا تعرضت لنقد أو لاهانة من أى انسان فى البيت وبالأخص من أختها الشاكية ·

وربما أن الشاكية قد تظن أن تقدمها فى السن عن أختها : وأن وجودها فى مدرسة المعلمات الآن وأن نقصها فى الجمال الخلقى ، ربما يدر عطف والديها عليها ان لم يكن أكثر فلا يكون أقل ممن سواها ·

وعندئذ كان يمكن أن تجتاز المرحلة الحالية التى تعيشها مع اختها التى خطبت قبلها والتى هى مدللة من قبل والديها ·

فهناك فى جو الشاكية أسباب عديدة تقربها الى اليأس من الحياة ، او من التشاؤم منها على الأقل :

وكرامتهـا ·· والمحـافظة عـلى الرجل فى ترفعـه ونخـوته ومـروءته ·· يستهدف عدم وجود الشيطان بينهما باغرائه فيفسد من شأنهما ما يعـز عليهما استرجاعه ·

والحياة المادية المعاصرة التى تبعد الدين وقيمه عن أن يكون لها شأن فى حياة الانســان ، تغرى بمنطقها دخول الفتى والفتاة فى تجـربة ، كثيرا ما تنتهى الى الاحزان والآلام · تدفع الى الاختلاط فى الذهاب والاياب الى الدراسة المشـتركة فى الكلية ·· والى الاختلاط فى السـفر فى رحلة تطول وتقصر ، وقد تمضى بلياليها فى اقامة مشـتركة فى الفنادق والمعسـكرات · والمنطق فى ذلك هو التعارف بين الطالب والطالبة ·· وهو التفاهم المشترك ·· هو تبادل وجهات النظر فى شئون الحياة · حتى اذا قامت اسرة أو أسر على أساس من هذا الاختلاط كانت المودة والتعاون ·· ولكن منطق الواقع هو أن يتم اختلاط ·· ويتم تعارف ولكن لا يصلح أن تقام عليه أسرة متماسكة· لأن ما تم نزوات من الجانبين انتهت بوقتها وحسرة فى النفس قد تفضى الى نهاية الحياة ·

● ان الحضـارة المادية تنصح بهـذه التجـربة لأن وضع الزواج فى الاسرة وضع أبدى · واذا انتهى أمـره الى الطلاق فالطلاق لا يلغى العـلاقة الزوجية الى الممات ·

لكن الاسلام عندما يعطى فرصة الخطبة ·· وفرصة الزواج ·· لا يؤبد العلاقة بين الزوجين ·· وانما لكل منهما ان تضرر بعشرة الآخر ، أن يفارقه · فجعل للرجل الطلاق بارادته ·· وجعل للمرأة حق الخلع واللجوء الى القاضى لانهاء عقد الزواج مع زوجها للضرر · كما جعل لها الحق فى أن تفوض من زوجها بالطلاق متى شاءت ·

فالاسـلام بنظامه فى الاسرة لا يحفظ لكل من الرجل والمـرأة كرامته فحسب · وانما يقى المـرأة على الخصـوص من الزلات ، ومن المذلة معا · والمرأة اذا احتفظت بكرامتها وعفتها فى الأسرة استطاعت أن تؤدى الكثير لاولادها وزوجها ·

وأخيرا ·· السائل يجب أن يعلم الآن أن الاختلاط بخطيئته من غير ذى محرم لها أمر لا يحله الاسلام ، سواء أكان فى السير الى الكلية أم كان فى سفر فى رحلة · واذا أراد الاختـلاط فعليه أن يعقد قرانه عليها ، وعندئذ تصبح زوجته على كتاب الله وسنة رسوله ·

★★★

والشافعية يقولون يندب لمن أراد التزوج بامرأة : أن ينظر الى وجهها ، وكفيها ظاهرا وباطنا فقط · فلا يجوز النظر الى غيرهما · أما المرأة فيسن لها : أن تنظر من بدن الرجل ما تقدر على نظرة ، ما عدا عورته · لانها يعجبها منه ما يعجبه منها ·

والخلوة بين الرجل والمرأة فى حال الخطبة غير جائزة · ويروى فى ذلك حديث شريف : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فان ثالثهما الشيطان » ··

● ويظل وقت الخطبة قائما بملابساته ، لا يحل شىء جديد بالنسبة للخاطب حتى يتم القران : فلا يحل السير معها فى الذهاب والعودة من الكلية ان كانا طالبين ·

ولا يحل له السفر معها فى رحلة داخلية أو خارجية ·

● فاذا تم عقد القران أصبح الرجل زوجا ، والخطبة زوجة له · وارتفع كل محرم بينهما · عدا ما قد يسىء الى أنوثتها ، أو انسانيتها ·

● وهناك آداب للزواج يذكرها الفقهاء · من اتبعها كفل لنفسه حسن العشرة · وأغناه اتباعها عن الدخول فى تجربة الزمن والاختلاط المحرم ·

وفى مقدمة هذه الآداب : ما يروى عن الرسول عليه السلام : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا اذلالا ·· ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ·· ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ·· ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه ·· أو يصل رحمه · بارك الله له فيها وبارك لها فيه » ··

ومنها كذلك : أن تكون أحسن منه خلقا ، وأدبا ، وورعا ، وجمالا ·· وأن يختار أيسر النساء مهرا ونفقة ·

وان تختار المرأة الزوج المتمسك بدينه · فلا تتزوج فاسقا ·· وأن تختار الزوج الموسر صاحب الخلق الحسن والجود · فلا تتزوج معسرا لا يستطيع الانفاق عليها ·· أو موسرا شحيحا فتقع فى الفاقة والبلاء ·

● الاسلام فى تحريم الخلوة بين الرجل والمرأة ، ولو كان لديهما عزم قوى على الزواج ·· ولو كان القصد من اجتماعهما الوصول الى ما يساعدهما على الترابط : يستهدف المحافظة على المرأة فى أنوثتها ، وحياءها

● لتتقى شقيقات الزوج الله فى أسرة شقيقهم : فى زوجته ·· وفى أولاده ·

● وليرجع الزوج الى الايمان بالله فهذا أعظم شىء للانسان فى حياته ·· وليخرج من السلبية التى يعيش فيها ، وليتوكل على الله ، وسيجد الله فى عونه ·

● أما الزوجة فيجب أن تلتزم ما كانت تلتزم به من قبل حيال الزوج · يجب أن تترفع عن الاهانة له ، بالقول ، وبالاتهام · فلديها بناتها سيتخذن منها قدوة فى المستقبل ، عند ما يكونون أسرا مستقلة ·

★★★

٧٣ ـ ما يجوز للرجل فى علاقته بخطيبته :

مواطن من احدى المحافظات يسأل :

(١) هل يجوز للخاطب أن يذهب مع خطيبته الى الكلية لانهما طالبان ؟

(٢) وهل يجوز أن يسافر معها فى الرحلات ، وما شابه ذلك ، بدون أخيها ؟

(٣) وما هى الحدود التى وضعها الاسلام لتعامل الخاطب مع خطيبته ؟

● الرجل قبل الخطبة أجنبى عن المرأة · لا يجوز له الاختلاط بها ·· ··ولا الحديث معها ·· ولا النظر اليها · ومطلوب منه أن يغض بصره اذا ما وقع النظر عليها : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** » (١) ··

● وعند الخطبة يستثنى مما يحرم عليه كرجل مع اجنبية عنه : أن ينظر الى وجهها ويديها بشرط ـ كما يقول الاحناف ـ ان يعلم أنه يجاب فى زواجها · أما اذا كان يعلم أنه يرد ولا يقبل ، فلا يحل له أن ينظر اليها ·

أما الحنابلة فيرون أنه يباح للرجل عند الخطوبة رؤية وجه المرأة ·· ويديها ·· ورقبتها ، بشرط أن يغلب على ظنه أنه مقبول عندها ·· وأن لا يكون فى خلوة · وله أن يكرر النظر لما جاء فى حديث شريف : « اذا خطب احدكم امرأة ، فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » ··

---

(١) النور : ٣٠

كراهة المثير للشجار من الوالدين · وحسب ما تشكو منه السيدة السائلة : أن المثير للشجار هو الزوج ، وهو الأب هنا ·

● وقيام العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة ينتظر منه الاسلام قيام الاطمئنان ، والمودة والرحمة بين الزوجين · فالزوج يجب أن يكون مؤنسا للزوجة ·· والزوجة كذلك بالنسبة له وليس التوحش ، ولا النفرة ، ولا الشجار والخلاف المتكرر ·· يجب أن يكون الزوج متوددا لزوجته ، ورحيما بها · ومعنى قيام المودة المتبادلة : وجود العطف المتبادل ، والرعاية المتبادلة · وأما الرحمة المطلوبة فى العلاقة الزوجية فتكون أولا بأداء الحقوق لكل من الزوجين ·

● ان عدم احترام زوج السائلة لها أدى فى النهاية الى عدم احترام الزوجة له · وهى تأسف اذ اضطرت الى النزول فى مجال الاهانة والسباب والشتائم لتكيل له الكيل بكيلين · وتتناول أهله كما يتناول أهلها ·· واذا تغلب الانفعال على الزوجين فى الشتائم والاتهامات فأى شىء يبقى لهما معا صاحب قدسية ، فى علاقة أحدهما بالآخر ؟ أى شىء سيذكرانه معا ، ويعد من محاسن الحياة المشتركة بينهما ؟ لا شىء اطلاقا ·

وهى تسأل رأى الاسلام فى الاهانة التى توجهها لزوجها ردا على الاهانة الموجهة منه اليها · فالاسلام اذ يدعوها الى أن توفر الاحترام لزوجها ، وتبتعد عن السباب والشتائم ماذا يكون الوضع لو اجابت بأنها لا تستطيع أن تسيطر على انفعالاتها بعد ما ترك لشقيقاته الحبل على الغارب فى اهانتها ·· وفى الاعتداء على البنت الكبيرة ، وفى الاتهام بالباطل بأن الأولاد من حرام ·· وبعد أن يشارك هو الجيران فى اهانتها لو وقع احتكاك بينها وبينهم ؟ ·

ان الزوج اذا سب دينه ، وأهان نعمة الله فرمى طعامه على الأرض ، بحاجة الى أن يراجع علاقته بالله ، ويتوب فى عزم مؤكد الى الله سبحانه وتعالى ·

واذا راجع علاقته بالله فسيراجع علاقته بزوجته ، وبأولاده ، ويعود الى طاعة الله فيما يأمره به وفيما ينهاه عنه فى هذه العلاقة ·

والطلاق ليس حلا لمشكلة السائلة ، بعد تفاقمها الى هذا الحد · فاذا ذهبت الزوجة الى أهلها ماذا تكون الفائدة التى تعود على بناتها من هذه الفرقة ·· وماذا يعود على الزوج كذلك من فائدة يجنيها بعد خروج الزوجة من مسكن الزوجية ؟

● ان السيدة السائلة تشكو من عدة أمور فى علاقتها مع زوجها ، تشكو ضمن ما تشكو :

أولا : عدم احترام زوجها لها .. تشكو اهانته لها واهانة اهلها معها بالسب والشتائم عندما يقوم الشجار بينهما . وكثيرا ما يقع .

ثانيا : كثرة الشجار معها فى العلن : أمام البنات .. أمام الجيران .. وفى الوقت المتأخر من الليل .

ثالثا : عدم الاهتمام بالمنزل ونفقاته .. عدم الاشتراك معها فى توجيه البنات الست ، وفى شئون تعليمهن فى المراحل المختلفة .

رابعا : تعرضها لاهانات اخواته بالشتائم والاتهامات الباطلة ، والاعتداء احيانا عليها ، بعدم الوقوف بجانب الحق معها أو مع الأخريات .

خامسا : سبه للدين .. والقاءه الطعام على الأرض ، اذا لم يعجبه .

● واحترام الزوجة من احترام الزوج نفسه . ومن حقوق الزوجة على الرجل : أن يوفر لها زوجها كرامتها : فى نفسه .. وبين أولاده .. وفى أهله .. ومن حقوق الزوج على زوجته أن توفر له كرامته واحترامه . فلا تعرضه للاهانة ، فضلا عن أن تباشرها بنفسها معه . فالمرأة والرجل خلقا من طبيعة واحدة ، وهى الطبيعة البشرية . ولذا كان اعتبارها البشرى مساويا أحدهما للآخر . واذ كرم الله الانسان فيقول فى كتابه المجيد : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » (١) .. فانه يكرم الرجل والمرأة على السواء .

والزوج الذى لا يحفل بكرامة زوجته فيعرضها للاهانة ، وكثرة الشجار معها فى اطار الاسرة ، وفى خارج هذا الاطار .. مثل هذا الزوج لا يحفل بكرامة ذاته .

● على أن تربية الاولاد ـ والبنات على الخصوص ـ تقضى بعدم وقوع الشجار للوالدين امامهم . لانهم عندئذ سيتحزبون فى انفسهم اما للأب ، أو للأم ، وفى حال البنات يتحزبن للأم . وبذلك تنقسم الاسرة الى جناحين . بدلا من أن تبقى وحدة متماسكة . بالاضافة الى ما يجد فى نفوس الاولاد من

---

(١) الاسراء : ٧٠

لدرجة أنه التحى . ومع ذلك يسب الدين . واذا لم يعجبه الطعام رمى به الى الأرض .

والحياة الزوجية معه شاقة من أول الأمر ، ومتعبة . ولكنها صبرت حتى تقوم برعاية بناتها ، خوفا من أن يصبحوا مثل أهل والدهم . ومع صبرها تحس بالحياة قاسية . فهو دائم الشجار معها بسبب وبدون سبب ، وفى أى وقت ، وان كان وسط الليل . فهو لا يهمه الوقت ولو استيقظ الاولاد فى فزع وفى رعب . وفى أثناء الشجار يسىء اليها ، والى أهلها ويعلن احتقارها أمام الناس . فاذا حدث شجار مع الجيران وقف بجانبهم ضدها ويسىء اليها أمامهم .

وفوق هذا لا يقوم بواجباته كأب . فلا يحاول مساعدتها فى تربية الاولاد . فهى وحدها التى تذهب الى المدارس وتقوم بحل مشاكلهم وحدها دون عون منه .. واذا كلمته بشأن ذلك سمع منها ولم يجبها بكلمة . واذا اخطأت بنت من البنات وذكرت له خطأها : اما لا يجيب أو يجيب بكل استهتار فيقول : هذه تربيتك ، وهى مثلك . ولا يعطيها من المال ما يكفى ، رغم أنه موظف وله عمل اضافى .

وهذا الموقف منها خلق بالنسبة لأهله جوا مشحونا بالاهانة والاستهتار بها وبأولادها الى درجة أن أخته حاولت الاعتداء عليها بالضرب ، كما اعتدت بالفعل على ابنتها الكبرى بالضرب فى الشارع واهانتها وقذفتها بأنها واخواتها اولاد حرام . وعندما حدث ذلك والزوج لم يحرك ساكنا فقدت أعصابها وبالتالى احترامها له ولأهله معا . فاذا تشاجر معها وسبها وسب أهلها قامت على الفور بسب أهله كذلك . وكانت من قبل تخشاه فلا ترد عليه .

وهى تريد أن تعرف : هل ردها عليه وسبها فى أهله حرام ؟ وبالاخص أنها لا تملك أمر نفسها أمام احتقاره لها ولأهلها . وأمام ادعائه بأنه لم ينجب اولادا ، كما قال لها وهو فى شجار معها .

كما ترجو أن نحدد لها الحل لمشكلتها . فزوجها يقول لها : لا اسامحك . وهى تسأل من الذى يسامح الآخر ، اذ انها ترى ان الاعتداء واقع عليها هى .

وتغادر رسالتها بالتنويه بأنها تقوم بجميع أعمال المنزل ، حتى صيانة الكهرباء والخياطة ، لأهله ولأجانب عنهم ، فى سبيل المساعدة على نفقات المنزل .

فى التوزيع بين الأولاد جميعا للذكر مثل حظ الأنثيين ، فتفادى ضعف الروابط الأسرية الآن ودفع الخصومة والبغضاء من نفوس الأشقاء يكون بسد حاجة الأخوة الذين يعملون فى الفلاحة ، حسبما يريد والدهم من تمييزهم فى الملك ٠

ان الأخوة الأربعة المتعلمين غيروا وضع المساواة بينهم وبين اخوتهم الثلاثة فى الفلاحة ، وخلقوا وضعا اقتصاديا متميزا لهم ، دون هؤلاء الثلاثة٠ وأصبح هؤلاء الثلاثة فى حاجة أكثر الى الرعاية ٠ وبهذه الحاجة يحس والدهم ـ وهو والد الجميع ـ احساسا قويا بها ٠ فاذا قام وميزهم فى الملكية لا يكون ظالما للآخرين ٠ وانما يكون مسايرا للعدل المطلوب بين الجميع ٠

والاخوة الأربعة المتعلمون لا ينبغى لهم أن يغضبوا عندما يروا أباهم قد ميز اخوتهم الثلاثة بملكية الأرض ٠ وانما عليهم أن يحمدوا الله على وضعهم الحالى الاجتماعى والاقتصادى معا ٠ فاذا هم غضبوا عندئذ تكون انانيتهم صارخة ٠٠ وتكون تعاليم الاسلام لم تؤثر فى نفوسهم اطلاقا ٠

والمؤمل فيهم أن تأتى خطوة التمييز لصالح اخوتهم الثلاثة ، من جانبهم هم ٠

● والوالد السائل ان قام بتمييز ابنائه الثلاثة ـ وهم الفلاحون ـ لا يغضب الله فى قليل أو فى كثير ٠٠ لا يكون ظالما لأحد ٠ ومتى انتفى الظلم يكون العدل بدلا منه هو القائم فى حياة أسرته ٠



٧٢ ـ الزوج غير المتدين وسوء معاملته لزوجته :

سيدة من القاهرة تحكى : انها متزوجة لما يقرب من خمسة وعشرين عاما ٠٠ وانها انجبت ست بنات اكبرهن سنا تبلغ العام الواحد والعشرين ، واصغرهن تبلغ السبع سنوات ٠ وتقول : كلهن على دين وخلق ، وملتحقات بمراحل التعليم المختلفة ٠

وعندما دخلت بزوجها عرفت أن أسرته ليست محافظة ٠ وليست ايضا على خلق وقد كان هو واحدا منها ٠ ولكن هداه الله ٠ وهو الآن متدين ،

فى العطاء : أهو حلال أم حرام ؟ أربعة من السبعة تخرجوا فى كلية الشريعة والحقوق بجامعة الأزهر · فهولاء أقوياء بثقافتهم وبوظائفهم ، وان لم يكونوا أقوياء بايمانهم وبقدوتهم الطيبة فى الأسرة ·

وفضل الثلاثة الآخرين ـ وهم الفلاحون ـ فى وصول أشـــقائهم الى المستوى القوى واضح · ولكنهم أنفسهم ضعفاء بمستواهم فى الأمية ، وبعدم الكفاية فى دخولهم المحدودة من مهنة الفلاحة فى المساحة القليلة التى يمتلكها والدهم ·

واذن هناك فرق بين الأولاد فى الحاجة وفى الاكتفاء الذاتى · ولو أن الذين تخرجوا من الأشقاء فى كلية الشريعة والحقوق بجامعة الأزهر تأثروا بالشريعة التى درسوها فى الكلية ، وتأثروا قبل ذلك بالقرآن والاتصال به فى القراءة ، والحفظ ، والتفقه فى آياته لكان موقفهم من أشقائهم الثلاثة الذين يباشرون مهنة الفلاحة : أن يدعوا والدهم الى تمييز هؤلاء الثلاثة بالأرض التى يملكها والتى يعملون فيها ، معلنين أن « العدل » الذى يطلبه الاسلام هو فى نقل ملكية الأرض لهم · اذ بعد نقل الملكية لهم ، لم يزل الوضـــع الاقتصادى للأشقاء الأربعة المتعلمين متميزا عن وضع هؤلاء الثلاثة ·

الوالد الذى يسأل هنا لم يكن بحاجة الى أن يسأل هذا الســـؤال ، محافظة على مستقبل أولاده الثلاثة الذين يعملون فى الزراعة ، لو أن أولاده الأربعة الذين تخرجوا فى كلية الشريعة والحقوق كانوا أوفياء لـــه ولأشقائهم الثلاثة ·· لو انهم كانوا بارين به ومحسنين اليه ، ومعترفين بجميـــل هؤلاء عندما كانوا يشقون فى الفلاحة ليوفروا لهم بعض النفقات على الأقل لتغطية اقامتهم بالقاهرة أثنـــاء الدراسة ·

● ان عدم تمييز هؤلاء الثلاثة الآن بنقل ملكيـــة المســـاحة التى يعملون فيها سيؤدى الى ما كان يؤدى اليه التمييز فى حال تساويهم فى القوة والضعف · فاذا كان التمييز عندئذ سيوغر صدورهم بالحقد ضد بعضـــهم بعضا ·· بحقد من لم يتميز منهم على من تميز من بينهم ، فان من لم يتميز الآن ـ وهم الفلاحون الثلاثة ـ سيكون حاقدا على الأشقاء الأربعة المتعلمين· لأن الوضع الاقتصادى والاجتماعى لهؤلاء أحسن بكثير من وضعهم كفلاحين·

فالحديث الشريف يطلب عدم التمييز . لان التمييز يؤدى الى ضـــعف الروابط ، وربما يؤدى الى الخصومة والشحناء ·

وعدم التمييز الآن يؤدى الى نفس النتيجة · وهى ضـــعف الروابط والخصومة والشحناء · واذ يتفادى الحديث ضعف الروابط الأسرية بالعدل

أما هؤلاء الأخوة الذين تعلموا فى جامعة الأزهر فانهم بدلا من رد الجميل ، ولو بكلمة طيبة لأشقائهم فى الزراعة يسيئون اليهم بالاهانة والشتائم · ثم يقول :

وأنا كوالد للجميع أملك ستة من الافدنة وأرى الأولاد الثلاثة الذين يعملون فى الفلاحة فى حاجة الى رعاية خاصة · ويسأل هل يجوز له شرعا أن يميزهم عن الأربعة الباقين ؟ ·

● اذا كان الاسلام يرى عدم التفضيل بين الأولاد فى اعطاء المال وتوزيعه عليهم فلأنه يؤثر التماسك والمحبة بين بعضهم بعضا ، كما أن يكونوا جميعا سواء فى بر والدهم · ففى حديث عن النعمان بن بشير قول الرسول عليه السلام : « اعدلوا بين أبنائكم ·· اعدلوا بين أبنائكم ·· اعدلوا بين أبنائكم » ·· فيكرر طلب العدل ثلاث مرات ليؤكد أنه ضرورة اجتماعية فى ترابط الأسرة وقوتها : أن لا يميز الوالد بعض أولاده على بعض فى العطاء والمنحة ·

وفى حديث آخر يقول الرسول عليه السلام للنعمان بن بشير هذا سائلا اياه : « أيسركم أن يكونوا (أى الأولاد) اليك فى البر سواء ؟ قال : بلى · قال فلا ، اذن (أى فلا تمييز بينهم فى العطاء) » ··

وحديث ابن عباس ـ وهو حديث عن الرسول ﷺ : قال : « اقسموا المال بين أهل الفرائض (أى أصحاب الميراث) على كتاب الله (يشير الى قوله تعالى : « **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** » (١) ··

فالاسلام ـ على نحو ما تروى الأحاديث هنا ·· يريد أن لا ينفذ الى العلاقات بين الأولاد فى الأسرة الواحدة ما يثير حقد بعضهم على بعض ·· وما يجعل بعضهم خصما لأبيهم يضمرون له العداوة ، والبغضاء ، بدلا من الاحسان فى القول والعمل ·

هذه هى القاعدة العامة فى الاسلام · وتطبيقها واجب اذا كانت هناك مساواة قائمة بين الأولاد · ليس هناك قوى وضعيف بينهم ·· وليس هناك من يعطى من نفسه منهم ، ومن يأخذ من غيره ولا يعطى سواه ·

فهل هنا مساواة بين الأولاد فى القوة والضعف ؟

الوالد صاحب السؤال يستشعر : أن أولاده الذكور السبعة ليسوا متساويين ، وأن من بينهم من هو فى حاجة خاصة · ولذا يسأل عن التمييز

---

(١) النساء : ١١ ·

فيروى عن أنس رضى الله عنه قال : جـــاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما اخبروا قال أحدهم : أما أنا فانى اصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصـــوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله اليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا ٠٠ وكذا ٠٠ ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ٠ فمن رغب عن سنتى فليس منى » ٠٠

فالرسول عليه السلام لم ير « التطرف » و « المبالغة » فى التدين سبيلا الى ارضاء الله ٠

● والسائل لا ينبغى له أن يترك أهله واخوته ويسكن بعيدا عنهم٠وانما عليه أن يصبح كأى انسان آخر فى أدائه الصلاة ٠٠ عليه أن يرضى والــده ويترك الآن مؤقتا مهمة الآذان والامامة الى آخرين عداه ، كسبا لثقته ٠ ويوم يكسب ثقة والده ستتحسن حتما العلاقة بينه وبين أفراد الأسرة جميعا ٠ وترك الآذان والامامة مؤقتا هو نوع من التقية ، والتقية سبيل مؤقت لتجنب العنت والمشقة : « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعــل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقــاة** » (١) ٠٠

★ ★ ★

٧١ ـ العدل فى تمييز الضعفاء من الأولاد :

يذكر مواطن باحدى المحافظات :

أن له سبعة أولاد ، ثلاثة منهم يعملون فى الزراعة فى أرض يملكها ٠٠ والأربعة الباقون تخرجوا فى كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر،ويشغلون الآن وظائفهم الرسمية ٠

والذين يشتغلون بالفلاحة الآن عملوا ما يجب عليهم نحو رعاية اخوتهم الأربعة منذ التحاقهم بكتــاب القرية ، حتى تخرجهم من الكلية وتســلمهم وظائفهم ، ولم يقصروا فى حقهم لحظة من اللحظات فى ســداد ما يحتاجون اليه ٠

---

(١) آل عمران : ٢٨

وكذلك رفض الوالد موافقته على خطبة ابنه لمن تقدم لخطبتها : لكى يحمله على أن يكون عاديا ـ وليس رائدا ـ فى أدائه للعبادة ٠٠ لكى يحمله على أن لا يلفت نظر القائمين على شئون الرقابة اليه ٠

واحتكاك والد السائل هنا به من أجل صورة من صور التدين : يعتبر أمرا عاديا لما يجرى بين الآباء والأبناء الشبان من أصحاب الميول الاسلامية فى مجتمعاتنا المعاصرة ٠ اذ بعض الآباء قد يمنع أولادهم من الذهاب الى المسجد كلية لأداء الصلاة فيه ، خوفا من الاتصال ببعض رفقائه ، أو خوفا من التشدد فى التزام بعض تعاليم الدين ، على اثر المناقشات التى قد تقع بين الشباب بعضهم مع بعض ويتبادلون فيها الآراء ٠٠٠ والمذاهب ٠ وغالبا ما تقع هذه المناقشات فى المسجد عقب أداء الصلاة ، أى صلاة ٠

وبعض الآباء أيضا قد يحرم على أولاده حفظ القرآن الكريم أو قراءته ، ولو فى المنزل ، خوفا من أن يعرف بانتسابه الى القرآن بين زملائه ورفقائه فى المدرسة أو فى الجامعة ٠

● وكثير من الأمهات والآباء يندفع الى منع البنت من أن تتزيى بما يسمى بالزى الاسلامى ، وتعرف به بين زميلاتها بحجة ان ارتداء هذا الزى قد يجر على من تتبناه : نفرة الشباب منها ، فيكسد سوق زواجها ٠ وواقع الأمر خشية عليها من أن تتهم بالريادة الاسلامية وهو اتهام قد يؤدى الى صعوبات فى أسرتها ٠

● وازالة سوء العلاقة بين الوالد وابنه السائل هنا يتوقف على فهم السائل لنفسية والده ٠ فوالده لا يكرهه ٠ بل على العكس : يحبه ويحرص على منفعته ومصلحته كما يراها والد لابنه ٠ ووالده لا يريده بعيدا عن التدين وعن الصلة بربه ٠ وهو يريده أن يكون على صلة حسنة بربه ٠ لأن ذلك سيجعله مستقيما فى سلوكه ، ويؤهله لأن يكون ذا ضمير وخشية من الله فى أداء واجباته ٠ وهى واجبات نحو الأسرة الخاصة ، ونحو المجتمع الذى ينتسب اليه ٠

وانما كل ما يريده الوالد لابنه هو ابعاد « شبهة الريادة » الدينية عنه ٠ والريادة فى الدين قد تصبح شبهة وتصبح تهمة كذلك ، اذا حل بالتدين «أزمة» وأزمة التدين تشتد اذا ما ظهر الاتجاه الاسلامى مسيطرا على الشباب ، وتطرفوا فيه عصبية ، وتشددوا فى التزام ما لا يلتزم من أمور تنسب اليه ٠

● ومجتمعاتنا المعاصرة تتعرض لأزمة التدين من وقت لآخر ٠ ولذا من يعبد ربه يجب أن ينأى بنفسه عن « التطرف » فى الالتزام ٠

خامسا : هل يترك الخطيبة التى قد خطبها رغم انه قرا الفاتحة مع أهلها ؟

سادسا : هل يمتنع عن الجلوس فى المسجد بعد صلاة الفجر لقـراءة القرآن الكريم حتى الساعة السابعة صباحا ؟

ثم يختتم رسالته بقوله : ماذا أفعل وأنا الآن فى حالة صراع مع الزمن وصراع مع الآلام ؟ .

● مشكلة السيد السائل هى فى واقع أمرها مشكلة والده . وهى خوفه من أن تكون مظاهر تدين ابنه على نحو ما تصدر عنه الآن ، سببا فى ايذائه وضرره مستقبلا .. وبالتالى سببا فى تكبد والده المشقة والعنت ولو لفترة ما فى حياته .

فالنشاط الاسلامى فى كثير من المجتمعات الاسـلامية المعاصرة غير مرغوب فيه بدعوى أنه يصرف الطـلاب والطالبات عن الدراسـة الجـادة والهادفة .. أو بدعوى أنه يؤدى الى التعصب والطائفية .

ولأن النشاط الاسلامى على الوجه الذى يمارسه المهندس السـائل فى مسجد القرية غير مرغوب فيه . فجهات الأمن المختصة فى أى من مجتمعاتنا المعاصرة تراقبه عن كثب حتى اذا ظهـر وسيطر على اتجاهات النشـاطات الأخرى للشـباب تدخلت وأوقفته بصورة أو بأخرى . وربما دفعت به الى الخلف ، بحيث لا يقبل عليه الشباب الا سرا أو فى حذر شديد . ووالد السائل هنا لا يحاول منع ولده من أداء العبادات كما يؤديها أى شاب آخر . وانما محاولته المنع : تنصب على الظهور والجهر بالآراء .. بحيث تظهر قيادته لحركة الشباب فى التدين . فكونه يؤم المصلين .. وكونه يخطب الجمعة .. وكونه يلقى المحاضرات عقب أداء الصلاة .. وكونه يؤذن للصلاة .. وكونه يواظب على قراءة القرآن بعد صلاة الفجر الى طلوع الشمس .. كل هـذا وأمثاله يعبر عن نشاط دينى غير عادى ، وفى ظروف تمر بالمجتمعات الاسلامية غير مواتية فى نظر بعض نظم الحكم القائمة لنشر النشـاط الاسـلامى بين الشباب ، بحيث يجر الكثير منهم الى التعصب أو الى الطائفية البغيضة ! .

واصرار معارضة الوالد لابنه السائل هنا انما هو للظهور الواضـح بالتدين : وهذا يدل على حرصه عليه بعيدا عن الأذى والضرر ، الذى قد يلحقه من تتبع الرقابة للنشاط الاسلامى على الخصوص وسط الشباب فى المجتمع .

والزواج الناجح هو ذلك الترابط على أساس ذاتى · أى على أساس أن التوافق فى اتجاه الذاتين للزوجة والزوج يكاد يكون تاما ، وأن العزم لدى كل منهما فى البقاء معا لا يضعف بمرور الأيام ، أو بعد وقوع الأحداث فى حياتهما ·· هو قبول الرجل للمرأة لدينها وخلقها ·· وليس لمالها ، أو لجمالها ، أو لنسبها ·

★ ★ ★

٧٠ ـ النشاط الدينى قد يكون غير مرغوب فيه بين الوالد وولده :

مهندس باحدى القرى :

حاصل على بكالوريوس هندسة ، ومدرس باحدى المدارس الثانوية · ومشكلته بينه وبين أبيه :

فهو متدين ، ويقرأ كثيرا فى الكتب الدينية والقرآن الكريم ،

ويقوم بالخطابة فى مسجد القرية كل ثلاثة أسابيع مرة ·· كما يقوم بالآذان فيه · وقد اختارته القرية لتكون معه مفاتيح المسجد ·

ووالده لا يرضى عن خطابته فى المسجد ، ولا عن آذانه للصلاة فيه ، ولا عن قراءة القرآن بعد صلاة الفجر ، ولا عن أى نشاط دينى له ·· وحجته فى ذلك أن شباب القرية كثيرون · فلماذا يختار بالذات بهذا النشاط ·

وقد امتد خلاف والده معه : أنه سلبى عندما طلب من والديه الموافقة على خطبة احدى بنات القرية ·· وعلى تأهيل سكن له مع أنه يعطيه الراتب كل شهر ·

ويطلب أن نجيبه على ستة أسئلة :

أولا : هل يترك البيت ، ويترك اخوته ، ويسكن بعيدا عنهم ؟

ثانيا : هل يترك الآذان ، لكى لا يسمع والده صوته عندما يؤذن ؟

ثالثا : هل يترك الخطابة يوم الجمعة ، وبعد الدروس اليومية ؟

رابعا : هل يترك صلاة الجماعة ، ولا يصلى بالناس اماما ؟

وما هو مدون فى فقه المالكية عن الكفاءة الزوجية يعبر عن البساطة التى يريدها الاســـلام فى التعامل والتعاقد · بينما ما زاد مثلا على ذلك فى فقه الشافعية أو الحنفية عن الكفاءة فى الزواج يشير الى التأثر بالعرف والتقاليد فى المجتمعات الاسلامية المختلفة ·

فالشافعية يرون زيادة على ما تقدم الكفاءة فى النسب ، والحرفة ·· بينما الأحناف يزيدون الكفاءة فى المال · فالزوج الكفء فى المال هو الذى يستطيع أن يحفظ كرامة المرأة وكرامة أسرتها ، ويمنعها من التبذل والتعرض لما لا يليق بها ·

● والسائلة بعد أن قبلت ابن عمها رجلا لها ، وبعد أن أعلنت أنهـا تبادله الحب ، وانها تتفق معه فى كثير من شئون الحياة ، فلتتوكل على الله وتتم الزواج به · ولتكن دافعة له على اتمام دراسته العالية ·· ومشاركة له فى نمو ثقافتهما معا · ولا تظن اطلاقا انها أصبحت أفضل منه بحصولها على بكالوريوس التمريض من المعهد العالى · ففضل المعرفة يعود فى النهاية الى حكمة التدبير فى الحياة ·· والتأنى فى تقديم الأمور · وأداء الواجبات قبل المطالبة بالحقوق ·

● والزواج بالاقارب ليس بلازم أن يؤدى الى ضعف الأولاد ·· ولا الى الشحناء والبغضاء بين الأقربين · فطالما كانت سلامة الزوجين من أمراض الوراثة قائمة · فلا خوف من تعرض أولادهما لمرض معين · والفحص الطبى أصبح اليوم سهلا وشــــاملا · ويمكن عن طريقه التنبؤ بما يواجه أولادهما مستقبلا ·

واذا كانت العلاقة بين بعض الأقارب ذكورا واناثا قد تشبه علاقة الأخوة فى بعض الحالات ، وعندئذ يكون ميل بعضهم الى بعض فى حالة الـــزواج ضعيفا : فليس ذلك هو الشائع فى الأقارب الآن · اذ التربية المعاصرة الشبان والشابات خففت من مستوى الحياء بين الذكر والأنثى وأصبح الارتباط بينهما فى القبول والايجاب يتجاوز عتبة القرابة فى الأسرة والدراسة المشتركة عن طريق الاختلاط فى فصول المدرسة وفى الجوار وفى الجلوس فيها ·

والصلة بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة فى حســـنها أو فى ســـوئها مستقبلا : يتوقف على شخصية الزوجين فى مدى تفاهمهما ومدى انسجامهما وتوافق نظرتهما الى الحياة ، أكثر من صلة القرابة ، أو صلة الجوار ، أو أية صلة أخـرى · ومعنى ذلك أن صـلة القرابة بين الزوجين لا تولد الشـــحناء والبغضاء بين أسرتيهما ، الا اذا كان هناك سوء تفاهم وعدم انســجام فى صفات الزوجين يتحول الى فجوة بينهما ·· ثم الى عداء فقطيعة ·

(ج) هل الحب هو الشيء الوحيد المهم ؟ ·· أم أن الشهادة وفارق العلم يمكن أن يقضى على الحب والتفاهم ؟ ·

● **أولا :** نحن من جانبنا نسأل السائلة : هل الفارق بين مستوى دبلوم التجارة المتوسطة ، وبكالوريوس التمريض العالى هو فارق ثقافى أم فارق مهنى وعملى ؟ أغلب الظن أنه فارق مهنى وعملى فى مجالين مختلفين ، لا يتصل أحدهما بالآخر · وعندئذ لا يقال : ان أحد المستويين أرفع من الآخر ، وأن صاحب المستوى الرفيع منهما يتميز عن صاحب المستوى الآخر فى الفكر والثقافة والنظرة العامة للحياة · ومن هنا تكون الهوة بين الزوجين ·

على أنه اذا كانت الدراسة العليا والحصول على شهادة عالية ميزة فى ذاتها يدل بها صاحبها على الآخر صاحب الدراسة المتوسطة ، فيمكن لصاحب هذه الدراسة المتوسطة أن يلتحق بعد التخرج من الدراسة المتوسطة بمعهد عال أو بكلية جامعية للحصول على الشهادة العالية من هذه أو من ذاك · وبذلك لا تكون هناك رواسب نفسية تثير فى نفس الفاضل منهما مرارة الاحساس « بالتضحية » لمصلحة الأقل منهما ·

● والسائلة بسؤالها عن الكفاءة الزوجية فى مستوى المعرفة والثقافة انما تعبر عما يدور فى نفوس كثيرات من فتيات الجامعات فى الوقت الحاضر· والكفاءة هى المماثلة · وهى المطلوبة فى جانب المرأة · على معنى أن ولى المرأة اذ تولى زواجها يجب أن يكون من كفء لها ، أى مماثل لها · والا اذا تضررت لم ينفذ عقد الزواج بها · فاذا هى تنازلت عن الكفاءة فيمن يتزوجها ورضيت به ــ كما هو الوضع القائم فى رسائله السائلة هنا ــ كان عقد الزواج بها صحيحا ·

أما الرجل فله الحق ــ ولا تعقيب عليه ــ فى أن يتزوج بمن يشاء ، ولو كانت أدنى منه كفاءة · لأنه لا يعاب بذلك بخلاف المرأة · والمسألة تكاد تكون مسألة تأثر بالأعراف والتقاليد ، ولذا الكفاءة فى فقه المالكية هى المماثلة فى أمرين :

أحدهما : التدين بأن يكون مسلما غير فاسق ·

ثانيهما : السلامة من العيوب التى توجب للمرأة الخيار فى الزواج : كالبرص ، والجنون ، والجزام · وهذا الثانى حق المرأة وليس الولى · ومعنى ذلك أن الولى يلتزم بسلامة الزوج من هذه الأمراض عند تزويج من له ولاية عليها · أما هى فلها الخيار فى أن تقبل أو ترفض من يكون مريضا بواحد من هذه الأمراض ·

٦٩ ـ الكفاءة بين الزوجين ·· ومستوى التعليم :

مواطنة باحدى المحافظات ·· تحكى :

انها طالبة فى المعهد العالى للتمريض فى السنة النهائية (بكالوريوس) وعمرها اثنان وعشرون عاما · وهى متدينة · وكانت تتمنى أن ترتبط فى حياتها الزوجية بانسان متدين وحاصل على شهادة عالية ، ومثقف ·

ولكن فجاة ظهر لها ابن عمها وعمره ثلاث وعشرون سنة ، وحاصل على دبلوم التجارة ، وموظف باحدى الهيئات الحكومية · ومستواه الدينى والثقافى متوسط ، وليس بالدرجة التى كانت تتمناها ·

ونتيجة لزياراته المتكررة لعمه وأسرته فى المنزل صارحها بحبه الشديد لها منذ سنتين · وطلب منها ان تقف بجانبه عندما يطلب يدها من عمه · ولكنه لم يتقدم حتى الآن بناء على رغبتها فى الارجاء حتى تنتهى هى من الدراسة وتحصل على البكالوريوس ·

ومشكلتها التى تخشاها هو فارق الشهادات · فهو حاصل على دبلوم التجارة المتوسطة ، بينما هى ستحصل على بكالوريوس التمريض العالى ـ ومع وجود هذا الفارق رغم اعترافها بأنها تبادله الحب ، ورغم اعترافها كذلك بأنها وهو متفقان فى آراء وأشياء كثيرة تهم كل اثنين فى طريقهما للزواج الصالح ، ورغم انها سعيدة ـ كما تقول ـ بهذا الحب ·· رغم هذا وذاك فانها تتوجس خيفة من أن فارق المستوى فى الشهادتين ربما يتغلب على الحب بينهما ، وعلى اتفاقهما فى كثير من الآراء ، وعندئذ يفقد احترامها له ، ويقع الخلاف بينهما ·

كما أنها قلقة على مستقبل الأولاد منهما للقرابة ، وعلى العلاقة الأسرية وهى علاقة أقرباء قبل أن تكون علاقة مصاهرة · ويزعجها أنه هو لا يعرف على وجه التقريب مدى حبها له · فهو معذب وفى حيرة : أتبادله الحب حقيقة ؟ أم أنها تجامله فقط لأنه ابن عمها ؟ ·

وهى تسال :

(أ) هل تسرعت فى الحب ؟ اى هل تسرعت فى قبوله والميل اليه ؟ ·

(ب) هل يرى الاسلام أن ترفض هذا الحب ، وتنتظر الانسان المناسب الذى تحلم به وهو صاحب المستوى العلمى ؟ أم أنها توافق وتتوكل على الله ؟ ·

وأنه رزق بمولودة له · وليس من السهل عليه أن تنشأ هذه الصغيرة بعيدة عنه · وليس من السهل عليه أيضا أن يترك زوجته ـ والعلاقة معها علاقة حب ومودة ـ مع وحيدته تحمل هموم تنشئتها فى غيبته ·

والطلاق اذن ليس واردا كحل لمشكلة السائل · والحل يمكن اذا توفرت ثقة الحماة فى زوج ابنتها · وتوفر ثقتها فيه لا يتم الا اذا سلك أسلوبا هادئا فى معاملتها · والتزم بما تشير به ، على الأقل فترة من الزمن واعتبر نفسه ضيفا عليها هذه الفترة · وربما يظن أنه اذا سلك هذا الأسلوب الهادىء معها يكون قد تنازل عن كثير من حقـــوقه كرجل وكزوج ولكنه الآن هو فى أزمـــة والخروج منها يحتاج الى الصبر أولا ، ثم الى عدم الحساسية الحادة ، التى كانت سببا فى عنف أزمته بتوتر العلاقة مع حماته ·

واذا استطاع فى هذه الفترة التى يعتبر نفسه ضيفا على حماته ، أن يتعاقد على عمل خارج مصر فى أى بلد عربى ويسافر مع زوجته الى هـــذا البلد يكون قد أحسن صنعا لنفسه ولعلاقته مع زوجته ، ومع أسرة هـــذه الزوجة · اذ المدة التى سيقضيها خارج مصر كفيلة بتوطيد العلاقة مع زوجته أولا · ووجود البنت بينهما سيساعد على نمـــو هذه العلاقة نموا مزدهرا · وسيحس وهو بالخارج أن علاقته الزوجية ابتدأت بسفره ·· وأن المدة التى قضاها مع حماته كانت تجربة أكره على الدخول فيها ·

كم من العـــــلاقات الزوجية بين مصريين ازدهرت بعد أن ترك الازواج والزوجات أهلهم فى مصر · واستقروا للعمل فترة خارجها · اذ قد توفر الآن للزوجة والأولاد وقت الزوج ، كما ابتعد عن الدخول فى شئونهم لســـبب من الأسباب أهل الزوج أو أهل الزوجة · وحل مشاكل الزوجين أصبح لهمـــا وحدهما ·

والزوجة المصرية طيعة ·· والزوج المصرى فى أغلب حالاته طيب القلب ·· والذى يفسد العلاقة بينهما هو تدخل أهل الزوج أو أهل الزوجة · وسفر الزوجين معا الى الخارج هو الطريق العملى لقوة الترابط بين الزوجين فى سن الشباب وفى بداية الزواج · هناك فى الخارج يكون التعاطف بينهما على أشد ما يكون ، ولا يزعجهما أجنبى عنهما · والعمـــــل فى الخارج اذا كان الدافع عليه فى أغلب حالاته هو رفع الأجور ، فانه فى ذاته العلاج لتصـــدع العلاقات بين الأزواج والزوجات ، والطريق لتصفية هذه العلاقات من كل الشوائب ·



على الزوجة وهى هنـــا تسكن مع والدتها ، فالأم تتصدى له وقد تتصدى له بعنف اذا رفع صوته أو تشدد وألح فى ممارسة ولايته على الزوجة ·

● وضع البنت الوحيدة التى تتزوج وتظل فى السكنى مع والدتها لم تخرج من دائرة نفوذ الام ويجب على الزوج الذى يقبل البقاء فى السكن مع حماته من أجل ابنتها : أن يقبل أيضا وضع التابع فى المعاملة ، وأن يستسلم كلية لما تفرضه أم زوجته · فالبيت بيتها ، وليس لابنتها أو لأبيها والبنت ابنتها وتحت طواعية أمرها خالصا ·

● وزوج البنت يكون عندئذ ناشزا فى نظر أمها اذا طلب لنفسه فى البيت الآن الاعتبار كرجل مستقل ، أو كشريك مساو لها فى التصرف وبالأخص مـع زوجته · طلب الطبيب هنا من زوجته أن تبيع حليها وتسلمه الثمن ليســافر به الى بلد من البلدان العربية فأبت عليها امها وكان اباؤها نافذا · طلب من زوجته أن تنتقل معــه فى مسكنه الخاص عند والديه فمنعتها والدتها فكان موقفها عدم الاستجابة الى ما طلب زوجها ·

فالحماة تملك التصرف وحدها فى المسكن وما يدور فيه ، ومع من يسكن معها · والشاب الجديد ، وهو زوج البنت على أحسن الفروض فى نظرها هو ضيف · والضيف حسب العرف لا يعارض ·· ولا ينقد شيئا لا سرا ولا جهرا ·

● والخطأ اذن الذى ارتكبه الزوج الطبيب أنه لم يكن لديه هذا التصور، ولم يكن يتوقعه عندما قبل السكنى مع عروسه معها · فكان الصدام ·· وكان العنف فيه ·· وكان الطرد من السكن ·· عدة مرات ·· وكانت العودة اليه أيضا عدة مرات ·· وكان التردد الآن وكانت الحيرة والسؤال عن الحل المنقذ·

● والحل الآن ليس فى أن يطلق السائل زوجته · فهى فى الواقع لم ترتكب معه خطأ حتى الآن · وعدم استجابتها لما يطلبه منها مكرهة عليه · فكما سبق أن ذكر : هى لم تخرج بعد من حضانة والدتها ومن نفوذها · وهى كذلك لا تستطيع استطاعة مادية فى وضعها القائم أن تلبى طلب زوجها ، عنـدما يطلب منها مثلا الانتقال الى السكن الخاص به ·

وتقدم الدلائل النفسية كما توحى بها رسالة الطبيب هنا ــ على أن علاقة الود والمحبة قائمة بينه وبين زوجته · وربما هذه العلاقة فى قوتها هى التى مهدت عنده : أن يقبل السكنى مع زوجته عند حماته · فقد ألحت عليه هــذه الحماة فى أن يسكن مع أسرتها كولد لها · وبذلك يوفر عليها المشقة النفسية فى ابتعاد ابنتهـــا الوحيدة عنها فى مسكن آخر فقبل ، رغم وجود الســـكن الخاص به ·

(١) اما ان يوفر الزوج شقة مفروشة ·

(٢) أو شقة غير مفروشة ليست عند أهل الزوج ، ولا عند أهل الزوجة ·

(٣) أو يرجع الى منزل حماته مرة أخرى ·

وكان رد والد الزوج : أن الزوج حديث التخرج وليس لديه من المال ما يغطى السكنى المطلوبة · وبعد فترة قصيرة ولدت له بنت ولم يعلم بمولدها الا من جيران حماتها ·· وأهل الزوجة قد اختاروا لها اسما لم يستشيروه فيه ·

والطبيب السائل فى حيرة من أمره فهو يرغم من حماته من وقت لآخر على ترك المسكن الذى تسكنه زوجته · وهو مسكن والديها · وقد تركه عدة مرات وعاد أيضا عدة مرات الى زوجته فيه ·

فهل يطلق زوجته اذا رفضت الانتقال الى مسكنه فى منزل والده وينهى هذه العلاقة البائسة ؟ مع أنه يؤمن بأن أبغض الحلال الى الله الطلاق · هو يريد أن يبنى أسرة مسلمة على المحبة والايمان بالله ·· وحماته تريد ـ كما يقول ـ أن تهدم ما يبنيه ·

ماذا يفعل ؟

- الطبيب وزوجته مجنى عليهما معا من والدة الزوجة ·
- ووالد الزوجة مسلوب الارادة فى هذه العلاقة امام زوجته ·
- والزوجة مستسلمة لوالدتها ولكنها تبادل زوجها المحبة ·

● والمشكلة هى مشكلة الطبيب مع حماته · ومسئولية سوء العلاقة معها تقع على الطبيب وحده · وأول عامل فى هذه المسئولية : انه قبل السكنى مع حماته رغم أن له مسكنا خاصا فى منزل والده · نعم هو لم يكن يتنبأ بهذا التحول فى سلوك حماته معه وبأنها تكلفه بالعمل فى المنزل ، وتهينه بالشتم والسب ، والعبارات الجارحة · ولكنه كان يتصور على الأقل أنها كأم تريد أن تستأثر بابنتها فتكون لها وحدها وتمارس نفوذها عليها دون أن تسمح لشريك لها ـ وهو هنا زوجها ـ بمنافستها فضلا عن أن يستقل بالأمر معها ·

بنت وحيدة ورغم زواجها من الطبيب ، لم تزل بالسكنى مع والدتها فى مسكن واحد ، فى حضـانتها هى · فهى لم تخرج من عواطف أمها الى عواطف زوجها ·· ولم تخرج من نفوذها الى ولاية زوجها ·· والزوج فى نظر أمها يكاد يكون أجنبيا عن ابنتها ·فاذا أراد الزوج عندئذ ان يمارس ولايته على

وربما يكون من صفات زوج السائلة : أنه لو سئل عن رغبة خاصة له فى الاكل ٠٠ أو فى الملبس : لا يبدى رغبة ما فى شىء ، مؤثرا زوجته والاولاد فيما ينفقه من مرتبه ٠

ويحمد للسائلة : انها ذكرت زوجها بالخير كل الخير ، فى الوقت الذى وصفته فيه بالبخل ٠ وهى مرجوة كذلك أن لا تضيق عليه الخناق بتكرار هذا الاتهام ٠ وهى اذا كانت قد نشأت فى بيت أهلها فى سعة وكرم ـ كما تقول ـ فالحياة تختلف عهودها ومراحلها ٠٠ والأفراد يختلفون فى تكوينهم وعاداتم ٠

★ ★ ★

٦٨ ـ الحماة بين البنت وزوجها :

من طبيب أسنان باحدى المحافظات :

يتحدث عن قصة زواجه بوحيدة والديها ، فيقول :

أنه كان يعرف الأسرة قبل تخرجه فى طب الأسنان اذا كان يساعد والدها اثناء الاجازة الصيفية ٠ وقد بدت من معاملتها له : أنها أسرة مثالية ٠ وتزوج بهذه الابنة الوحيدة واقام فى السكن مع والديها ، رغم أن له مسكنا خاصا فى منزل والده ٠ ولكن حماته اشترطت أن يقيم مع ابنتها فى مسكنها واستجاب لذلك ٠

ولكن بعد مضى بضعة أشهر على الزواج والمشاركة فى المسكن ابتدأ يحس بالضيق ، والالم ، ثم بالعذاب كذلك ٠ وابتدأ يواجه حماته بعدم تنفيذ رغباتها ، وابتدأت حماته تواجهه بالشتائم والسباب ، والاهانة ، والطرد من المسكن ، ويذكر على سبيل المثال فى مواجهة حماته له : أن طلبت منه أن يقوم بغسل الملابس وغسل الاطباق ، وتنظيم البيت ٠ والأكثر من ذلك كانت ترفع الشبشب ، والحذاء لتضربه بأى منهما ٠ كما رفع والدها المكنسة ، لضربه بها على مرأى ومسمع من زوجته ، واضطر لمغادرة المنزل » ٠ وطلب من زوجته أن تصحبه للسكنى فى مسكنه المخصص له عند والده فمنعتها والدتها من مغادرة المنزل واستجابت الزوجة لوالدتها ٠

وذهب للمحامى كى يطلقها ٠ ولكن والده طلب منه التانى ، ومحاولة الرجوع الى زوجته ٠ وبالاخص انها حامل الآن ٠ فاطاع مشورة الأب ٠ ولكن والد الزوجة حضر الى والده وخيره ـ كى يعود الى زوجته ـ بين ثلاثة أمور :

ان السيدة السائلة تنحى فضائل زوجها جانبا ٠٠ وهى عديدة،ومشرفة٠ وتقف عند رغبته فى ادخار جزء من مرتبه لمستقبل حياتها وحياة طفليها منه ٠٠ وتصـــف رغبته فى الادخار بالبخل ٠٠ وربما جديته فى الادخار تفقدد المرونة فى أبواب الانفاق ٠٠٠ وتظهره بخيلا جامدا ٠ فهو ثابت فيما ينفق فيه ، مما يعد من الأمور الضرورية للمعيشـــة فى الوقت الحاضر ٠ فهو لا يشترى مرة قطعة من الشيكولاتة ، ولا كيلو من الموز ـ كما تقول ـ لأن أسعار مثل هذه المأكولات فى الوقت الحاضر أصبحت الآن فوق مستوى أصـــحاب الدخل المحدود بكثير ٠ وكذلك لا يتجاوز عدد الأربعة من كيلو اللحمة ولا عدد الاثنين من الفراخ فى الشهر للزيادة فى أسعارها بما يخرج عن طاقته الشرائية ٠

وقد اختلطت بأسر لبنانية وسورية وفلسطينية فى مصر هنا ، وفى لبنان وسوريا فكان مما وقفت عليه من أسرار هذه الأسر انها تشترى اللحمة بالأوقية وليس بالكيلو ، كما نفعل نحن هنا فى مصر ٠ ومع ذلك تحس بنعمة الله عليها فى المعيشة ، ولا تشكو من القصور فى شىء ٠

● والبخل مفهوم يختلف فيــه هنا الزوج والزوجة ٠ فلو كان الزوج يقصر فى شأن نظافته ونظافة أولاده أو المسكن الذى يسكنه يعد بخيلا٠ولو انه يقصر عند مرضه أو مرض زوجته أو أحد أولاده ، فلا يستدعى الطبيب الى المنزل أو يستشيره فى عيادته لعد حقا بخيلا ٠ ولكن زوجته تعده بخيلا اذا لم ينفق فى سعة على الهدايا التى يقدمها الى أقربائها ، وردا على الهدايا التى يقدمونها هم لها ولأولادها ٠٠ تعده بخيلا اذا أجابها بأنه لا يود تبادل الهدايا مع أقربائها أو مع غيرهم ٠

لو أن الزوجة تعد حسنات الزوج التى ذكرتها فى رسالتها فى مقابل ما تصفه فيها بأنه بخيل ، لرجحت حسناته على سيئة له هى البخل ٠ وبخله أمر مشكوك فيه ٠ يجب أن تحمد الله على أن وفقها لرجل ، وزوج ، وأب ، ورب أسرة مثل رجلها الذى تخشى عليه من عذاب يوم القيامة ، بسبب بخله ٠ وفيما أعتقد سيعفو عنه الله ٠

وعلى الزوج لكى يتفادى الخلاف مع زوجته حول ما تصفه به من البخل يجب أن تكون لديه مرونة فلا يقف ثابتا دائما حول الرقم الذى يدخره شهريا بل يمكن له أن يتحسس رغبات الزوجة والأولاد فيما يشتهونه من طعام ، أو فيما يرغبون فيه من ملبوسات ويستجيب فى شهر للبعض ٠٠ وفى شهر آخر للبعض الآخر ٠٠ وهكذا : تدور حركة الانفاق ٠ اذ فى النهاية : ما يدخره هو للزوجة والأولاد ٠٠ وما ينفقــه زائد عن رقم الادخار المحـــدد هو كذلك للزوجة والأولاد ٠ ووظيفته معهم أنه ينقل أجره من يد الى يد أخرى ٠

٦٧ ـ الزوج فى بخله :

سيدة من القاهرة تتحدث عن زوجها فتقول :

انه رجل طيب الأخلاق والقلب ٠٠ لا يكذب ٠٠ ولا يسرق ٠٠ ولا يغش ٠٠٠ يخاف الحرام ٠٠ ويصلى ويصوم ٠ وقد وافقنى على أن أرتدى الزى الاسلامى حيث انى سيدة متدينة كذلك ٠ ولى منه طفلان ونعيش فى محبة وسلام ٠

الذى أشكوه منه أنه بخيل ٠٠ فهو بخيل على وعلى أطفالى وعلى أقاربه كذلك « فهو يتقاضى راتبا شهريا مائة وعشرين جنيها ٠ ولكنه لم يدخل يوما ما على أطفاله بقطعة شيكولاتة ٠٠ ولا باكو بسكويت ٠٠ ولا يشترى لنا فاكهة أكثر من ٢ كيلو برتقال ٠ ولا يشترى لنا الموز على الاطلاق ويشترى فى الشهر لنا أربعة كيلو لحمة ، ومن الفراخ اثنتين : لى ، وله ، والطفلين٠ أما بالنسبة للملبس فهو مقصر كثيرا ٠ ويدخر نقوده فى البنك ٠ ثم اشترى قطعة أرض ، وأنا محتاجة الى فستان وأولادنا محتاجون أشياء كثيرة ٠ ويقسم أنه يفعل هذا من أجلنا وأنه خايف يموت ويتركنا من غير شىء نتكل عليه بعده » ٠٠ وتسأل : ماذا تفعل ؟ ٠ انه طيب وشريف ومتدين ولكنه بخيل٠ وهذا يعكر على حياتى ٠

لقد أحضرت له سورا من القرآن الكريم تنهى عن البخل وأحاديث كذلك٠ ومرة أخرى أزعل وأغضب وأواجهه بعنف ٠ ومرة أكلمه بود وأقول له : أنا متربية فى بيت كله كرم ٠

والشىء الأخير هو أنى أخاف عليه من عذاب يوم القيامة ومن غضب الله بسبب هذه الصفة ٠ فما رأى الدين ؟ ٠

أما الزوج ـ كما تقول السيدة زوجته فى الرسالة فليس مقتنعا بأنه بخيل ، ويرى أنها تريد أن تحمله على الاسراف والتبذير ٠

● هل للزوج عادات سيئة ؟ هل يشرب الخمر ؟ ٠٠ هل يدخن ؟ ٠٠ هل يرتكب فاحشة الزنا وينفق على النساء فى سعة بينما يقتر فى الانفاق على أهل بيته ؟ ٠٠ هل يلعب الورق ؟ ٠ هل يشارك فى سبق الخيل ؟ ٠٠ ان الرسالة تنطق باستقامته ، وبحسن خلقه ، وبطيب قلبه ٠٠ وبأنه لا يكذب ، ولا يسرق ٠٠ ولا يغش ٠ ولو كان بخيلا لأحب جمع المال ٠ وفى سبيل جمعه يبيح لنفسه الكذب والسرقة ٠٠ والغش ٠٠

مهما كثرت قيمته . انها تشحن النفوس بالبغض والكراهية والحقد والسوء . وقلما تعود هذه النفوس الى الصفاء ، الا اذا بذل رب الأسرة من جانبه فى الباقى من أيام حياته ما يجب عليه أمام الله ، نحو أحفاده وأمهم من رعاية وعطف ومعاونة ، بدلا من القطيعة والكراهية من الجانبين .

● ان أبا بكر رضى الله عنه وهو الصديق لرسول الله ﷺ غضب من ابن خالته « مسطح » وكان مهاجرا فقيرا وشهد « بدرا » لانه خاض مع من خاض فى قضية « الافك » .. وحلف ان لا ينفق عليه ، كما كان يفعل ، متأثرا بمشاركته الآثمة فى الافك . فنزلت آية النور ، فى قول الله تعالى : « **ولا يأتل** (أى ولا يحلف) **أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا** (والمعنى لا ينبغى أن يحلف أصحاب الفضل والثراء منكم أيها المؤمنون ، على عدم الانفاق - لسبب من الأسباب - على أصحاب القرابة من أولى الرحم ، والمساكين ، والمهاجرين فى سبيل الله ، على نحو ما كل يتم من قبل . بل الواجب الصفح عن أخطاء هؤلاء والعفو عن ذنوبهم والاستمرار فى الانفاق عليهم) **الا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم** » (١) .

فلما نزلت هذه الآية عاد أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى الانفاق، كما كان . بعد أن عفا وصفح عن ابن خالته « مسطح » .

وما يطلب فى هذه الآية من أصحاب السعة والفضل لا يخص أبا بكر وحده .. وانما يعم جميع المؤمنين ممن كان وضعهم مشابها لوضعه فى علاقاتهم مع أقربائهم .

ورب أسرة السائلة هنا فى وضعه مع زوجة ابنه المتوفى وأولادها منهيشبه ذلك الوضع السابق . فهو أقدر وأكثر سعة وأبعد مسئولية من زوجة ابنه التى هى أضعف منه بكثير . ومن أجل ذلك يجب عليه أن يتخذ الخطوة الأولى من جانبه نحو المصالحة مع بنت شقيقته . وبهذا يحفظ عليها حياءها . ولا يتصور أن فى هذه الخطوة انتقاصا من كرامته أو مهابته أو شرفه . بل ستحسب له فضلا عند الله .. وسيكون لها أثر كبير فى ازالة ما ترسب من بغض وكراهية فى نفس الطرف الآخر . يروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قوله : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم . فان صلة الرحم محبة فى الأهل ، مثراة فى المال منسأة فى الأثر » (العمر) كما يروى « لا يدخل الجنة قاطع رحم » .

★ ★ ★

---

(١) النور : ٢٢

٦٦ ـ جد ينكر حقوق أولاد ابنه المتوفى :

سيدة أرملة من القاهرة ، متوفى عنها زوجها منذ ستة عشر عاما وترك لها ولدين ، وبنتين ، ومحل تجارة · واستطاعت أن تدير المحل وأن تتم تعليم الولدين تعليما متوسطا وأن تنفق على البنتين فى التعليم الآن ·

ووالد زوجها ـ وهو خالها ـ لم يزل على قيد الحياة حتى الآن·والزوج عندما كان موجودا ساعد بماله والده على بناء المنزل الذى تقيم الزوجة مع أولادها فى حجرتين منه · وهو مكون من ثلاثة أدوار يشغلها الوالد وابن آخر له ، أخ للزوج المتوفى ·

والمشكلة الآن أن الوالد وهو خال الأرملة السائلة ينكر حق ابنه المتوفى فى المنزل ، ويحرم الزوجة والأولاد مما ساعد به فى اقامة المنزل ·· ويعلنها الخصومة المستمرة وهى تقول : « انها سيدة مؤمنة بالله وتخاف عذابه ، ونفسها غير مستريحة لهذا الخصام · ولكن كرامتها تمنعها من مصالحتهم وفى نفس الوقت متألمة · لأن الخصام ضد مبادىء الاسلام وتسأل: «فما هو رأى الدين فى هذا ؟ وهل على فى ذلك وزر ؟ أرجو الافادة» ·

● أسرة واحدة ، وليست أسرتان · هى أسرة الزوج المتوفى : أبوه وزوجته ، وشقيقه وأولاده · والأب هو رب الأسرة ، وفى الوقت نفسه هو خال الزوجة · وشقيقه هو عم الأولاد الصغار · كيف تكون خصومة تحرم الأولاد من رعاية جدهم ومساندة عمهم ، وهم فى حاجة الى هذه الرعاية والمساندة؟· أمن أجل بعض المال ، قيل انه مال المتوفى شارك به فى اقامة المنزل المسكون الآن للأسرة كلها ؟ · ومال الجد سيصيب من بعده أولاد الابن لو تركه ميراثا؟·

● ان رب الأسرة هنا،هو والد الزوج المتوفى وخال زوجته ، مسئوليته أمام الله تعم الطرف المقابل له فى الخصومة هنا · وهو زوجة المتوفى وأولادها · وهى مسئولية حماية ووقاية لهم من الأضرار ·· ومسئولية رعاية لمستقبلهم · ومن الحماية لهم أن يجنبهم الخصومة وآثارها من الحقد فى تنشئتهم·ومن رعاية المستقبل أن يعترف لهم بالمبلغ الذى شارك به والدهم وهو حى فى اقامة منزل الأسرة ·

ان رب الأسرة هنا ، وهو والد ، وجد ، وخال ، يقف فى وجه زوجة ابنه وبنت شقيقته ، وأم أحفاده ، وهى امرأة وهو رجل ؟ · بسبب ماذا ؟ بسبب الخلاف على مال قل أو كثر ان هذه الخصومة فى جانبها النفسى فى الأسرة الواحدة وفى وشائج الدم القريبة لا يعادلها اطلاقا خلاف على مال

شرعا الحق فى أن تخلع نفسها منه للضرر غير العادى الواقع عليها فعلا من تصرف رجل أحمق وأهوج ·

● **والقضية الثـــانية** : هى الآثار السلبية ، وأهم واحدة من هـذه الآثار : تشاؤم الزوجة فى الحياة · والتشاؤم ان اشتد يؤدى الى اليأس عند المتشائم · والزوجة هنا شبه يائسة · ولذا تفكيرها غير متزن · وهى تخطىء خطأ كبيرا ان هى غرست فى نفوس بناتها النفرة من الرجال · وكراهيتهم ·· وهى تمتهن نظام الزوجية لفشل العلاقة بينها وبين زوجها ·

ونحن لا نهون من آثار الصدمة النفسية عليها · ولكن نشير عليها فقط بالصبر · فالله سبحانه جل جلاله فى الوقت الذى تصعد فيه الأزمة عند انسان ما الى قمتها يبشر بانفراجها لديه · فيقول لرسوله الكريم : « **فان مع العسر يسرا · ان مع العسر يسرا** » (١) ·· وطالما لها الحق فى أن تخلع نفسها من زوجها بسبب الأضرار التى تعانيها فى علاقتها الزوجية ، ليس لديها مبرر فى الحرص على معاشرة زوجها ·· وليس لها مبرر كذلك للاستمرار فى تشاؤمها ويأسها · نعم أولادها سبب قوى فى تحملها خيبة الأمل فى زواجها · ولكن لا يبلغ الى مستوى اليأس والانتحار فى الحياة ·

● **القضية الثالثة** فى حياة صاحبة الرسالة : ما تقترحه كحل لأزمتها من الدخول فى حياة الخيال ، والبعد عن حياة الواقع المرير ، وما تتصوره من أن تكون فى الخيال مع رجل آخر يرعاها ويحميها ·· أو أن تكون فى أسرة جديدة وهى سعيدة : هو نوع من الأمانى الكاذبة · والاسلام لا يقـر المؤمن به علـى أن يعيش فى أوهامه بعيـدا عن الواقـع بل يطلب اليه أن يتعـامل مع الواقع وحده · فاذا كان واقع صاحبة الرسالة الآن مريرا وقاسيا فلتخرج منه ـ بالخلع من زوجها ـ ولتدخل الواقع مرة أخرى · وربما يتحقق لهـــا فى واقعها الجديد ما تؤمل أن يتحقق لها فى الخيال · فيكون لها زوج يسعدها فى واقع حياتها ويقيها من السوء وهموم الحياة ·

والرسالة وان طال أمرها فكل ما فيها أخطـاء الزوج فى حق زوجته ، بسبب عدم التزامه بما يوجبه الاسلام فى العلاقة الزوجية ·· وكذلك استسلام الزوجة لهواجس النفس الأمارة بالسوء على اثر علمها بعلاقة زوجها بالمرأة الأخرى · ولو أنها صبرت واستعاذت بالله من الشيطان والهوى ، ربمـا لم يصل الأمر النفسى عندها الى ما وصل اليه كما وصفته فى رسالتها ·

★ ★ ★

---

(١) الشرح : ٥ ، ٦ ·

وهذا وذاك تمن فقط تحس النفس عن طريقه بالراحة المؤقتـة والزائفة ٠

● وفى قصة هذه الزوجة ثلاث قضايا تسأل عن رأى الاسلام فيها :

القضية الأولى : حب الزوج لامرأة أجنبية تحت رجل آخر ٠ ويبدو ان وصف هذا الحب فى الرسالة أمر مبالغ فيه ٠ ولو كان مراهقا أو غير متزوج لقيل مثلا : ان هذه المرأة قد سحرته بجمالها أو فتنته بجاذبيتها ٠ لكنه رجـل متزوج ٠ ولو كان فى سن الشباب ـ اقبـاله على المرأة الاجنبية مهما كانت فتنتها له لا يتصور وهو له زوجة ان يكون بالصورة التى تحكيهـا الرسالة هنا ، الا اذا كان ضعيف الشخصية أو كان مريضا بالميل الى النساء وبأن يتبعهن بنظراته ، لينتقل من الحس الى الخيـال ويستعيد فيه ما وقع له من مشاهد ٠

وعلى أية حال هو لم يلتزم بغض البصر عن الأجنبيـات ، وهو ما كلف الرسول عليه السلام من قبل ربه بتبليغه الى المؤمنين فى قول الله تعـالى : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصـارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون** » (١) ٠٠ وانما أعطى لنفسه حق ملاحقة النساء بنظراته المتفحصة التى تنتهى به الى الميل والاعجاب والفتنـة فلم يأخذ نفسـه بأدب القرآن ٠ وهو آثم بخروجه من هذا الأدب القرآنى ٠

أما غزله فى محبوبته وهو مع زوجته فى لقاء سرى فأقل ما يقال فيه : انه لم يبلغ الرشد بعد ، ولم يعرف أدب الزوجية ، ولم يرع احساس الانسان الآخر معه ٠ وكافيه من العقوبة : حرص الزوجة على الهروب منه ، وكراهيتها لـه ، واحتقارها للعلاقة الزوجية ٠

ومع ذلك يجافى تصرفه هذا : حق الزوجة عليه من المشاركة والعمـل على اطمئنانها النفسى ، والمودة ، والرحمة بها ٠ فقد ازعجها بتصرفه الشاذ وسبب لها التوتر العصبى وضغط الدم ، والقلق المستمر ، ونفـرها من شىء اسمه الزواج وأوحى لها بأن تغرس فى نفوس بناتها كراهية الرجال وما خلق الذكر والأنثى الا للقـاء ، والمودة ، والتعارف ٠٠٠ : « **يا أيها النـاس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » ٠٠ (٢) ٠

فهو بصنيعه الذى يصنعه يسىء الى امرأته كزوجة فيسبب لها الأضرار العديدة وكانسانة فيضعها فى جو من عذاب القلق وآلام النفس ٠ وهى لهـا

---

(١) النـور : ٣٠ ٠ (٢) الحجرات : ١٣ ٠

ثانيا : لأن حبه اياها استغرق كل يقظته حتى انساه الاحساس بوجوده مع زوجته ، عند وقت اللقاء معها فى معاشرة جنسية ، فيتغزل تلقائيا وقت المعاشرة بألفاظ يوجهها لمحبوبته · وكأن زوجتـه معه جسد لا روح فيه ، أو كأنها هيكل لا يتجاوب معـه نفسيا ·

ولم يكن هذا الوضع المؤلم المفاجىء للزوجة عابرا ، وقع : مرة أو عدة مرات ، وانتهى أمره · ولكنه استمر ، ويتجدد كلما يلتقى بها جنسيا ·

● هذه الصدمة النفسية العنيفة كانت لها آثار سلبية على حياة الزوجة ، آثار بدنية ونفسية ، واجتماعية : فأصبحت تهرب من اللقاء مع زوجها عندما يطلب منها اللقاء · فهى لا تريده لانها تخرج كل مرة من اللقاء معه بما يزعجها فى العلاقة الزوجية · فهى ليست المرأة التى تملأ فراغ نفسه وليست المرأة التى يحرص على الحياة معها ·· انها امرأة أخرى بين احضانه ·· انها امرأة أخرى حلت محلها بالشبح والروح معا ·

● وبجانب عدم رغبة الزوجة السائلة فى اللقاء مع زوجها عندما يطلب منها اللقاء ، اصيبت بتوتر عصبى ، وبصداع مستمر ، نتيجة خيبة الأمل من جانبها فى العلاقة بزوجها · واصبحت هذه الصدمة مصادر الوساوس والهواجس النفسية والتشاؤم عندها · فاذا فقدت الثقة فى الرجال ·· واذا هى تصورت أن الزواج نظام فاشل فى المجتمع ·· واذا هى استطردت فى تصورها : أن مستقبل بناتها يتطلب أن ينشأن على عدم الثقة بالرجال ·· واذا هى أحست فى اعماق نفسها باحتقار رباط الزوجية ·· وان هى بصقت على وثيقة زواجها كلما وقعت تحت نظرها ·· كل هذا ونحوه من الآثار السلبية لهذه الصدمة النفسية ، التى سببها حب زوجها لأخرى فى صورة غير عادية ·

● هذه الصدمة النفسية للزوجة السائلة ·· وهذه اثارها السلبية على حياتها الوجدانية ، والفكرية · وبجانب هذه الآثار السلبية ، وهى عوامل هدم فى حياتها : يوجد فى هذه الحياة لهذه الصدمة عامل بناء ولكنه ليس عامل بناء فى الواقع ، ولا فى الفكر السليم · وانما هو عامل بناء فى الخيال والأمل الكاذب · وعلى أية حال هو عامل ايجابى فى حياتها ·· هو عامل « عوض » لما افتقدته أو تفتقده فى علاقاتها الزوجية الحاضرة ·

هى تسعى للبديل عن وضع الزوجية التعس الذى تعيش فيه · فتراه مرة فى تخيلها انها أصبحت زوجة لرجل آخر فى اسرة سعيدة ، ومعها زوج مخلص يرعاها ويحميها · وتراه مرة أخرى فى أن تحب رجلا آخر حبا طاهرا عفيفا ولو من بعيد ، ومن طرفها وحدها ·

ثم تستطرد فتسأل ثانية عن رأى الدين فى تهرب الزوجة من لقاءات زوجها ، وفى عدم تلبية مطالبه كالعادة ، بعد ما عرفت حقيقة مشاعره نحوها ؟ · وقد سبب لها ذلك آلاما نفسية وجسدية ، وتوترا عصبيا شديدا ، مما نشأ عنه مرض الضغط والصداع وخاصة بعد أن تلتقى به مباشرة فى معاشرة جنسية · اذ تحس أن زوجها كان فى اللقاء معها بجسده فقط · أما قلبه وعقله فكان مع الأخرى ·

وتسأل مرة ثالثة عن رأى الدين فى انها فقدت الثقة بالرجال ·· وتفكر فى أن تنشىء بناتها على عدم الثقة أو الحب للرجال ، حتى لا يتعرضن للصدمات النفسية مثلها · فهل حرام ان هى اوعزت الى بناتها بهذا التوجيه ، أو أوضحت لهن انه ليس هناك رجل يستحق انشغال المرأة عليه ؟

ثم تطلب أن تعرف رأى الدين أيضا فى انها اصبحت تحتقر رباط الزوجية وتراه خدعة كبرى ·· كما اصبحت تشعر بالمرارة والحسرة عندما تسمع آيات القرآن تذكر : انه من فضل الله على الانسان ان جعل الزوجية بين الذكورة والانوثة مصدرا للسكنى ، والمودة ، والرحمة بين الزوجين · ويمتد احتقارها لرباط الزوجية : انها تبصق على قسيمة الزواج الخاصة بها كلما وقعت عيناها عليها ، وتقول فى لحظات الضيق : ان الزواج أفشل أنظمة الأرض ·· وتعيد السؤال مرة أخرى : ما رأى الدين فى هذا الشعور وفى هذه التعليقات رغم ان هذا لم يكن رأيها من قبل علاقة زوجها بالمرأة الاخرى المتزوجة من غيره ·

وتنتقل فى السؤال من محيط الأزمة وآثارها النفسية والعضوية والعقلية عليها ·· الى ما تتصوره حلا لها · وهنا تسأل : هل من حق الزوجة أن تحب رجلا آخر غير زوجها حبا طاهرا ، عفيفا ، ولو من بعيد ؟ أو من طرفها فقط ؟ ·

هل من حق الزوجة أن تهرب من التفكير المضنى والقاتل الذى يسبب لها صداعا شديدا ·· الى احلام اليقظة فتتخيل : أنها أصبحت زوجة لرجل آخر فى اسرة سعيدة ، وزوج مخلص يرعاها ويحميها ؟ رغم ان هذا التصور أو هذا التخيل لا يتحقق بالنسبة لها بسبب وجود الأولاد فى محيطها ؟

● الزوجة التى تحكى هذه الرسالة قصتها ، صدمت صدمة عنيفة هزت اعماق نفسها :

أولا : لأن زوجها أحب امرأة أخرى غيرها وتعيش فى كنف زوج آخر ·

وطلب أم السائل منه أن يتزوج بأخرى على أم اولاده هو نوع من العقوبة لا يقرها الاسلام على توقيعها على الزوجة أم الاولاد · والسائل قد أحسن لنفسه ولدينه بأن عـزم على الا يتزوج بأخرى · فهو يقول فى رسالته : « وأنا لا أريد الزواج من واحدة أخرى غير زوجته » · فزواجه بالثانية ارتكاب اثم ومعصية لكتاب الله · لأنه لو تزوج الثانية لا يكون قد استخدم رخصة تعـدد الزوجات · وانما يكون قد انزل عقوبة بزوجته الاولى ، مما يخالف ما ورد فى كتـاب الله بشأن تعدد الزوجات ·

● وقول الأم لابنها السائل : « يحرم عليك ثديى » هو نوع من التهديد لحمله على الزواج بأخرى · ومثل هذه العبارة وان كانت قد تثير عاطفة الابن ، وربما تجعـله متحيزا لها وبعيدا فترة ما عن زوجته : الا ان التهديد بها تهديد أجوف ، لا واقع له · فهى لا تستطيع أن تحرم الرضعات التى ارضعته اياها فى طفولته الاولى · ولذا يجب أن يمر بها السائل غير مكترث بها ·

وما يفعـله الابن هو أن يدعو الله لأمه أن يغفر لها اخطاءها · وان يظلها برحمته ·· وأن يعيش فى مستقبل اولاده وزوجته ، ويسعى فى سبيل تماسـك أسرته واستقرارها ويدعو الله لها بالحماية من اتبـاع الهوى والانحراف فى عصرنا المادى التى تعيشـه الانسانية الآن ·

★★★

٦٥ ـ سوء معاملة الزوجة وأثره السلبى على الأسرة :

رسالة على لسان زوجة أرسل بها مواطن من احدى المحافظات ·

تذكر فيها عددا من الأسئلة ، وصفا لحالتها النفسية بعد أن تغيرت علاقة زوجهـا بها · فتقـول :

كانت تحمل له حبا كبيرا ·· وكانت مخلصة متفانية فى رعايته ·· وهى جميلة فى ملامحها · ولكن زوجها أحب امرأة أخرى متزوجة · فابتدأ يسىء معاملتها ويوجـه لها الاقوال الجارحة طول اليوم · ومع ذلك هو يصلى ويؤدى مظـاهر التدين ·

ولاحظت انه اثناء معاشرتها جنسيا يتخيل معشوقته ويوجه اليها فى غير شعور منه الفاظ الغزل ، مع أنه فى الحقيقة مع زوجته · وتسأل عن رأى الدين فى رجل يحب امرأة متزوجة ويشتهيها ، بدلا من زوجتـه ؟ وهذا أول سؤال تطلب الرد عليه ·

وهو الآن لا يريد الزواج بأخرى لأنه أنجب منها اولادا ثلاثة · ولكنه يريد أن ينفذ وصية والدته · فماذا يفعل ؟ ·

● ان والدة السائل عندما طلبت منه أن يتزوج بامرأة أخرى على زوجته التى هى فى عصمته الآن كانت فى ثورة غضب عليها لأنها أحست بأنها قد اهينت منها وفى وجود ابنها · وهى كأم لها فى مثل هذا الوضع كبرياؤها · فاحساسها بالاهانة احساس عميق ·

وهى اذ توصى ابنها بأن يتزوج على زوجته الحالية امرأة أخرى ، فانها فى واقع الأمر تطلب عقوبتها وتبالغ فيها ، تنفيسا عن غضبها ·

فليست هناك وصية · وانما هناك طلب تنفيذ عقوبة معينة · فهل تعدد الزوجات مصدر عقوبة للمرأة ؟ · ان تعدد الزوجات فى نظر القرآن رخصة · على معنى أن الاسلام يرخص للرجل بأن يتزوج ثانية وثالثة ورابعة ويجمع بينهن لضرورة تجنبه ارتكاب الفاحشة وهى الزنا · ففى سبيل الخشية من الزنا يحل الله للرجل أن يجمع بين امرأتين فأكثر الى اربع · لأنه يرى أن علاقة الزوجية علاقة علنية · فنسب الاولاد فى ظلها · واضح ··· ومسئولية الرجل فى الانفاق عليها وفى حمايتها وفى المشاركة معها فى بناء الأسرة مسئولية واضحة ·· وحقوق المرأة قبله واضحة · بينما علاقة الزنا علاقة سرية ·· ومسئولية النسب للأولاد مسئولية ضائعة ·· وكذلك المسئولية نحو المرأة التى شاركت الرجل فى ارتكاب الفاحشة غير قائمة ·

يقول الله تعالى : « **وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى** (أى ان خفتم أن لا تعدلوا في اموال اليتامى ان تزوجتم بهن وانصرفتم من أجل ذلك عنهن ·· وخشيتم الوقوع فى الزنا) **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** » (١) · ومع الترخيص بتعدد الزوجات على نحو ما جاء هنا فى الآية فانه مشروط بالعدل بينهن فى المعاملة ··· وفى الاحساس بالمسئولية نحوهن ·· وفى الانفاق والحماية لهن ·· وان لم يستطع الرجل العدل بين من يتزوج بهن أو يرغب فى الزواج منهن فيجب أن لا يزيد عن واحدة ··· والا يكون عندئذ ظالما وخارجا عن نطاق الترخيص : « **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة** » (٢) ·

وهكذا : تعدد الزوجات للرجل رخصة مشروطة ، وليس نوعا من العقوبة فيتزوج الرجل ثانية ليعاقب بها زوجته الاولى التى هى فى عصمته ·

---

(١) النساء : ٣ ·   (٢) النساء : ٣

واشاعة التبرج ـ بالكشف عن صدرها الى محيط الثديين ، بحيث تجعل منه مركزا لجذب انظار الرجل وموضعا لاغرائه والاقبال عليها · وتعرف فتحة الصدر فى لباس المرأة « بالديكولتيه » ·

والاسلام من أجل ذلك يأمر المرأة المسلمة على الخصوص أن تغطى صدرها ، تجنبا للاثارة ، ولشد أنظار الرجل اليها فتقول آية قرآنية كريمة : « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ·· » (١) ·· والخمار ما تغطى به المرأة رأسها · والجيب هو الفتحة فى اعلى الثوب يظهر منها بعض الصدر · والمعنى : وليسترن النساء المسلمات ما تكشف عنه عادة النساء اللاتى يعشن فى المجتمع المادي او الجاهلى فى اعلى ثيابهن من فتحات تبدى الصدر وجزء من محيط الثديين · وذلك يجعل غطاء الرأس متناولا لأعلى الصدر كذلك ·

والنهى عن الاختلاط أو السفور ·· والنهى عن تبرج المرأة خارج المنزل ·· والنهى عن كشف الصدر كموضع للاثارة والفتنة ، يراه الاسلام سبيلا لاحتفاظ المرأة بعفتها ووقايتها من الانزلاق الى المنكر ·

● والآن : الزوج المسلم الذى يحمل زوجته المسلمة على أن تجارى وضع المجتمع المادى أو الجاهلى فتكشف عن صدرها ومحيط ثديها ·· وتخرج من منزلها « متبرجة فاتنة » وتبدى زينتها لغير محارمها هو زوج يأمرها بما ينهى عنه القرآن الكريم ·· أى هو زوج يحملها على عدم الطاعة لكتاب الله ·

فاذا أضيف الى ذلك : أنه يلعن دين الله فهو خارج عن هذا الدين · والسيدة السائلة لها أن تطلب فراقه وانهاء عقد الزواج معه · ولا يحل لها أن تطيعه اطلاقا فيما يغضب الله ويتنافى مع رسالة رسوله عليه السلام ·

★ ★ ★

٦٤ ـ علاقة الزوج بزوجته فوق التهديد بالاساءة اليها :

مواطن من أحد المراكز ، يذكر :

انه قبل وفاة والدته تخاصمت زوجته معها · وكانت الزوجة هى المخطئة فى حقها فأوصته والدته بأن يتزوج عليها واحدة أخرى · وقالت له يحرم عليك ثديي اذا لم تتزوج عليها ·

وبعد ذلك سافر الى بعض البلاد العربية · وعندما عاد منها وجد والدته قد انتقلت الى رحمة الله ·

---

(١) النور : ٣١

والوقوع تحت اغرائه ·· والاعتزاز بالعصبية الأسرية أو الحزبية السياسية ، أو الشعوبية ، أو الطائفيــة ·· وتدافع النساء فى طريق العرض على الرجال ، وخضوعهن السريع لبريق المظاهر المادية كالثروة ، والجاه والسلطة التى تخطف أبصــارهن ·

والمجتمع الاســلامى هو الــذى يحــكم بما أنزل الله فى كتابه ·· بينما المجتمع الجاهلى أو المادى ـ فى نظر القرآن ـ هو الذى يحكم بالأهواء : « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم واحــذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فــان تولوا فاعلم أنمــا يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون · أفحــكم الجــاهلية** (وهو الحــكم بالهوى) **يبغــون ، ومــن أحســـن من الله حكمــا** (أى من كتاب الله) **لقــوم يوقنــون** » (١) ·

● ومن عادات المرأة فى الجاهلية ـ فيما مضى أو فيما هو حاضر ، أو آت:

(١) الاختلاط أو السفور · واختلاط المرأة فى العمل أو فى غيره بغير المحارم لها من شأنه أن يدفعها الى صعوبة الاحتفاظ بعفتها ·

ولذا ينصح الاسلام المرأة المسلمة بعــدم الاختلاط ويأمرها ، كوقــاية لها طالما ليست بحاجة الى الخـــروج لقضـــاء مصلحة لها · بأن تستقر فى المنزل · فتقول الآية الكريمة : « **وقرن فى بيوتكن** » (٢) ·· أى : استقررن فى منازلكن · فان كانت لهن حاجة الى الخروج فينبغى أن لا يخرجن متبرجات ·· اى فاتنـــات او مثيرات للفتنــة كمــا تضيف الآية السابقة قوله تعــالى : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (٢) ·· أى فان خرجتن من منـــازلكن فلا تخرجن منها متبرجات وعارضات لفتنتكن فى الطرقات والأماكن العــامة·

وليس معنى ذلك · أن الاســلام لا يقــرها على ان تجمل نفسها او ان تحافظ على قوامها وزينتها · هو يأمرها بالزينة لزوجها ·· ويبيح لها أن يطلع محارمها عليها : « **ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنــائهن** » ·· الخ (٣) ·

● ومن عادات المرأة فى الجاهلية أو المجتمع المادى فيما مضى أو فيما هو حاضر أو فيما هو آت : أن تعنى عناية خاصة ـ كموضع لاثــارة الفتنــة

---

(١) المائدة : ٤٩ ، ٥٠ ·　　　　(٢) الأحزاب : ٣٣ ·

(٣) النور : ٣١ ·

ارتدائه · ومعنى ذلك أنه رآها تحتشم فى لباسها وأنها محجبة ، بحيث انها لا ترى للآخرين شيئا من زينتها · وقد اعتادت ما يسمى بالزى الاسلامى منذ ثلاثة أعوام قبل خطبتها · وقد ادعى خطيبها هو أيضا أنه يصلى ·· ويحفظ القرآن الكريم ·

ولكن بعد شهر واحد من الدخول بها فاجأها : « بأنه يلعن الدين » ·· وابتدأ يطلب منها عدم ارتداء ما يسمى بالزى الاسلامى ·· يطلب منها عدم الاحتشام فى الملبس بأن تكشف عن ساقيها وبأن تبدى زينة يديها للآخرين · وهددها بالزواج عليها اذا لم تنفذ ما يطلبه منها ·

وهى تصر على أن تظل فى احتشامها ·· وأن تظل كذلك امرأة مسلمة ترضى الله أولا ورسوله · وقد خيرته بين أن يطلقها أو يتركها تلبس ما يستر عليها يديها ، بحيث لا تجرح فى كرامتها كامرأة مسلمة · ولكنه رفض · وتقول اننى لا أستطيع أن ابقى على هذه الحال · فأنا لست راضية عن نفسى · فزوجها يكره الاسلام ويحب المتبرجات · والآن ليس امامها الا أن تطلب الطلاق أو تخلع الحجاب ·

وتطلب ارشادها الى طريق الأمل الذى اصبح سرابا امام عينيها وبعد أن أحست بأن الدنيا اظلمت فى وجهها ·

● هذه المشكلة ـ وهى مشكلة الزى الاسلامى ، ومشكلة التدين على العموم بين الزوجين ، أو بين أفراد الأسرة الواحدة ـ مشكلة شاعت كثيرا · والرسائل العديدة التى تصل الينا من مختلف البلدان : تحمل وجهات النظر المختلفة بين الزوجين أو بين الوالد وبعض أولاده ·· وتطلب الحل بتوضيح رأى الاسلام فى سلوك اى من الطرفين المختلفين نحو الآخر ·

وقبل أن نعرض رأى الاسلام فى الخلاف بين الزوج وزوجته هنا ، يحسن بنا أن نذكر بعض عادات المجتمع الجاهلى الذى جاء على أنقاضه المجتمع الاسلامى بما له من قيم ومبادىء · والمجتمع الجاهلى ليس مجتمعا مضى وولى قبل الاسلام فقط · وانما القرآن يقصد بالمجتمع الجاهلى : المجتمع المادى فى كل وقت · سواء ذلك المجتمع الذى سبق الاسلام ·· أو المجتمع الآخر الذى قد يأتى بعد الاسلام وتغلب عليه ظواهر المادية · وأخصها ظواهر تبادل المنافع المادية ·· واختفاء القيم العليا فى علاقات الأفراد والناس بعضهم ببعض من التعاون والتعاطف ، والتراحم ·· وسيطرة الأنانية فى السلوك حتى بين أعضاء الأسرة الواحدة ·· والتهافت على خداع الحياة المادية : فى الملبس ·· وفى الطعام ·· وفى الاقامة والرحلات ·· والتطلع الى المال

وحل استرداد المهر من جانب الزوج يدور فى هذا الاطار وحده · وهو اطار دفع الضرر عن الزوجة بمعاشرتها لزوجها ·

● وهكذا : اذا كان الاسلام أعطى رخصة الطلاق للرجل فى حال تضرره بعشرة الزوجة أو فى حال تضررهما معا ، فانه أذن للمرأة بالخلع ان تضررت وحدها بالمعاشرة ·· كما أذن للزوج والزوجة معا فى أن يفوض الزوج زوجته فى طلاق نفسها منه فى أى وقت تشاء · وتفويض الزوج زوجته فى الطلاق يسمى « العصمة » بيد الزوجة · وجاء ذلك فى تكليف الله لرسوله الكريم بأن يخير أمهات المؤمنين زوجاته عليه الصلاة والسلام : بين البقاء فى عصمته عليه السلام مع تحمل أعباء الحياة ومشقتها التى كان يعيشها صلى الله عليه وسلم وبين الطلاق منه والاستمتاع بما فى الحياة الدنيوية من متع مادية وراء حياته التى كان يعيشها أفضل الصلاة والسلام عليه ·· جاء ذلك فى قول الله تعالى : « **يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها** (أى تردن الاستمتاع بمتع الحياة الدنيا المادية وزينتها المغرية) **فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا · وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة** (أى تردن المعاونه فى الرسالة وانجاح الدعوة اليها ، وتحمل مشاق الحياة الدنيوية فى سبيلها ، انتظارا للنعيم فى الآخرة) **فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » (١) ·· والآيتان يطلب الرسول عليه السلام فيهما تخيير نسائه بين البقاء معه وتحمل شظف العيش مع وعد الله بنعيم الآخرة لمن تبقى معه ·· وبين الخروج من عصمته طلبا لمتع الدنيا والتزين بزينتها ·

والمرأة فى الاسلام لها أكثر من طريق للتخلص من الضرر · ولعل المرأة المسلمة تعى دينها اولا قبل التحدث عن « تحرير المرأة » وطلب تقليد المرأة الأوربية فى مظاهر التحرير · وهى مظاهر تبعد المرأة عن انوثتها وعن احساسها بأنها زوجة وأم ·

★★★

٦٣ ـ عدم كفاءة الزوج فى الدين :

سيدة من احدى المحافظات ·· تشكو من انها متزوجة منذ عام تقريبا من شاب سبق له أن تزوج بغيرها وطلقت زوجته السابقة منه لنفس السبب الذى تشرحه هنا · وقد حذرت من الزواج منه غير مرة · ولكنها أكرهت من اهلها على الاقتران به · وعندما خطبها كانت ترتدى الجلباب وأقرها على

---

(١) الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ ·

يشغل نفسها : الشباب المتدين · ولذا عندما تقدم لها زوجها الحالى فى الصورة التى رسمتها لنفسها لم تراجع أمره ولم تسأل عن نشأته وتطوره· بل اندفعت الى قبوله والتصميم على الزواج منه اندفاعا سد عليها منافذ التريث وأبعد عنها مشورة الأسرة وولى أمرها بالخصوص · شأنها شأن الأخرى التى تحلم بشاب وسيم فى مطلعه ·· وترى فى مظهره ·· وتقبل عليه الدنيا فيما يبدو له من تصرفات · حتى اذا ما تقدم اليها من يشبه الصورة التى تحلم بها اندفعت لقبول خطبته والاصرار على الزواج منه ، وان كان هناك فى مسلكه ما قد يدل على أنه ليس فتى الأحلام التى تراودها صورته ·

● وزوج السيدة السائلة لم يخدعها ولم يغرر بها حتى يقال ان عقد الزواج غير صحيح لقيامه على التلبيس والخداع من جانب الزوج · فهى لم تسأله عندما تقدم لخطبتها عن مستواه فى التثقيف ، وعن وظيفته فى الشركة كما سألته بعد الدخول به عن مدى حفظه للقرآن ومدى دخله من الوظيفة ، وذهلت عندما اعترف لها بأميته فى الدين ، وبضآلة دخله المحدود من العمل· ولو أنها سألته عند الخطبة ولم يجبها بواقع الأمر كما أجاب به بعد الدخول: عندئذ يكون قد غرر بها ·· ويكون عقد الزواج قد قام على خداع وتلبيس · وبذلك يكون باطلا ·

● الزوجة لم تعد تقبل زوجها وسقطت منزلته من نفسها،وترى انه غير جدير وغير كفء لها · وعدم كفاءته لها فى مستواه الدينى والثقافى معا · ولها الحق فى أن تعتقد : أنها خسرت كثيرا بهذا الزواج · واذا استمر تضررها بعشرته وأرادت أن تفارقه فلها أن تخلع نفسها بأن تطلب من القاضى تطليقها نيابة عن الزوج ، بعد أن تتنازل عن بقية المهر لها وعن نفقة العدة التى تقرر عادة للمطلقة ·

● والخلع اجراء شرعى فى الفقه الاسلامى · وتباشره المرأة اذا تضررت هى وحدها بعشرة زوجها · وهو فى جانب الزوجة يساوق الطلاق فى يد الرجل الزوج · وجاء فيه قول الله تعالى : « **ولا يحل لكم** (أى أيها الأزواج) **أن تاخذوا مما آتيتموهن شيئا** (أى من المهر) **الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله** (أى بسبب التضرر فى العشرة الزوجية) ، **فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به** (فلا جناح ولا وزر على الزوجة فى أن تطلب خلاصها من ضرر المعاشرة بأن تقدم للزوج ماتفدى به نفسها وحريتها ·· كذلك لاجناح ولا وزر على الزوج فى أن يقبل ماتفدى به الزوجة نفسها عندئذ)، **تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون** » (١) ··

---

(١) البقرة : ٢٢٩ ·

٦٢ ـ تضرر الزوجة بعدم كفاءة الزوج فى الدين :

سيدة لم تذكر لها موطنا ، وتقول فى رسالتها :

انها متدينة · وكانت تؤمل أن تتفقه فى الدين لتكون داعية الى رسالة القرآن التى جاء بها محمد رسول الله ﷺ · وتعتقد انها لو وفقت فى الزواج برجل يحفظ القرآن ويفهم دينه : ربما تصل عن طريقه الى مستوى من التفقه يؤهلها الى الدعوة ·

وما أن تقدم لها شاب صاحب لحية يعمل باحدى الشركات حتى استجابت لخطبته رغم معارضة أسرتها فى الزواج منه · ولكن أغرتها اللحية وأمارة الصلاة على جبينه كما تقول · وبعد شهرين من الخطبة دخلت به · واكتشفت انه لا يعرف القراءة والكتابة ، فضلا عن أن يكون متفقها فى الدين كما تنشد · ولما سألته عن مؤهله الدراسى أجاب بأنه لا يحمل مؤهلا دراسيا ، بينما هى حاصلة على مؤهل متوسط · وهنا خاب أملها فى الزواج منه · وهو زيادة مستواها فى التفقه وحفظ القرآن الكريم ·

وكان وقع هذه المفاجاة شديدا على نفسها فحزنت حزنا شديدا··وتحولت ثقتها فيه الى « لا شىء » كما تحول أملها فى الحياة الى عدم · وترى أنها خسرت كثيرا بهذا الزواج : « فلم تقدر أن تواصل بنفسها الى ما تمنته من التفقه فى الدين » · ولو أنها لم تتزوج لأتمت على الأقل حفظ القرآن كله ·

وهى فى حيرة وندم · وتسأل ماذا تفعل ؟

● السيدة السائلة ركزت هدفها فى الحياة على أن تصل الى مستوى فى التدين والتفقه يؤهلها الى أن تكون داعية الى الله تعالى · وأخذت فعلا فى حفظ القرآن الكريم وفى المواظبة على أداء فروض العبادات قبل أن يتقدم لخطبتها واحد من الشبان ، بست سنوات ·

وهدفها الذى حددته على هذا النحو ، رسم لها الطريق فى المستقبل فتبنت فى نفسها : أنها تؤثر من بين من يتقدم لخطبتها الشاب الصالح المتدين · واذا كانت له لحية يكون أفضل من غيره عندها · واذا اضيفت الى اللحية أمارة أخرى كأثر السجود الذى يبدو فى جبهة المصلى ، يزداد فى نظرها قيمة من حيث صلاحيته للزواج ·

وهى اذن لا تطلب مالا وثراء ·· ولا نسبا وحسبا فيمن يتقدم اليها ، كما تطلب الكثيرات من زميلاتها فى السن وفى مستوى الثقافة · وانما الذى

ومن رسالة السائلة يتضح ان السبب عند الزوج لم يكن خشية الفقر ..فهو موسر وصاحب سعة .. كما يتضح ان الزوجة لم تكن موافقة ، وأن طبيبها كذلك لم يكن موافقا وحرمة اسقاط الجنين عندئذ تعود للزوج وحده . والزوجة كانت مكرهة اكراها أدبيا على الأقل . وكما تقول خشيت زوجها ولم تخش الله .

والله صاحب الرحمة الواسعة . والسيدة السائلة تأمل فى هذه الرحمة ولا تترقب العقاب لها ولأولادها ولأسرتها طالما تستغفر الله وتعود اليه طائعة مؤمنة .

● أما الرقابة التى تباشرها الزوجة السائلة على زوجها فتتصورها : أنها تجسس يدخل تحت ما تنهى عنه هذه الآية الكريمة : « **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا** » (١) .. وهى وان لم تكن بالمعنى المنهى عنه تماما هنا الا انها مصدر لاضطراب الانسان ومدعاة لسوء الظن والتقدير . فالتجسس المقصود فى الآية هو البحث عن العورات واكثر ما يقال فى الشر .

والسائلة نفسها تردد أمر الرقابة التى تباشرها على زوجها فى حلها وحرمتها بين أمرين ، بين تركها والاستمرار فى ممارستها . وأيا كان الأمر فسوء الظن يملأ نفسها .... وتفسيرها للظروف والأحداث قد يحملها على الاصطدام مع زوجها .

وأولى لها أن تعود الى نفسها وولديها ، وأن تشغل بالها بما يعود عليهما بالخير والنفع ، وأن تدعو الله فى الوقت نفسه بأن يوفقه الى هدايته . وربما اذا رأى زوجها منها عدم الجدل معه وعدم الاحتكاك به يعود الى نفسه فى لحظة من اللحظات فيدرك ما لزوجته من واجبات فى حياته وحياة أولاده وأسرته . والنشاز الذى تتصوره زوجته فى سلوكه الخارجى لا يدوم طويلا ، واذا طال فطوله قد يرجع الى عنادها ومخاصمتها ، وليس لرغبته هو فى بقائه خارج الخط المستقيم .

ان مثل هذه الأزمة فى الحياة الزوجية أزمة وقت تضعف وتتلاشى بعد حين اذا لم تقدم الزوجة لها باستمرار الوقود الذى يزكيها وهو وقود المشاحنة والمحاجة .

★★★

---

(١) الحجرات : ١٢

واذا كانت السائلة تبرز مشكلة الاجهاض على إنها المشكلة التى تحاصرها في حياتها فذلك لأنها هى التى تجسم القلق النفسى لديها ·

● واسقاط الجنين صورة من صور تحديد النسل ·· والجنين له فى بطن أمه مراحل مختلفة ، تذكرها الآية القرآنية فى قول الله تعالى : « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين · ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** (وهو الرحم) · **ثم خلقنا النطفة علقة** (أى دما جامدا) **فخلقنا العلقة مضغة** (أى قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ فى الفم) **فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر** (أى ينفخ الروح فيه) ، **فتبارك الله أحسن الخالقين** » (١) ·· ويأتى الحديث الشريف فيوضح المدة لكل من المرحلتين الأوليتين · يروى عبد الله بن مسعود فى قوله : ان رسول الله عليه السلام قال : « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات · ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله ، وشقى أو سعيد · ثم ينفخ فيه الروح » ··

فجنين السيدة السائلة ـ وقد مضى على حملها شهر ونصف ، كما تقول ـ لم تتصل به الروح بعد · ولذا على العموم اسقاطه ليس له حكم القتل لانسان دبت فيه الروح ··· ويبقى بعد ذلك :

١ ـ أن صحة الحامل اذا تعرضت لخطر اسقاط الجنين بقول مسلم ذى خبرة أمين · عندئذ يكون اسقاطه حراما ·

٢ ـ واذا لم تتعرض صحة الحامل لخطر اسقاط الجنين الذى لم تدب فيه الروح فاتفاق الزوجين على اسقاطه ضرورة لرفع الاثم بسبب اسقاطه· وشأن اسقاطه شأن العزل فى معاشرة الزوج لزوجته فهو حرام اذا لم توافق الزوجة ·

٣ ـ واذا توفر أن خشية الفقر هى السبب الرئيسى لاسقاطه ، وان لم تتصل به الروح فتكون جرمة اسقاطه لا تقل عن حرمة قتل المؤودة بعد ولادتها على قيد الحياة لأن السبب فى التخلص من أى منهما عندئذ عدم الايمان بكفالة الله لرزق الانسان التى يعبر عنها قول القرآن الكريم : « **نحن نرزقهم واياكم** » (٢) ··

---

(١) المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ (٢) الاسراء : ٣١

ـــ ومرة أخرى تعود فتقول : لا ينبغى أن أقف أمام القطار وأقول توكلت على الله · بل لابد أن أفكر أولا فيما سيحدث مع التوكل على الله ·

● مشكلتان الآن فى حياة السائلة :

الأولى : مشكلة الاجهاض للمرة الثالثة ·

والمشكلة الثانية : ما تشكوه من سلوك زوجها خارج المنزل كما تذكر ·

ويغلب الظن أن المشكلة الثانية هى المصدر الرئيسى للقلق النفسى للزوجة السائلة · فان الزوجة اذا لم تكن مطمئنة فى علاقتها بزوجها يســـوء ظنها فيه · ومن أســـباب اطمئنانها اذا خرج من المنزل أن يعلمها بالمكـان الذى سيذهب اليه ·· وبالمدة الزمنية التى يحتاجها لانجاز مهمته ·· وبالأشخاص الذين سيلتقى بهم ·· وبالوقت الذى سيعود فيه على وجه التقريب الى المنزل· اذ مثل هذه التفصيلات تدفع الشك الذى ينفذ الى نفس الزوجة وكل وسوسة للشيطان ، والهوى عندها · والقرآن اذ يجعل « السكنى » ـ وهى الاطمئنان النفسى ـ الهدف الأول للزوجيـــة بين الذكر والأنثى فى قوله تعالى : « **ومن اياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها** » (١) ·· ينبه الى مـا يجب أن يحرص عليه الزوجان فى العلاقة المقبلة بينهما · بأن يتوخيا أثنـاء الخطبة الوقوف على العناصر المشتركة التى تجعل من طبيعتهما طبيعة واحدة، بحيث يكون كل منهما بعد القران : عامل انسجام وألفة فى حياتهما ·

واذا كانت سنة الرسول عليه الســـلام تؤثر أن يكون اختيار كل من الزوجين للآخر قائما على أساس من التدين ـ وليس للجاه ·· أو النسب ·· أو المال ·· أو الجمال ـ فذلك لأن التدين ذاته عامل تقريب بين الطبيعتين فى الســـلوك ، وفى النظرة الى الحياة · اذ التدين يجمع الطرفين : الزوجـة والزوج ، على صراط واحد لا اعوجاج فيه ·

● والســـيدة الســـائلة تعانى من سـلوك زوجها أكثر مما تعانيه بالاحساس بالذنب بسبب الاجهاض فسـلوك زوجها الذي تتصـــور أنه غير مستقيم هو السبب فى تقديرها الذى حملها على الاجهاض رغم ارادتها ، ورغم مشورة طبيبها الخاص بعدم التخلص من الجنين · وكذلك هو السبب فى أن تراقب زوجها عن كثب ·· وفى أن تتردد فى الاســـتمرار فى مراقبته أو فى الكف عنها تاركة الأمر الى قضاء الله وقدره ·

---

(١) الروم : ٢١

ومنذ أن أسقطت جنينها الثالث أصبحت فى احتكاك مستمر مع زوجها وتعتقد كما تسجل فى رسالتها :

— انها خشيت زوجها الآن ، ولم تخش الله ٠

— وسمعت وسوسة الشيطان ٠ وفى لحظة ضعف أجهضت نفسها ٠ وتسأل نفسها :

(أ) هل سـيصيب الله ولديها بشىء لا ترضـاه ، عقابا لما فعلت من الاجهاض ، بعد أن تمنت الحمل الذى أجهضته ؟

(ب) هل سيظل زوجها على عصيانه ؟

(ج) هل سيهدم الله بيتها ويقضى على أسرتها ؟ ٠ هل ٠٠ هل ٠٠ ؟

وهى تسأل الآن :

(أ) ما الذى يمكن عمله حتى تكفر عن هذه الفعلة الشنعاء ؟ وتقصد بها الاجهاض ٠

(ب) كيف تستطيع أن ترضى ربها ؟

وتذكر انها تباشر مراقبة زوجها فى مسلكه مع البنات ، وتسأل :

هل بمراقبتها لزوجها تعصى ربها ؟ لأن الآية تنهى عن التجسس فى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا » (١) ٠

ولكنها ترد على نفسها فتقول : انها تخشى ان تركت رقابة زوجهـا ربما يتمادى فيما يفعله حسب ظنها فيه ، مع أنها لا تعلم شيئا مما يفعله ٠ وتذكر انها تتخبط بسبب هذا الشأن فى متناقضات كثيرة :

— مرة تقول : انها لا تسأله ، ولا تراقبه ٠ وتفوض أمرها الى الله وتتوكل عليه ٠

---

(١) الحجرات : ١٢

● أما اهمال الزوجة السائلة هنا لحماتها فى السنة الأخيرة معها فلا يبرره أن صبر الزوجة على السكوت عن كراهية الزوج لأهلها كاد أن ينفد ٠ وهى من أجل ذلك ترفع احتجاجها وتعلنه فى صورة اهمال لشئون أم الزوج ، وهى حماتها ٠

ان الزوجة فى السنين الماضية كانت لا تقصر فى حق حماتها ، اما بسبب تدينها واما على أمل أن تساعد رعايتها لأم الزوج : على تراخى التوتر بين الأسرتين وعودة العلاقة الزوجية الى طبيعتها ٠ واذا كان الأمل قد ضعف فى ذلك فلا ينبغى أن يضعف تدينها فلا يدفعها الى عدم رعاية انسان ضعيف فى حاجة الى الغير فى رعايته ٠ وهو حماتها ٠

وطالما الزوجة السائلة فى بيت زوجها فلا تقصر فى حق الرعاية لحماتها ولتكن آخر صورة لرعايتها كأول صورة لها منذ أن اختلطت بها ٠

أما ترك المنزل ٠٠ وترك الأولاد فليس هناك من الأسباب الاجتماعية ٠٠ ولا من الاسلامية ، ما يدعوها الى ابتذال نفسها عند زوجها ٠ وأولى أن تسأله الطلاق أولا ٠٠ فهو امتحان عملى لارادته فى تحديد العلاقة بينها وبين زوجها ٠ وقد شرع الخلع فى الاسلام لمثل وضع السيدة السائلة ٠ فهى متضررة ولا تستطيع أن تغير شيئا ما فى العلاقة التى بينها وبين زوجها ٠

★★★

٦١ ـ تحديد النسل باسقاط الجنين :

سيدة من احدى المحافظات تقول :

انها زوجة فى الثلاثين من عمرها وزوجها يبلغ الرابعة والثلاثين ٠ وحياتهما المعيشية فى يسر ورخاء ولهما ابنان ٠

وتشكو من زوجها أنه يهوى الجلوس مع البنات ٠٠ كما يهوى توصيلهم الى منازلهن أو أمكنة عملهن ٠ وقد أجهضت نفسها مرتين قبل سنتين ، بناء على ممارسة زوجها الضغط عليها ٠

وتمنت أن يرزقها الله ببنت لتكون أختا لولديها فحملت للمرة الثالثة بعدهما ٠ واستمر الحمل حتى الشهر الثانى ٠ ولكن تحت ضغط الزوج كذلك، ورغم مشورة الطبيب الخاص بعدم الاجهاض أسلمت نفسها لاسقاط الجنين ٠ وفعلا تم اسقاطه ، وله أكثر من شهر ٠

البذيئة لهما امامها · فارتباط الزوجة بالايمان بالله يزيد فى احترامها لوالديها وفى الرغبة فى الاحسان لهما · ومن يزيد فى احترامه واحسانه للوالدين يتأذى نفسيا عند سماعه لاهانة توجه اليهما ·

واذن مصير مثل هذا الزواج الى « العدم » وهو معدوم هنا بالفعل بين الزوجين منذ ظهور القطيعة والبغضاء بين اهليهما · ورباطه واه · وضعف الزوجة واستكانتها بسبب الاولاد من جانب ، وأملها فى اصلاح الحال من جانب آخر هو الأمر الذى أطال فى مدة هذه الزيجة وأبقى على شبحها حتى الآن ·· حتى يئست الزوجة فتسأل هنا عن تسريح نفسها وترك الاولاد ومنزل الزوجية ، للاقامة عند أهلها ·

● حكمة الله فى الزواج : أن جعله الله مصدرا لاطمئنان كل من الزوجين بسبب وجودهما معا ·· ومصدرا لمودتهما بعضهما لبعض ·· ومصدرا لرحمة القوى للضعيف منهما · ويقول الله فى ذلك : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » (١) · أى ولكن هذه الحكمة لا تظهر الا لأولئكم الذين يتفكرون فى خلق الانسان ويستخلصون من خلق الله لنوعى الانسان من الذكورة والانوثة دليلا على وجوده ووحدته فى الالوهية وفضله على البشر · ومن لا يعرف الله ومن لا يأخذ نفسه بدين الله يقف فى ادراك قيمة زواج الذكر بالانثى عند حد المتعة الجنسية أو عند حد النسل والولد · كما يقف فى فهم قيمة الأكل والشرب عند حد الاستمتاع بما يأكل ويشرب فقط · فاذا انتهى من أية متعة منهما لم يهتم قليلا أو كثيرا بالمصدر الذى استمتع به ·· لم يهتم بالمرأة التى عاشرها ، ولا بمن أعد له الطعام والشراب الذى تناوله ·

● وأغلب الظن اذا ما تركت الزوجة منزل الزوجية ، وتركت أولادها لأبيهم ، وأقامت عند أهلها : لا يغير من وضع العلاقة بينها وبين زوجها ·· ولا من وضع الأولاد عند أبيهم ، شيئا · فالزوج باق على كراهيته لأهلها ·· وباق على عدم احترامه لها ·· وباق على اهمال شأنها · والأولاد لا يتأثرون كثيرا ببقائهم عند أبيهم فى حال عدم وجود والدتهم بينهم · فهم سبعة أولاد · ومنهم من بلغ سن العشرين · بالاضافة الى أن علاقة أبيهم بأمهم ـ وهى على نحو ما رأينا من السوء لمدة تزيد على العشرين عاما ـ لا تتيح لوالدتهم أن تفعل لهم من الرعاية ما تريده هى لهم · اذ يبدو أن له السيطرة فى المنزل وفى التوجيه · والأم اذا كانت مهملة من أبيهم فارادتها مشلولة حتى مع الأولاد ·

---

(١) الروم : ٢١

وبدلا من أن تكون العلاقة الزوجية مصدرا لقوة الترابط عن طريق المصاهرة أصبحت علاقة أسرتها بأسرة زوجها فى غاية السوء والقطيعة · وذلك منذ الدخول بها ·

وقد تحيزت الى أهل زوجها الآن قرابة عشرين عاما ، وباشرت كل سبيل لارضائهم وابعدت عنها كل تأثير لوالديها ضد زوجها أو ضد أهله · وقبلت هذا الموقف حتى تتمكن من مباشرة التربية والتوجيه لاولادها السبعة ·

ورغم موقفها من اهلها فان زوجها شديد الكراهية لهم ولا يطيق أن يراهم عنده فى منزل الزوجية لزيارتها · اذ عندما يأتى واحد منهم الى منزله يامرها بالخروج من المسكن ولقائه فى الشارع · وينهال عليها بالسباب والشتائم وأمام سكان المنزل · وفى شتائمه يقذع ويبتذل فى صورة تنم عن البغض الشديد لها ولأهلها ·

وتسأل سؤالين :

اولهما : انها منذ سنة ابتدأت تعامل حماتها معاملة تنطوى على الاهمال وعدم الاهتمام بشأنها ، وليس كما كان الوضع قبل ذلك اعلانا عن احتجاجها ضد أهل الزوج · فهل هذه المعاملة يحرمها الاسلام ؟ أى هل يحرم الاسلام ان ينتقص من اهتمامها بوالدة الزوج وهى سيدة كبيرة السن ، وربما لا دخل لها فى مقاطعة الاسرتين بعضهما لبعض ؟ وانما لانها ضعيفة لكبر سنها ولا تستطيع مواجهتها فى اهمالها ·

وثانيهما : ماذا تصنع ؟ هل تترك لزوجها المنزل كما تترك له الاولاد وتمشى لحال سبيلها عند اهلها ؟

● الزوجة السائلة هنا متدينة · ومن أجل ذلك تنكر على زوجها عدم تدينه ·· عدم ادائه العبادات ·· وعدم تهذيبه فى المعاملة ·· وعدم احترامه لزوجته ·· وعدم رعايته شأنها اذا ما مرضت ·· تعيب عليه كثرة الحلف بالطلاق وبالله كذبا وباطلا ·· تعيب عليه تبجحه فى نظرته الى النساء ·

والفجوة اذن بين الزوجين واسعة ·· والزواج لا يستطيع التقريب بينهما · فلا يستطيع أن يحول الزوج الى انسان مهذب متدين ، مؤمن بالله يرعى مسئوليته امام زوجته واولاده وأهله · كما لا يستطيع ان يبعد الزوجة عن تدينها ، ويحيلها الى انسان يسعد بقطيعة الأهل وعقوق الوالدين التى اجبرت عليها وبالكراهية لهما ، التى يعبر عنها الزوج فى سبابه وشتائمه

والسائل اذا كان لا يملك ، وخطيبته لا تملك أيضا ، وكلاهما متدين فالاولى لهما : أن يكتفيا اكتفاء ذاتيا ، ويتخذا من « المهر » سبيلا الى الرغبة المتبادلة فيما بينهما · وليكن المهر أى شيء ولو كان قليلا ·

وطلب السائل من ابيه : أن يدفع له المهر ، ربما يحرج فيه · لأن الوالد ليس مكلفا بالنسبة لاولاده : أن يدفع مهورهم · وان سبق له أن دفع لبعضهم ·

● والودائع التى يشارك بها البنك فى مشروعات استثمارية وتحقق ارباحا تدخل فى صميم المضاربة الاسلامية · والمضاربة بالمال نظير جعل معين ، يقرها الاسلام · والمضاربة تقوم على وجود خبرة فى تحريك رؤوس الأموال · وهى متوفرة فى البنك · كما تقوم على وجود مال لا يستطيع اصحابه النزول به فى سوق الاستثمارات · وهو الممثل فى الودائع ·

والمال اذا كان فى التجارة ·· أو فى المضاربة ·· أو فى الحساب الجارى ، وبلغ نصاب الزكاة ، وحال عليه الحول ، أى مضى عليه عام ، فالزكاة عنه واجبه الاداء ·

★★★

٦٠ ـ الزوجة ·· وسوء العشرة من الزوج واهله :

سيدة لم تشر الى موطنها ، تذكر :

انها متزوجة منذ اثنتين وعشرين سنة · وكان عمرها اذ ذاك خمسة عشر عاما ، ولم تتزوج عن رغبة منها · بل ارادة والديها هى التى حملت على عقد الزواج بينها وبين زوجها ·

وبعد أن دخلت به عرفت انه لا يصلى ·· وانه يسب الدين ·· وانه انانى كثير الحلف بالله وبالطلاق كذبا ·· وانه لا يتعفف عن النظر الى النساء نظرة منكرة ·· وانه لا يحترمها كزوجة ولا يرعى مصلحتها · حتى اذا مرضت أنكر عليها المرض · وتمنى لها الموت العاجل ·

وقد انجبت منه سبعة اولاد : ثلاث بنات · واربعة ذكور · واكبرهم له من العمر عشرون عاما ·

فموقف الوالد أو ولى الأمر يختلف فى عقد القران بابنته عنه فى عقد القران بابنه · فاذا أوجب فى بعض المذاهب الفقهية وجود الولى فى عقد نكاح البكر، فانه بالنسبة للولد على أية حال اكتفاء ذاتى بوجوده ·· كطرف فى العقد ·

● والمهر فى الاسلام تعبير فى رغبة الرجل فى المرأة ·· وعن أنه طالب لها وهى مطلوبة له · وما يقال عنه : أنه ثمن لمعاشرة المرأة فالآية القرآنية التى تقول « **وآتوا النســـاء صـــدقاتهن** (أى مهورهن) **نحلة** (أى عطية وهدية) » (١) ·· هذه الآية تصرح بأن المهر عطاء من الرجل للمرأة كهدية لها · ولذا لا يسترد الرجل منه شيئا الا عن طيب خاطر منها : « **فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئـا** » (٢) ··

والمغرضون ضد الاسلام يصورون المرأة المسلمة على انها سلعة كمـا يصورون المهر بأنه ثمن · وهكذا : المرأة تباع وتشترى · ومهرها هو قيمتها كسلعة · يكون كثيرا ، كما يكون قليلا ، حسب منزلة أسرتها ، وحسب جاهها وثرائها · وهذا التصوير أصبح من الأسف تقليدا فى أسرنا المسلمة · وأصبح المهر من أجل ذلك عائقا لكثير من الزيجات ·

يروى أنه جاء رجل من اصحاب رسول الله ﷺ وطلب الزواج بامـرأة كانت عنده · فسأله عليه السلام عما معه فلما لم يجد لديه شيئا سأله ثانية عما معه من القرآن قال : معى سورة كذا وسورة كذا ـ عـددها ـ · قـال : اتقرؤهن عن ظهر قلب ؟ قال : نعم · قال : « اذهب فقد زوجتكهـــا بما معك من القرآن » ·· فأجاز الرسول عليه السلام ان يكون مهر المرأة تعليمها بعضا من كتاب الله · مما يدل على أنه ليس ثمنا لبضع المرأة ·

·· ونظرة الاسلام الى المهر تسمو فوق الماديات ·· فالمعروف فى الدراسات النفسية : ان المرأة حرصها على طلب الرجل ربما يكون أكثر مـن حرص الرجل على طلب المرأة · فالمرأة فى تكوينها لديها غريزة « الامومة » وهى الغريزة التى توجهها نحو اللقاء بالرجل · فاذا طلبت المرأة الرجل طلبـا صريحا سقط حياؤها وجرحت أنوثتها · فكان المهر من جانب الرجل كاعلان على أنه الطالب للمرأة · وبذلك يحفظ لها حياءها ، ويوفر لها كرامتها كأنثى وتقترن بزوجها وقد استقر فى نفسها : أنه هو الذى سعى اليها وطلب يدها · ولا تحس باحساس النقص وهو الحاجة الى الرجل ·

---

(١) النساء : ٤ (٢) النساء : ٤

والرسول عليه السلام قدوة للمؤمنين · وهو هنا فى أدائه للعبادات ـ وهى واجبات على المؤمنين متوازن ، وليس متطرفا فى اداء أى منها ؛ على نحو ما كان عليه هؤلاء الثلاثة فى صلاتهم ، وصومهم ، ومعاشرتهم للنساء ·

والأم السائلة يجب عليها أن تصبر فى وحدتها · فابنها سيعود اليها ساعة ما ، وسيؤنسها بزيارته· فتدينه دليل على صلاحيته وأهليته لعمل الخير · وأزمتها الآن أزمة وقت ·· وأزمة استغراق فى صحبة الشيخ ·ولكنها ستنتهى حتما ان شاء الله ·

أما سكناها فى بيت المسنين فقلما يعوضها عن زيارة ولدها لها · بل ربما يزيد فى وحشة وحدتها وهمومها ·

★★★

٥٩ـ ولاية الأب فى زواج الابن :

مواطن ، من القاهرة يقول :

انه كان جاهلا لدينه فهداه الله واستقام فى سلوكه ، بسبب رجل تعرف عليه وعلمه دين الله · وهذا الرجل له بنت وعلى قدر من الجمال ، وعلوم الدين ، وحفظ القرآن الكريم · وهى محجبة ولكنها فقيرة · فخطبها ورفض أبوه خطبتها لفقرها ، بينما وافق والدها وأعلن مساعدته على اتمام الزواج منها ·

ويرى السائل : أن جميع الصفات التى يطلبها فى زوجة له ؛ متوفرة فيها ·· ويسأل :

(أ) هل يكون قد عصى والده ، ان هو تزوج بها بغير رضا منه ؟ ·

(ب) هل يباح له أن يطلب المهر من أبيه ، كما فعل اخوة له من قبل ؟

(جـ) وما هو الحكم الشرعى لو أعطاه والده المهر من مال يودعه والده فى البنك بفائدة ولا يخرج عنه الزكاة ؟

● من الأفضل أن يحصل السائل على موافقة والده للزواج ممن اختارها ليس لأن موافقة الوالد على الزواج منها شرط أساسى فى صحة عقد القران بها ولكن فقط تجنبا لغضبه وحرصا على الاحتفاظ برضاه تكريما له·

● والتدين قبل كل شيء توازن فى الواجبات والحقوق · فالذى يوفى ببعض الواجبات دون بعض ، وببعض الحقوق دون بعض ويبالغ فى أداء ما يوفى به ، كما يبالغ فى اهمال ما لا يؤديه من الواجبات والحقوق : هذا الذى يفعل ذلك يكون غير متوازن ·· وبالتالى يكون غير متدين على الوجه المطلوب ·

للأم حقوق ·· وللرفقة والصحبة حقوق · فاذا بالغ الولد فى اداء حقوق الرفقة للشيخ الذى تعرف عليه ، بحيث يهمل فى حقوق الأم : يكون تدينه معطلا فى جانب رئيسى فى حياته · وهو جانب الأقربين وأولى الرحم ·

واهماله فى حقوق الأم أشد اثما وعصيانا عند الله من اهمال الشيخ وصحبته · فاذا زاد فى اداء هذه الصحبة مع التغاضى كلية عما يجب للأم تكون مبالغة واضحة ويكون تطرفه غير مقبول عند الله ·

والشخص الذى لا يكون متوازنا فى تدينه ·· الشخص الذى يكون متطرفا فى أداء ما يؤديه من حقوق وواجبات ، وفى اهمال ما يهمله منها : هو فى الغالب ضعيف فى ايمانه لا يستطيع تخليص حركته الارادية من تأثير بعض العوامل التى شغلت حجما كبيرا فى نفسه · والابن الذى تشكو منه أمه صاحبة هذه الرسالة يقع الآن تحت تأثير التوجيه الذى يمارسه شيخه الحالى معه · ولذا هو منصرف كلية اليه · وهذا الانصراف الكلى الى شيخه هو الذى يحول بينه وبين زيارة أمه · ومع ذلك لا يدل انصرافه على معنى أنه مقاطع لها ·· أو أنه لا يحبها ولا يحترمها ·· أو أنه لا يرغب فى السعى لخيرها · هو متدين ولكن فى ذاته ضعيف يميل به الى هذا الجانب من التدين أو الى ذاك ·· واذا مال الى جانب استغرق فيه · وبهذا الاستغراق ·· يبدو عجزه أو تقصيره فى جانب آخر ·

ولأن التدين هو التوازن ·· ولأنه يقوم على قوة الايمان التى تساعد على استقلال ارادة المؤمن عند اداء الحقوق والواجبات ، يروى عن رسول الله ﷺ :

أن عليا وعبد الله بن عمرو ـ وعثمان بن مظعون ، جاءوا الى بيوت زوجات الرسول عليه السلام يسألون عن مستوى عبادة الرسول عليه السلام ومدى درجتها فى الأداء · ثم قال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله اليهم فقال : « أنتم الذين قلتم : كذا ·· وكذا ؟ أما والله : انى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له : لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » ··

٥٨ـ اهمال الابن لأمه :

سيدة لم تذكر لها موطنا ، وتقول فى رسالة لها كأم :

ان لها ابنا وحيدا ، كان يزورها كل يومين فى الأسبوع · ولكن هـذه الأيام لا يحضر الى منزل والدته · وتبين انه يعيش مع أحد الشيوخ فى أحـد الأحياء ، واحتفظ بمسكنه الذى يتكون من أربع غرف وصالة وايجاره الشهرى خمسة وثلاثون جنيها ـ وهى وحيدة وليس لها غيره ·

وتسأل !

١ ـ ما رأى الدين فى اهمال الولد لأمه والاقامة عند هذا الشيخ ؟

٢ ـ هل تترك منزلها وتقيم فى بيت المسنين ، حتى يعود لها ويترك الشيخ كذلك ؟

٣ ـ وكيف يكون متمسكا بالدين تمسكا قويا ، وفى نفس الوقت يهمل أمه ، وهذا يخالف الدين ؟

٤ ـ انها لا تشكو من النفقات والحاجة المادية ولكن تشكو من الوحدة ·

● كما يتضح من رسالة السائلة :

انها وحيدة فى معيشتها وفى مسكنها ·· وأن ابنها الوحيد يستقل بسكن خاص غير سكن والدته ·· وأن الله أغناها عن الحاجة الى المال ، سواء من ابنها أو من غيره ·

كما يتضح أن ابنها متدين وشديد التمسك بالدين ·· وأنه تعـرف على أحـد الشـيوخ ووثق به ، بعد أن أنس اليه ·· ويعيش فى رفقة معه الآن ، وسعيد بصحبته · ومن ثم ترك مسـكنه الخاص ليعيش معه ، فنسى والدته وتركها فى وحدتها ، أياما بعد أيام · وهنا كان تساؤل الأم : أين ابنها ؟ ·· وهل من الدين تركها وحدها دون أن يزورها من وقت لآخر ؟ وهل من الدين أن يؤثر رفقة انسان معلم له على التردد على والدته ·

انها تعيش فى بيتها الخاص على أمل أن يتردد عليهـا ابنهـا · فاذا انقطع عن زيارتها فأولى لها أن تخرج من هذه الوحدة المؤلمة ، الى بيت أهل بمن له نفس ظروفها : لكبر السن ، أو لعـدم وجود الرحم والأقـرباء كمـا تتصور ·

والمنكر ، **ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** » (١) ·· فيأمره باقامة الصلاة التى يترتب على أدائها أداء سليما ان يحول اداؤها دون الفحشاء والمنكر ·· وفى مقدمة المنكر . عدم اداء الأمانة الى أهلها يأمره بالصلاة لانها الدعامة الأولى فى الاتصال بالله جل شأنه وعن طريق الاتصال بالمولى جل شأنه فيها يبتعد المصلى عن كل مستقبح من الأعمال وعن كل ما يضر بالآخرين ·

فاذا كان الوالد يصلى ولا يؤدى الأمانة لصاحبها فصلاته ركوع وسجود فقط ، ولا ترقى الى مستوى الاتصال بجلال المولى سبحانه · ولذا لا ينجح المؤدى لها فى تجنب الفحشاء والمنكر · وبالتالى ثقة الابن فى أبيه لأنه يصلى ثقة تقوم على خداع ·

وهيهات أن يتشجع الابن هنا ويواجه أباه مواجهة صريحة وحازمة فى طلب رد الأمانة الى زوجته أو فى الامتناع عن تسليم راتبه ، وفى البقاء فى المنزل مع زوجته رغم الاهانة وسوء معاملة الزوجة ·

ولا يبرر موقف السائل من الأمانة التى لديه لزوجته : انه مستضعف لوالده ·· اذ عليه التخلص من هذا الاستضعاف فيهجر والده أولا · فالقرآن لا يرى الاستضعاف مبررا على الاطلاق فى رفع الذنب عمن استضعف عندما يرتكب ذنبا · يقول الله تعالى : « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا** » (٢) ·

فالذين لم يؤمنوا بالله تحت ضغط زعمائهم وكبار القوم فيهم لهم نار جهنم عقابا لهم على عدم ايمانم · اذ كان بامكانهم أن يهاجروا بايمانهم فى أرض الله الواسعة ···· وبالهجرة يتجنبون الكفر والوقوع تحت تأثير الزعماء ·



---

(١) العنكبوت : ٤٥ (٢) النساء : ٩٧ ·

ويقول الابن السائل والزوج الحائر : ان هذه المشكلة منذ ١٩٧٦ وهو صابر وتائه وضميره يؤنبه · وفى سؤاله يقول :

ماذا أفعل بالله عليكم ؟ انى لا أستطيع أن أشكو أبى · انى أدعو الله ان ينتقم من الظالم · ولى أمل أن تفيدونى فى هذه المشكلة ·

● الأب مستضعف ابنـه :

(أ) يطرده من المنزل عندما يعلم أنه تزوج امرأة لم يوافق على زواجـه منها مقدما ·

(ب) يدعوه من جديد الى المنزل فيستجيب الى السكنى فيه مع زوجته ، رغم موقفه السـابق منه ومن زوجته وهو موقف ينم عن عـدم احترامه وعدم اعتبار أنه شخص له كرامة ما ·

(جـ) يطلب منه المبلغ الباقى لديه من ثمن المنزل الذى كانت تملكه الزوجة بالقاهرة وينكر انه فى ذمته مرة ، ويماطل فى دفعه مرارا ، لمدة خمس سنوات الآن · ويبرر موقفه بأنه يريد أن ينتقم من الزوجة ، لانها تزوجت من ابنه بدون موافقته هو (الأب) ·

(د) يحصل على مرتب ابنه ـ وهو ضئيل فى ذاته ـ ولا يعطيه منه الا المصروف الشخصى وهو قليل ·

(هـ) ومن ضـعف الابن أمام أبيـه : أنه لا يراجعه فى شىء ، حتى فى أجره من الوظيفة وحتى فى المعاملة السيئة لزوجته التى يباشرها والده معها ، وحتى فى مالها الذى هو أمانة عنده ·

● ولو كان الابن قويا لما استطاع والده أن يعامله هذه المعاملة المهينة ، هو وزوجته ·· ولما استطاع أن يتحكم فى مصيره ومستقبله ، عـلى هـذا النحو الذى يقع منه الآن ·

لو كان قويا لما حبس لديه مال الزوجة ، وهو أمانة تسلمها عن طـريق خادع · وهو الوعد باقامة منزل لها ولزوجها ·

واذا كان الابن يثق فى والده لأنه يصلى فقد اتضح الآن : أن صـلاته بمعزل عن سلوكه · والقرآن الكريم اذ يأمر رسوله عليه السلام بقوله : « **اتل ما أوحى اليك من الكتـاب وأقم الصلاة ، ان الصـلاة تنهى عن الفحشـاء**

سبيله • وما هذا هو الحب الذى يؤسس علاقة زوجية ترتفع فوق المشاكل والخلافات وفوق الشدائد التى قد تطرأ على حياة الزوجين •

والسائلة الآن هى الشخص الوحيد الذى يقدر مدى الصلة الانسانية بينها وبين خطيبها ، بعد أن اتضح ان الأسلام ، بما يقوله الفقهاء عن الكفاءة الزوجية ، لا يقف فى طريق اتمام العقد عليه •

★★★

٥٧ـ سوء معاملة الوالد لابنه :

حائر من احدى المحافظات ، يشكو :

من أنه فى سنة ١٩٧٦ تزوج من امرأة مطلقة ، رأف بها وراعى ظروفها• وبعد أن علم والده بهذا الزواج طرده من المنزل وسكن بها فى مكان بعيد عن بلدته بحوالى خمسة عشر كيلو مترا ، رغم أنه موظف صغير بجوار بلده •

وقد اقترح على زوجته أن تبيع المنزل الذى ورثته عن أبيها بالقاهرة وتشترى بدلا منه منزلا فى بلدته • واستجابت لرغبته وباعت ما تملك بألف وخمسمائة جنيه • وأنفق من المبلغ خمسمائة جنيه على شراء أثاث ، ومئتى جنيه أخرى نفقات ضرورية لقصور الأجر الذى يحصل عليه فى سد نفقات الزوجية •

وفجأة اتصل به والده ودعاه الى السكنى من جديد بمنزل العائلة هو وزوجته الى أن يقيم له منزل بالمبلغ الباقى وهو ثمانمائة جنيه • وتسلم هذا الباقى وأصبح فى ذمته •

ثم مرت الأيام ولم يفعل أبوه شيئا • ولما سأله عن المبلغ أنكره ، ورغم أنه رجل يصلى ويعرف الله ـ كما يقول ـ وهكذا : أصبحت زوجته لا تملك شيئا ، بعد أن استأمنت زوجها على ثمن المنزل الذى ورثته عن أبيها ، وبعد أن استأمن زوجها والده بدوره وكلاهما يصلى !!

وطولب الأب مرة أخرى بمال الزوجة الذى هو فى ذمته فأجاب بأنه أخذه انتقاما منها لأنها تزوجت بابنه رغم معارضته هو ومع مماطلته فى رد هذا المبلغ اليها لم يزل يعاملها معاملة سيئة وهى صابرة ولا تتكلم عن هذا الموضوع اطلاقا • كما لم يزل يحصل على المرتب الصغير الذى يأخذه ابنه أجرا على عمله فى وظيفته ولا يترك له منه الا المصروف الشخصى وهو قليل•

أدنى منها نسبا ، أو حرفة أو مالا وثراء جاز العقد من غير أن يكون هناك تكافؤ بينهما · ويروى عن بريدة قوله : « جاءت فتاة الى رسول الله ﷺ فقالت : ان أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته (أى ما به من نقص فى نسبه) قال : فجعل الأمر اليها (أى خيرها فى أن تفسخ عقد الزواج به لأنه غير كفؤ لها) فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردت أن أعلم النساء : أنه ليس الى الآباء من الأمر شىء » ··

وكانت أخت عبد الرحمن بن عوف تحت بلال الحبشى · وهكذا ·· الكفاءة فيما وراء الاسلام الذى يجب أن يكون الرجل مؤمنا به اذا أراد الاقتران بمسلمة ، يقصد بها : أن لا تكره المرأة على قبول من هو أدنى مستوى منها ، سواء فى النسب ، أو الثراء ، أو الحرفة والمهنة · ولكن اذا قبلت هى أن تتزوج بمن هو أدنى منها مستوى فى أى أمر مما ذكر فالرأى رأيها · اذ لا غضاضة ولا حرمة فى أن تختار المرأة من ليس كفؤا لها · وذلك هو رأى الشافعى ·

والسائلة هنا اذا وافقت على أن تتزوج من صانع وهى تحمل المؤهل المتوسط فى التجارة ، وخالفت بذلك رأى ولى أمرها ، فعلى الولى أن يتم عقد قرانها بمن ارتضته · اذ هو أمين عليها · ويوم أن يشترط شروطا معينة باسم الكفاءة الزوجية ، انما يصنع ذلك محافظة عليها وعلى احساسها ، حتى لا يكون مقصرا فى شأنها وحتى لا تتصور : أنه يكون قد ظلمها وأكرهها على أمر لا تريده ·

● والأمر الثانى الذى تتحدث عنه السائلة هنا هو « الحب » والحب بين الرجل والمرأة : اعجاب كل منهما بالآخر وانسجامهما معا فى كثير من مجالات الحياة أو مجالات السلوك · وهو مقابل للكراهية · وهى النفرة وعدم الانسجام بين كل منهما ·

فهل السائلة استخلصت من صفات الرجل الذى يتقدم لها الآن أنه الحبيب الذى تستمر معه العلاقة فى وفاق وانسجام ، مع ما قد يطرأ من أزمات أسرية بينهما ؟ أم أن « الحب » الذى تتحدث عنه الآن نزوة عابرة ورغبة جامحة فى لقاء كل منهما بالآخر ، تفتر بعد حين ؟ وربما تتحول الى نفرة ثم الى فرقة ؟

الشباب فى مجتمعاتنا يتحدث عن الحب · وما يتحدث عنه الشباب هنا يتحدث عن ميل نفسى تحت اغراء جنسى يدفع كلا منهما نحو لقاء الآخر · فاذا تكرر اللقاء انطفأت جذوة الحب ، وربما ينصرف كل منهما الى حال

رغم أن الفتاة مقتنعة به جدا وتجد فيه من الشـــهامة أكثر من أولئكم الذين يجلسون على المكاتب يقرأون الجرائد · وترى انه اذا كان اليوم عاملا صغيرا فغدا قد يصبح صاحب ورشة كبيرة باذن الله · وبالحب سويا سيكون النجاح حليفهما · هكذا تقول · وتسأل عن رأى الاسلام :

(أ) هل تتزوجه وتسعد بالحياة الهنيئة معه وبالتفاهم والصدق ؟ أم تبتعد وترضى أهلها ؟

(ب) وهل حقا لا يليق بها وهى تحمل مؤهلا متوسطا ان تتزوج صانعا؟ وماذا فى ذلك ؟

وهى تريد أن لا تقدم على شىء تندم على وقوعه بعد · ومرددة الآن بين خشيتها من تركه وعندئذ لا تجد عوضا عنه ، وبين خشيتها من الله ان هى اغضبت أهلها ·

وترجو منا توجيه كلمة الى جدها !!

● تتحدث السائلة هنا عن أمرين :

الأمر الأول : الكفاءة بين الزوجين ·

الأمر الثانى : الحب كرباط بينها وبين من يطلب يدها كزوجة له ·

● الشائع اليوم : أن الحرفى أو من لا يحمل دبلوم أو درجة جامعية ليس كفؤا لمن تحمل أيا منهما ·

فاذا كانت البنت تحمل دبلوما فى التجارة وتقدم لها صانع أو صـاحب حرفة ·· ولا يحمل نفس المؤهل فهو فى نظر أسرتها ـ وفى نظر كثيرين ـ غير كفؤا لزواجها · ومعنى أنه ليس كفؤا اذا عقد وليها قرانها عليه واعترضت هى فان الزواج به يرد ويفسخ العقد ·

وتحديد الكفاءة فى الفقه الاسلامى استقر رأى كثير من الفقهـاء على أنها الكفاءة فى الدين ، أى يكون الزوج مسلما اذا كانت مسلمة · وقد يضاف الى الدين كركن أساسى فى معنى الكفاءة الزوجية : النسب ، والصناعة · على معنى أن يكون بين الزوجين تكافؤ وتناظـر فى الدين · وفى النسب ·· وفى الصناعة والحرفة · وما يقال عن الكفاءة بعد الدين من : نسب ، وصناعة ، وثراء ·· الخ ·· مرهون برأى المرأة التى ستتزوج · فاذا رضيت بمن هـو

من عنت ·· وبغض وكراهية ·· وسخرية واستهتار فى معاملته : لاشك أنه أثر للاندفاع فى الاختلاط والاتصال برجل آخر يحل محل الزوج المتغرب المكدود ·

● ولو أن أسرة الزوجة لم تقصر فى شأنها وأشارت عليها فىبداية العلاقة بالأجنبى عنها : بعدم الاستمرار فيها ·· وذكرتها بطفلها الذى يجسم العلاقة الثنائية بينها وبين زوجها المغترب ·· ولو انها فعلت ذلك ربما عادت الى صوت الضمير الذى يناديها بانتظار الزوج والمحافظة على حرمته فى المال والعرض · فالاسلام يثنى على المرأة التى تحفظ غيبة زوجها فى شرفها وعرضها ·

● ولو أن زوجها عندما سافر الى الخارج أخذها فى رفقته وأقام معها المدة التى قضاها هناك ، وعادا سويا الى القاهرة ، لشغل فراغها النفسى الذى استغلته فى غيبته للاتصال برجل آخر · ولكنه القدر لا مهرب منه · وليحاول مرة أخرى مع أهلها ومعها اعادة المياه الى مجاريها · وليكن الطفل بينهما مصدر تقرب لكل منهما نحو الآخر ·

وأما الطلاق فهو الحل الأخير للأزمة · وليعتبر السائل ان الله قد ابتلاه بهذه الزيجة ولذا فعليه أن يصبر · والله سيجازيه على صبره ، بحيث يطمئن باله على نفسه وعلى ولده ·

★★★

٥٦ـ تنازل المرأة عن الكفاءة الزوجية :

آنسة لم تشر الى موطن معين وهى تروى عن نفسها :

انها فتاة فى السابعة عشرة من عمرها · وانها تعرفت على شاب يحترف حرفة الخياطة · ويتميز بأخلاقه الحميدة والكريمة · وهى حاصلة على دبلوم التجارة ·· ووالدها متوفى وتزوجت والدتها غير أبيها وهى لم تزل بعد فى سن الرابعة

تقدم الشاب لخطبتها وطلب يدها من جدها لأبيها الذى تعيش معه ومع جدتها لأبيها كذلك · وقد رفض الجد بحجة أنه حرفى ، بينما تحمل هى مؤهلا متوسطا وهو دبلوم التجارة · والحرفى ليس له مستقبل ولا يشرف أسرتها أن ينضم اليها ليكون واحدا من أفرادها ·

وربما ترجع مثل هذه الشكوى الى الخطأ فى فهم العلاقة الزوجية نتيجة للخطأ فى النشأة والتربية • فالمرأة تفهم الزوجية على أنها مرحلة فى حياتها تكفل لها المعيشة الرتيبة وتحقيق ما تسميه بأحلامها فى المتعة وطمأنينة النفس ، فى ظل رجل يظلها بظله فى غير عناء منها •

وقلما تنشأ المرأة على المشاركة فى المسئولية وتحمل المشقة فى بعض الأزمات التى قد تعترض سبيل الزوجية •

فالسائل يسافر للعمل الى احدى الدول العربية وهو يبغى من وراء سفره وعمله هناك : أن تكون له بعض المدخرات يمكن أن يواجه بها بعض العقبات التى قد تصادفه فى تكوين أسرته وبالأخص بعد أن ينجب أولادا • وهذه الرغبة من الزوج كان يجب أن تقابل بحرص من الزوجة على بقاء العلاقة الزوجية مع زوجها سليمة لا يدخلها أجنبى عنهما •• ونقية لا يعكر صفوها اختلاط بالغير •

ولكن يبدو أن الزوجة الشابة انتهزت فرصة غياب زوجها •• ويعلم الله انه كان يتحمل كثيرا من المتاعب فى غربته •• لتتعرف على غيره كى يعوضها من المتعة ما فقدته فى غياب رجلها • وتستمرىء ما تتلقاه منه كل شهر للانفاق على بيت الزوجية • وهكذا •• لم تسأل عن تدبير المال • وانما سخرت ما يأتيها من مال حلال فى علاقة غير مشروعة مع غير صاحب المال الذى تغرب واحتمل المشقة فى سبيل اسعاد أسرته : زوجته وولده •

ولذا كانت المفاجأة للزوج عند عودته : مفاجأة عدم الترحيب به من الزوجة •• وهكذا : مفاجأة صده وعدم الرغبة فى معاشرته •• مفاجأة اعلان عدم حبها له •• مفاجأة اعلان أنها تحب رجلا آخر ، ولذا تطلب الطلاق لتنتقل اليه • أما ولدها منه فلا يهمها مستقبله • وأما حملها بولد آخر فى شهره الرابع فمصيره لا يعلمه الا الله • وأما السكن الذى تعب الزوج فى تأثيثه فيجب على الزوج أن يترك لها الأثاث ونصف الحجرات ـ تطبيقا لقانون ، كما تقول : استحدث لعلاج المنازعات الزوجية !! •

● والنزوع الى الاختلاط فى الأسرة المسلمة وبالأخص منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ـ نزوع قوى : وقد زادت من حدته ما يسمى بثورة تحرير المرأة ونتيجة لاندفاع المرأة المسلمة الى الاختلاط لم ينكشف لها تأسيه بعد • وفى الوقت نفسه لم تأخذ العبرة من آثاره فى المجتمعات التى توصف بالمتطورة • وما يشكو منه السائل هنا •• وما تواجه به الزوجة زوجها

الاسلام علاج لمن يتقبل هدايته · وقبول هداية الله يؤسس على الايمان بالله ··· والايمـــان بالله ارادة بشرية · فهل لم يزل عند السائلة بقيـة من ارادة ؟ ·

***

٥٥ ـ اهمال الزوج لزوجته فى المعاشرة :

ميكانيكى سيارات يسكن فى احدى الضواحى ، يروى :

أنه يبلغ من العمر واحدا وثلاثين عاما ، وتزوج بفتـــاة عمرها خمس وعشرون سنة · وأنه بعد الزواج سافر وحده الى احدى الدول العربية للعمل فيها لمدة عام · ثم عاد ليجد زوجته على غير ما كان يرتقب منها · وبعـد مضى خمسة عشر يوما على وصوله الى مصر طلبت منه تجديد الأثاث وتغييره فاستجاب لرغبتها ·

ومع ذلك ابتدأت تسخر منه بألفـاظ غير مهذبة ·· كما أخذت تعبر له عن كراهيتها له وبالأخص وقت المعاشرة الزوجية ان أعطته الفرصة وسمحت له بها · وقلما كانت تسمح له بها ·

وأخيرا صرحت له بانها تحب رجلا آخر غيره ، رغم مضى خمس سنوات حتى الآن على الزواج بها · وقد أتت بولد له · وهى حامل الآن فى شـهرها الرابع · وكثيرا ما تترك منزل الزوجية الى منزل أسرتها لتعيش مع ولدها هناك أطول مدة ممكنة · فاذا عادت اليه تعود لوقت قصير تذهب بعده الى منزل الأسرة · وهكذا ·· لا يعـــرفها زوجة ولا يمـكن من رؤية ولده الذى تصحبه معها ·

وقد طلبت منه أن يطلقها ويتنازل لها عن الأثاث ونصف السكن طبقـا للقانون الجديد ـ كما تقـــول ـ وهو يرفض ما تطلب · وأعلنها بالطاعة · ويرجو الافادة فى شأن هذه الزوجة التى تعصى زوجها وتعصى كل من يدلها على الخير ·

● شكوى هذا السائل الحرفى ليست الوحيدة فى بابها · وانما هى شكوى كثيرين من الشبان بعد أن يدخلوا بزوجاتهم ، وتمر عليهم فترة من الوقت ·

.. وهى تسأل هنا عما يرضيه لأنها تخشى الله فى جانبه !! هى تسعى اليه وتقول : هل لو اجتمعت معه يكون حراما بعد ما قاله ؟ ..

.. هو لا يرضى منها الصلاة والصوم .. لا يرضى منها أن تعبد الله .. ويريد منها خلع الحجاب وعمل ما كانت عليه من قبل .. كما تحكى .

.. هى تريد ارضاءه حتى لو عذبها أو خانها !!

● السائلة من رسالتها تريد زوجها ، وفى الوقت نفسه لاتريده .. وأمارة أنها تريده : انها تدفع له مرتبها .. وأنها ترضى باهانته لها وبسخريته من تصرفاتها .. وانها تغفر له خيانته وعبثه مع النساء والبنات . وفى الوقت نفسه لا تريده ، عندما تشعر بأنها انسان له كرامته ، وله حرماته : فى المال ، والنفس ، والعرض .

وزوج السائلة يقف تماما على خواص نفسها ، ويستغل ضعفها فى تعلقها به . فوجودها فى منزل الزوجية ليس رغبة منها فى رعاية الأولاد . وانما رغبة فى البقاء فى ظله . وقبولها الاهانة مرة بعد الاخرى على طول الزمن حرص منها على أن تكون معه .

وهذا الوضع النفسى بين الزوجين لا يرجى له التغيير . الزوج مستضعف زوجته ، ومستمرىء ضعفها فى خدمة المنزل وفى تسلم مرتبها آخر كل شهر ، دون أن يدفع لها مليما واحدا ، كما تذكر . والزوجة ضعيفة بالفعل بحيث تقبل الاهانة تلو الاهانة .. وتقبل أن يذلها بالبعد عنها وهجرها ، وهى تلح فى التقرب منه وفى اغرائه بها . وضعفها ضعف نفسى حبس ارادتها عن مقاومته ، والرجوع الى ذاتها لحمايتها من الضياع الذى هى فيه الآن .

اذا كان الزوج يذكر لها أنها مطلقة منذ عشر سنين .. وان معاشرتها كزوجة تحرم عليه الآن : فأى أمر تخشى الله فيه بالبقاء معه فى عيشة واحدة ، وفى علاقة زوجية غير قائمة فعلا .

والضعف النفسى قد يمتد الى ضعف عقلى فى التصرف والسلوك والمواقف . وربما يكون ضعف الزوجة نفسيا ـ وهو الضعف الناشىء عن تعلقها بالزوج رغم عوامل التنفير فى عشرته والحياة قريبا منه ـ قد امتد الى ضعف عقلى وارادى معا ، بحيث اذا دعيت الى ترك الزوج والانتقال من منزل الزوجية الى منزل أسرتها وأهلها : لا تستجيب الى ما دعيت اليه ..

(٢) وأنه يهينها بألفاظ جارحة أمام الأولاد ، ويضربها ، كما يظهر لها عدم احترامه اياها بحركات غير لائقة ·

(٣) وأنه يخوضها مع غيرها ويحب مجالسة النساء والبنات ·

(٤) وكلما حدثت مشادة بينهما يروى لها أنها مطلقة من عشر سنوات ومحرمة عليه · ويقول لها : أنت هنا خادمة للأولاد وتدفعى مع ذلك مرتبك ·

(٥) ولا يرضى عن صلاتها وصيامها ، ولا عن حجابها ، ويريدها عارية كاسية ·

(٦) وهو يهجرها اليوم فى الفراش منذ سنتين · رغم أنها تحاول ارضاءه بجميع الطرق : بلبس الملابس العريانة ـ كما تقول ـ ·· وبوضع المساحيق واستخدام أدوات التجميل ·· ومع ذلك هو معرض عنها ·

وتسأل : ما هو رأى الدين فى هذا الزوج ؟ وهى تريد ارضاءه خشية من غضب الله · ولكن أسلوبه فى الحياة معها يجعلها متباعدة عنه خوفا من أن يجتمع بها وتكون : « علاقتها به عندئذ غير مشروعة » ··

● السائلة تريد الوقوف على راى الدين فى هذا الزواج · أى شىء بقى فى العلاقة الزوجية بينهما :

·· هو منصرف عنها وهاجر لها منذ سنتين ·

·· وهى تحاول اغراءه بكل السبل : بالملبس والتجميل ، وهو مستمر فى اعراضه عنها ·

·· هو مستهين بها ومحتقر لها ومندد بكل تصرفاتها ·· هو يضربها أمام اولادها ويذلها أمام معارفه من النساء والبنات كما تقول ·

·· هى تسلم له المرتب وترضى أن يكون وضعها فى المنزل والاسرة وضع الخادمة ، منذ سنوات ·

·· هو يعلن انها مطلقة منذ عشر سنوات ومحرمة عليه ·

هل هم على مستوى من النظافة يجعلهم أقل قبـولا لدى المـرأة ؟ . هل هم يمارسون عادات تؤذى نظر المرأة أو احساسها ؟ هل يباشرون الغلظة أو العنجهية فيمـا يطلبـون ؟ هــل تختلط رائحــة افواههم من الشراب برائحة اجســادهم الكريهة من العرق : عنـدما يستاءون من رفض زوجـاتهم لمـا يطلبـون ؟ .

الاسلام يحيى فى الزوجة : طاعتها لزوجها ان أمرها .. ويحيى فيهـا الاحتفاظ بمنظرها الذى يسره ان رآه منها .. كما ينصحها بأن تتزين لزوجها لتظل مقبولة لديه . وفى الوقت نفسه يطلب من الزوج ان يبتعد عن كل ما ينفر زوجته منه .. وأن يعمل على كل ما يهيىء لها جو الاستقرار النفسى ، وجـو المودة ، والرحمة . وجو المودة لا يطلب فقط : التهذيب فى القول .. والنظافة فى البدن .. والابتعـاد عن الغلظة والجفوة والعنجهية فى السلوك .. وانما يطلب كذلك : اللطف فى المداعبة ، والمشاركة فيما يدخل السرور على الزوجة . وقد كان الرسول عليه السلام قدوة حسنة فيما يحسن الى الزوجة ويجعلهـا تهش للقائه والحديث معه .

الاسلام يقدم الحل لمن يشكو من زوجته عدم طاعتها : فى أن يعرف أولا : نفسه ويعرف طبائعه وعاداته .. ويهذب منها : ما تقبله زوجته الآن على كره منهـا : لا يكون .. الـزوج شحيحا ولا بخيــلا .. لا يكون الزوج غليظـا ولا مستعليا .. يتجنب الشراب ، وان امكن التدخين كذلك .. يتجنب الوعود الخادعة أو المكذوبة .. يعمل على ان تحس زوجته بوجودها معــه فى حياة واحدة : يشاركها الرأى .. ويبـادلها التعاطف والمودة .. يبتعـد عما يثير شكها فى سلوكه .

ان فعل ذلك فسيجد زوجة تعيش له وفى طاعته وحده ، بعد طاعة الله .. وكلما رأى خروجا عن خط الاطاعة فليعـد الى نفسه ليعرف مكان الخطأ ، قبل أن يوجه الى زوجته اللوم والعتاب ، أو الشتائم والسباب .

★ ★ ★

٥٤ ـ زوج يبغض زوجته ويسىء اليها فى العشرة الزوجية :

سيدة من احدى المحافظات . تشكو من زوجها ، بعد زواج استمر الآن اكثر من عشرين عاما . تشكو منه :

(١) أنه يستولي على مرتبها بالكامل ، ولا يعطيها منه مصروفا خاصا ليومها .

فى غنى عن الاجر الذى تحصل عليه ·· أو إلا إذا كانت قد تعبت من اداء العمل الخارجى مع القيام بواجبات المنزل ؟ · إذ المرأة فى مجتمعاتنا المعاصرة تفخر بأن لها وظيفة يمكن ان تستقل بها اقتصاديا عن الزوج · ومن أجل ذلك لا تتنازل عن الوظيفة فى سهولة · بل ربما كانت الوظيفة هى العامل المرجح فى اختيارها للزواج ·· والعامل المبقى لها فى العلاقة الزوجية ·

وهل اذا تزوج بثانية يمكن أن يعيش معها فى اطمئنان نفسى ·· وفى مودة ·· وفى رحمة ، كما هو المستهدف من الزواج ؟ · أم ان الحياة الزوجية ستتحول الى عذاب ، وعندئذ يعزف عن المعاشرة لأى من الاثنتين ؟ ·

● الزوج العاقل لا يهدد ·· ولا يمني كثيرا · هل يرجع السائل هنا الى نفســه ويسألها :

هل يحاول ان يتفهمها وهى حامل الآن ؟ · ان بعض الحوامل من النساء قد ينصرفن تماما عن الرغبة فى معاشرة ازواجهن ، اما لمدة الحمل كلهــا أو لكثير من ايامها · وذلك اما لعامل وظيفى عضوى ·· أو لعامل نفسى ·· وليس لكراهية فى الزوج ، أو لعــدم الرغبــة فى الاتصال به ·

هل يحاول ان يساعدها فى شئون المنزل ·· وفى رعاية ابنها منه ؟ وبذلك تجــد من يقف بجانبها فى اوقات ازماتها وشدائدها · انها تأتى مــن العمل الخارجى الى المنزل وهى مكدودة أو مستهلكة · فاستئنافها للعمــل المنزلى فيه مشقة بدنية ونفسية عليها · فاذا وجدت من يساعدها ، وبالأخص زوجها ، اقدمت على العمل فى نشاط ورغبــة ·· وأقدمت ايضا على زوجها وهى ممتنة له ، مدركة لجميله ·

هل قبل ان يطلبها للخضوع الى رغبته فى المعاشرة : يحاول ان يداعبها ، ويثنى عليها ، ويقدر مشاركتها له فى الحياة الاسرية والزوجية · ان المرأة يسرها ان تسمع الاعتراف بفضلها من زوجها ، وتستمتع بسماعه أكثر من الاستمتاع بالاكل والشرب · كما يجذبها الى الزوج اقبــاله عليها فى مرح ، وتودده لها فى غير اصطناع وتكلف ·

هل يحاول ان يختــار الوقت المناسب لمعاشرة زوجته ؟ انه لا يكفى ان تكون رغبته نحوها قائمة فى نفسه وفى تصوره فى وقت ما · انه يجب عليه ان يتحسس ميلها نحوه · وان يخلق الجو النفسى للقاء بينهما ·

● ان كثيرا من الازواج يشكون من رفض زوجاتهم الاستجابة لرغباتهم فى المعاشرة فى بعض الأوقات ، ولا يفتشون فى انفسهم هم عن سبب الرفض :

● والحل هو فى ابقاء الوضع على ما هو عليه الآن : عدم تطليق الزوجة الاولى ، ثم الاكثار من التردد عليها وعلى الاولاد · وتركها تقيم عند والده كما هو الشأن الراهن معها · وفى التردد عليها يشعرها بفضلها فى تربية الاولاد ، ويشكرها على اصرارها على البقاء فى عصمته معهم ، رغم أنها تحس بأنها غير مقبولة لديه ·· الحل فى أن يعامل الزوجة السابقة كأم وحاضنة لاولاده ، وكأمينة عليهم · وهى بلا شك خير من اجنبية عنهم ولو كانت الزوجة الجديدة · والحاحها فى البقاء فى عصمته ·· وسماحها له بأن يتزوج بأخرى عليها ، يعطى الامارة واضحة على انها سوف لا تحقد عليه ·· وسوف لا تنمى فى اولادها روح العداء والخصومة لوالدهم ، وكذلك لزوجته الجديدة التى عزلته عنهم للاقامة معها · وعليه أن يبعد من نفسه روح الكراهية لأم أولاده ، ويرضى بقدره فى وجوده معها · وبذلك يجمع بين رضاء نفسه ورضاء الله عليه ·

★ ★ ★

٥٣ ـ اباء الزوجة وامتناعها عن زوجها :

عامل باحدى الشركات باحدى القرى يشكو :

من أن زوجته ـ وهى تعمل موظفة بالقرية ذاتها ـ لا تمكنه من معاشرتها ، كما يعاشر الزوج زوجته ، عندما يطلب منها · بدعوى انها خارجة للعمل ·

وهى الآن حامل فى الشهر الرابع ، ولها منه ولد فى السنة الثالثة · ويسأل :

(أ) هل يضربها ؟

(ب) هل يطلب منها ترك العمل فى الخارج ؟

(ج) هل يتزوج بثانية عليها ؟

● هل لو ضربها واستجابت لما يطلب منها : يمكن ان يستمتع بها فى المعاشرة ؟ أم أن الأمر عندئذ لا يعدو أن يكون أمر اكراه وقهر لمن تنطوى نفسها على البغضاء ؟

وهل لو طلب منها ان تترك العمل فى الوزارة وتتفرغ للمنزل تستطيع ان تكون عند طلبه ؟ أم أن الاستجابة لترك العمل لا تتم الا اذا كان كل منهما

من عدم ادائه حق زوجته السابقة فى المعاشرة كما يعتقد ، ومن تمسكها بالبقاء معــه كزوجة له ·

وبقاؤه بين الوضعين المتناقضين حمله على الاستفسار عن الحل الذى يرضيه ويرضى الله ·

● والخطأ فى مسألة السائل هو اكراه أبيه له على الزواج من قريبة له ، لثروة ابيها · فلم يخترها لأنها صالحة فى ذاتها كزوجة لابنه · ومن عناصر الصلاحية انه يميل اليها ويحس بالتوافق معها فى الحياة المشتركة ·

والعشر سنوات التى مرت على الزواج بها كانت مليئة بالارهاق النفسى له ولزوجته · فهو يريد التخلص منها ولا يستطيع ·· وهى تحس بعدم رغبتــه فيها وتصر على البقاء معه · دخل بها كارها ·· وأنجب منها كارها ·· وترك الأولاد مكرها ·· وتركها هى أيضا مكرها ·· ولم يقبلها كزوجة الآن الا مكرها ··

انها الدنيا : المال ·· والجمال · والحسب ، هى التى تغرى عـلى الزواج ولكنها لا تصلح أن تكون عوضا عن الذات · والاسلام اذ يحذر مـن الوقوع تحت اغراء الدنيا فى اختيار الزوجة ، والزوج ، معا : انما ينبـه الى انها لا تصلح ان تكون بديلا عن صلاحية الزوجة كامرأة فى ذاتها · وصلاحيتها فى تهذيبها ·· وفى ايمانها بالله ·· وفى طاعتها لأوامره ونواهيه : كعلاقتها بزوجها وبالآخرين · ولكنه اغراء الهوى ·· وحب المال والثراء ·· والتفاخر باحسب ·

والسائل وان كان يحس بالراحة النفسية فى معاشرته لزوجته الجديدة ·· وان كان يثنى عليهـا فى اعطـائه الفرصـة لزيـارة زوجتـه الأولى واولاده منها ، هل تقبل الآن أن تكون حاضنة لهؤلاء الاولاد بدل أمهم ، وأن تعاملهم وترعاهم كأنهم اولادها منه ؟ · هل لا تضيق ذرعا بهم ·· هل لا توغر صدر ابيهم عليهم ، رغبة فى احتفاظها به لها وحدها ؟

هذه الزوجة الجديدة لم توضع بعد موضع التجربة بالنسبة لاولاده · وربما لو اسند اليها مهمة الاولاد كى يتمكن من تطليق الزوجة السابقة ، لواجه ما يقلقه منها ولنزل منها مجال النزاع والخصومة · وبذلك يشـكل عليه الوضع فى الحياة اكثر : أولاد فى حاجة الى رعاية متوفرة ·· وزوجة تضيق بحياته الزوجية بسبب هؤلاء الاولاد ·

٥٢ ـ فى الزواج غير المتكافىء :

مواطن من احدى المحافظات ، يقول :

انه أحب فتاة وقرأ والده الفاتحة مع اهلها ، وكان يقضى فترة الجيش بعيدا عن قريته · فلما عاد وجـد أباه خطب له بدلا منها : بنت ثرى فى القرية هو قريب له · ولكنه اعلن له انه لا يرغبها ولا يمكنه معاشرتها · فرجاه أن يقبلها الآن وبعد الدخول بها له ما يشاء من امساكها ·· أو تطليقها · والح عليه لأنه أعطى كلمة لوالدها من جهة · ومن جهة أخرى والدها موسر يمكنه أن يعاونه ماليا اذا احتاج الى مال · فمرتبـــه ضـــئيل لا يكفى احتياجاته الضرورية ·

ودخل بها ·· وفى ليلة الزفاف امتنع عن الاتصال بها ، فرجته منعـا للقيل والقال : أن يعاشرها كزوجة فعاشرها · وأنجب منها ثلاثة أولاد · وفى الحمل بكل ولد كان يؤدى لها حقها فى المعاشرة فقط ، دون رغبة منه ، كما يكرر ذلك فى رسالته ·

ومضى على زواجه بها عشر سنين الآن وهو مكره على الاقامة معها · ولم يسىء اليها اطلاقا وقد خيرها بين أن يطلقها ·· أو يتزوج عليها بثـانية فأجازت له الزواج بأخرى · فتزوج زوجة صالحة متدينة وتشتغل بالتعليم · وأحس معها براحة نفسية وسعادة زوجية · وأعطته الفرصة لزيارة زوجتـه الأولى والانفاق عليها ، كما يشاء حسبما يمكنه ·

ولكنه ترك اولاده مع أمهم عند أبيه ، واستقل بالاقامة عنـد زوجتـه الجديدة · وهو الآن اذ يحس من جهة بالاطمئنان النفسى والسعادة عند زوجته الجديدة : فانه قلق من جهة أخرى لبعد أولاده عنه ·· ولأنه لا يقابل زوجته السابقة الا مرة واحدة فى الشهر كى يعطيها نفقة الاولاد وما تطلبه فى حياتها معهم · وهو بذلك يتألم لأنه لا يؤدى حقها فى المعاشرة : كما لا تسمع هى لنصيحة اهلها فى قبـول طلاقها منه ·

● أمر السائل هنا مردد بين وضعين : أحدهما مرغوب فيه ·· والآخر غير مرغوب فيه أما المرغوب فيه والذى يتمنى هو دوامه فهو عيشته مع زوجته الجديدة · فهناك توافق بينهما ·· وهناك ميل من كل واحد للآخر ·· وسعة صدر لفهم أى منهما لمشاكل الثانى ·

وأما غير المرغوب فيـه والذى يتمنى الخـلاص منه فهو القلق بسبب الاولاد لبعـدهم عنه عند أبيه هو ، فى الاقامة ، والرعاية ·· والقلق ايضـا

والأولى للظروف الاجتماعية القائمة : أن يستمر السائل على وضعه الحالى فى قيامه بالوظيفتين معا : الداخلية والخارجية · اذ التعب البدنى يمكن التغلب عليه ثم بعد فترة من الوقت يصبح عادة للانسان ·· وأداء ما يصبح عادة للانسان ليس فيه مشقة كبيرة · وفى مقابل هذا التعب البدنى الذى يمكن تحمله ستتوفر له راحة نفسية ليس فى قيامه بخدمة الأولاد فقط وعلى أتم وجه ·· وانما قبل ذلك بنمو الأولاد فى جميع مجالات حياتهم : النفسية ·· والبدنية ·· والاجتماعية ·· والتعليمية ·

وسوف لا تمر فترة قصيرة على القيام بوظيفة المنزل ، بجانب وظيفة المكتب ، حتى يرى مشاركة الأولاد له ـ فى مسرة ـ فى اعمال البيت · وهنا يكسب مستقبل الاولاد ، ويوفر لهم عطف الأبوة والأمومة معا · ولعل الله يسعده بزوجة صالحة لولده الاكبر تكون سيدة البيت فى المستقبل ·

ويمكن للسائل أن يستعين الآن بالاجهزة الكهربائية فى الخدمات المنزلية · فقد كاد أن ينتهى عهد « الشغالة » فى أعمال المنزل من : تنظيف ·· وترتيب ·· وطبخ وغسل وكى ·· واقترب ان ينتهى كذلك عهد الزوجة المقيمة فى المنزل ·· واذا وجدت الآن ·· فالزوج شريك معها فى اعمال الحياة اليومية ·

ومعنى هذا أن السائل : كان سيكلف من طبيعة العصر بالمشاركة فى الرعاية المنزلية يوما ما · فاذا باشر هذه الرعاية مبكرا بحكم ظرفه الاجتماعى ـ وهو مسرور فعلا بما يؤديه لاولاده فعبؤ هذه الرعاية ليس شاقا ·

وأخيرا ·· فنحن نحيى فى هذا السائل هذه الروح الانسانية القوية · ونؤكد له أن اخلاصه لله فى عمله ·· وجده فى الماضى فى تخطى الصعاب التى واجهته فى أزماته ·· وجزاء الله له بزوجة وفية صالحة فى فترة من فترات حياته : كل ذلك له ايجابيته فى آداء مهمته الحاضرة الاجتماعية والوظيفية ، على وجه يرضى الله جل شأنه · والدعاء لله فى أن يوفقه ويسعده بأولاده ، ويسعدهم بأبيهم ·

★★★

ومتعــة النفس له الآن : فى أن يرى ازدهار اولاده فى رعايتهم ، وفى تعليمهم، وفى تهذيبهم وسلوكهم · بينما المرأة التى تقبل على الزواج بمن هو فى سن الثالثة والخمسين تنشد التعويض عما فاتها فى علاقة الرجل بالمرأة ، ان كانت لم تزل عانسة ·· أو تنشد الخروج من العزلة والوحدة التى أحست بها وعاشت فيها فترة من الزمن ، ان كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها · فتدخل الحياة الزوجية وهى حريصة على أن تستأثر بالزوج ، كى تتمكن من تعويض ما فاتها ، أو كى تتمكن من خلق جو الحياة الزوجية الذى افتقــدته يوما ما ·

واستئثار الزوجة بزوجها معناه : طرد كل انسان آخر ـ ولو كان ولدا له ـ من حياتها كزوجة تحرص على الاستمتاع بزوجها ·

ومن التناقض اذن أن يطلب الزوج أو أن ينتظر من زوجته : أن ترعى له أولاده على نحو ما يبغيه فى رعايتهم · اذ قلما توجد امرأة ، ولو عاشت فى الدير سنوات ، ان تدخل على زوج له اولاد الا وتخطط بحكم انانيتها عــلى الاستئثار به ، ومطاردة الأولاد من حياتهما معــا · والزوج عندئذ اما ان يخضع ويستسلم ، واما أن يقاوم ويخاصم زوجته · وفى كلتــا الحالتين هو قلق فى حياته ·

● اننا نعيش الآن فى مجتمعاتنا الاسلامية فى عصر مادى ، ننظر الى المادة على انها كل شىء فى الحياة : نطلب المتع المادية والرفاهية المادية ·· ونطلب المزيد عما لدينا منها ·· ولذا نظرتنا الى القيم الرفيعة كحسن الرعاية ·· والاخلاص ·· والوفاء ·· والمحبة ·· والانســـانية بوجه عام ، نظرة متخلفة وراء المنفعة المادية ، ومطالب الوجودية الشائعة فى السلوك والمعاملة ·

وحرص الاسلام على أن يكون من صفات المرأة كزوجة ، ومن صفات الرجل كزوج : التدين والخشية من الله فى الفعل والتصرف ·· وفى التفكير والوجدان : حتى لا يكون هناك طغيان للمادية فى نظرة المرأة أو فى نظرة الرجل الى الحياة ·· وبالتالى حتى تكون هناك انسانية فى معــاملة احدهما للآخــر ·

● وحيرة السيد السائل وتردده بين أن يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى زواجه بامرأة أخرى ، بعد زوجته المتوفاة : أمــر واضح ومفهوم · فالأولاد مشكلة كبيرة بينه وبين الزوجة المرتقبة · ونظرتهما اليهم يختلف بعضها عن بعض اختلافا كبيرا · ومن ثم : الوفاق بينهما بعيد ، ان تم الزواج ·

٥١ ـ هل يؤثر الزوج عدم الزواج بثانية بعد وفاة الأولى :

مواطن من احـدى المحافظات يقول :

انه فتح عينيه على الدنيا ووجـد أبويه كل منهما انفصل عن الآخر ، وتزوجت الأم بغير ابيـه ·· وتزوج الأب بغير أمه · وأثـر هذا الوضـع على مستقبله فى التعليم وفى الوظائف العامة · ولكنه استطاع بايمانه القوى بالله وبالحياة ان يتخطى الصعوبات ويكمل مراحل التعليم ويحصل الآن على وظيفة عامة رئيسية فى ادارة التعليم بالمحافظة ·

وان الله ـ بالاضافة الى زوال الصعوبات فى طريقه ـ قد انعم عليـه بزوجة صالحة وفية عاونته كثيرا وأسعدته بمنظرها ، وبسلوكها ، وبحسن عشرتها ، وباخلاصها فى رعايته ورعاية أولاده منها · وأنجب منها ثـلاثة اولاد : الولد الأول فى الصف الثالث الاعدادى الآن ·· والمولودة الثـانية فى الصف السادس الابتدائى الازهرى ·· والمولود الاخير فى حضانة عمتـه على نفقة والده · وقد توفيت والدته عند وضعها اياه ، وتركت للأسرة هـذه المشكلة التى يريد السائل أن يشركنا معه فى حلها ·

يذكر انه يبلغ من العمر الثالثة والخمسين ·· وأنه بالاضافة الى قيامه بأعبـاء وظيفته العامة على خير وجـه يقوم هو شخصيا فى المنزل بالخدمات التى تقـدم لاولاده ·· ويحرص تمام الحرص على أن تقدم بالصورة التى كانت زوجته تقدمها بها ، بحيث لا يشعر الاولاد بفارق بين الآن وبين ما كان الأمر على عهد والدتهم ·

ولكنه على أية حال انسان يصيبه الكد والتعب البدنى والنفسى ويخشى انه لا يستطيع الاستمرار فى الجمع بين الوظيفتين : وظيفة المكتب والادارة ·· ووظيفة المنزل فى رعاية الاولاد · ولذا اقترح على نفسه أن يبحث عن زوجة لعل الله يوفقه فى اختيار زوجة له وأم لأولاده · ولكن يراوده الخـوف على مستقبل الأولاد فيحـدث لهم فى حياتهم ما حدث له شخصيا يوم أحس بسوء الوضع الذى كان فيه ، بسبب سوء العلاقة بين والديه · ثم يقول : « وربمـا تكون حالتى حاليا رغم ما فيها من ارهاق احسن من حياتى المقبلة ولا يعـلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى ، حيث لم أجد أمامى حالة واحدة ترضى الله فى معاملة اولاد الزوج » ·· ومن اجل ذلك يطلب الاستنارة بالرأى ·

● الرجل فى سن السيد المستوضح ، وفى وضعه اذا أقدم على الزواج لا يركز على متعة البدن · وانما بالأحرى يسعى للحصول على متعة النفس ·

الكريمة : « **الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** » (١) ·· وانما كذلك تحسن لنفسها فستجد صدرا رحبا من زوجها ·· وستجد الاولاد يترددون فى نقل الكلام السىء اليها ·· وستجد من حماتها بعد مرور فترة من الوقت : ما يجعلها راضية عنها · لانها بكظم غيظها تدرأ السيئة بالحسنة : « **ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار** » (٢) ··

واذا صبرت على أذى حماتها بالدعاء عليها تكون قد عبدت الله حقا · فيروى عن رسول الله ﷺ : « ما أحد أصبر على أذى يسمعه ، من الله تعالى · انهم يجعلون له ندا ، ويجعلون له ولدا ، وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم » ·· فسبحانه جل جلاله مع سوء موقفهم منه يتفضل عليهم بما يمد لهم من اسباب الحياة · لأن صنع الطيب والمعروف على مدى الزمن ينتج آثاره الطيبة فى علاقة الناس بعضهم ببعض ·

● يجب على السائلة أن تكف عن الشكوى من حماتها ·· وأن تبدأ معها صفحة جديدة · وهى صفحة العفو والتسامح ·· صفحة اكرامها وبرها ورعايتها · يجب أن لا تقابل اساءتها باساءة منها فقد جربت مقابلة الاساءة بالمثل · وكانت نتيجة التجربة أن مرضت بأعصابها وحذرها الطبيب المعالج من الاسترسال فى الوقوع تحت تأثير الانفعالات ·· كما غضب زوجها منها ، وان لم يعلن لها غضبه صراحة · فتحذيره اياها من استجابة الله لدعاء أمه عليها : امارة على عدم رضاه عن موقفها منها ·

واذا كانت تؤدى فرائض العبادة لله ·· واذا كانت ترعى أولاد زوجها جميعهم بدون تفرقة فى الرعاية والمعاملة : فمن اليسير عليها أن تكظم غيظها ·· وأن تصبر على أذاها بالكلمة والقول ·· وأن تفعل الحسنة بدل السيئة · وسترى انها خلقت جوا عائليا تعيش فيه هادئة مطمئنة مع حماتها ، واولادها ، وأحفادها ·· وستجد أن انفعالاتها النفسية قد ضعفت أو تلاشت · كما ستجد ان الله سيكرمها فى حياتها المقبلة وهى فى سن الشيخوخة كما اكرمت هى حماتها فى شيخوختها وفى عجزها عن أن تفعل لنفسها شيئا ·

أما استجابة الله لدعاء حماتها عليها فطالما وضعت الحسنة مكان السيئة فالله سبحانه سيغفر لها خطأها وسيجزيها بالحسنى ·

***

---

(١) آل عمران : ١٣٤ · (٢) الرعد : ٢٢ ·

ولكنها تشـــكو من حماتها · وهى امرأة مقعدة وتحتـاج الى خـدمة مستمرة · وقد أحضرها زوج السائلة الى منزله لتعيش معه فترة من الوقت· ولهذه الحماة أربعة أولاد غير زوج السائلة · وفى مدة الشهر الذى أقامته عند زوجة ابنها كانت سليطة اللسان معها ، كما كانت تدعو عليها ·· الى أن مرضت الزوجة · وأمر الطبيب المعالج أن تبعد عنها كل ما يسبب لها توتر الأعصاب ·· وهنا تدخل زوجها ونقـل امه الى منزل أحـد اخوته · ولكنهـا استمرت مع ذلك فى الدعاء عليها ، وتحريض الأولاد عند زيارتهم لها عـلى الخروج عن طاعتها هكذا تحكى السائلة ·

وهى تسأل كيف تتقى شر دعائها ؟ وهل اذا توفيت هذه الحماة وهى لم تصفح عنها بعد ·· تنال هذه الزوجة ضرر دعائها ؟ ·

● اذا كانت السائلة صـــادقة فيما تحكيه عن حسن معاملتها لأبناء زوجها من زوجته السابقة ·· وفى انها لا تفرق بين ابن لها من الزوج ، وأخ له من أم أخرى فانها عندئذ تكون صادقة فيما تصف به حماتها من سـلاطة اللسان :

والحماة التى طعنت فى السن وأصيبت بالشلل ، لها العذر اذا كانت ضيقة الصدر ولكن على أية حال : لا ينبغى أن تفقد الصـــبر والتحمل فى معاملتها لمن يقمن بخدمتها وعلى رعاية مصلحتها كزوجة ابنها السائلة هنا · والا ضاق بها ذرعا كل من وجبت عليه خدمتها لعلاقة رحم معها ·

● وفى مسألة دعاء الحماة على زوجة ابنها هنا يجب أن تغفر لها هذه الزوجة ما يصدر من اقوال · ومن هذه الاقوال : الدعاء عليها · فوضـع الزوجة هنا أقوى من وضع الحماة ، وان كان اولادها جميعا على قيد الحياة · ويروى عن الرسول ﷺ قوله : « تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ·· فان صلة الرحم محبة فى الاهل ، مثراة فى المال ، منسأة فى الأثر (أى لها صلة بالزيادة فى الثراء والغنى ·· ولها صلة كذلك بطول العمر) » ·· كما يروى عنه : « ما من ذنب أجـدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مـع ما يدخر له فى الآخرة : مثل البغى ·· وقطيعة الرحم » فجعل قطيعة الرحم بمثابة الظلم والاعتداء على الآخرين ، فى أن كلا منهما أولى بتعجيل عقـوبة الله فى الدنيا ، بالاضافة الى ما هو منتظر فى الآخرة · ولا شك ان صـنيع السائلة هنا هو تجنب حماتها وعدم الاتصال بها بدعوى انها تدعو عليهـا وتحرض الاولاد ضدها ·

● ولو أن السيدة السائلة كانت تسلك مع حماتها مسلك الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس لم تكن فى عداد المحسنين لغيرهم فقط ، كما تنطق الآيـة

● أما الحيض وآثاره .. فقد جاء فيه قوله تعالى : « **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فان تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » (١) ..**

والأمر باعتزال النساء فى المحيض دليل على ضرر الحيض على الرجل والمرأة معا ، والتعبير فى الآية « بالحرث » تحديد للمكان المباح .. والمكان الآخر غير المباح . حتى لا يضل مسلم فى موجة الانحراف التى تدعو للشذوذ والاعوجاج .

● وغشاء البكارة هو من صنع الخالق سبحانه وتعالى للتمييز بين البكر والثيب . وتعمل الاباحية ، والمادية ، وثورة الجنس جاهدة على التقليل من شأن الاحتفاظ بالبكارة . اذ تدعو الى التجربة الجنسية قبل الزواج . لأن فحولة الرجل كما يدعى : هى العاصم مستقبلا من فشل الزواج .. وأين أخلاق الرجل ؟ .. وأين حسن تهذيبه ومعاملته ؟ .. وأين طاقاته على السعى فى سبيل العيش ؟ .. وأين قدراته على الحفاظ والحماية للأسرة ؟ وأين رجولته ومروءته ؟ .. كل ذلك وما أشبهه تدفع به المادية خلف « الجنس » الذى تقتحم به مجال الشباب فى سن المراهقة ، بمثل هذا الادعاء .

★ ★ ★

٥٠ ـ الزوجة .. وحماتها فى الأسرة :

سيدة من احدى الضواحى تذكر فى رسالتها :

أنها تزوجت منذ ثلاث عشرة سنة . وكان لزوجها ثلاثة أولاد من زوجة سابقة . ويبلغ عمر أكبرهم خمس سنوات ، بينما عمر الأصغر سنتان . وقد أنجبت هى ثلاثة أولاد كذلك من هذا الزوج . وأصبحت تعيش مع ستة أولاد وأبيهم الذى هو زوجها .

وتحكى انها لم تفرق لحظة ما بين أولادها من الزوج وأولاد الزوج من زوجته السابقة : فى المعاملة والمأكل ، والملبس ، والرعاية . بل ابن زوجها هو ابنها تماما والأولاد جميعا الآن فى سبيل التخرج اما من المدارس المهنية الثانوية أو من الكليات الجامعية .

---

(١) البقرة : ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

فهى جائزة ومشروعة ، وان كانت بعد أن دبت فيه الحياة فهى قتل للجنين · وهو حرام · وان كانت لانقاذ سمعة الفتاة والتستر على عرضها فقط ، فهى مشاركة فى تيسير ارتكاب الفاحشة · وذلك أمر منكر لا يقره الاسلام ·

● وتصريح الفتاة لخطيبها وزوجها فى المستقبل لا أدرى ان كان يسىء اليها فى تصوره وفى نظرته الى ماضيها أم لا ؟ · ولكن الأمر الذى يجب أن يتم هو أن تعود الى الله وحده وتتوب اليه توبة نصوحة · فان القرآن الكريم لم يجعل لأحد سبيلا على أحد فى غفران الذنوب ، سوى الله جلت قدرته يقول الله جل شأنه : « **واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم** » (١) ·· كما يقول : « **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه** » (٢) ·· فالله هنا يكفل غفران الذنب لمن عمله بجهالة ثم عاد الى الله تائبا مستغفرا اياه ·· وكذلك يغفره لمن ظلم نفسه بارتكاب السوء أو الفاحشة ثم استقام أمره بعد ذلك تائبا الى الله ·

● والعادة السرية هى طريق غير مشروع يسلكه الشاب أو الشابة فى سن المراهقة للتنفيس عن الغريزة الجنسية · وهى بين الفتيات أشبه بالسحاق بين النساء · ويرى بعض المفسرين أن قول الله تعالى : « **واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم** (جاء فى شأن السحاق) **فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا** (بالزواج مثلا) » (٣) ·· كما يرى عقوبته فى حبس من تباشره طول حياتها فى المنزل الا أن يشاء الله فيتوفاها الموت ·· أو تتزوج ·

والذين يؤيدون ما يسمى « بثورة الجنس » من الكتاب يبررون المسلك غير الطبيعى فى التنفيس عن الغريزة الجنسية ، سواء بالسحاق بين النساء ، أو باللواط بين الرجال أو بالعادة السرية · ولكن الاسلام لا يرى طريقا مشروعا وطبيعيا الا صلة الرجل بالمرأة فى علاقة زوجية · ومهما قيل من الانسان فى تبرير السحاق ·· واللواط ·· والعادة السرية بين الجنسين فانه لا يزيل الكراهة ، والبغض ، والوزر فيها ، عندما سماها الاسلام فاحشة ونبه الى تركها وتجنبها · فالله وحده يعلم مضارها اجتماعيا ، ونفسيا وصحيا على الانسان · ولن يبلغ الانسان منزلة فى العلم والاحاطة مثل ما لله سبحانه وتعالى ·

---

(١) الأنعام : ٥٤ (٢) المائدة : ٣٩

(٣) النساء : ١٥

٤٩ ـ الزوج ٠٠ وماضى زوجته :

السيدة السابقة ، تقدم أيضا الرسالة الثانية التى وصلتها ـ برفقة الرسالة الأولى قبلها ـ من فتاة تمارس « العادة السرية » فى سن مبكرة ، وتطلب حكم الاسلام فى ممارسة هذه العادة ٠٠ كما تطلب تنوير الفتيات ، بوجه خاص فى شأن « الحيض » وفى دلالة غشاء « البكارة » على احتفاظ البنت بشرفها فهى تقول :

ان الفتاة التى أرسلت اليها الرسالة الثانية عندما بلغت سن التاسعة أخذت تمارس العادة السرية فى صورة شتى (مع أخواتها البنات ٠٠ ومع أخيها الصغير وهو نائم ٠٠ ومع ابن الجيران وهو أصغر منها بتسع سنين عندما بلغت الحادية عشرة ٠٠ ومع عروسة لها) واستمرت فى ممارسة هذه العادة الى أن بلغت السادسة عشرة من عمرها ، فساء أمرها مع الغريزة الجنسية ٠ وهى توشك الآن أن تتزوج رجلا أحبته وقدرته ٠ وتسأل السيدة صاحبة الرسالة على لسان هذه الفتاة :

هل عمليات الجراحة التى يقوم بها بعض الأطباء رأفة بحال تلك الفتيات اللاتى يفتقدن البكارة عن طريقها : حلال أم حرام ؟ ٠

هل هذه الفتاة تصرح لخطيبها بما لها من ماض لا ترضى عنه ؟

هل العادة السرية لواط ؟

هل الحيض مانع من اتصال المرأة بالرجل ؟

ما مدلول غشاء « البكارة » بالنسبة لشرف البنت ؟

● الفتاة التى تحكى عنها هنا صاحبة الرسالة وتقول عنها : انها عملت ما عملت ، وباشرت ما باشرت ، منفردة أو مع غيرها تحت تأثير الجهل بوظائف أعضاء الجسم وبالأخص ما يتصل منها بالذكورة والأنوثة ٠ والأسئلة التى جاءت فى الرسالة تقصد بها صاحبتها ـ كما تقول أيضا ـ تنوير الفتيات بشأن أنفسهن الخاص بهن حتى يسايرن تعاليم الاسلام وتقاليد المجتمع الصحيحة ٠

● والعمليات الجراحية التى يقوم بها بعض الأطباء ، رأفة بحال تلك الفتيات ويفتقدن عن طريقها البكارة ، وهى عمليات اسقاط الجنين فى حمل به : ان كانت لدفع خطر يحيط بصحة الحامل ولم تدب فى الجنين الحياة بعد ٠

بنت خدام الأنصارية : ان أباها زوجها وهى ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه (أى أبطله) كما يروى : أن جارية بكرا جاءت الى النبى ﷺ فذكرت : أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبى (أى بين بقاء الزواج أو فسخه والغائه) ٠

● ومسئولية الزوجة فى نظر الاسلام عن أسرتها : زوجها وأولادهما : مسئولية واضحة ، كمسئولية الزوج ذاته عن الأسرة فى حمايتها من الأضرار والانفاق عليها ٠ واذا طلب القرآن من المؤمنين بوجه عام اداء الأمانات ،وهى المسئوليات ، فى قوله تعالى : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها** » (١) ٠٠ فالمرأة فى ولايتها داخلة فيمن يطلب منهم أداء الأمانة ٠ وأمانتها هى فى أهل الزوج ، والزوج نفسه ٠ واذا وصف القرآن المؤمنين بأنهم أهل شورى فيما بينهم فى قول الله تعالى : « **وأمرهم شورى بينهم** » (٢) ٠٠ فالمرأة كذلك داخلة فى هذا العموم لها حق الشورى وابداء الرأى ٠ وخطاب القرآن اذا كان للرجال فليس معنى ذلك : الوقوف بالأمر عند حد الرجال وحدهم ٠ وانما ذلك هو أسلوب القرآن جرى عليه فى كثير من الأحكام ، وفى كثير من آياته ٠

واذا كان الباقى للمرأة فى الأسرة الآن هو ان تكون مصدر متعة جسدية للرجل ، أفضل منها له : المتعة عند بائعة الهوى ، كما تقول صاحبة الرسالة: فليس الاسلام هو الذى جرد المرأة كزوجة من كل خصائص الانسانية ، وأبقى لها فقط : أن تمتع الرجل كزوج بجسدها ، بل الاسلام ينظر اليها كمصدر استقرار نفسى ٠٠ وكمصدر مودة ٠٠ وكمصدر رحمة ٠ فيقول القرآن الكريم: « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » (٣) ٠٠ والاستقرار ، والمودة ، والرحمة من الصفات الانسانية الفاضلة التى اذا توفرت كانت سعادة الانسان قائمة ٠

ان الطابع المادى للحياة المعاصرة هو الذى يجعل النظرة الى المرأة نظرة مادية : فى طلبها ٠٠ وفى معاشرتها ٠٠ وفى التعامل معها ٠

★ ★ ★

---

(١) النساء : ٥٨ (٢) الشورى : ٣٨

(٣) الروم : ٢١

أمر الزوجة فى الحياة الزوجية ، من انها فقط : جسد ، ولذة ، وشهوة للرجل. وهنا يمكن أن نوضح لها رأى الاسلام فى هذه النقاط .

● فالمهر فى الاسلام جاء فيه قول الله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة (أى أعطوا النساء مهورهن هدية منكم . والخطاب للرجال عندما يتقدمون للزواج) » (١) ... فالمهر ليس ثمنا للمرأة . وانما هو تعبير من الرجل على رغبته فى المرأة التى يريدها زوجة له . والمرأة عندئذ ليست سلعة يزداد ثمنها وينخفض . وقد أجاز الرسول عليه السلام زواج صحابى من امرأة على أن يحفظها بعض آيات من القرآن الكريم . وكان تحفيظها لبعض هذه الآيات هو مهرها . وهذا يدل على أن المهر ليس ثمنا على الاطلاق . ولكن بعض المتربصين بالمسلمين وبكتابهم سواء : يحاولون أن يشرحوا المهر على انه ثمن لمعاشرة المرأة كزوجة . وتأتى عادة المغالاة والمساومة فى المهر على العموم – وهى عادة غير اسلامية – دليلا على أن المهر أشبه بثمن السلعة . فالمهر تعبير عن أن المرأة مطلوبة للرجل وليست طالبة له . وهذا يوفر لها حياءها فلا تطالب الرجل صراحة . اذ فى الواقع كل من المرأة والرجل يطلب الآخر .

● أما خطبة الرجل للمرأة وطلب يدها من أهلها – كما يقال – فهو تكريم للمرأة اذ الرجل يسعى اليها ويعلن بخطبته اياها صراحة : مسئوليته عنها وعن أسرته المستقبلة أمام الأهل والأقارب . فلم يلتق بها فى الشارع .. أو فى مكان العمل .. أو فى مكان عام .. أو فى مرقص أو نادى . ولم يخف مسئوليته عنها ، ويبقيها أمرا خاصا يتصرف فيه كما يهوى .

والخطبة لا تمنع ابداء الرأى من المرأة فيمن أتى لخطبتها . بل على العكس : هى فرصة شرعية للمرأة كى تكون الرأى فيمن يتقدم لها ، بعد أن تراه ، وتسمع منه وتتحدث اليه ، ويتحدث اليها : مرة ومرة . وعقد الزواج لا يتم اطلاقا اذا باشره الولى نيابة عن الزوجة .. أو باشرته الزوجة نفسها، الا برضاء الزوجة بكرا أو ثيبا ، على السواء . والفرق بين البكر والثيب هو فقط فى التعبير عن الرضاء . فالثيب لابد أن تعلن صراحة .. بينما البكر يكتفى بسكوتها اذا سئلت عن رأيها . اذ لم يزل حياؤها غالبا عليها .

فاذا أكرهت المرأة على الزواج من رجل معين لا ترضاه عن طريق الأب أو الوالدين معا فذلك لا يعود الى الاسلام .. وانما يرجع الى بعض التقاليد التى يمارسها الآباء فى صلتهم بأولادهم وبالأخص بالبنات:فيروى عن خنساء

---

(١) النساء : ٤

خلق آدم : فهو رواية عن التوراة ، منقولة فى بعض التفاسير للقرآن الكريم أى أن القرآن لم يروها ٠

● وعندما علم الله جل جلاله آدم : الأسماء ، علمه اياها باعتباره انسانا ، وليس باعتباره ذكراً ، والانسان يشمل المرأة والرجل على السواء ٠٠ وكذلك عندما أمر الملائكة بالسجود له،أمرهم باعتبار انه انسان يمثل طبيعة الانسان. وهى طبيعة تتميز عن طبيعة الملائكة بأنها مركبة من مادة هى التراب ٠٠ ومن سمع وبصر وادراك ٠ بينما طبيعة الملك لا تركيب فيها ، بل هى جوهر فرد ٠

● وعندما طلب من آدم عدم الاقتراب من شجرة معينة فى الجنة : طلب ذلك أيضا من حواء فى نفس الوقت ، ووجه اليهما مباشرة النهى عن ذلك فى قول الله تعالى « **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » (١) ٠٠ فالنهى للاثنين هنا ٠

وهكذا : لم تكن حواء فى تمثيلها للمرأة فى منزلة تلى منزلة الرجل ٠ فكما هى أنثى ٠٠ هى انسان تمثل الطبيعة البشرية فى خصائصها من التفكير ٠٠ والوجدان ٠٠ والارادة ٠٠ والناس جميعا ليسوا متساوين فى مستوى هذه الخصائص ٠ ولكنهم يشتركون فيها على أية حال ٠

● والمجموعة الثانية من النقائص التى تذكرها الرسالة والتى تكره المرأة على المعاناة منها ، كما تدعى هذه الرسالة الأولى : ترتبط بالعادات ، والتقاليد ، أكثر من انها تعود الى صنع الله مع المرأة :

١ ــ فالمرأة قطعة أثاث عندما تقدم تباع ٠٠ أى عندما يتقدم أحد لخطبتها ٠٠ وليس لها اختيار فى زوجها ٠

٢ ــ وانها عبدة فى بيت أبيها ٠٠ وزوجها : ففى بيت أبيها تباع لمن يدفع أكثر ٠٠ وفى بيت زوجها لا تعرف شيئا عن بيتها ٠٠ ولا تستطيع الكلام ٠٠ وانها ليست أكثر من جسد ولذة وشهوة للرجل ٠ وكان الأفضل له أن يبحث عن بائعة هوى ٠٠ لا أن يتزوج ، ويأخذ منها ما يريد ، وأيضا بالثمن ٠

فالرسالة تعيب عادة : المهر ٠٠ وتعيب : خطبة الرجل للمرأة ٠٠ وتعيب : عدم مشاركة المرأة بالرأى فى شئون الأسرة ٠٠ وتعيب ما ينتهى اليه

---

(١) البقرة : ٣٥ ، والأعراف : ١٩ ٠

وانها تنهر من ابنها وزوجها ·· ولا يقدر خدماتها · ولو اختارت زوجها لا تعرف شيئا عن بيتها ولا تستطيع الكلام ··

وهى عبدة فى بيت أبيها ·· وفى بيت زوجها : وفى بيت أبيها تباع لمن يدفع أكثر · واذا قالت لا أريد الا رجلا ·· يقال لها قدرك بالمال · ومن الأسف الرجل يشترينى بماله : لأنى جسد ، ولذة لشهوته ليس أكثر · ومن الأفضل أن يبحث عن بائعة هوى ، لا أن يتزوج ويأخذ منها ما يريد ، وأيضا بالثمن ·

وفى النهاية تحكى أن الكاتبة للرسالة تهدد بالانتحار ·· ان لم يوضح لها رأى الاسلام ·

● الرسالة الأولى هنا تشير الى مجموعتين من النقائص ـ كما يدعى ـ اكرهت المرأة اليوم أو فيما مضى على أن تعانى منها :

المجموعة الأولى : فى عدم المساواة بينها وبين الرجل فى الخلق ·· وفى التكليف من الله ·· وفى الاعتبار البشرى :

١ ـ فقد خلقت بعد آدم وليست معه ··

٢ ـ ولم تعلم الأسماء كما علم الله آدم ·

٣ ـ ولم تكرم بأمر الله للملائكة أن تسجد لها ، كما كرم آدم من ربه بأمر الملائكة بالسجود له ·

٤ ـ ولم تكلف مباشرة بالطاعة لله كما كلف آدم ، عندما طلب منه الامتناع عن أن يقترب من شجرة معينة فى الجنة ·

● أما ادعاء انها خلقت بعد آدم ـ وهذا نقص بالنسبة لها ـ كما تذكر الرسالة ·· فظاهر الآية الأولى فى سورة النساء ، وهو قوله تعالى : **« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** (أى الذكر والأنثى) » (١) ·· أن الذكر والأنثى خلقا من طبيعة واحدة ، وهى الطبيعة البشرية · على معنى أن الطبيعة التى خلق منها الرجل هى ذات الطبيعة التى خلقت منها الأنثى · وقد خلقا معا ،دون قبلية ولا بعدية لأحدهما · وما يقال : من أن حواء خلقت من ضلع آدم ، ومن أجل ذلك تأخر خلقها عن

(١) النساء : ١

(٢) الأمر الثانى : تحصيل خبرة عملية فى الحياة اليومية • وبالأخص فى المجالات التى ستكون فيها الدراسة الجامعية فيما بعد •

وهنا لدينا فى مصر أفذاذ من العلماء والمفكرين لم تعنهم ظروفهم على مواصلة التعليم فى مراحله العديدة ، واضطروا الى الانقطاع عن التعليم العالى ، وفى بعض الاحيان عن اتمام التعليم الثانوى ، وقتا غير قصير • وعندما استأنفوا الدراسة استأنفوها بقوة وعزم وتصميم • وكان لهم التفوق ليس فى النجاح فى صفوف الدراسة فقط • بل مع ذلك فى حياة الوظيفة أو فى أداء الرسالة التى كلفوا بها •

● ونحن نشجع الطالب السائل على ترك الدراسة فى الوقت الحاضر ، لفترة من الزمن يساعد فيها والدته وأخواته البنات بالعمل فى الحياة العامة • وطالما لديه الاعتزاز بالنفس والرغبة فى مساعدة نفسه وأولى رحمه فالنجاح مكفول له : الآن •• وبعد الآن ، عند عودته الى الدراسة مرة أخرى •

والتاريخ يعطى كثيرا من أمثلة العظماء الذين لم تكن حياتهم حياة رتيبة ولم يتخرجوا من صفوف مدرسية متلاحقة •

★★★

٤٨ ـ وضع الزوجة فى الأسرة :

سيدة من احدى المحافظات تقدم رسالتين :

الرسالة الأولى : وتلخص ما ورد فيها من : « امراة مظلومة » •• وتقول على لسانها : ان المراة مظلومة منذ آدم :

فقد خلقها الله بعد آدم ••

ولم يعلمها الأسماء الحسنى ••

ولم يأمر ابليس بأن يسجد لها ••

وقد عصت ربها وهى لا تعلم انها قد عصته ••

وانها قطعة اثاث عندما تقدم تباع •• وليتها تباع لبائع الروبابيكيا كالأثاث القديم •

عاطفة والدته نحـــوه ويستمر فى الدراســة ، بينما هى تستمر فى العمل المرهق . وهى لا تطيقه كثيرا · ولكن يراوده القلق النفسى بسبب مشقة العمل على والدته وأخته الصغيرة · وبسبب هذا القلق الذى يراوده يريد ان ينقطـع عن الدراسة مؤقتـا ، على أن يستأنفها فيما بعـد ان اتيحت له فرصـة أكثر يسرا ·

والانسان الذى ليس انانى . وليس انتهازيا : يرجى منه الخير ، ويبشر مستقبله باليسر له ولأسرته ·

● ونجاح أى طالب فى دراسته لا يتوقف على المتابعة التقليدية لمراحل التعـليم . بل يجـوز لطـالب ما أن يترك التعـليم المدرسى بعد الاعدادية أو الثانوية ، ويدخل مدرسة الحياة ويباشر فيها عملا لا يتصل فيهـا بكتـاب مدرسى أو جامعى ، وان كان على صلة بكتاب الحياة اليومية ، يتعلم منه عن طريق التجربة التى تصقل لديه يوما بعد يوم ·

فاذا استقرت احواله المعيشية والاسرية عاد الى دراسة الكتاب المدرسى أو الجامعى · وفى عودته الى الدراسة المدرسية أو الجامعية يستعين فيهـا بتجربة الحياة العملية التى باشرها فترة من الزمن · وعلى قدر تجربته العملية يكون تفوقه فى دراســة الكتــاب النظرى ·· ويكون تميزه على أقرانه الذين واصلوا مراحل التعـليم من قبــل ، أو اولئـكم الذين شاركوه فى صفوف الدراسة بعد العـودة الى التخرج فى المرحلة الاخيرة ·

ويكثر المتفوقون والمتميزون بين الطلاب الذين انقطعوا عن الدراســة التقليدية ثم عادوا اليها بعد فترة من الزمن · وذلك بسبب النضوج الذهنى عند عودتهم ·· وكذلك بسبب التجارب التى افادوها من مباشرة العمـل فى حياتهم ، بين الانقطاع عن الدراسة والعودة اليها ·

وكثير من الطلاب فى البلاد الاوربية والامريكية بعد تخرجهم فى المرحلة الثـانوية لا يواصلون الدراسة فى الجامعات وانما يأخــذون فترة من الوقت يعـدون فيها انفسهم للدراسة فى الجامعة · واعداد انفسهم للدراسة الجامعية يعنى أمرين :

(١) الأمر الأول : ادخار مبلغ من المال عن طريق العمل فى الحيـاة الخارجية ، يغطى نفقات التعليم فى الجامعة وهى نفقات مرتفعة · فالقليل من طلاب الجامعات الاوربية والامريكية هو الذى يدرس على نفقة اسرته أو على منحة دراسية ·

ولكن هل يفعل ذلك ؟ ان فعله ·· وعدم فعله يتوقف على مدى تأثره باغراء المال · وان حال اغراء المال دون ذلك فربما يندم يوم الجزاء ولسان حاله يقول : « **ما أغنى عنى ماليه · هلك عنى سلطانيه** » (١) ·· فلا المال ينفعه ·· ولا الجاه ينفعه ، كشفيع عند الله فيما ارتكبه من أخطاء ، دفعته نفسه الامارة بالسوء الى ارتكابها ·

★ ★ ★

٤٧ ـ مروءة الفتى في أسرته :

طالب بالثانوى العام ، من احدى المحافظات ·· وسنه ثمانية وعشرون عاما ·· وقصته :

ان والدته البالغة سن الاربعين تعمل لحاجة الانفاق عليه وعلى أخواته البنات الخمس ·· وأن أختا له أصغر منه سنا تعمل كذلك للغرض ذاته ، رغم أن طاقة كل منهما على العمل ضعيفة ·

ويسأل الآن : هل يترك التعليم مؤقتا ليباشر السعى الى الرزق ، والعمل لسد حاجة الأسرة ، بدلا من أمه وأخته · اذ أنه غير راض عن أن تنفق عليه أمه وأخته ·

● يبدو ان سن الوالدة قرابة الخمسين ، اذا كان سنه الآن الثمانية والعشرين · واذا كان عمر السائل ثمانية وعشرين عاما ولم يزل طالبا فى الثانوى فليس من العجب ان يحس بالمسئولية الشخصية عن كفالة نفسه بنفسه ·· وان يظهر عدم رضاه عن عمل والدته وأخته فى سبيل تغطية حاجته وحاجة أخواته البنات ، وبالأخص أن احتمالهما للعمل فيه مشقة ·

والأمر الذى يسأل عنه السائل هنا هو :

هل ينقطع عن متابعة الدراسة فترة من الزمن ليحصل رزقه ورزق والدته وأخواته ؟ ثم اذا استقر له أمر المعيشة فيما بعد عاد الى الدراسة ومتابعتها فى صورة ما ؟ ·

● والطالب السائل الآن ينم سؤاله عن استعداده للتضحية · وعلى الأقل يشير سؤاله الى أنه غير أنانى وغير انتهازى · اذ كان يمكن له أن يستغل

---

(١) الحاقة : ٢٨ ، ٢٩ ·

المال ايضا ، وعمل ما عمل واحل الكراهية ، والجفوة ، والخصومة محل المحبة والمودة بين الاخوة واعضاء الأسرة الواحدة ٠

وهو محس مؤكدا بالأثر النفسى السيء الذى يتملك والده الآن بسبب القطيعة بينه وبين بقية أولاده ، وهم أشقاء ، وكان يتمنى ان يكون فى حياته وفى مرضه بينهم جميعا ،وليس عند واحد منهم فقط ٠ ولكنه تجاوز ما يطلبه الاسلام من الولد نحو ابيه وأمه : من الرعاية الكريمة لهما فى الأحاسيس النفسية ، قبل الحاجات المادية ٠٠ تجاوز ذلك تحت تأثير فتنة المال والوقوع تحت اغرائه ٠

فمزق الأسرة ٠٠ وجعل افرادها خصوما بعضهم لبعض ٠٠ وأغضب الوالد وسبب له الحزن والهم فى اخريات حياته ، وهو الأكبر ، وهو البديل والعوض عن أبيه بين اخوته ٠

● والسائلة وأخواها يجب عليهم جميعا أن يزوروا والدهم من وقت لآخر فى منزل اخيهم الأكبر ، وان كانوا لا يكنون له محبة أو مودة ٠ ولكن من أجل والدهم يجب ان يتخطوا ما هناك من جفوة بينهم وبين اخيهم ٠ ولعل تكرار زيارتهم لأبيهم فى منزل الشقيق الأكبر تخفف من حدة الغضب ، وتسهم فى العودة تدريجيا الى علاقتهم السابقة ٠

وزوج السيدة السائلة رجل عاقل ووفى لقرابته وعصبيته ٠ وزوجته ان لم تطع أمره فى صلة والدها بزيارته فى منزل شقيقها تكون آثمة ومقصرة فى حق الوالد ، والزوج معا ٠ وهى اذا كانت تخشى الله فأولى لها ان لا تخشى انسانا ما فى اداء ما يأمر به الاسلام من صلة الأرحام ٠ فقد جاء من صفات أولى الألباب قول الله تعالى : « **والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب** » (١) ٠٠

● أما عن أنجع الوسائل التى تعود بها العلاقة فى الأسرة الى طبيعتها قبل افتتان الأخ الأكبر بمال ابيه واستيلائه عليه وحده ، فهو اعادة المال الى الأب ، أو توزيعه على ابنائه حسب ما يأمر به الاسلام فى توزيع الميراث : للذكر مثل حظ الانثيين ٠ والاخ الاكبر عندئذ واحد من ثلاثة اخوة : له ما لأى واحد منهم ٠ وهو ان فعل ذلك أرضى الله ٠٠ وأرضى اباه ٠٠ وأرضى اخوته واعاد رباط الاسرة على اساس لحمة القربى والدم ٠

---

(١) الرعد : ٢١ ٠

(ب) وعن انجع الوسائل التى يمكن ان تعيد الصلة بين الاخوة كلهم ووالدهم ، على نحو ما كان عليه الوضع قبل تنازل الوالد عن املاكه لأخيهم الكبير ؟ ٠

● يقول الله تعالى : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » (١) ٠٠

فيؤكد المولى جل جلاله : ان الأموال والأولاد : مصدر فتنة ، وشقاق ، وخلاف بين الناس ٠ أى من شأن الحرص على الأموال ، والأولاد ، : ينشأ النزاع ، وتنشأ الخصومة بين الزوج وزوجته ٠٠ والأخ وأخيه ٠٠ واصحاب الرحم بعضهم وبعض ٠٠ والجار القريب والبعيد وجاره ٠ والأموال فى اصلها نعمة من الله ـ وكذلك الاولاد ـ ولكن قد تخرج عن نطاق النعمة اذا أسىء استخدامها فى تنميتها بالربا مثلا ٠٠ وفى تكديسها بالبخل والشح ٠٠ وفى الاستمتاع بها بالترف والعبث ٠ وقدمت الآية الاموال على الأولاد ، لأن اغراء المال على الانسان أشد وأقوى ، وأكثر شيوعا ٠

وفتنة المال اذن فى أن يسيطر بريقه على صاحبه أو جامعه ٠ فلا يخرجه فى زكاة أو فى سبيل الله ٠٠ ولا ينفقه فى مصلحة لنفسه أو لأسرته ٠٠ ولا يعطى منه صاحب الحق حقه ٠٠ وقد يعتدى بكثرته أو بقوته على الآخرين عداه ، مهما كانت درجة صلتهم به ٠

● والمشكلة التى تعرضها السيدة السائلة هنا : من أمثلة الفتنة بالمال ٠٠٠ فالأخ الاكبر وقع تحت اغراء ما يملك والده ٠٠ وهو حق له ولأخويه ، وشقيقتهم السائلة ٠ وانتهز كبر السن لأبيهم ، واقامته لديه منذ وفاة والدتهم وهى زوجته ٠ واستطاع أن يأخذ موافقته على تنازل ابيه له عن جميع ما يملك ٠

والأخ الأكبر مدرس أول للغة العربية ٠ ولا شك انه قريب من الدراسات الاسلامية فى الجامعة أو فى الازهر ٠ وتجاوز فى فتنته بالمال : معرفته بالاسلام ٠

وهو على علم أكيد بصلته باخوته ، وبما يجب أن تكون عليه هذه الصلة من المحبة والمودة ، والترابط الأسرى ٠ ولكنه تجاوز ذلك تحت فتنة

---

(١) الانفال : ٢٨ ٠

والعادات .. والتوجيه . والقرآن نفسه يحكى بعد مرور أكثر من خمسة عشر عاما على نزول الوحى بمكة والمدينة : استبطاء المسلمين - اذ ذاك - فى الانتقال الى العادات الاسلامية الصرفة عندما يقول فى سورة الحديد : « **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون** » (١) صدق الله العظيم .

* * *

٤٦ - دخول المال فى شئون الأسرة :

سيدة من احدى المحافظات ، تذكر :

أولا : انها تزوجت من قريب لها ، منذ اربعة وثلاثين عاما . وانجبت منه اولادا كثيرة . وتعيش معه عيشة سعيدة راضية .

وثانيا : ان والدتها توفيت منذ عشر سنوات . وكانت منذ زواجها تتردد على منزل والديها للقيام بخدمتهما وخدمة اخوتها الثلاثة . وذلك برغبة من زوجها ورضاه عن هذا التردد . فهو متسامح وصاحب قلب واسع ، من أجل صلة الرحم .

ثالثا : تعلم الاخوة الثلاثة وتزوجوا وأسسوا أسرا خاصة ، ولهم أولاد الآن ، واستقلوا فى المعيشة ، بعد ان تفرق بعضهم من بعض . والأخ الأكبر مدرس أول للغة العربية وأسكن والده معه ، وهو يبلغ من العمر الآن ٨٥ سنة . وحمله على أن يكتب له جميع ما يملك ، دونها ودون أخويه الآخرين . وأثر هذا العمل من الأخ الاكبر عليها وعلى أخويها فقاطعوه ، وقاطعوا بالتالى أباهم عنده . ولكن زوج السائلة يدفعها دائما الى زيارة ابيها وهى لا تستجيب كراهية فى اخيها الكبير ، ولاستغنائها عن أية خدمات منه كما تقول . وتسأل الآن :

(أ) انها تخشى الله من سؤالها يوم الجزاء ، عن تقصيرها فى صلة والدها ؟

---

(١) الحديد : ١٦ .

امتنـع بعض الأوصياء خشية عدم العدل ، عن مباشرة الوصاية على اموال اليتـامى ، وكذلك عن الزواج بهن ٠

عندئذ جاء الترخيص بالزواج من اكثر من واحدة ٠ وكأن الآية تقول :

« **وان خفتم ألا تقسـطوا فى اليتـامى** » (فامتنعتم عـن الزواج بهـن والوصاية على اموالهن فخافوا الزنا) « **فانكحوا ما طـاب لكم من النسـاء مثنى وثلاث ورباع** » ٠٠ وهكذا الزواج باثنتين فأكثر منفذ للعدول عن الزواج باليتيمات ٠٠ ومنفذ آخر لعـدم الوقوع فى الزنا ٠ والتعدد بين الزوجـات يعتبر رخصة لمن لا يستطيع البقاء مع واحدة لأمر ما فى الحياة الزوجية ٠ والرخصة لا تكون اطلاقا مصدر ضرر لأحد ، كرخصة الافطار فى نهار رمضان للمريض والمسافر ٠ وفرق بين المبدأ والرخصة ٠ والزمخشرى فى تفسيره « الكشاف » يقول بهذا الرأى : « كانوا لا يتحرجون الزنا ، وهم متحرجون من ولاية اليتامى فقيل : ان خفتم الجـور فى حق اليتـامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حـل لكم من النساء ، ولا تحوموا حول المحرمات » (١) ٠

وهكذا الزواج فى الاسلام بأكثر من واحدة ليس مبدأ واجبا لا يتخلف عنه المؤمن بل هو رخصة يمكن استخدامها لمقتض لدى الترخيص ٠٠ ويجوز تجاوزها لمن لا يكون لديه داع الى استخدامها ٠

● أما ما يسأل عنه السائل فى بقية رسالته عن تطبيق الاسلام ككل فوضع المجتمع الاسلامى على عهد الرسول عليه السلام لم يتم الا بفتح مكة ، حين أعلن الله قبل ذلك بقوله فى سورة المائدة ـ وهى السورة قبل الأخيرة فى تنزيل الوحى بالقرآن الكريم ـ : « **اليـوم أكملت لكم دينـكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (٢) ٠ أى ان المسلمين استغرق انتقالهم من الوضع السابق على الرسالة ـ وهو وضع الجاهلية ـ الى الوضع الاسلامى قرابـة الثلاثة والعشرين عاما ٠ ووضع مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة : خليط فى العادات والتقاليد والسلوك والتصرفات ، ما بين المادية والاسلامية ٠ ومعنى ذلك : اننا قد نجـد بين الاخوات التى يتزيين بزى الاسلام من تكون متأثرة بعادات غير اسلامية على نحـو ما تطـلب فى الكفاءة الزوجية من اوضـاع وصفات ، بحكم تقاليد المجتمع وبيئاته العديدة ٠ وتحول المجتمع الى عـادات اسلامية صرفة يتطلب وقتـا ومثابرة على مقـاومة الدخيل من الفـكر ٠٠،

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ١٨٨ ٠

(٢) المائدة : ٣ ٠

تعـالى : « **وآتـوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا** » (١) ··

فسورة النساء ـ التى جاءت بها هاتان الآيتان ـ تعتبر سورة الحقـوق للنساء والضعفاء ، وهم اليتـامى أو الصغار الذين توفى آباؤهم ووضعت اموالهم تحت وصاية بعض اقـاربهم ·

وهذه الآية السابقة تناشد الاوصياء على اموال اليتامى ؛

أولا : أن يسلم هؤلاء الاوصياء اليتامى اذا بلغوا الرشد : أموالهم التى تحت ايديهم ولا يماطلون فى تسليمها اياهم انتفاعا بها : « **وآتوا اليتـامى أموالهم** » ·· وجاء توضيح ذلك فى السورة نفسها ، فى آية اخرى فى قـول الله تعالى : « **وابتلوا اليتامى** (أى اختبروا اليتامى فى تصرفاتهم فى اموالهم) **حتى اذا بلغوا النكاح** (سن الزواج) **فان آنستم منهم رشدا فادفعـوا اليهم أموالهم** » (٢) ··

وثانيا : ان لا يبدلوا ويغيروا فى اموال هؤلاء اليتامى فيأخذون الجيد والطيب منها ، ويضـعون بدلا منـه : الردىء والخبيث « **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** » ··

وثالثا : ان لا يأخـذوا من اموال اليتامى تحت أى مبرر ، ويضموه الى اموالهم الخاصة · اذ أنه أشبه بالسرقة ، ويعـد ظلما واضحا لهؤلاء الصغار : « **ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا** » (أى ظلما عظيما) ··

جاءت الآية التالية بعدها التى يفسرها السائل : وتقول :

« **وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتـامى فانكحوا ما طاب لكم من النسـاء مثنى وثـلاث ورباع** » (٣) ·· وهى توجه الخطاب الى الاوصياء على أموال اليتـامى · فبعض هؤلاء الأوصـياء كان يتزوج مـن اليتـامى طمعـا فى اموالهم التى هى تحت ايديهم · وكان لا يعـدل بينهن لانهم لم يتزوجـوا بهن من اجل صلاحيتهن للزوجية · وانما من اجل الانتفاع بالمال الذى يملكونه · فلما نزلت الآية « **وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى** (أى خشيتم أن لا تعدلوا فى اليتامى اذا تزوجتم بهن أو اذا باشرتم الوصاية على اموالهن) » ··

---

(١) النساء : ٢ · (٢) النساء : ٦ ·

(٣) النساء : ٣ ·

٤٥ ـ رخصة الزواج بأكثر من واحدة :

مواطن من احدى المحافظات ، يقول :

انه قد فهم من قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » (١) ·· بأن الله قد أمر بالزواج ، وأقل عدد اثنان ·· وأن الواحدة هى حالة شاذة ، وهى عند الخوف من عدم العدل !! ·

ثم يعلن خيبة أمله فى الاخوات اللاتى يرتدين النقاب · اذ بعضهن يسايرن العرف الشائع · وهو اعتبار صاحب المؤهل المتوسط غير كفء لصاحبة المؤهل العالى ، ويتجاوزن ما يروى من حديث : « اذا جاءكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ··

ويسأل : أولا : هل يقف هؤلاء الاخوات فى تطبيق الاسلام عند حد الزى وغيره من الامور البسيطة ؟

ثانيا : هل يمكن أن نطبق جزءا من تعاليم الاسلام ونترك جزءا ؟ أم ان الاسلام نظام كامل يصلح لحياتنا كلها : معاملاتنا ·· وزواجنا ، وغيرها من شئون الحياة المختلفة ؟ ·

● السائل يفهم من قول الله تعالى : « **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ، ورباع** » ·· أن الله أمر بالزواج بأكثر من واحدة · فقوله « **فانكحوا** » ·· أمر بالزواج من نكح اذا تزوج ·· وقوله : « **مثنى وثلاث ورباع** » ·· أى اثنتين ، وثلاثة وأربعة · وكأن الآية تقول : فتزوجوا باثنتين وثلاثة واربعة · وتأمر بأن لا يتزوج المؤمنون أقل من اثنتين الا للضرورة وهى الخوف من عدم العدل بين الاثنين فأكثر ·

والسؤال الآن هل مخالفة هذا الأمر فى نظره يعد اثما ومعصية عند الله ؟ لأن المؤمنين مكلفون حسب هذا الفهم من السائل باثنتين فأكثر ·· وما عدد من يستطيع من المؤمنين أن يتزوج اثنتين فأكثر ؟ وهل يكون هذا الأمر شريعة لله ؟ وهى هدى ورحمة بالمؤمنين ؟ ·

ان السائل جرىء فى فهمه · اذ يتغاضى عن كلام الله فيما قبل هذه الآية · وهو ما يرتبط به الأمر فى قوله هنا : « **فانكحوا** » فهذا الأمر : « **فانكحوا** » مترتب على وضع خاص تذكره الآية السابقة ، جاء فى قوله

---

(١) النساء : ٣ ·

الآخرين ، ولا يضر العلاقات الاسرية إذا به يسارع فينفذ فى غلظة وعنف ما اشارت به الزوجة وما املاه الولد على ابيه ، ويرتكب ما يرتكب من اخطاء فى حق نفسه أولا بين أهل القرية ، وأفراد أسرته ·· وفى حق والدته ·· وفى حق اخوته ·· وفى حق الزوجة والولد واخوته أنفسهم · لأنه خلف لهم الآن عدم ثقة به ، وضعفا فى منزلته الاجتماعية ، وسيئة لا تنسى فى اسرته ··

ما كان أغناه عن تبديد الثقة به ، وانخفاض منزلته الاجتماعية بما ارتكبه من سيئات ، لو كان ذا حزم وعزم ازاء الأهواء التى تحدث عنها بأن الشيطان قد اعماه عنها · وهى تلك السيئات التى وقعت بسبب حادث أمه ·

● وربما كان هناك جانب من الخير فيما أتى به السائل هنا فى علاقته بوالدته · وهو التنبيه لجميع افراد الاسرة بعدم صلاحيته منذ الآن للريادة · ومن ثم يجب أن يسألوه أولا فيما يريد ان ينصح به ، أو يفعله للأسرة ككل ·· ولا يأخذوا ما يراه بدون مساءلة له ·

وكذلك السائل نفسه كزوج وكوالد سيناقش مستقبلا ما تشير به الزوجة أو يشير به ولد من الأولاد ، أو جميعهم · ومعنى المناقشة : انه سيفكر فيما يجب أن يوافق عليه وسيبحث السبيل السوى الى تنفيذه ·

وكذلك زوجة السائل وأولادها سوف يتريثون فيما يعرضونه على والدهم ·· سوف تكون هناك روية فيما يطلبون · انهم سيتعلمون من هذه الازمة كثيرا ، وستكون لهم : بداية وقفة جديدة فى حياتهم نحو ما ينبغى ·· وما لا ينبغى ·

والسائل الآن عليه أن يعتذر لوالدته ولاخوته هو وزوجته وولده المهندس ·· وان يتوب الى الله تعالى فلا يعود اطلاقا الى مثل ما فعل ·· وان يطلب منها الصفح والدعاء له · والأمل ان لا يكون ما وقع لها : سببا فى تردى صحتها ·

هذا عن الحادث ·· أما عن شخصه فهل يستطيع ان يكون صاحب رأى ومشئية ؟ اذا اراد ان يكون ذلك فليرفض عقد البيع السابق ويضع تصرفه هذا امام والدته واخوته · انه ان فعل سيقضى على كثير من السيئات التى وقعت ، كما يقضى على نزوات زوجته وولده ·· انه ان فعل ذلك سيكون نوعا من التأديب لهما ·

★★★

● السائل من غير شك طيب القلب · محب لوالدته ·· حريص على ارضائها ·· وما فعله معها من محاولة اكراهها على التصديق على عقد بيع له يتنازل فيه عن بعض املاكها فى غيبة اخوته ، يعتبره من اطماع الدنيا الرخيصة التى دفعه اليها الشيطان ، ممثلا فى زوجته وابنه المهندس الزراعى · وبهذا الاعتبار يعتذر عن الاساءة التى وجهها لوالدته وهى فى سن كانت تنتظر فيها منه : ان يحافظ بكل وسيلة على احساساتها وعدم ايذائها نفسيا ، ايذاء مباشرا أو غير مباشر · وبالأخص انها كانت على صواب ، لحظة ان امتنعت عن التصديق على عقد البيع الجديد · فهو ابن لها كبقية اخوته · وكان يكفى فى تمييزه عن اخوته أن وافقت له فى الخفاء على ملكية المحل الذى كان يباشر فيه والده تجارة البقالة فى حياته ·

وما ناله من سوء السمعة فى القرية بسبب هذه الأزمة بينه وبين والدته يعتبر عقوبة كبيرة له على جريمته الشنعاء · فانسان كان معروفا بين أهل قريته بالتدين ، ومعرفة دين الله ، يصبح بتصرفه هذا بعيدا عن رضاء الله · فالقرآن الذى يحفظه وكان يعظ به أهل القرية اذ يقول فى شأن معاملة الوالدين : « **وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما · واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » (١) ·· اذا به يحملها على الخروج من المنزل فى ساعة متأخرة من الليل هاربة تبحث عن ملجأ يقيها سوء تصرفاته معها · فهو يقف على الضد تماما مما يطلبه القرآن الكريم ·

وبالاضافة الى ما ناله من سوء السمعة بين أهل القرية ، فان أمره قد انكشف لاخوته فى علاقته بهم · ففى نظرهم : انه استغل أنه أكبرهم وحمل والدته فيما مضى على ان تصدق على عقد بيع له بملكية المحل الذى كان والدهم يباشر فيه التجارة · ومثل هذا المحل له وضع خاص فى نفوسهم · وبانكشاف هذا الجانب فى علاقة السائل باخوته أصبح غير مؤتمن ·· أصبح غير أمين على مصالحهم المشتركة · وتنتقل عدم الثقة فيه منه الى زوجته وابنه المهندس الزراعى · وبذلك ينشأ نوع من العداوة والبغضاء فى الأسرة ، بدلا من الأمان والاطمئنان والاحترام المتبادل ·

● والسائل وان كان طيب القلب ·· وان كان قد سارع واعتذر عما أصاب أمه منه : فانه ضعيف الشخصية · اذ بدلا من أن ينصح زوجته وابنه المهندس الزراعى بالتوقف فى سبيل المال وجمعه عند الحد الذى لا يؤذى

---

(١) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ ·

ثانيا : أن تستعين بأهلها ـ بعد أن تحولهم عن الموقف السلبى ـ فى اقنـاع الأولاد بأداء الصـلاة وبقية العبادات ·· وفى الضغط على الزوج لمصلحته ومصلحة الأسرة فى ترك الحشيش وبقية أنواع المخدرات ·

ثالثا : أن تتوكل على الله وتستعين به فى أداء رسالتها · فرسـالتها شاقة ·· ولكن أجرها عند الله عظيم ·

★★★

٤٤ ـ مكانة الأم فى رعـاية أولادها :

من مواطن باحدى المحافظات يقص :

انه كبير اخوته ، وأن والده توفى منذ عشر سنوات ، وأنه فى آخـر حياته كان يتاجـر فى البقـالة ، فى محل تملكه زوجته وهى والدته ضـمن ممتلكات أخرى · ولكنه اغلق المحل بعد وفاته ، فأراد ان يتملكه هذا الاخ الاكبر عن طريق البيـع والشراء من والدته وفعـلا باعته له بعقد صحيح ، دون ان يعـلم أحد من اخوته بما تم بينه وبين والدته ·

دفعته زوجته وولد له مهندس زراعى الى أن يأخذ محلا آخر فى ظهر هذا المحل من املاك والدته أيضا · فلما عرض عليها الأمر لم توافق · لأنها لا تود أن تغضب اخوته فأمسك بيدها وأراد أن يكرهها على أن تبصم على عقد بيـع جديد أعـده لها فتخلصت بعنف منه ، مع أن سنها فوق السبعين · وقذفت بنفسها الى الباب الرئيسى · وكان ذلك فى الساعة الواحدة والنصف بعـد منتصف الليل · وولت هاربة الى بيت الجيران وكان مفتوحا ـ وحالتها فى غـاية السوء · وفى الصباح شاع الخبر فى القرية كلها · وكان ـ كما يقول ـ صدمة كبيرة لمعظم أهل القرية · اذ انه معروف عنه الاتصال بدين الله حتى انه كان يعظ الناس بالقرآن والسنة ! ·

ويعترف الآن بأن أمـه لم تبخـل عليه فى يوم من الايام ، وكانت كريمة معـه الى حد كبير · ولكن الشيطان اعماه ـ كما يقول ـ بواسطة زوجتـه وابنه المهندس اللذين لا يعرفان الا اطماع الدنيا الرخيصة ، ولا شىء غـير ذلك · ويسأل :

ما الذى يفعله الآن لارضاء هذه الأم الصالحة ، وحتى يطمئن لمقـابلة الواحد القهـار فى يوم الهول العظيم ؟ ·

الأولاد الثـلاثة سن المراهقة ·· ومرحلة المراهقة مرحلة خطيرة فى حيـاة الشـباب ·

● ولو أن أهل الزوجة وقفوا بجانبها ، وشجعوها على موقفها من نصح الأولاد ونصح أبيهم ·· وشاركوها فى النصيحة واللقاء بالزوج وبالأولاد ، مرة ومرة · لقوى شأنها وأخذت مكان الريادة والقيادة فى الأسرة ، بدلا من الأب الصائر الى الادمان والاستسلام لآثاره السيئة · وأخص هذه الآثار عدم القدرة على اتخاذ القرار فى شأن من الشئون ·

وأمل انقاذ هذه الاسرة من التفكك والضياع هو فى تدخل أهل الزوجة ·· وفى طرح السلبية التى ينصحون بها ابنتهم كلما ذهبت اليهم ·

وعلى السائلة ان تدرك تماما الوضع الذى هى فيه ·· كما تدرك ان المصدر القوى لأملها فى ابعـاد أولادها عن نوازع الاهواء هو الاستعانة بأهلها · ومن أجل ذلك يجب أن تسأل الأهل وتقنعهم بوجوب تدخلهم بجانبها فى علاج مشكلة الاسرة الخاصة بها · ومع كون هذه المشكلة حساسة ولكن مصير الاسرة يتوقف على اتجاه ريحها يمينا أو شمالا ·

وعلى أهل الزوجة ان يدركوا كذلك ان ما يوصون به ابنتهم من الرضا بواقع حياة زوجها واولادهـا هو دفـع الأسرة كلها الى الهلاك ، وليس الى النجـاة ·

● والزوجة فى تشددها فى أن يؤدى الأولاد عبادة الصلاة ، وكذلك فرائض العبادات وفى تشددها فى أن يقلع الزوج عن تناول الحشيش : تسلك الطريق السوى لاستقامة افراد الاسرة · ويجب ان يقوى ايمانها امام نصح اهلها لها بالاستكانة والتسليم ·· يجب أن لا تخضع للحلول السلبية · وتتغلب بقـوة ايمانها على اتجاه اهلها وتحملهم على ان يرفعوا راية النجاة معها ·

أداء العبادات لله جل جلاله ليس تبرعا يمتن به الانسان على الله · وانما هو اداء واجـب لمصـلحة الانسـان نفسه · وكثير من الآباء ـ على عكس الأمهـات ـ يستخف بهذا الواجب ، أو لا يضـعه الوضع السليم فى حيـاة الشباب ، ويترك الحبل على الغارب ، حتى يرى أثر الاستخفاف به فى سلوك الشباب ·· وهو أثر لا يسعد الآباء بأبنـائهم ·

والذى يجب أن تفعـله السائلة الآن :

أولا : ان تظـل فى موقفهـا من النصـح والتوجيه سواء لزوجهـا أو لأولادهـا ·

وأنجبت ثلاثة اولاد · اكبرهم فى سن السابعة عشرة ·· والأصغر فى سن الثانية عشرة · ولا يطيعون والدتهم فيما توجههم اليـه · ولا يؤدون الصلاة · وعندما تضرب الواحد منهم بسبب تركه الصلاة يثير والدهم مشاكل فى وجه أمهم ·

ورب الاسرة وأب الاولاد ـ كما تقول ـ لا يؤدى هو الصلاة فى اوقاتها·· ويدخن الحشيش · واذا نصحته بتركه الحشيش واجهها بمـا لا ترضاه ·· وتضطر الى أن تذهب الى منزل أهلها ·

وهناك فى منزل أهلها يلومونها على نصحها لزوجها بترك الحشيش · ويطلبون منها أن ترضى بالحياة معه ، على نحو ما هو عليه ·

وأخيرا تسأل : ماذا تفعل لكى تعيش مرتاحة الضمير ؟·

● أسرة السائلة أسرة متنافرة فالزوجة والأم تؤمن بالله وتؤدى فرائض العبادات وبالأخص الصلاة فى أوقاتها · وهى حدبة على تنشـــئة أولادها الثلاثة على الايمان والطاعة لله جل جلاله · وترجو من وراء ذلك استقامتهم فى السلوك ، وجدهم فى مراحل الدراسة المختلفة ·

والزوج والأب لا يلتزم بمواعيـــد الصلاة ·· ويدخن ·· ويتنـــاول الحشيش ·· ويقف فى وجه زوجته ان أنبت أو ضربت بعض الأولاد على تركهم الصـــلاة ·

وجذور هذا التنافر قوية · فليس من السهل حمل الزوجة أو الزوج على الوفاق بينهما · وكلما كان الوفاق بين الاثنين بعيدا عن التحقق كلمـا كان انعكاسه على توجيه الأولاد وتربيتهم ضارا · فليست أمامهم قدوة حسنة يقتدون بها ويتبعونها · والمرئى أمامهم فى حيـاة والديهم هو مواجهـــة كل منهما للآخر · فضلا عن السلوك السىء لرب الأسرة بسبب تعاطى الحشيش · وسيصبح ذات يوم ضعيف الارادة بسبب تعاطى هذا المخـــدر · وعنـدئذ لا يستطيع توجيه نفسه ولا توجيه أولاده · بل ربما يكون جموح بعض الأولاد فى المستقبل القريب عاملا فى زيادة متاعب الأسرة وتفرقها ·

وضع الزوجة وضع حرج · فهى بين أولادها ضعيفة ·· وأمام زوجها ضعيفة ·· واذا رجعت الى أهلها نصحوها بالاستكانة والتسليم لواقع زوجها وواقع الأولاد · وسيستسلم الزوج للضعف عما قريب بسبب الادمان عـلى الحشيش · وعندئذ تخـلو الأسرة من التوجيه السليم فى وقت يدخـل فيه

كما يجب أن نعرف انه يلغى التفرقة العنصرية ·· والشعوبية ·· والقبلية ·· ويرتفع بالترابط بين الناس على أساس من هداية الله وحده ·· اذ يقول : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء** (بسبب القبلية فى التميز بينكم) **فألف بين قلوبكم** (عن طريق الايمان بالله وحده) **فأصبحتم بنعمته اخوانا** » (١) ··

وبالاضافة الى ذلك يجب أن نذكر أنه يميز المؤمن عن المؤمن بالتقوى والخشية من الله والعمل الصالح · يقول تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير** » **(٢)** ··

فاذا كان يسوى فى الاعتبار الانسانى بين الناس جميعا ولا يميز انسانا عن انسان الا بالتقوى والعمل الصالح والسلوك الطيب والاستقامة وعدم الانحراف والطغيان : فما يوضع من فروق بين الأفراد ليس اذن من صنع الله · وانما هو من صنع البشر · والكفاءة فى الدين هى وحدها التى يجب اعتبارها · فالمؤمن كفء للمؤمنة · فان اختلف الايمان انعدمت الكفاءة ·

أما وراء ذلك فهو من الأعراف والعادات التى تطرأ على المجتمع ، أو تكون مترسبة فيه من أجيال سابقة ·

● وأخ السائلة مطالب اليوم بالموافقة على زواج شقيقته ممن ارتضته زوجا لها · ويجب عليه ان ينحى جانبا الفرق فى الدرجات العلمية بين الزوجين · فاختلاف مستوى الشهادات لا يحول دون انسجام الأسرة · وتساوى الشهادات ليس عاملا فى قوة تماسكها وترابطها ·

★★★

٤٣ ـ الأب ·· والقدوة السيئة :

سيدة من احدى المحافظات تدكى وضعا لأسرتها يقلقها ويجعلها غير مستريحة الضمير فى حياتها الأسرية ·

تقول : انها متزوجة ·· ومتدينة ·· وتعرف فرائض الاسلام وأركانه ·

---

(١) آل عمران : ١٠٣ · (٢) الحجرات : ١٣ ·

وأبو حنيفة يضم الى التكافؤ فى هذه الجوانب الأربعة جانبا آخر : وهو اليسار والمال ··

والشافعى اذ يرى أن عدم التكافؤ فى السلامة من عيوب النكاح ·· وفى الحرية وعدم الاسترقاق ·· وفى النسب ·· وفى المهنة والحرفة ·· وفى اليسار والغنى : لا يرد به عقد الزواج ·· ولا يلغى العقد اطلاقا اذا وقع بين غير متكافئين فى واحد من هذه الأمور · ولكن يعتبره فقط تقصيرا فى حق المرأة · والأولياء اذا رضوا بعدم الكفء فى جانب من هذه الجوانب صح العقد ، وحق لهم تركه · واذا لم تعلم الزوجة أو اكرهت فلها فسخ العقد ان شاءت ·

● وفى نظر الشافعى اذن : أن اختيار عدم الكفء حسب المعايير السابقة يعتبر فقط تقصيرا فى حق الزوجة وليس حراما يرد به الزواج · وبسبب هذا التقصير : لها الحق فى فسخ عقد الزواج ان اتضح لها عدم كفاءة الزوج بعد العقد عليه ، وأبدت رغبتها فى عدم قبوله زوجا لها ·

والمسألة عندئذ تعود الى المرأة نفسها · فان رضيت من أول الأمر رجلا ليس كفؤا لها فى النسب ·· أو فى المهنة والحرفة ·· أو فى اليسار والغنى : فلا ينبغى أن يرده وليها سواء أكان أباها أو أخاها · والعقد عليه ان اذنت عقد صحيح ولا تعقيب عليه اطلاقا ·

ومستوى الشهادات التعليمية اذا كان فى نظر بعض الناس مطلوب كسبيل الى التكافؤ بين الزوجين : فحكمه كحكم أى واحد من الأمور السابقة التى جعلت الكفاءة فيها مطلوبة ، حتى لا يكون ولى الامر مقصرا فى حق ابنته أو أخته · ومعنى ذلك : ان الزوجة المتخرجة من الجامعة اذا رضيت ان تتزوج صاحب درجة تعليمية من النوع المتوسط فزواجها لا يرد ولا يعقب عليه · وعلى هذا فعلى ولى أمر السائلة ان يستجيب الى ما رضيته أخته ويوافق عليه ·

● ويجب أن نعرف عن الاسلام أنه دين المساواة فى الاعتبار البشرى بين الناس جميعا · وأقوى نداء أعلن فيه القرآن الكريم هذه المساواة جاء فى قول الله تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها (ذكرا وأنثى) وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (١) ··

---

(١) النساء : ١ ·

٤٢ ـ مدى الولاية فى زواج البنت :

فتاة من احـدى المحافظـات تقص انها فى مرحـلة الدراسة الجامعية وستتخرج باذن الله بعد سنة دراسية أخرى ٠

وتقدم لخطبتها شاب متدين وملتزم فى سلوكه بتعاليم الاسلام ٠ ويحمل مؤهلا متوسطا ٠ وهى راضية به لأنها أيضا ملتزمة بتطبيق تعـاليم الله فى سلوكها وفى حياتها على العموم ٠ وعندما تقدم خطيبها الى ولى أمـرها ـ وهو أخوها ـ رفضه بحجة أنه يحمل مؤهلا متوسطا فى الوقت الذى تكون أخته قد تخرجت من الجامعة وتحمل مؤهـلا عاليا وليس هناك تعـادل بين المؤهـلين ٠

ولكن الفتاة صاحبة هذه الرسالة ترد على هذه الحجة بما ترويه من حديث : « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ٠ الا تفعلوه تكن فتنـة فى الأرض وفساد كبير » ٠٠

وتسأل الآن الـرأى لتوضـيح موقفهـا من أخيهـا : هل تتمسك برأيها أم توافق على ما يقوله ولى أمرها وهو أخوها ٠

● المانع فى نظر ولى الأمر للسائلة هنا ـ وهو أخوها ـ من الموافقـة على زواجها بمن ترضاه هى زوجا لها : أنه لا يراه كفؤا لها ٠ لحصـوله على درجة متوسطة فى التعليم ، بينما هى ستتخرج من الجـامعة وتحمل مؤهلا عاليا ٠ ودخل بذلك مستوى الشهادات التعليمية مجال الكفاءة فى العـلاقة الزوجية فى تقدير كثير من الناس فى مجتمعنا المعاصر ٠

ومن قبل كان يرى جمهور الفقهاء من المسلمين : أن الكفاءة فى العلاقة الزوجية فضلا عن اعتبارها فى الدين ومساواة الزوجين فى الاسلام ، يجب أن يكون هناك تكافؤ بينهما :

أولا : فى السلامة من عيوب النكاح التى توجب فسخ عقد الزواج ٠

وثانيا : فى الحرية وعدم الاسترقاق ٠

وثالثا : فى النسب ،

ورابعا : فى المهنة والحرفة كما يقولون ٠٠ ويمثلون لعدم التكافؤ فى المهنة والحرفة بأن الكناس ليس كفؤا لبنت الخياط ٠٠ وأن الخياط ليس كفؤا لبنت التاجر ٠٠ وان التاجر ليس كفؤا لبنت العالم ٠

مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار (مشركين أو من أهل كتاب سبق) ، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » (١) ·· فالآية لا تبيح زواج المؤمنة بالاسلام من كافر به سواء أكان وثنيا مشركا ، أو مجوسيا ، أو يهوديا ، أو مسيحيا : « لا هن حل لهم » (أى الكفار) ·· كما لا تبيح زواج الكافر بالاسلام من زوجة مؤمنة به : « ولا هم يحلون لهن » (ولا الكفار يحل زواجهم بالمؤمنات) ·· فالزوجة هنا مؤمنة بالاسلام لا يحل زواجها من كافر به وهو من اشهر اسلامه لغاية أخرى غير الاسلام ·· ولا يحل زواجه هو من مؤمنة به · والزوجة مؤمنة هنا بالاسلام ·

وهى الآن اذن مرتدة عن الاسلام ·· وزواجها عند الله باطل ·· ولا يشفع لها اطلاقا كما لا يصحح زواجها : اشهار اسلام الزوج · لأنه لمنفعة خاصة ، وليس للايمان بالاسلام ··· اذ المؤمن بالاسلام يعتقد فى عباداته ولا يهملها · على أنه هنا يتابع بعد اشهار اسلامه : الحديث عن الانجيل ، مما يدل على ترسب الايمان به فى نفسه · وكذلك المؤمن بالاسلام لا يقدم زوجته المسلمة الى أهله على انها مسيحية · بل يجب ان يكون قويا فيعتز بايمانه وايمان زوجته · والمنافق فى ايمانه ليس مؤمنا على الحقيقة · فقد كشف القرآن الكريم حقيقة المنافقين فى قوله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ، انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » (٢) ·· والزوج الذى يشهر اسلامه ويخفى حقيقته هو منافق : يعلن الايمان ويبطن الكفر به ·

·· واذا انجبت الزوجة أولادا منه فهم من الوجهة الظاهرة يكونون مسلمين · لأن أباهم وأمهم من عداد المسلمين · ولكن لا خير فيهم للاسلام · فأمهم لا يعنيها الاسلام فى قليل ولا كثير لانها على الأقل متسترة على نفاق زوجها فى اسلامه · وأبوهم لا يعنيه الاسلام كذلك · لأن عمله هذا ضار بالاسلام · اذ يحول البنت المسلمة الى لعبة أو الى مادة للاستمتاع والاستغلال معا · كما يحول زواجه منها على هذا النحو الى نموذج قد يدفع الأخريات من بنات المسلمين الى الاقتداء به ·

وأما سؤال السائلة عن الأثاث فلها المهر عند زوجها ، بناء على الشكل الظاهر · أما عند الله فزواجها باطل لم ينعقد من أول الأمر · ومعاشرتها له معاشرة غير شرعية · فهى تدخل فى مجال الزنا · والزانية لا تستحق مهرا فى نظر الاسلام ·

★★★

---

(١) المتحنة : ١٠ ·   (٢) التوبة : ٨٤ ·

وهكذا تمت التمثيلية بعد أن اخرجت اخراجا محكما ، حسب حاجة الصديق ، وهو ذلك الذى أشهر اسلامه ·

وربما يكون هذا الصديق قد تورط مع صديقته المسلمة والزميلة معه فى العمل ، وربما تكون هى قد تورطت معه أيضا · فدفعا لحرج هذا التورط اتفقا معا على أن يشهر اسلامه أولا ، ثم تقدمه ثانيا لأسرتها على أنه الزوج الصالح · وطالما مسكن اسرتها موجود ووالدها متوفى أو مطلق فيمكنهما عندئذ السكن فورا عقب عقد الزواج · وبذلك تختفى آثار التورط فى علاقة بعضهما بعضا ·

● زوجة تقبل أن تقدم الى الغير على أنها مسيحية وهى غير معروفة فى وسطها بأنها مسيحية ·· وتقبل ان تترك العمل والمرأة المعاصرة تعتز بالعمل وان كان على حساب مستقبلها وحساب اسرتها الخاصة التى شاركت فى اقامتها ·· وتقبل أن تدخل على اسرتها وأخواتها اجنبى عنها فى عاداتها وفى نظرتها الى الحياة ·· زوجة على هذا النحو ليس لها اختيار فيما تفعل ، وفى الوقت نفسه غير خاف عليها ما تسأل عنه الآن ·

وسؤالها الآن وشكواها من زوجها بعد أن اتضح لها : أن خسارة الحياة كلها فى جانبها ، وبعد أن تيقظ فيها ما بقى من كبرياء المسلمة لديها : تسأل عن مستقبل الأولاد فى الدين ان هى انجبت عنه ·· تسأل عن الأثاث وتأثيث بيت خاص بها ·· وتسأل عن حل أو حرمة الهدايا التى تقدمها من مالها الخاص ·

أما هو فحبله على غاربه ·· لم ينقل من دين لآخر كما تتوهم زوجته ·· ولم يدفع مهرا ولم يبحث عن مأوى أو عن مصدر ينفق منه على نفسه وعليها ·· وأولاده ـ ان انجب منها ـ ان لم يكونوا مسيحيين فى عاداتهم بحكم شخصية ابيهم القوية بالنسبة لشخصية والدتهم ، فلن يكونوا من المسلمين الذين يعتز بهم الاسلام ·

● هذه الزوجة المسلمة قد ارتدت عن اسلامها بزواجها من هذا الشاب الذى اشهر اسلامه خداعا وتمويها · لانها تعلم علم اليقين انه لم يسلم حقيقة · واشهار اسلامه عملية تمويه وخداع لأسرتها وأسرته · شاركت هى فيه ·

وزواج هذا الشاب ـ بعد كشف حقيقته ـ ن هذه الزوجة المسلمة ، زواج باطل · فالله تعالى يقول : « **يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** (أى من دار الكفر) **فامتحنوهن** ، الله أعلم بايمانهن ، **فان علمتموهن**

اولا : ما مصير الأولاد والى اى دين يكون انتسابهم لو فرض ورزقت منه بأولاد ، ثم ارتـد عن الاسلام وعاد الى دينه ؟ ·

ثانيا : تراودها فكرة الانفصال عنه فهل يلزم حينئذ بتاسيس بيت لها رغم انه يسكن معها عند أهلها ؟ ·

ثالثا : أن جميع مكاسبها ـ كما تروى ـ يوجهها زوجها فى ان تشترى بها هدايا الى أهله · فهـل الاسلام يبيح ذلك ؟ ·

● لماذا لم يسكن زوج الســائلة معها عند أهــله هو وأسرته ، طالما يقدمها لوالدته واسرته على انها زوجة مسـيحية ؟ ·· وطالما هو يكثر من ترتيل الانجيل ولا يبدى اهتماما بالصلاة وفرائض الاسلام ؟ · وعندئذ يكون تصرفه تصرفا عاديا : زوجة كانت مسلمة فتنصرت من أجل حبيبها وزوج بقى فارسا فى المحافظة على دينه ·

● ألم يكن يعد مسكنه معها عند أهل الزوجة استغلالا لها ولأسرتها ؟· وألم يكن قبـول الزوجـة عـلى انها مسيحية عندما يقدمها لوالدته وأسرته رضاء منها بهذا الاستغلال ؟ · وألم يكن قبولها كذلك : أن تنفق ما تحصل عليه من مال ورثته عن ابيها فى شراء هدايا لأهل الزوج بناء على توجيهه ، ممـا يزيد فى قبولها لاستغلاله لها ولأسرتها ؟ ·

● السيدة السائلة ·· كما يبدو من سؤالها : تعرفت على هذا الشاب المسيحى قبل أن تتزوجه وقبل أن يتعرف على أهلها · وربما قد تعرفت عليـه أثناء العمل معــه · ويبدو أيضا أن والد السيدة السائلة متوفى أو مســافر فى الخارج لمدة طويلة ، أو قد انفصل بالطلاق عن والدتها ، وهى ظلت تسـكن معها ، الى أن تعرف عليها هذا الشاب الذى أشهر اسلامه · وحتى لا تـكون العلاقة بين شابة مسلمة وشاب مسيحى محرجة لهما ، ان هما استمرا فيها ، ولم يشهر هو اسلامه ـ أشهر هذا الشاب المسيحى اسلامه كسبيل لدفع الحرج فى علاقتها معه ثم أخذ منه طريقا ميسرا فى استغلالها فقدمته صديقته المسلمة ـ وهى السائلة ـ الى أهلها على أنه مسلم وأخذت فى تمسكه بالانجيل دليـلا تلوح به لأهلها على أنه متدين وركزتعلى رغبتها فى اختيار الشخص الصـالح المتدين عندما يتقدم اليها أحد يطلب زواجها · وهذا الشاب متدين · فوافقت والدتها وأهلها على زواجها منه · ورغبــة فى « حمايته » من أهله هو ـ كمـا يقال عــادة فى مثل هذه الحالة ـ قبلت والدتها بأن يسكن معها وبقية أفراد الاسرة وبالأخص أن لها نصيبا من الارث · وهو ما توجه بعضه الى الهدايا لأهل الزوج ، بناء على طلبه ·

ما هو جدى ونافع لها · وليترك لعبة الشد وحرب الأعصاب اذ قد تجره الى خطأ جسيم لا يستطيع تلافيه : اما فى مستقبل ابنته أو أخته أو فى علاقته بها ·

الاسلام لا يقبل علاقة الانسان بالله الذى يؤمن عن كره أو اكراه على الايمان به · ولا يعتد بأداء العبادة اذا لم ينوها ويريدها العابد · لا يقبل عملا من غير قصد الى أدائه ولو كان انفاق المال فى سبيله · ذلك لأنه يريد للانسان أن يظل صاحب ارادة واختيار · وولاية الأب أو الأخ لها اذا كانت بنتا بكرا هى مساندة لها فى الرأى وليست حجرا عليه · والأمر الذى يطلب المساندة لها فى الرأى ، هو ما عليه خصائص الطبيعة للمرأة · وهى خصائص العاطفة التى تتميز بعظم كميتها ، وبقوة تأثيرها على ما تبديه من رأى · وفى تمييز الخالق سبحانه للأنثى عن الرجل فى العاطفة ما يحمى أمومة المرأة ، وقيادة الرجل · وهما أمران ضروريان لتكوين الأسرة وبقاء النوع البشرى ·

● ولد السائلة وخطيبها مدعوان الى تطبيق الاسلام فى حياتهما وفى علاقتهما بالآخرين · وتطبيق الاسلام هنا هو تجنب اكراهها على القبول · والسائلة سيقيها الله العبث والفساد طالما تتوجه اليه بايمان القلب وصفاء النفس ، والرغبة الصادقة فى أن لا تخون من يتزوجها ·· وأن لا تنحرف عن الصراط السوى · وهو صراط العزيز الحميد ·

★★★

٤١ـ الخداع فى الزواج يوجب التفرقة :

سيدة من القاهرة تقص انها منذ ستة اشهر جاءها رجل وطلبها للزواج ، واشترط عليها ان تترك العمل فوافقت والدتها واهلها ، بعد ان عرفوا انه كان مسيحيا واشهر اسلامه فى ١٩٧٧ وبدا من حديثه : « انه متدين » · وكما تقول كانت تطلب فيمن يتزوجها ان يكون متدينا · واقام معها فى مسكن اهلها ·

بعد ان دخل بها وجدت نفسها بعد ستة اشهر فى دوامة معه · فهو يحرص على زيارة والدته ويصحب زوجته معه لزيارتها ويقدمها على انها مسيحية وهى تعرف ذلك · ويكثر من ترتيل الانجيل أمامها ، بينما لا يبدى اهتماما بالصلاة وبفرائض الاسلام · وهى تشك الآن فى ان يكون قد اشهر اسلامه لأمر تجهله هى وليس لذات الاسلام · وهى الآن فى حيرة من أمرها وتسأل :

ولكن الأمر الذى لا يقع كثيرا ، هو أن يصر للخطيب على الزواج بمن هى لا ترضاه زوجا لها ، وتعلن فى وجهه صراحة عدم رضاها به ·

الزواج قبل كل شىء توافق نفسى ، وميل من الجانبين كل منهما للآخر · وقد شرعت الخطبة فى الاسلام لغرض التحسس لهذا الميل عند الرجل والمرأة على السواء ، قبل اتمام عقد الزواج · فاذا رأت السائلة هنا أن هذا الرجل الذى تقدم للبناء بها ليس على المستوى المطلوب فى صفات الايمان بالله والشجاعة فى مواجهة الباطل ، وليست له الشخصية التى تحميها فى شئون حياتها فهو لا يكون لها زوجا سعيدا ، ولا تسعد هى بالزواج منه : لأنه سوف لا يملأ فراغ نفسها وحياتها بحال · ومن لا يملأ الفراغ فى حياة المرأة لا تكون له طاعة نفسية عليها ، ولا تنعقد بينهما محبة أو مودة · بل اذا اكرهت على معاشرته تحاول أن تسخر منه · كما تحاول أن تبعده عن خصوصيات نفسها · وهنا يكون الزواج مصدر خصومة ، بعد أن يكون مصدر قلق وعدم اطمئنان للطرفين ·

● الرجل يجب أن يعتقد أن المرأة التى يتزوجها ليست سلعة تطلب من مالكها ، وهو أبوها أو أخوها ·· ليست كتلة مادية لا حياة ولا روح فيها · انها انسان له الحس والشعور ، وله الذوق والتمييز ، وله الارادة فى القبول وفى الرفض · وولاية الأب على البنت البكر هى ولاية ثقة ومساندة · فليست ولايته عليها تعطيلا لارادتها واختيارها · فيروى عن ابن عباس قوله ، عن رسول الله ﷺ : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها واذنها صماتها (أى سكوتها) » ·· فرأى البنت البكر فى زوجها المقبل قائم · وعلى الأب أو الولى أن يعرف رأيها · وفقط لا يشترط أن تعبر عنه صراحة لحيائها · فاذا عبرت عنه صراحة كما هو الوضع هنا فى سؤال السائلة فيجب الأخذ به . وعلى الولى . وهو الأب هنا ، أن لا يعدل عنه ·

واذن الأب عليه أن يعدل برأى ابنته فى رفض من تقدم لخطبتها وارتضاه هو أولا · والخطيب الذى صارحته السائلة بأنها لا تراه كفؤا لها ــ لأنه ليس الرجل الذى يملأ فراغ نفسها وحياتها ــ عليه أن يرحل من مجالها وُربما يعوضه الله خيرا منها ·

● الرجل فى الأسرة ان كان أبا أو أخا يجب أن يعرف وظيفته كولى للبنات أو الأخوات · وهى وظيفة المعاونة فى الارشاد والتبصير · وليست وظيفته التحكم · انه قطعا يحب ابنته أو أخته ، ويود لها مستقبلا سعيدا هادئا فى أسرة جديدة تشارك فى اقامتها وفى انمائها · فليتحسس رغبات من كان وليا لها . وليختبر هذه الرغبات ، وليتجه فى دراستها الى مشاركتها فى تحقيق

● أما ما تسأل عنه الزوجة من زيارة صديقات لها ـ هن على درجة كبيرة من التدين والاستقامة ـ فيجب أن يستأذن زوجها فى هذه الزيارة · فربما يكون عنده من الأسباب ما يجعلها تعيد التفكير فى الزيارة أو ربما يكون فى وقت الزيارة غير مهيأ لترك زوجته تذهب وحدها لأدائها · وعلى أية حال فمن حقه كشريك لها فى الحياة أن يوافق على خروجها من المنزل لأداء مهمة تريدها ·

★★★

٤٠ـ ولاية الأب فى زواج ابنته لا تلغى وجوب موافقتها على الزواج :

آنسة من احدى المحافظات ·· تشكو موقف أبيها منها وتذكر قصتها فيما يلى :

هى مدرسة فى المرحلة الابتدائية ، وتقدم لها خطيب هى لا تحبه ولا ترضاه · لأنها ترى أن زوجها المقبل يجب أن يكون مؤمنا بالله محبا له ، يواجه الباطل فى قوة وعنف · وأن يكون شجاعا ذا شخصية · وهذا الذى تقدم لخطبتها لم تتوفر فيه جميع الصفات المطلوبة ·

ولكن والدها يوافق على خطبتها له · ويمارس الضغط عليها فى صور عديدة · منها الاهانات والشتائم والسباب · ومع ذلك أرسلت الى هذا الذى تقدم لها شخصا يثنيه عن عزمه ويبلغه رفضها له وعدم رغبتها فى قبوله زوجا لها · ولم تنجح معه الوساطة بل زادته اصرارا وكلما زاد اصراره كلما زادت كراهيتها له ·

وبلغ من ضغط والدها عليها أن أرغمها على أن ترافقه فى شراء الشبكة· ولم تجد أمامها سوى أن تذهب الى الشخص بنفسها وتصرح له أنها لا تستطيع أن تعاشره بحال · وفى مواجهة والدها وهذا الخطيب تعتقد انها ستصير الى احد وضعين : اما وضع الخائنة لزوجها ·· او الكافرة بربها ·

وترجو توجيه النصح لكل من ابيها ومن يريد خطبتها وابداء الرأى فى حل هذه المشكلة لها ولمن على غرارها ·

● مشكلة السائلة ليست جديدة · بل هى معادة وتنم عن عادة متأصلة فى نفوس الأسرة المصرية · وهى عادة فرض الأب ارادته وعدم اهتمامه بما تبديه ابنته من رغبة خاصة ضد ما يريده هو ·

والتعاون معهم · ويرى فى صـــلة الأقـارب مهما كانت درجة قرابتهم : انها تنشىء المحبة بينهم ·· وتساعد على سعة الرزق ·· وعلى طول العمر ·

والانسان اذن بأقربائه · ان توطدت المحبة بينهم ، كانت سعة فى الرزق بسبب تعاون بعضهم مع بعض ·· وكان طول العمر لهم ، عن طريق تجنبهم المشقة والتوتر فى الحياة ، بسبب التعاون العام بين الجميع ·

ولا تتوطد المحبة بين أفراد الأسرة الا اذا بدت الروح الكريمة فيهم · وهى روح المساعدة أو على الأقل روح التودد والرغبة فى صـــلة الرحم ، والمحافظة على عدم انقطاعها ·

وبعض الفلسفات المعاصرة يرى التجمع بين أفراد الأسرة صورة من صور التخلف الحضارى ·· ويرى الترابط بينهم على أساس من المحبـــة والمعاونة ضربا من ضروب البدائية · ولذا يحرص على تمزيق الأسرة وتقطيع أوصالها بشتى الطرق والأساليب · والاسلام اذ يريد القوة للأسرة والمحافظة على روابط الدم بين أفرادها يريد القوة للمجتمع نفسه · واذا قوى المجتمع كان من السهل عليه أن يدفع طغيان أية قوة خارجية تحاول أن تطيعه لفلسفة التبعية ، بسبيل أو بآخر ·

● والزيارة التى تريدها السائلة وتستأذن فيها زوجها لتقوم بأدائها لأخيها ولأسرته هى أقل ما يجب أن يعمل فى علاقة الأخت بأخيها · والزوج اذ يمنعها من زيارة أخيها فى حال الصحة والمرض على السواء ، ومن زيارة زوجته أو ابنته : انما يمنعها عن أمر يدعو اليه الاسلام ويطلبه · فيروى أن رجلا سأل رسول الله عليه السلام ، فقال : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ! فقال الرسول عليه السلام : « تعبد الله لا تشرك به شيئا ·· وتقيم الصـــلاة ·· وتؤتى الزكـــاة ·· وتصـــل الرحم » ·· فجعل صلة الرحم فى القيمة والأثر بمثابة أداء الصلاة ، والزكاة · وأبسط الصور لصلة الرحم هى الزيـــارة والتواد ·· هى ما يعبر عن المحبة والرضا بين الأفراد ·

والزوج ــ وهو ابن عم لأخيها ــ مسئول كذلك أمام الله عن قطع الصلة بينه وبين صهره · فهما من أسرة واحدة ، وفى درجة قرابة واحدة أيضا · واذ يمنع زوجته من زيارة أخيها تتضاعف مســـئوليته أمام الله ســـبحانه وتعالى · فضلا عما يخلفه المنع فى نفس زوجته من عدم الرضا أو من عدم الصفاء النفسى فى علاقتها به · والعاقل أولى به أن لا يكون مصدرا لاساءة أحد مهما كانت درجة القرابة اليه ، ومهما كان أثر هذه الاساءة من التفاهة وانعدام الأثر المادى ·

٣٩ـ صلة الرحم واجب اسلامى :

سيدة لم تذكر ما يشير الى اسمها وموطنها ـ تقول :

انه حصل خلاف بين زوجها ، وهو ابن عم لها ، وبين أخيها • وعن هذا الخلاف يرفض زوجها أن يأذن لها لزيارة أخيها ، أو زوجته ، أو ابنته ، حتى فى حال مرض أى منهم واشتداد المرض عليه • وتذكر أن أخاها وزوجته من المحبين لها ولأسرتها •• وتسأل :

أولا : ما حكم الاسلام فى هذا المنع وعدم الاذن ؟

ثانيا : ما حكم الاسلام فى زيارة صديقات لها على جانب كبير من التدين والاستقامة ؟

● الاسلام يرى أن أسرة أى انسان هى الركيزة الأولى التى يستند اليها فى عصبيته وفى قوته فى الحياة • فالتعاون بين أفراد الأسرة يجب أن يكون وثيقا •• والمودة يجب أن تكون قائمة • ومن جوانب التعاون مساعدة الأثرياء فى الأسرة للفقراء فيها • ومن جوانب المودة زيارة الأقرباء بعضهم لبعض •

والقرآن فى قوله تعالى : « **وآت ذا القربى حقه** » (١) •• عندما يعبر عن المساعدة التى يقدمها الغنى لصاحب الحاجة فى الأسرة الواحدة : « بحق » صاحب الحاجة عند الغنى ولذا يأمره بالاسراع بتسليم هذا الحق له •• القرآن عندما يعبر على هذا النحو يقصد الى بيان قوة الترابط فى الأسرة ، والى أن الأمر فى علاقات الأفراد فيها يصل الى درجة الالزام فى المساندة والتعاون •

والأقرباء الذين يكونون أصحاب الرحم فى الأسرة الواحدة ليسوا فقط أصحاب الدرجة الأولى فى القرابة كالوالدين والاخوة والأخوات • وانما هم جميع من يشملهم عنصر القرابة فى الدم • ويروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قوله : « **تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فان صلة الرحم : محبة فى الأهل ، مثراة فى المال ، منسأة فى الأثر** » ••

فالحديث يحث على تعرف الأقارب فى الأسرة ، والتودد اليهم ،

---

(١) الاسراء : ٢٦

الآن . كما قد يتولد عنه انحراف فى عادات الأب نفسه فتتحول لديه عاطفة الأبوة نحو ابنته .. الى عاطفة « شهوة » . تدفعه الى أن يشتهيها كأنثى . وهذا التحول فعلا قد يقع فى بعض العلاقات بين الآباء والبنات ، وبين الأمهات والبنين فى مجتمعات أخرى .

● والقرآن يجعل الأولاد مصدر فتنة الوالدين وينبه لذلك ، ويحذر من العواقب السيئة اذا تحققت . كما يجعل الأموال كذلك مصدر فتنة لمن يملكونها (١) . وفتنة الأولاد فى الدرجة الأولى : أن يطغى آباؤهم بقوتهم وعصبيتهم . وقد يطغوا بالميل نحوهم ، فيدللونهم ، وبذلك يسيئون الى تربيتهم .. أو تتحول عواطف الأبوة أو الأمومة الى عواطف الشهوة نحوهم: فيعشق الأب ابنته .. وتعشق الأم ابنها .

ومن هنا كان « الاعتدال » فى التعبير عن الميل نحوهم هو الذى ينصح به الاسلام فعن طريق الاعتدال يتجنب الوالدان : التطرف فى محبة الأولاد ، والميل نحوهم .

وما تشكو منه السائلة هنا من أبيها يجب أن يتجنبه الى غير رجعة له .. يجب أن ينسلخ عن هذه العادة كلية مهما كان حبه لها . انه بما يفعله معها الآن يضع نفسه موضع الاتهام ، حتى لقد شاع أمره بين المقربين منه، عدا أسرته .. كما يضع نفسه على الطريق الذى ينتهى به حتما الى تصرف غير سليم ، نحو نفسه .. ونحو ابنته معا .

انه يدعى أنه بهذا الصنيع يعبر عن حبه لابنته . ولكنها هى تأخذ منه سببا لكراهيته وبغضه . والحب لا يكون من طرف واحد . والا كان اغتصابا، اذا فاز من يحب وحده بمن يحبها ، دون أن تشاركه عاطفته .

ان تخيلاته التى تداعبه بعد الاطلاع على الصور الخليعة وعلى المجلات الماجنة يحمله على أن يتخذ من ابنته موضوع تجربة لها .. ويسير بذلك فى طريق معوج .

وأولى به اذا كان قد أرسل لحيته تعبيرا عن تدينه : أن يواظب على الصلاة .. ويشعل مجموعة الصور العارية والخليعة لديه فى النار .. ويكف تماما عن ادخال المجلات الماجنة الى بيته ، فضلا عن قراءتها . وبذلك يكون قدوة حسنة لأسرته وأولاده .. ويكون أبا صاحب توجيه سليم .

★★★

(١) « انما أموالكم وأولادكم فتنة » (التغابن : ١٥)

« أن أبى اعتاد أن يقبلنى منذ الصغر · فهو كل ما يرانى يأخذنى فى غرفته ، ويقفل على الباب ، ويحملنى على أرجله ·· ويحضننى ·· ويقبلنى : من فمى ، حتى أنه يأخذ شـــفتاى فى فمه ويخرجهما « مورمتين » ·· وأنا أتضايق من هذه العادة حتى ضاقت بى الحياة وكرهت نفسى ·· وكرهت أبى ·

« ونصحته والدتى وقالت له : اننى كبرت · وهذه الأشياء ستجعلها تنحرف · فلم يستمع الى نصيحتها · وقالت ان هذه الأشياء حرام ·· مع أن أخى أصغر منى لا يقبله ·· وهو مواظب على قراءة مجلة الشبكة ·· وسمر ·· وعنده مجموعة من الصور الخليعة يحتفظ بها فى مكتبه » ··

ثم تسأل : ما رأى الدين فى هذا الأب الشاذ ؟ ·

● من الشائع لدى بعض علماء النفس : أن البنت تميل الى أبيها أكثر من ميلها الى أمها ·· وأن الأب أيضا يميل الى ابنته أكثر مما يميل الى ابنه· ويحاولون : أن يجعلوا ذلك قاعدة أو قانونا من قــوانين علــم النفس ·· ويفسرون ، هذه الظاهرة كأثر من آثار الغريزة الجنسية : فهى تدفع الأب نحو ابنته ·· والبنت نحو أبيها · ولكن ذلك تفسير مبالغ فيه · وقد كان شائعا فى وقت من الأوقات · وكان يروجه بعض العلماء اليهود لتوجيه الشــباب نحو « الجنس » ·· والالتفات الى علاقة الذكر بالأنثى ·

والأولى أن تعتبر هذه الظاهرة من الأب هنا نحو ابنته الصغيرة : ضربا من « الشذوذ » ·· كما تحكى السائلة فى رسالتها · ومعنى انها ضرب من الشذوذ : انها ليست قاعدة ، ولا ظاهرة نفســية عامة من الظواهر التى لا تتخلف فى حياة الانسان : أى انسان ·

فالأب هنا يحتفظ بمجموعة من الصور الخليعة فى مكتبه ·· ويواظب على قراءة « الشبكة » ·· و « سمر » ·· ويترك مجلة الدعوة ــ وهى تأتى اليه بانتظام ــ الى زوجته لأنها متدينة · فهو يميل الى الجانب المكشوف ·· يميل الى الخروج بالمداعبة الى الناحية التى تمس حياء الأنثى · كما يفعل هنا مع ابنته فى ارتشاف فمها وأخذ شفتيها داخل فمه يمصــــهما ·· الى أن يتورما ، كما تذكر صاحبة الرسالة ·

فالصور الخليعة ·· والمجلات الماجنة المثيرة للشباب فى سن المراهقة اثارة جنسية تؤثر عليه ، بحيث تجعل منه انسانا غير عادى · وهو الانسان الشاذ · وإذن ما تشكو منه السائلة هو انحراف فى طبيعة الأب ربما يتولد عنه انحراف فى خلق البنت ، عندما تدخل مرحلة المراهقة · وهى على عتبتها ·

ولولا حياءها الشديد ·· ولولا احترامها العميق لأبيها ·· ولولا أن حرصها قوى على بقاء ســـمعتها طيبة بين أهل قريتها : لأمكنها أن تصرح برغبتها الحقيقية لأهلها ·

ولكن كيف تعلل الآن رفضها للزواج من ابن عمها ؟ · أتقول انه حاول اغتصابها أكثر من مرة ؟ · أتقول انه غير أمين على عرضها فى وقت كان يجب أن يكون حريصا كل الحرص على المحافظة عليها ؟ ان أية بنت ريفية لا تستطيع أن تحكى فى وضوح لأهلها : ما يكون قد وقع من محـــاولات غير شريفة من قريب لها · فما بالنا بهذه السائلة تخشى أن تنقد أى وضع وتخشى أن تعرض أى واحد للحرج ! وتخشى أن يحتمل انسانا غيرها : وزرا لهـا !

● ومع هذا الوضع للسائلة فان لها جانبا آخر يمكن أن تنفذ منه الى تحقيق موقفها من زواج ابن عمها بها ، وهو الرفض · هذا الجانب هــو صلتها بأخيها الأكبر · فهو الذى قدم لها الخطيب الذى تشير اليه · وهـــو ملازم أول ، زميل لأخيها · وهناك اذن ثقة منها فيه ، كما أن هناك تعاطفـا بين بعضهما بعضا ·

ومن غير أن يكون هناك حرج أو احراج لأحد : يمكن أن توضح لأخيها موقفها من الرجل الذى تريده رفيقا لها فى حياتها ، وتشير عليه بأن يعرض الأمر على أبيهما · ويبدو من رسالة السائلة : أن أباها يحبها كثيرا · وهـو عندما اقترح زواجها من ابن عمها لم يرد الا سعادتها · كما يتصـور · ولم يعرف عن ابن عمها ما عرفته هى وتحكيه هنا بكل صراحة من عدم الأمانة على عرضها ·

ومشكلة السائلة ليست مشكلة عائلية معقدة · وانما هى مشكلة لهـا وحدها · وبيدها الحل · وبيدها الاستمرار فى بقائها كمشكلة ، الى أن يتطور الأمر فى غير صالحها بأن توضع أمام أمر واقع لا ترتضـيه · والحل هـو التحدث فورا بشأنها مع أخيها الأكبر · فلتتوكل على الله ، بعد أن تعزم عـلى مصارحته ·

★★★

٣٨ـ بين الأب وصغيرته :

معذبة من احدى المحافظات · عمرها احدى عشرة سنة واربعة اشهر، تذكر قصتها من واقع رسالتها فيما يلى :

« حبة عينى اليسرى تؤلمنى جدا · واسنانى كادت تقع ، على اثر قلمين من كف ابى الثقيلة ، كادت تفقدنى الوعى ولا ذنب لى · الذنب كله :

٣ ـ وحرصها على أن تظل بين أهل القرية المثل الأعلى للفتاة ،

٤ ـ وحياؤها من الافصاح عن رغبتها الحقيقية ·· كل هذه عوامل تمنعها من أن تعلن الرفض لزواجها من ابن عمها ·

وفى مقابل هذه العوامل يوجد الباعث النفسى لديها على رفض الزواج منه بأية حال وهو عدم الرغبة فيه اما لأنه غير أمين على عرضها فيما مضى ·· واما لوجود شخص آخر متعلم وهو زميل لأخيها تقدم اليها بعد المرض ضمن كثيرين · فكيف تواجه الموقف بصراحة ؟ ·

● الآنسة المعذبة السائلة كانت متطلعة لأن تكون متعملة ، وتتم دراستها فى مراحل التعليم المختلفة · ولكنها فوجئت من أبيها ـ وهى تكن له الاحترام ـ بفصلها من المرحلة الابتدائية والحاقها بخدمة أخيها الأكبر فى البلدة التى تقع مدرسته فيها · وارسالها مع أخيها لتقوم على خدمته كانت عادة شائعة فى الريف · وبفصلها من التعليم وانقطاع أملها فى اتمامه حصلت الصدمة النفسية الأولى · وهزت هذه الصدمة كبرياءها ، أو حطمت طموحها فى الحياة · ولكنها لم تستطع أن تفصح عما أصابها نفسيا لأسرتها· لأنها تحترم أباها وتخشى أن تجرح العلاقة بينها وبين أبيها ، ان هى عبرت له عن ألمها بسبب انقطاعها عن التعليم ·

● فاذا أضيف الى انقطاعها عن التعليم : عزم أسرتها على تزويجها من ابن عمها وهو غير متعلم كذلك : تكون قد تلاقت أميتها مع أميته ، رغم أن احساسها بالحياة ، وفهمها لاتجاهاتها المختلفة ، أعمق وأدق من نظيراتها · وبهذا العزم على تزويجها من عمها الأمى : حصلت لها الصدمة النفسية الثانية · وحزنت حزنا شديدا · كيف يكون مستقبل حياتها ؟ · انها اذا انقطعت عن التعليم كانت تؤمل أن يكون رفيقها فى الحياة متعلما فتجد فيه شيئا من العوض · اما أن يكون غير متعلم وغير مثقف فذاك هو الطامة الكبرى،بالنسبة لها فى تصورها·وهنا من كثرة تفكيرها ومن كثرة حزنها على ما سيلحق بها · أصيبت بالشلل فى ساقها اليمنى · ولكن شاء الله أن تبرأ منه · وهى اذ تشكر الله على شفائها فانها تذكر أباها دائما بالفضل على رعايتها ·· كما تشكر أخاها الأكبر على استمرار انفاقه عليها ، بجانب أبيه ·

فالسائلة مهزوزة نفسيا لأنها صدمت مرتين · مرة عند انقطاعها عن اتمام تعليمها ·· ومرة أخرى عند اتفاق الأسرة على تزويجها من ابن عمها الفلاح ·

٣٧ـ لا ينبغي أن يكون هناك لبس في موافقة البنت :

فتاة في الثالثة والعشرين من العمر ، تقول : انها متدينة ٠٠ وأن أباها فصلها من التعليم لتقوم على خدمة أخيها الأكبر في التعليم في بلدة بعيدة عن البلدة التي نشأت فيها أسرتها ٠

٠٠وأن أباها يعيش مع أمها في بلدة أخرى ، غير هذه وتلك ، بسبب أعمال وظيفته ٠ ٠٠ وأن منزل الأسرة بالبلدة يسكن كذلك ـ مع أسرتها ـ ابن عم لها توفي والده ، مع أمه وأخته ٠ وهو الذي يشرف على الزراعة في الأرض التي تمتلكها الأسرة ، من قبل والدها وهو غير متعلم ٠ فهي استبقيت في المنزل ٠٠ وابن عمها استبقي كذلك فيه ٠ فهما متساوقان ويناسب كل منهما الآخر ٠ ولذا ترى أسرتها : أن يتزوجها ابن عمها ٠

ولكنها لا ترغب في الزواج من ابن عمها ٠ وتوضح « عدم ارتياحها » لهذا الانسان : بأنه غير أمين ٠ « حاول أكثر من مرة أن يفوز بشرفي وعرضي، مما جعلني أنام في قلق وأعيش في رعب ٠ وهم يعلمون ذلك كلهم الا والدي ٠ وبرغم محاولته الدنيئة لم أكرهه ٠ ولكن أتمنى أن لا يكون الانسان الذي أعيش معه ويعوضني أيام المرض » ٠

وقد أصابها مرض من الحزن على عزم تزويجها منه ، في ساقها اليمني٠ وطال أجله ولكنها شفيت منه بفضل الله ورعاية والدها لها ٠ ولكنه خلف عندها شيئا من العرج وتحس في نفسها بفضل كبير لأبيها عليها ٠

يتملكها الحياء والخجل ٠ وعندما أحست أسرتها بعدم رغبتها في أن تكون زوجة لابن عمها ، ورشحت الأسرة الأخت الصغرى لتكون زوجته بدلا منها ، لم ترد أن تضحي بها وتقطعها عن التعليم ٠ ولذا آثرت أن لا تعلن هي رفضها ولا موافقتها على ابن عمها ليكون زوجا لها هي ٠

وتعتبر بين أهل القرية مثلا أعلى للفتاة الناضجة والمتدينة الصالحة ٠ وحرصها على هذه السمعة الطيبة بين أهل قريتها يقف دون أن يعرف عنها : الرفض لزواج ابن عمها ٠

والآن :

١ ـ حرصها على مستقبل أختها الصغرى ٠

٢ ـ واحساسها الشديد بفضل والدها عليها أثناء مرضها ٠

الناس له فتزداد اساءته الى أسرته تغطية لما يحس به من نقص فيما حوله ٠ وهنا ربما يعيد احترام أسرته له : الاحســـاس بالاعتبار البشرى ٠ وعندئذ يعود اليه التوازن فى التصرف ، فيكف عن الفاحشة والسرقة للمال ، ويقـدم على الاسهام والمشاركة فى عمل الأسرة وانماء مالها ٠

ان أى والد يحس باحتقار أولاده له : يحس فى الوقت نفسه بالضعف والمذلة ٠ واذا أحس بالضعف والمذلة فلا يرجى له الا أن يزداد فى اســـاءته لنفسه ولأسرته ٠ ومن الحكمة أن لا يعمل الأولاد على اذلال والدهم ٠ وأولى بهم أن يساعدوه على أن يستعيد احترامه بينهم أولا ٠ فاذا أحس باحترامهم اياه حرص على أن يظل محترما بينهم ٠ وذلك بتغيير سلوكه وتصرفاته الى النموذج الأحسن ٠ وعندئذ تحل مشكلته بالتدريج ويصبح على الأقل عضوا نافعا فى الأسرة ان لم يكن ربها والموجه فيها كما كان من قبل ٠

وعلى السائل أن يترك طريق المواجهة لابيه ٠٠ وأن يبتدىء معه بالمودة القائمة على الاحترام ٠ وعلى والدة السائل كذلك أن لا تقيم العقبات فى عودة الحياة الزوجية بينها وبين زوجها ٠ فان ذلك من شأنه أن يعيده الى التصرف الطبيعى ٠ ولتغفر له ما مضى من ارتكابه الفاحشـــة والمنكر ٠ ولا تعيد الى ذاكرته اليوم ما كان منه بالأمس ٠ وخير السبل أن تكون عادية معه كزوج لها وأب لأولادها ٠

والانسان طالما لا يصر على الخطأ فقد يعود الى الصواب لحظة ما ٠ وعلى أية حال هو والد ٠ والله يهديه الى سواء السبيل ٠

ولتوضيح الاجابة على أسئلة السائل :

أولا : ان الاب لم يزل له حق الاحترام من أولاده ٠

وثانيا : يجب أن لا يمنع من دخول محل التجارة ٠ وفى أول الأمـــر تراقب تصرفاته مراقبة غير مكشوفة ٠

وثالثا : من حقه أن يعاشر والدة السائل معاشرة زوجية ٠ فليس ادعاء سرقة المال أو ارتكابه الفاحشة مع أخرى من الموانع الشرعية فى علاقة الزوج بزوجته ٠

★★★

● هو شاب يريد أن يكون ناجحا فى دراسته ‥ ومستقيما فى سلوكه ‥ومشاركا للمسئولية فى أسرته ٠ ولكنه لا يستطيع ٠ لأن ارادته ليست كافية فى انجاز ما يستهدفه من حياته فى النجاح فى الدراسة ، والاستقامة فى السلوك ، والمشاركة فى المسئولية الأسرية ٠

فهناك الأب ورب الأسرة يطغى بعبثه وفساده ، فلا يترك له نافذة ينفذ منها الى ما يريد : يباشر الفحشاء والمنكر ، ويسرف فى مخالطة النساء وسرقة المال من أهل بيته ٠ لا يؤتمن على عرض ، وليست لديه حرمة لمال خاص مملوك لزوجته ، ولا يؤتمن على أسرار العلاقة بينه وبين زوجته ٠ فقد عرى نفسه من صفات الرجولة ، وكشف علاقته الزوجية بحيث أصبح الآخرون يعرفون خفاياها ٠

والسائل ـ وهو ولده ـ يرى فى أبيه قدوة سيئة ٠ كما يرى أنه فقد الاحترام منه ومن أمه وأخته ، على السواء ٠

يرتكب فاحشة الزنا ‥ ويباشر المنكر من سرقة المال ‥ كما يباشر الاعتداء بالضرب والايذاء ، اذا لم يمكن من سرقة المال وهو لزوجته ٠

ان المنزل اذا كان من العوامل الجوهرية التى تؤثر على الشاب فى تكوينه ايجابا أو سلبا ، بجانب الوسط الذى يعيش فيه ، والمدرسة التى يتردد عليها : فان الأب فى الأسرة والمنزل يكاد يكون صاحب الشأن الأول فى التوجيه ٠ فان ساء خلقه ساءت قدوته وساء بالتالى أثره على الأولاد ٠

ومن حق الأولاد أن يترددوا فى احترام أبيهم اذا ساء سلوكه ونالهم أذاه ٠ ولكن مع ترددهم فى احترامه ، فانه لا ينبغى لهم أن يظهروا له عدم الاحترام أو عدم الاكتراث بشأنه ٠ بل يجب أن يكون موقفهم منه هو موقف الحريص على مصاحبته بالمعروف دائما ، فمهما كانت الاساءة الموجهة منه، فليس هناك جرم أكثر من الشرك بالله ٠ ومع ذلك فكتاب الله يوصى الأبناء بعدم اتباع الوالدين فى حملهم على الشرك ، وفى الوقت نفسه يوصيهم بعدم التخلى عن مصاحبتهما بالمعروف ٠ فيقول : « **وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا** » (١) ٠

ان مثل هذا الأب قد تجرد من صفات طيبة عديدة ـ على الأقل فى نظر أولاده ـ قد يكون مريضا من الوجهة النفسية ‥ قد يظن انه فقد اعتبار

(١) لقمان : ١٥

وتهديد الابن الأصغر بترك العمل فى مصر ، والهجرة الى خارجها : ينبىء عن الأسى والحزن فى أعماق نفسه ·· وفى الوقت نفسه يدل على عدم استطاعته حل المشكلة التى واجهته منذ أن دخل بزوجته · وهنا يجب وجوبا مضاعفا أن تتقدم بقية أفراد الأسرة للتخفيف من مآسيه وأحزانه بسبب والدتهم جميعا ·

★★★

٣٦- احترام الوالد ورعايته :

شاب من احدى المحافظات يذكر :

هو شاب فى معهد متوسط ، ويريد أن يكون مؤمنا ، مستقيم السلوك · ولكنه يفتقد القدوة الحسنة فى ابيه ·

فقد انفق والده جميع ما ورثه على النساء فى معاشرتهن معاشر غير شرعية · وأهل القرية يعرفون ذلك · ويسىء معاملة والدته ، ويسلك معها طرقا غير شريفة فى أكل مالها بالسحت · وهى تتجر فى مالها الخاص · ولكن لا يتركها وشأنها · وفوق ذلك : فهو يفشى الأسرار الزوجية ويتكلم عن النوم فى الفراش مع والدته للصغير والكبير · وهو غير امين على ابنته ·

ويفسر القرآن تفسيرا خاطئا فيقول مثلا فى قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو » (١) ·· انه مطلوب من الناس أن تلهو وتلعب فى هذه الدنيا ·

ويسأل :

١ - هل لمثل هذا الأب حق فى أن نحترمه مثل الآباء الآخرين ؟

٢ - واذا كان له الحق علينا ·· فماذا نفعل عندما يريد أن يدخل الدكان ونحن نعرف انه ربما يسرق على سهو منا ؟

٣ - هل من حقه أن يعاشر والدته - أى والدة السائل - معاشرة زوجية ؟

---

(١) الأنعام : ٣٢

والبعض الآخر من الزوجات الجدد يدخل الحياة الزوجية فى شىء من العصبية وفى كثير من الانانية وحب الذات · فتطارد « الشريك » فى حياتها مع زوجها · وقد تستخدم القسوة فى مطاردته · فتفلق التفاهم بينها وبين زوجها ، أو بينها وبين أى قريب له يسكن معهما ، أو يحاول الاقامة معهما ولو لفترة قصيرة · ويبدو ان زوجة الابن الأصغر للسيدة السائلة هنا : من النوع العصبى المتشبث بحب الذات الذى لا يحاول فهم الأوضاع فهما هادئا وايجابيا · بدليل أنها بعد أن خرجت حماتها للسكنى عند ابنتها الوسطى لمدة ست سنوات متتالية : لم تنقطع هذه الزوجة عن الشجار أو الصراخ ، والشتائم ، كل يوم فى مواجهة زوجها · والغالب بسبب حماتها · فالزوج اذا ذكر أمه بالخير ، أو عاتب زوجته على صنيعها نحو أمه وسكناها خارج مسكنها الذى اعتادت أن تسكن فيه وكانت تريد أن تقضى فيه بقية عمرها : ثارت وصرخت لتلزمه نفسيا بعدم التفكير فى استقدامها الى السكن بعد أن هجرته ·

● ولا ينفع هنا : أن أحدا يذكر زوجة الابن الأصغر للسيدة السائلة : بما قدمته لها ولزوجها من المنافع المادية ، عندما قبلتها ورحبت بها كزوجة لابنها فى مسكنها الخاص · لأن الوضع بين زوجة الابن وحماتها لا تحكمه المجاملات · وانما تسيطر عليه غريزة حب البقاء أو غريزة الذات والأنانية ، من جانب الزوجة · وقد يكون كذلك أيضا من جانب حماتها · اذ الوضع بين الاثنتين لا يصبح عاديا الا اذا استسلمت احداهما بسبب الضعف مثلا ، للأخرى ·

● ثم بعد ذلك : المشكلة فى رسالة السائلة ليست فى واقع الأمر بينها وبين زوجة ابنها · وانما هى مشكلة الأسرة كلها ·· مشكلة الأولاد الذكور ·· ومشكلة البنات المتزوجات ·· ومشكلة أزواجهن أيضا · اذ هذه السيدة لها فضل على الجميع · وهى فى حاجة الآن الى العناية · ومع الدعاء لها بطول العمر ، فما لها فى هذه الحياة : أقل بكثير مما مضى من أجلها · وقد يكون من حلول هذه المشكلة : أن تسكن ضيفة عند كل واحد من أولادها ، وأزواج بناتها فترة من الزمن · أو ان يتفق الجميع على أن تكون عند واحد معين · لا يلزم بها بناء على اقتراح أحد وانما بدعوة منه صادرة عن طواعية ، وعن قربى لله تعالى ·

والعناية بهذه السيدة السائلة فى سنها الحالى وفى أزمتها النفسية القائمة ولاشك أن من يباشرها يتقرب الى الله بالخير الذى لا يجازى عليه الا هو جل جلاله · وجزاء الله قد يكون فى هذه الدنيا فى أولاد من اختارها فى أسرته الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ·

ولكن ما أن وطئت الزوجة بقدمها المسكن حتى علا شجارها كل يوم مع زوجها بسبب أمه . وبعد أسبوع من قدومها تركت الأم السكن وذهبت لتقيم مع ابنتها الوسطى . وكانت تدفع لها نفقة المعيشة معها ، حتى لا يحس زوجها - وهو رجل محترم كما تقول - بمضايقة منها . ولكن مع كونها كانت تدفع نفقة معيشتها كانت تشعر بأنها لاجئة بائسة .

ولم يسعد ابنها ، بعد أن تركت أمه المنزل ، بالحياة مع زوجته . فشجارهما لا ينقطع .. وصوتها يرتفع بالسب والشتائم . وأخيرا بعد ست سنوات من الزواج تركت السكن . وأخذت عفشها معها ونسيت انها كانت متزوجة . واقترح على حينئذ أولادى أن أعود الى المسكن فعدت . ثم أراد ابنى أن يدعو زوجته الى المنزل ثانية فقبلت على شرط أن أغادره . ولست على استعداد الآن فى سنى وفى صحتى أن أسكن فى الشارع . أو عند احدى بناتى أو عند واحد من أولادى . وابنى الذى يساكننى يهددنى الآن بأنه - اذا لم أترك السكن - فسيسافر الى الخارج . ويترك عمله الذى يمارسه الآن أكثر من خمسة عشر عاما .

وتسأل ماذا تصنع ؟ .

● ان البنت - أى بنت - اذا تزوجت تريد أن تستقل بالزوج ، عن أهله، وأهلها معا .. تريد أن تحس انها وحدها معه ، دون شريك معها . ولو كان هذا الشريك أم الزوج أو أمها هى . ومن أول الأمر تريد أن تسكن وحدها فى سكن خاص بها .

فزوجة الابن الأصغر للسائلة هنا لا تكره أمه لسبب خاص فيها .. ولا تود أن تسكن معها لسوء عشرة منها . وانما هى الروح العامة التى تتملك كل بنت تدخل فى علاقة زوجية جديدة .

ولكن بعض الزوجات الجدد بشىء من تفهم وضع الزوج فى علاقته بأمه يستطيع أن تتحمل مؤقتا : معاشرتها لحماتها . وخصوصا اذا كانت الحماة فى سن متقدمة على نحو سن السائلة الآن :وبذلك ترضى زوجها أولا ، قبل ان ترضى حماتها . فالزوج يكون ممتنا لزوجته اذا وسعت بعض أقاربه - وبالأخص أمه - فى الاقامة عندها ، أو اذا .. استضافته فترة من الزمن .

وكلما احست الرضا والثناء من زوجها على ما تقدمه لأقاربه . كلما تحملت وصبرت وكلما كانت نفسيتها هادئة ومستقرة .

ان الوقوف فى وجه الاسراف فى الانفاق ·· وأمام عدم الاحســـاس بالمسئولية التى على والدته ، نحوه ونحو الأسرة : لا يعد اطلاقا تجافيا من الولد لأمه · فهو رغم ذلك لم يزل بارا بها ووفيا لتحقيق رغباتها كلما أمكنه ذلك ·

والحل الذى يغير الوضع القائم الآن للسائل فى أسرته هو : أن يبحث عن زوجة تشاركه الحياة المقبلة ، ويسكن مستقلا معها · فوجود امرأة أخرى فى حياته سيخفف عنده من الالتزامات العاطفية نحو والدته وسيحمل الوالدة من جانب آخر على التنازل عن كثير من طلباتها نحو ابنها · لأن هناك امرأة أخرى لها حق المشاركة فى حياة السائل وربما أقوى من حقها هى ·

ان السائل سينتقل بعواطفه رويدا ·· رويدا : الى زوجته · وعندئذ لا يكون متورطا مع والدته · وبذلك يستطيع أن يفصل فيما تطلب بروح المصلحة الأسرية ·· ويغلب هذه الروح مستقبلا على العلاقات بينه وبين أفراد الأسرة جميعا ·

ولكن لا يكون هذا الحل سليما وايجابيا الا اذا كانت الزوجة صالحة : تعرف حقوقها ·· وحقوق الزوج ·· وحقوق الأسرة ·· وحقوق الله قبـــل ذلك · لا تكون انانية فتتمكن منه اذا ما أحست بضعف فيه · ومثل الســـائل فى سنه وفى وضعه ينبغى أن لا يسعى نحو مال ، أو جاه وشرف ، أو جمال فيمن يختارها زوجة له · يجب عليه أن يستهدف الصـــلاحية وحدها « اظفر بذات الدين ، تربت يداك » ··



٣٥ـ للأم حق على ابنها وعلى امرأته :

سيدة باحدى المحافظات تذكر :

انها بلغت السبعين من عمرها · وانها متعلمة ومثقفة · وقامت بتربية اولادها احسن تربية وحصلوا على الدرجات الجامعية وتزوجوا جميعا عـدا الأصغر منهم · وتوفى والدهم ·

وأخيرا اختار الابن الأصـــغر زوجته بمعرفته هو فباركت له أمه ·· ووفرت عليه المتاعب فقبلته هو وزوجته فى الســـكن معها الذى تسكنه منذ سنين · وأملت الخير فيهما وتمنت : أن ترى أولادهما ·

(د) هل يقطع علاقته بوالدته واخوته كى يستريح لحظات فى بقية عمره ؟

● انه يبدو من رسالة السائل : أنه يغلب عليه «الوفاء» لوالده الذىتوفى، ولأمه واخوته : أوصاه والده باخوته الصغار رغم أنه يوجد من هو أكبر منه سنا بينهم · فنفذ الوصية الى أن تمكن كل واحد منهم : أن يقف وحده على قدميه ·· تطلب منه والدته مالا لأخيه فلان ، ولأخيه فلان ، ولكذا ·· ولكذا ·· فلا يرد لها طلبا · ومن خجله فى وفائه يقترض مع أنه لم يتعود أن يقترض، ومع ان كرامة الوظيفة قد تحول بينه وبين الاقتراض ·

والسائل ينسب لأمه : أنها السبب فى ارتباكه ماليا وعائليا ، لأنها لا تقدر الأوضاع والظروف التى يعيش ويعيشون جميعا فيها · ورغم أن أمه قد تكون سببا رئيسيا فيما صار اليه وضعه المالى ·· والاجتماعى ، بسوء تصرفها وتدبيرها ، فان حياءه واستغراقه فى الوفاء لأسرته هو السبب الأول فى تشاؤمه وارتباكه ·

● ان السائل يطرح عدة حلول لمشكلته :

الحل الأول : أن يترك الأسرة ، ويخرج للسكنى وحده · وهل فى استطاعته نفسيا : أن يترك والدته والتزاماته نحوها ؟ ليس من السهل أن يفعل ذلك · ومن ينفذ هذا الحل فى حاجة الى أن يكون صاحب ارادة قوية· ولو كان السائل يملك هذه الارادة القوية لفرضها على والدته وأسرته فى تنظيم شئونه وتجنب بذلك : الارتباك فى حياته ·

والحل الثانى : أن يقطع علاقته بوالدته وأسرته ، كى يستريح لحظات فى حياته · هل يقطع هذه العلاقة مع بقائه فى السكن معها ؟ · أم أنه ينتقل الى مسكن آخر ، وعندئذ يهجرها ولا يتصل بها ؟ · وكلا الأمرين لا يستطيع أن يباشره لأنه يفقد الشخصية القوية التى تفرض هذا الحل ، أو حلا آخر بديلا عنه ·

● وعلى أية حال لو خفف من ضغط والدته عليه فى الانفاق لا يكون عاقا لها · لأن : تخفيف الضغط عليه فى هذا الجانب سيحقق له مصلحة · وهى مصلحة « التوازن » توازنه فى تصرفاته · ويدخل فى هذا التوازن : تجنب القروض التى ترهقه ·· وتخفيف حدة التشاؤم بسبب مديونياته · فقد سيطرت عليه النظرة التشاؤمية فرأى النكد عند مغادرته المنزل وعند عودته اليه ·· كما خف ايمانه ، وتسربت اليه فكرة الانتحار ·

وطريق الاسلام فى الزواج طريق مستقيم لا اعوجاج فيه : خطبة يقتنع كل من الفتى والفتاة فيها بصلاحية كل منهما للآخر ·· وزواج ان تعثر فيه الوفاق بين الزوجين لمصلحتهما : فمن اليسير حله · « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » (١) ·

والسائل لديه من الوقت قبل عقد الزواج ما يختبر فيه سلوك فتاته · فان ظهر له ما يريبه منها كان له حق الانصراف عنها · وهى كذلك ان ظهر لها ما يشككها فى استقامته كان لها أن تتركه · فالاســـلام لا يقبل الخداع اطلاقا فى عقد بين اثنين ، ولو كان عقد الزواج ·

★★★

٣٤ـ ان ما فعله لله · وسيحفظ الله عليه صحته وينير له طريق عمله :

مواطن من احدى المحافظات · يذكر :

أن والده توفى منذ سبع سنوات · وقد أوصاه باخوته الصــغار رغم انه يوجد من هو أكبر سنا منه · ومنذ ثلاث سنوات انتهى جميع اخـوته من الدراسة والتحقوا بوظائف عامة ·

وفى أثناء الدراسة وقبل تخرج اخوته كان ينفق عليهم مرتبه بالكامل· وبعد التخرج ظل ينفق المرتب جميعه كذلك · ووالدته هى التى تحمله أو تطلب منه الانفاق ، بصورة أو بأخرى حتى اضطر الى أن يستدين ، رغم منصـبه بين الجميع ، على حد قوله ·

والآن يسأل :

(أ) هل يترك الأسرة ويخرج السكنى وحده ، رغم أن سنه الآن تبلغ الثانية والأربعين من العمر ، ورغم أنه لم يتزوج بعد · وكان السبب فى عدم زواجه تحمله نفقات اخوته فى الدراسة ·

(ب) كان قوى الايمان فى المدة الأولى · ولكنه ضعف لدرجة : انه فكر فى الانتحار أكثر من مرة ·

(جـ) انه يذهب الى العمل مبكرا بعد صلاته الفجر فيجد النكد قبل أن يذهب ·· وعندما يعود يجد النكد مرة أخرى على الباب ·

---

(١) النساء : ١٣٠

بقبول توبة العاصى ـ وهو الذى ظلم نفسه بارتكاب المعصية ـ ان أصلح من خطأه ، بأن اتبع هداية الله ، واستقام فى سلوكه وتصرفاته ٠

والاسلام لا يعرف « عقدة الذنب » ٠٠ أى لا يعرف ذنبا متأصلا لا يمحى ٠ فطالما الانسان ليس الها ، ولا شبيها بالاله ، فى نظر الاسلام فاحتمال ارتكابه للخطأ أمر قائم طول حياته ٠ ولذا هو مأمور بمجاهدة النفس : بمجاهدة هواها وشهوتها ، حتى يأمن عن طريق هذه المجاهدة النفسية : عدم مباشرة الأخطاء والانحرافات التى يدفع اليها هوى النفس فى الانسان وشهوته ٠

والشاب الذى يسأل الآن هل يطلق زوجته التى ارتكبت بعض الأخطاء قبل الزواج منه وقبل ثلاث سنوات مضت ، ان أقدم على طلاقها : يكون قد ظلمها فنظر اليها على أنها فوق مستوى الانسان : لا تخطىء ، وان أخطأت لا يمحى خطأها ٠ يجب أن يعتقد انها انسان ٠٠ وأنها تخطىء ٠ ولكن الأمر الذى لا يقبل منها : ان تخطىء ٠٠ وأن تصر على الخطأ والاستمرار فيه ، ولا ترجع الى خط الاستقامة والصواب ٠٠ وتتوب الى الله توبة نصوحا ٠

ان زوجة السائل أخطأت مع بداية المرحلة الخطيرة فى حياة الانسان٠ وهى مرحلة المراهقة٠ثم تزوجت واستقامت وتابت ٠ وعدم انكارها لما عرضه عليها زوجها من اشاعات،وبكاؤها ندما على ما فات:كاف فى التعبير عن توبتها الى الله ٠ ويكفى لها من الانذار والتحذير ما تردد الآن على مسمعها من الاشاعات الماضية ٠ لأنها ربما كانت لا تتصور أن يصل أمر ماضيها الى زوجها فى حياتها الجديدة التى هى سعيدة بها ٠

والطلاق هو السبيل الى ابعاد الأضرار عن الزوجين فى حياتهما المشتركة ٠ وهو من رحمة الله مشروع ، يستخدم عندما تدعو اليه الضرورة ٠ وأمر السائل مع زوجته لا عجلة فيه ٠ فليرجىء الطلاق والتفكير فيه ٠٠ ولينس الماضى ، فقد غفره الله وستره ٠٠ وليرح نفسه من القلق والشك ٠ وزوجته ستأخذ نفسها الآن بالتأكيد بكل ما يطمئن زوجها ، ويعيد اليه سعادة النفس بمعاشرتها ٠

● أما الشاب الآخر الذى يسأل عن فسخ خطبته لفتاة أخرى ، روج عنها بعض المتقولين ما لم يلمسه فى حياتها ٠٠ وما لم يجد أمارة عليه : فالأولى به أن يهدأ ٠ اذ ترويج السوء ـ وبالأخص عن بعض الفتيات ـ عادة قبيحة فى مجتمعنا ٠ قد يكون تعبيرا عن انفعال الكراهية والحقد للرباط الجديد بين الفتى والفتاة ٠ فأدبها فى السلوك ٠٠ ومحافظتها على الصلاة ٠٠ وتحديها للاشاعة باعلان عدم الالزام لأى جانب من الجانبين باتمام الزواج: كل ذلك يوضح ان الاشاعة من حاقد ٠

ولكن نما الى سمعه: ان سلوكها كان سيئا وهى فى سن الخامسة عشرة. وعندما سألها لم تنكر ما سمعه ثم بكت كثيرا .

ويسأل الآن : هل يطلقها ؟ .. أم يسامحها ؟ .

● ويسأل شاب آخر : باحدى جامعات الأقاليم :

عمره ثلاثة وعشرون عاما عن مستقبله مع فتاة خطبها وهى فى سن الرابعة عشرة . هل يفسخ خطبتها مع أن كلا منهما يحب الآخر ؟ أم يستمر فيها ؟ فقد سمع عنها ما يسىء اليها دون أن يرى امارة واحدة على صدق ما سمع . ويرى العكس . وهى أنها مؤدبة .. ومحافظة على صلاتها .

وعندما سألها عما سمع : أنكرته ووضعته أمام اختيار جديد . وهو اذا لم يكن يثق بها فليس هناك الزام على أحد منهما فى اتمام الزواج .

● أما الشاب الأول فقد عاش زوجا مع زوجته الآن ثلاث سنوات . ويجب أن يكون قد عرف اتجاهها فى الحياة .. كما يكون قد وقف على سلوكها . وهو يثنى عليها ويعتبر أن الفترة التى قضاها الآن معها هى أجمل الأيام فى حياته .

وكانت صادقة معه . لم تحاول أن تهرب ، ولا أن تبرر : ما وقع فى ماضى حياتها وهى لم تكن معه ، ولم تعرفه ، ولم تكن بينهما صلة على الاطلاق .

فما وقع منها مما يشككه الآن كانت مسئولة عنه وحدها أمام الله . ولم يصبه منه أذى . وهى قد تابت ورجعت الى الخط المستقيم فى السلوك . بدليل انها بكت . والبكاء هو تعبير عن الندم . والندم خطوة أولى فى التوبة . والخطوة الثانية : الاصرار على عدم الرجوع الى الخطأ . وهى لم ترجع اليه . فالزوج يثنى على سلوكها منذ أن تزوجها .

ان الانسان عرضة لمباشرة الخطأ والصواب . وليس هناك انسان معصوم عن الخطأ . ولذا كانت التوبة الى الله والعزم على عدم العودة الى الذنب : باب المغفرة من الله . يقول الله فى كتابه : « **فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم** » (١) .. فيعد الله سبحانه

---

(١) المائدة : ٣٩

واذا كانت المآسى لها وجهها الكئيب فقد تخفى تحت كآبتها : نـورا من رحمة الله٠فالسائلة قد حزنت طبعا على وفاة شقيقها،وزادت همومها بتصرفها فى مال زوجها ، على نحو ما تصرفت ٠ ولكن كان وراء ذلك : تلك النفسـية الكريمة ٠٠ وتلك الشجاعة القليلة بين الرجال ٠٠ وتلك المروءة التى تجلت فى موقف الزوج منها ، عندما سألته المساعدة فى نفقة الوفاة لشقيقها ٠

ان هذا الموقف للزوج من السائلة يوجب عليها : أن تظل أمينة وفية له ٠٠ وأن تبذل كل جهدها فى تعبيد الطريق له فى الحياة ٠٠ أن تجعل منه أخا ، وأبا ، بجانب أنه زوج لها ٠ فهو قليل بين الرجال والأزواج فى وقتنا الحاضر٠

ان هذا الموقف كشف عن معدن الزوج ٠ وهو معدن ثمين بالنسـبة للزوجة : فيه البديل عن الأم ، والأب ، والأخ الشقيق لها ٠

وما تسأل عنه أخيرا من قبول الله لتبرعها من مال الزوج قبل علمه : فان الله يقبله ويجزى عليه الزوج والزوجة معا ٠ فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه : « اذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فله نصف أجره » ٠٠ والذين يقولون بهذا الرأى يحملونه على : ان ما تبرعت به الزوجة من غير علم زوجها ، تبرعت مما يخصها هى ، ومما هو من نصيبها من كسب الزوج٠ على معنى أن الزوجة كان لها مثلا نصيب معين من طعام فتبرعت بجزء منـه لصاحب حاجة ، ولم تستأذن زوجها فيما تبرعت به ٠ فالتبرع مقبول عند الله والزوج له نصف الثواب ٠ لأن المال أصلا من كسبه ومن ماله ٠

● والخلاصة : أن السائلة يجب أن تتشـجع وتبلغ زوجها بما تم ٠ وفى الوقت نفسه تتأسف له : أنها لم تستأذنه قبل أخذها ما أخذت من مال ساهمت به فى نفقة الجنازة وثواب التبرع لها ولزوجها ٠



٣٣ـ الطلاق ليس الحل الأول للخلاف بين الزوجين :

● شاب من احدى المحافظات يذكر :

انه الآن فى السابعة والعشرين من العمر وتزوج بفتاة سنها ثمانى عشرة سنة ويعيش معها منذ ثلاث سنوات ٠ ولم ينجب منها أولادا ٠ ويعتبر أن أجمل أيام حياته هى التى عاشها معها حتى الآن ٠

الآن : أن تخبره بما ساهمت به فعلا من قبل . ولكنها تخشى غضبه . لأنها تصرفت قبل أن يأذن لها . ثم فى الوقت نفسه تخشى أن لا يحوز ما أنفقته : رضاء الله . لأنه كذلك من مال الزوج قبل اذنه . ان السائلة عندما أقدمت على أخذ جزء من مال زوجها من غير اذنه كانت محرجة وكانت مدفوعة بعامل الرغبة فى تحمل نصيب من نفقة الوفاة التى تحملتها وحدها فى أول الأمر: الشقيقة الصغرى مع ضعف موردها المالى . اذ هى عاملة . انها كانت حائرة بين أمرين : انها لا تملك مالا خاصا حتى تستطيع أن تساهم بشىء منه . وأنه يجب عليها أن تحمل جزءا ولو يسيرا مما تحملته وحدها شقيقتها العاملة . فأقدمت على ما أقدمت عليه . وربما تعتقد ان ما أقدمت عليه هو شبه سرقة، ان لم يكن هو سرقة ، رغم انها زوجة .. وأن المال ـ مال زوجها ـ تحت يدها .

ولو كانت متأكدة : أن زوجها على النحو الذى ظهر عليه من سعة الصدر ، وكرم اليد ، وحسن التقدير لزوجته والرغبة فى مجاملتها ، بعد أن سألته التبرع ، لما أخذت ما أخذته من ماله خفية وبدون علمه .

● ان للزوجة أن تأخذ بالمعروف من مال زوجها لنفقتها ونفقة أولادها ، ما يكفيها ويكفى الأولاد ، اذا كان شحيحا . فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله ردا على سؤال قيل فيه : « يا رسول الله : ان أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى الا ما أخذت منه وهو لا يعلم . فقال : خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » والأخذ من مال الزوج عندئذ من غير علمه جائز . لأن نفقة الزوجة والأولاد واجبة عليه .

ولكن أخذ السائلة هنا من مال زوجها بغير اذنه وان كان لا ينبغى لما ورد عن الرسول عليه السلام من قوله : « لا تنفق المرأة من بيت زوجها الا باذنه » .. الا انه لا يعتبر سرقة لأن شرط السرقة أن يكون المال المسروق فى حرز . أى فى مأمن وفى بعد عن أن تناله يد السارق . ومال الزوج هنا تحت يد الزوجة من السهل أن تأخذ منه .

● والسائلة اذ تتردد فى اخبار زوجها بما أخذته من مال بغير علمه ، خشية أن يغضب : فالرأى أن تقطع هذا التردد ، وتخبره بما تم .. وانها كانت فى حالة أوجبت عليها أن تدفع لشقيقتها جزءا مما أنفقته ، قبل أن تستأذن . ثم تتأسف على عدم استطاعتها ان تأخذ الاذن مسبقا ، ثقة منها بارادته الخيرة ، وروحه الطيبة فى وقوفه بجانبها . وقد ظهرت هذه الروح منه عندما قال لها : « أنا أسامح فى كل شىء صدقة عليه ، ولو بعت ملابسى وتصدقت بثمنها » .. ان هذا التعبير ينم عن المستوى الفاضل للانسانية الذى يأخذ الزوج به نفسه .

وهنـاك أمثلة عديدة ترد الينـا ويطلب السـاعون الى ارسـالها : اسعافهم عن طريق الحلال والحرام ، فى حلها · بينما واقع الحل يمكن فى شخصية « الزوج » أولا ··· فالزوج قوى الشخصية ليست له مشاكل عديدة فى علاقته الزوجية · لأن قوة شخصيته تفرض الحل نفسيا ، قبل أن تفرضه ماديا · والزوج قوى الشخصية هو الذى يحمل زوجته على احترامه ·· وعلى الركون اليه والثقة فيه ·· وعلى محبته والتودد اليه : بسـلوكه المهذب ، وبكرمه وعدم شحه ، وبسعة صدره وتسامحه ، وبفهمه لزوجته وانزالها فى قلبه منزلة الحريص عليها والمبقى على راحتها واطمئنانها ·

★★★

٣٢ـ علم الزوج بما تم ضرورى :

سيدة من احدى المحافظات ، تقول :

أنها واحدة من أربع بنات شقيقات · ولهن أخ واحد توفى · وقد تكفلت أصغرهن ـ وهى عاملة ولم تتزوج بعد ـ بنفقة الجنازة والدفن · ثم ساهمن الأخوات الثلاث ، وهن متزوجات ، كل منهن بما تستطيع ، فيما أنفق بمناسبة موت شقيقهن ·

وصاحبة الرسالة وهى ـ الأخت الثالثة ـ تقول : انها ساهمت بمبلغ بسيط من غير علم زوجها · ثم سألت زوجها بعد ذاك : هل يسـمح لها أن تتصدق على أخيها ؟ أى بأن تسهم بشىء فى نفقة جنازته ودفنه · فكان جوابه: « أنا أسامح فى كل شىء صدقة عليه ولو بعت ملابسى وتصدقت بثمنها » ·

وهى تسأل الآن:هل تخبره بالمبلغ الذى تصدقت به بالفعل قبل أن تسأله؟ ولكن تخشى : انها لو أبلغته ستخرب بيتها بيدها ! · كما تقول ؟ ·

وهل يجوز ما تصدقت به على أخيها بالفعل ؟ أم هو حرام ؟ ·

● السيدة السائلة أخرجت من مال زوجها قبل اذنه : ما شاركت به اخواتها فى تكلفة الجنازة لشقيقهن ، وهذه التكلفة قامت بها:صغرى الأخوات بينهن · وهى عاملة بسيطة ·

ثم عندما سألت زوجها عن استعداده للتبرع من ماله اسهاما منه فى النفقة ، ووجدت عنده الرغبة متوفرة وفى أسلوب مهذب : جال فى نفسـها

على وعظ تسـمعه ممن يدعوها الى طاعة الزوج وعدم مفارقته فى العسر واليسر ٠

● هناك حقوق للزوجة على الزوج ٠٠ وهناك حقوق للزوج على الزوجة٠ والزوجة لا تكلف بأداء حقوق زوجها الا اذا قام الزوج بحقوقها : فى المعيشة ٠٠ وفى المسكن ٠٠ وفى الملبس وفى كل ذلك تقاس على نظيراتها من الزوجات الأخريات ٠

ووراء هذه الحقوق : الاستعداد النفسى الطيب لدى الزوجة : فى مساعدة الزوج على اجتياز الصعاب التى يواجهها ٠ وهو استعداد يخلقه حب الزوجة لزوجها ٠٠ واحترامها له ٠ والزوج نفسه : بصفاته ٠٠ وبسلوكه ٠٠ وبمواقفه ٠٠وباحترامه لزوجته ، ينمى عندها هذا الاستعداد الطيب له ٠

والأمر اذن أمر نفسى ٠ ولا يرجع الى احكام الفقه ٠ فالاحكام الفقهية تتأصل من قاعدة واحدة فى العقود والمعاملات وهى قاعدة : « لا ضرر ٠٠ ولا ضرار » ٠ فالعقود والمعاملات جميعها مباحة الا اذا أدت الى ضرر يلحق أحد الطرفين أو كليهما فى التعاقد أو فى المعاملات٠عندئذ يحرم ما أدى الى الضرر ٠٠ ويفسخ العقد أو تفسخ المعاملة للحيلولة دون الاضرار بأحد ٠

وظاهر من وضع المسكن الذى يسكنه السائل بالقاهرة : أن الزام الزوجة بالسكنى فيه مع زوجها لتقوم على خدمته الى أن تحل أزمة السكن ، بدلا من سكناها عند أسرتها ببلدتهـا : يسبب لها ضررا نفسيا عـلى الأقل ، ينشأ عن وحدتها أو عزلتها ، وضعف حركتها ٠ ومن هنا يتوقف الأمر على اختيارها هى وقبولها ٠ ووجودها فى مسكن الأسرة الآن بعد تركها هـذه الحجـرة الضيقة بالقاهرة والتى تعتبر مسكن الزوجية : يعبر عن ضعف اسـتعدادها للتضحية فى سبيل علاقتها بزوجها ٠

والفقه الاسلامى فى هذه الحالة لا يستطيع أن يقدم له علاج الأزمة التى هو فيها الآن ٠٠ لا يستطيع أن يحرم على الزوجة : تركها منزل الزوجيـة والسكنى بعيدا عن الزوج لدى أهلها ٠ لأن حقها فى المسكن غير متوفر عنده٠

وعلى الزوج أن يحل أزمته معها ٠ فقد تقبل أن تعيش معه فى هـذه الحجرة الضيقة اذا أحست بالاستعداد النفسى للتضحية فى سبيله ٠ هل قدم الزوج من الرصيد فى المعاملة ما يجعلها تحس بهذا الاستعداد النفسى ؟ ٠ وهل يستطيع الآن أن يحملها نفسيا على أن تضحى معه ؟

تركته زوجته لتعيش بمنزل والدها ببلدتها ، نظرا لضيق السكن فى القاهرة الذى هو مكون من حجرة واحدة · وهو يؤمل على مدى الأيام : أن تنفرج أزمة المساكن ويحصل على مسكن أوسع · وهو يعيش الآن على الأمل·

ويسأل : هل حق الزوجة أن تعيش بعيدا عن منزل الزوجية ، وتترك زوجها كما هو عليه حاله ؟ ·

● يشكو السائل من ضيق مسكنه فى القاهرة ·· وترك زوجته له وسكناها عند والدها فى أحد المراكز · وكلنا يعلم الآن أن القاهرة مكتظة بالملايين من السكان ·· وأن ازدحامها يسبب مشاكل عديدة بها : كمشاكل النقل ·· وانقطاع المياه ·· وطفح المجارى ·· وانقطاع الكهرباء ·· الخ ·

فهل حاول السائل أن ينتقل الى خارج القاهرة ·· الى بلدة زوجته ، مثلا، ليباشر عملا مثل الذى يباشره فى القاهرة الآن ، أو عملا آخر لا يعجز عن ادائه ؟ وعندئذ يمكن أن يبحث عن مسكن أوسع يدعو فيه زوجته للاقامة معه هناك · هل حاول ذلك بطريق البدل مع آخر ·· أو بطريق ابداء الرغبة لرئيسه فى العمل ؟ ·

● أغلب الظن : أنه لم يحاول مثل هذا الحل أو حاول ولم ينجح · وبلجأ الآن الى رأى الاسلام ، عله يكره الزوجة أو يدفعها على أن تسكن معه فى القاهرة فى حجرته الضيقة كما يصفها ·· ويقول : ان هذا المكان لم يناسب لمعيشة الزوجة ··

والاسلام لا يكره الزوجة على أن تحتمل من المشقة فى السكنى مع الزوج : ما يكون فوق طاقتها · وواضح من ضيق الحجرة التى هى مسكن الزوجية الآن : ان استمرار المعيشة فيها لزوجة قدمت من خارج القاهرة · وليس لها أقارب أو معارف فيها : يشق نفسيا عليها · وبجانب مشقة عدم استطاعة التحرك بدنيا فيها ·

نعم ·· الاسلام يرحب بقبول الزوجة السكنى مع زوجها فى مسكنه الحالى ·· وتحملها الضيق والمشقة الى ان يفرج الله أزمتهما معا · فان ذلك منها يدل على زيادة تمسكها بالعلاقة الزوجية ·· وعلى روح التضحية فى سبيلها · وهذا شىء يقدر لها تماما · لأنها عندئذ تكون قد تجاوزت ما يحق لها ·· الى ما تؤديه متطوعة فى خدمة زوجها ·

لكن مثل هذه التضحية يتوقف على مدى تقديرها للزوج · وتقدير الزوج فى نفس زوجته يتوقف على سلوكه هو معها وموقفه منها · ولا يتوقف

السائلة تتردد بين أمرين : اما أن تترك المنزل بسبب الزوج ووالده ٠٠ واما أن تبقى وتصبر حتى يتم الأولاد مراحلهم الدراسية ٠ ولكن كان لابد : أن تذكر حالة ثالثة وهى أن تذهب بزوجها وبأبيه الى مستشفى المدمنين على الشراب والسكر وعلى تعاطى المخدرات ٠ وليس من أجل شفائهما ٠٠ ولكن أولا : من أجل الوقاية منهما ، وبعزلهما عن الأولاد ، وطمس هذا النموذج السىء الذى تتكرر رؤيته فى اليوم عدة مرات فى المنزل ٠

ان بقاءها مع الأولاد وهى تعاشر زوجها ، وهم يعاشرون أباهم وجدهم : لا يجدى شيئا فى الحيلولة دون تأثر الأولاد بأبيهم وبجدهم ٠ ولو فرض وقد نجحت أمهم فى ابعادهم نفسيا عن أبيهم وجدهم : بالتبغيض فى سلوكهما المشين ٠٠ وبالتحذير منهما : وبعدم الاستجابة لما يتحدثان به ٠٠ وبعدم الاختلاط بهما ٠٠ لو فرض وقد نجحت أمهم فى ذلك فسيضار الأولاد من جانب آخر ٠ وهو أنهم سيحكمون عليه : بأنه لا يستحق الاحترام والتقدير من الآخرين ٠ وبمرور الزمن سيحسون « بالنقص » فى نفوسهم هم ٠ وهو انهم ليسوا جديرون بالحياة الكريمة ، وليسوا أهلا لأن يحترمهم الآخرون ويقدرونهم ٠ لأنهم جاءوا من صلب أب عديم الاحترام ، وفاقد القيمة الانسانية ٠

ان الاسلام اذ يحرم الخمر لا يريد بتحريمه : المشقة على المؤمنين به فى استمتاعهم بالشراب والتلذذ به ٠ ولا يريد ان يفرض عليهم قوته ومنعته ٠ بل يريد شيئا واحدا ، وهو مصلحتهم ٠٠ يريد لهم كرامة الانسان ٠٠ يريد أن يبعدهم عن مذلة التبعية للشهوات ٠ هل يعى الشباب ذلك ؟ ٠ هل يقف المجتمع فى وجه المستورد من العادات والتقاليد ٠ ما قيمة هذا الزوج الآن بعد ادمانه على الخمر ؟ ٠ ما قيمة أبيه أيضا بعد أصبح فى نهاية شيخوخته وهو مستسلم للسكر ؟ ٠ انهما يعيشان فى هذيان وفى ضباب الخيال ٠

★★★

٣١ـ الزوجة لا تضار بمعاشرة زوجها :

مواطن من احدى المحافظات يحكى :

انه متزوج منذ ثلاث سنوات ، ويسكن فى القاهرة ـ مقر عمله ـ فى حجرة واحدة وليس له أولاد الآن ٠

عنهما عضويا واجتماعيا · فهى لا تستطيع أن تقترب من زوجها لانها تخشى من سكره وعربدته ·· وتتجنب رائحته الكريهة · وهو لا يستطيع أن يقترب منها · لأنه يعيش فى عالم الخيال والأوهام ، وليس فى عالم الحقيقة والواقع· انه فى واقع أمره ليس زوجا لها الآن · على معنى : أنه فقد الأهلية كـزوج ·· وكرجل ·· ليست لديه الصلاحية لأن يعاشرها كزوج · وهى كامرأة ·· وليست لديه الصلاحية لأن يشرف على الأسرة كرجل أعطى خصائص القيادة والريادة فيها من الطبيعة ومن الله ·

زوجها حى بالحركة المعوجة ·· وميت بفكره وطاقاته البشرية ·· ومن هنا لا يقتر فى الانفاق على البيت لأنه طالما عنده مال : لا يعى : ما ينفق ·· وما يدخر · وخير لها كزوجة أن لا يكون على قيد الحياة والحركة ـ فهـو مصدر عذاب لها ·

● ولكن المشكلة هى الأولاد · انهم صغار ·· انهم ينشئون الآن ·· انهم يفتحون عيونهم فى البيت على كل شىء ·· وغريزة « التقليد » لديهم فى هذه السن قوية : تمارس نشاطها وتلتقط ما يدور حولهم · والقدوة لها تأثيرها عليهم · فان كانت حسنة قلدوها بالسلوك الحسن · وان كانت سيئة قلدوها فى السوء ، ان لم يعصمهم الله عن مباشرة السوء ·

وهذا أبوهم يدمن على الشراب ، وفى نهار رمضان ·· ولا يصوم ·· ولا يصلى ·· انه بعيد عن الله ، وقريب من الشيطان · وهذا جدهم يسـاوق أباهم فى الادمان على السكر والشراب ، وفى الأيام التى كرمها الله · انهما معا يكونان « نموذجا » سيئا : يتضاعف فيه السوء والنجس : « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشـيطان فاجتنبـوه لعلـكم تفلحون** » (١) ··

هل لا يرى الأولاد هذا النموذج من السوء كل يوم عدة مرات؟·وانهم ان لم يستطيعوا التقليد الآن ، فانهم بحكم صغرهم فى السن : يختزنون صـور ما يرونه كل يوم ثم فيما بعد يسـتطيعون محاكاتها ، ان هيئت لهم الظروف : فدخلوا سن المراهقة ، وابتدأوا يحاكون الرجال فى التدخين ·· وفى السعى لاجتذاب قلوب الفتيات ·· وفى غير ذلك ممـا يعبر عن رجولة الشـباب ووصولهم الى مرحلة الراشدين ·

---

(١) المائدة : ٩٠

فى عاقبتها) **ثم يتوبون من قريب** (أى بعد مدة ليست بعيدة من مباشرة الجريمة) **فأولئك يتوب الله عليهم » (١)** ٠

فقد وعد الله بقبول التوبة ممن كان لا يقدر عواقب الجريمة على نفسه، أو على اسرته أو على المجتمع ، على نحو ما تجلت له بعد ذلك ٠٠ وفى الوقت نفسه لم يؤجل التوبة استهتارا منه الى الوقت الأخير من حياته ٠

والسائلة عليها أن تلوذ وتلجأ الى الله ٠ وليست بحاجة الى ان تهجر منزل الزوجية ، ولا ان تطلق وتعيش راهبة وحدها ٠

★★★

٣٠ ـ ادمان الزوج على الشراب المسكر يدعو الى التفرقة بين الزوجين :

تكتب احدى السيدات :

انهاتعيش مع زوجها ٠٠ وأبيه ٠ ويبلغ الأب الآن الثامنة والسبعين من عمره ٠ وأن زوجها وأباه مدمنان على الخمر والسكر منذ ثلاثين عاما ٠ وانها لم تفلح معهما فى اقناعهما بالكف عن الشراب والرجوع الى الله ٠٠ ولا فى مباشرتهما الصلاة والصوم ٠٠ ولا فى احترامهما أيام رمضان والامتناع عن السكر فيها ٠

بينما هى مداومة على الصلاة والصوم منذ ثمانية وعشرين عاما الآن٠ وهى لا تشكو التقتير فى نفقة المنزل ٠ بل المنزل ـ كما تقول ـ مفتوح للجميع٠

ومشكلتها : أنها كرهت الاقامة فى المنزل مع الزوج وأبيه ٠٠ وانها من اجل ذلك تود ان تفر منه وتتركه ٠ ولكن لها أولاد لم يتموا مراحل التعليم بعد ٠ وانها لا تستطيع الصبر على هذه الحال ٠٠ كما لا تستطيع ترك الأولاد فى هذا الجو الفاسد وهى تذكر لوالدها قوله : لا تأكلى فى الطبق الذى يأكل فيه زوجك السكير ٠ وهى لا تريد أن تغضب الله وتسأل : هل ترك الأكل مع زوجها ـ وهو على هذا النحو ـ حرام ؟

● المشكلة بالنسبة للسائلة ليست فى الأكل أو فى عدم الأكل مع زوجها المدمن على السكر فى طبق واحد ، كما كان ينصحها والدها قبل وفاته ٠ فهى تكاد تكون معزولة عن الزوج وأبيه ٠٠ معزولة عنهما نفسيا ٠٠ ومعزولة

---

(١) النساء : ١٧

● هذه الحضارة المادية هى العامل الرئيسى فى انحراف هذه السائلة ، بعد أن غاب عنها زوجها ، وربما لفترة طويلة نسبيا ، ومن الأسف أن هـذه الحضارة تدفع الى الانحراف والفساد واضعاف العلاقات التى يريد الله لها: أن تظل قوية ونظيفة · ولكنها لا تعالج الانحراف والفساد والعبث ·

هذه السائلة تقترح أن تهجر منزل الزوجية · ولكن الى أين ؟ · الى منزل أو منازل أخرى ؟ · وكيف يكون احساسها فى مهجرها وهى لا تستطيع أن تتزوج ·· لأنها لم تزل فى عصمة زوجها الذى هجرته · وهى لا تسـتطيع أيضا أن ترى طفلتها ولا أن تطمئن على صحتها ··

انها تتمنى أن تطلق وتترك لحالها · وعندئذ تتفرغ لعبادة الله · ألم يكن الله موجوداً عندها من قبل ؟ · ألم تتذكره فيما مضى لحظة فى غياب زوجها ، وهى ان تذكرته كانت ولابد عائدة اليه ، وبالتالي عائدة على عفتها ، وأمانتها، على عرض زوجها ، وعندئذ كانت فى غنى عن ان تقترح الهجرة أو عن ان تتمنى : أن تطلق من زوجها وتترك لشأنها ·

● ان أمام السائلة : التوبة والرجوع الى الله ·· والعمل الصالح لنفسها، ولزوجها ولطفلتها · فاذا أصرت على ان تسدل ستارا على الماضى بحيث لا يرد فى تصورها أى أمر من أموره ، فضلا عن ان يقتحم خيالها بعض منه تتمنى وقوعه من جديد،ثم صممت على أن تسلك الطريق السوى لها ولأسرتها : عندئذ أعتقد أن الله سيقبل توبتها ويغفر لها ، وبذلك تعيش وهى هادئة البـال مطمئنة النفس ·

أما كشف الأمر لزوجها ـ وهو أمر سيحرجه الى درجة ارتكاب الجريمة ـ فقد يسىء لها ، ولنفسه ، ثم لطفلتهما · فاذا لم يرتكب جريمة فهو لا يقبلها نفسيا طول عشرته لها · وهنا تسوء الحياة الزوجية وحياة الطفلة معها ·

ان الاعتراف من الزوجة للزوج ، أو بالعكس ، بجريمة الزنا فى مجتمعات الحضارة المادية : ناشىء عن صعوبة الطلاق كحل لمشاكل الزوجية ، وقبول المهادنة بين الطرفين لفترة من الوقت ، يعقبها : الأخذ بالثأر ، بمباشرة الزنا مع شخص آخر · ومع ذلك فالاعتراف لا يعيد العلاقة الزوجية الى وضـعها السابق عليه ·

والله قد قال فى كتابه المجيد ، بعد ذكر « الفاحشة » :

« **انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة** (أى من غير تفكير

أو غياب زوجها فى الخارج لفترة طويلة ـ كما نظن ـ اغراءها بعرض انوثتها ، أو بقبولها معجب بها ؟ · ألم تعرف معنى الوفاء لزوجها اذا غاب عنها ؟ والوفاء للزوج الغائب من أهم الصفات البارزة فى صلاحية الزوجة وأهليتها فى الأسرة ·

ألم تدرك معنى الأمانة فى عرض زوجها فى عدم وجوده معها ؟ أليست بينهما فى علاقة بعضهما ببعض : كلمة الله ؟ وكلمة الله هى نداء الله بمسئولية الزوجة على زوجها فى اهله وعرضه ·· وبمسئولية الزوج على زوجته فى حقوقها وما يجب عليه اداؤه نحوها ؟ ·

ألم تتذكر زوجها وهى تحتضن طفلتها ·· أو تناجيها ·· أو تداعبها ·· أو ترعاها بصفة عامة ؟ · أليست الطفلة الرمز المجسم للعلاقة النفسية بين الزوج وزوجته ؟ ·

● انها الحضارة المادية المغرية الفاتنة · انها صور التمثيليات والقصص القصيرة المتكررة على الأبصار والأسماع التى تشيد بعلاقة المرأة بالرجل ، القائمة على الحب المفاجىء أو الوقتى أو الخاطف ، كما يقول رواة هذه القصص · انه حب النزوات الذى يقتحم الحرمات ولا يترك الا الحسرات والأنات ·

انها الحضارة المادية المغرية ، التى تحسن الخمر والسكر ، وتناول المخدر فى أنواعه العديدة كوسيلة لاقتناص اللذة ·· وتحسن الرقص واحتكاك الأجسام بالأجسام فى حركات عابثة ·· وتحسن الخروج عن القيم والفضائل الانسانية · لأنها قد مضى عليها الوقت ، وانتهى منها الاعتبار ! ·

انها الحضارة المادية المغرية التى صدرت اليها ، والتى نستوردها الآن تباعا فى اصرار ، بعد ما هلكت مجتمعات أخرى ، وعودت أفرادها على ادمان المسكر ·· والمخدر ·· على ضعف الارادة واستحسان الفوضى ·· وارتكاب الجرائم ، ومباشرة التخريب والاضطرابات كما اضعفت فيهم قدرة الاخصاب والاستطاعة على تزويد شعوبها بالقوى الوطنية العاملة ·

انها الحضارة المادية المغرية الفاتنة ، التى طغت على القيم الانسانية والحرمات التى للأفراد : فلم تعد بين الأم وابنتها ، والأخت وأختها مثلا ·· حرمة تمنع النفوس الخبيثة من الاستمتاع بالواحدة بعد الأخرى ، أو معهما معا ·

وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما· ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا » (١) ··

وقد وعد الله سبحانه هنا بأن يبدل سيئات المخطئين ·· الى حسنات لهم ، ان هم تابوا توبة مخلصة وعادوا الى اتباع تعاليم الله فى رسالة رسوله الكريم · فهو سبحانه لم يكتف بالمغفرة عن الذنوب وانما اضاف فضلا ، بعد الغفران ·

والسائلة الآن عليها ان تطمئن وتستمر فى طاعة الله ، وفى اداء واجبها نحو زوجها ·· وطفلتها ·· وتتوكل على الله فى أن يغفر لها ذنبها ويجزيها فى آخرتها باللقاء مع عزيزها ·· وتدع الهموم والأحزان · فهى من عمل الشيطان عندئذ ·

★★★

٢٩ ـ خيانة الزوجة فى غيبة زوجها فاحشة مبنية :

سيدة من احدى المحافظات ·· تقول :

ان زوجها تغيب عنها فى الخارج (فى بلاد بره) لعمل · وسيحضر قريبا · وهى مع كونها مؤمنة بالله وتؤدى الصلاة دائما فانها انحرفت فى غيبة زوجها : فى حق الله ·· وفى حق نفسها ·

وهى تخشى زوجها لو اعترفت له بانحرافها · فهو صعيدى وتعرف موقفه مقدما · فقد يؤذيها ·· وقد يكشف أمرها ويفضحها · ولكن ضميرها يؤنبها ·

وتسأل : هل تهرب من منزل الزوجية ؟ ولكن معها طفلة منه · انها تدعو الله أن يطلقها · وعندئذ تتفرغ لعبادة الله وحده ·· انها حائرة : لا تنام ·· ولا تستطيع أن تعيش بأى وضع · وتطلب النصيحة ·

● أى شىء حمل السائلة على الانحراف ؟ وهى تقصد بالانحراف انها كانت تعاشر شخصا آخر معاشرة غير شرعية فى غيبة زوجها بالخارج ·· أى شىء دفع السائلة ـ وهى عندها طفلة ـ أن تبحث عن المتعة الجسدية مع رجل غير زوجها ؟ ·

---

(١) الفرقان : ٦٨ ـ ٧١

وهذا الإنتحار جريمة أخرى تضاف الى جرائم الإنسان السابقة ·· الذى يحاول الانتحار · وليست تكفيرا عن جريمة باشرها المنتحر ـ كالفاحشة التى باشرتها السائلة ـ وليس أيضا تطهيرا منها ·

والسائلة عز عليها أن تفقد ولدها المحبوب عندها الى غير رجعة ·· عز عليها أن لا تراه وقد كان ملء بصرها ·· وان لا تسمع صوته فى الحديث معها ، وقد كان ملء السمع منها · وصارت تباشر حلم اليقظة : فى أن تراه وأن تضمه الى صدرها ، كما كانت تفعل فى حياته معه · أى صارت لها أمنية فى أن تراه وتسمعه · ولكنها ـ كما تعبر ـ لما باشرت الخطيئة ، وهى ممقوتة عند الله ، واعتقدت ان الله سيعاقبها على هذه الخطيئة بحرمانها من أن تلتقى بولدها فى الآخرة بعد بعث الأموات من قبورهم : ضاقت نفسها ·· واشتد حزنها ·· وكثر خوفها · وأثر ذلك كله على صحتها وعلى نفسها فاعتل بدنها ··وأظلمت نفسها من داخلها ·· وتصورت ما تصورته ·· واعتقدت ما اعتقدته ·· وكل يوم يزداد اعتلال البدن وتزداد ظلمة النفس · فكان الميل الى اليأس من الحياة ·· وكان التفكير فى الاقدام على الانتحار ·

● ولكن الله القادر الجبار ·· هو الله الرحيم بالانسان · والاسلام لأنه رسالة الله يقدر الانسان على انه غير معصوم عن الخطأ ومباشرة الذنوب · فهذه الطبيعة البشرية التى تتصارع فى داخلها شهوات النفس وأهواؤها ·· مع عقل الانسان وحكمته ·· وعن هذا الصراع : يتولد الخطأ ويرتكب الانسان الاثم ، والمعصية ، والفاحشة ، ما ظهر منها وما بطن ·

ومن أجل هذه الطبيعة المزدوجة المتصارعة فى الانسان التى يترتب على ازدواجها : ارتكاب الأخطاء والذنوب ·· كانت التوبة الى الله ·· وكان الرجوع اليه عند ارتكاب المعصية ومعنى الرجوع اليه : الرجوع الى تنفيذ ما أمر به فى كتابه وما نهى عنه فى هذا الكتاب ·· معنى الرجوع اليه : الاصرار على ترك المنكر أو الفاحشة ·· والتزام العمل بدين الله ·· والايمان به ·

التوبة : العودة الى الايمان بالله والى العمل والسلوك ، والتصرف طبقا لما يدعو اليه الايمان بالله : يستقبل جلال المولى فى الصلاة ويدعوه أن يغفر له ما باشره من ذنب وخطيئة ·· وتعده وعدا أكيدا باتباع رسالة الرسول ﷺ · فاذا كان المخطىء مخلصا فى التوبة من خطأه ·· وكانت توبته قريبة من مباشرة الخطأ أو الذنب ·· واستمر متجنبا المعاصى والآثام : فان الله يقبل توبته · فهو الرحيم الذى يقبل التوبة : « **والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاما · يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا · الا من تاب وآمن**

أما الفتاة الحبيبة لهذا السائل والتى هى الآن زوجة لغيره فستستيقظ من غفلتها بعد أن تتزوج حبيبها ·· وستعرف ان الله لم يبارك لها فى زواجها · واذا حلت المحبة بالأمس فى العلاقة التى بينهما ـ كما يدعى حبيبها ـ فستحل الكراهية اليوم محل المحبة فى العـلاقة الجديدة ، وهى علاقة الزوجية · وسيندم كل منهما · ولكن الوزر الأكبر على هذا العتل الزنيم وهو السائل الذى لا يدارى وقاحته وفجره ·

★★★

٢٨ ـ شرعت التوبة الى الله لغفران الذنب :

سيدة من احـدى المحافظات ـ سنها عشرون عاما ، ومتزوجة · ولها الآن طفلة وحيدة · ومات لها ولدان : أحدهما فى سن الرابعة من عمره ·· والآخر صغير جدا · وقد تأثرت كثيرا بوفاة ولدها الكبير ، بعد ان تعلقت به تعلقا شديدا · وصحتها الآن سيئة ولا تستطيع أن تنجب أطفالا بســبب كثرة النزيف الملازم لهـا ·

وهى تعترف بأنها أخطأت فى حق الله بأن اتصلت برجل اتصالا ينـكره الاسلام وينظر اليه على أنه فاحشة ·· ولكن تابت بعد ذلك · وتؤدى فروض العبادات الآن فى غير انقطاع ·

والمشكلة التى تؤرقها وتعيش بسببها فى حال بؤس وشقاء نفسى ، هى : أنهـا تعتقد أن الجريمة التى ارتكبتها سيحول ارتكابها اياها : دون أن تلتقى بولدها المحبوب فى الآخرة ، عندما تموت هى · وبذلك تكون قد خسرته فى الدنيا والآخرة معا ·

وتسأل : هل تقدم على الانتحار ويكون هذا الانتحار كفيلا بتكفير ذنبها وتطهيرها؟والا فما هو الطريق الذى يجعلها لا تفترق أبدا عن هذا الابن العزيز فى الآخرة ؟ ·

● أن الانتحار ضد الايمان بالله · فايمان المؤمن يحمل الأمل فى نفسه فى الله جلت قدرته ·· يحمل الأمل فى رحمته وفى تفريجه الكروب ·· والأزمات عند اشتدادها · والذى يقدم على الانتحار من الشباب ، والرجال ، والنساء : يتملكه اليأس من الحياة ·· وتظلم الدنيا فى وجهه · واليائس لا يكون صاحب أمل ·· وبالتالى لا يكون مؤمنا بالله ·

● أليس ينطبق على هذا السائل : ما جاء فى قول الله تعالى ، فى وصف من اتبع هواه وسقط الى الحضيض فى مستوى الانسانية بسبب اتباع الهوى : « **فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث** » (١) ·· أى هو كالكلب فى انه لا يسكن ولا يستريح · لانه نزل الى الحضيض فى مستوى الانسانية باتباع شهوته ، أصبح لا يقنع بزوجته · أما أولاده ·· أما مسئولياته فى الحياة كرجل وانسان فهى وراء الشهوة والهوى ·

● اذا كان لابد أن يجمع السائل بين امرأتين أو أكثر فى حياته لماذا لا يتزوج ثانية وثالثة ويعلن مسئوليته عمن يتزوج بها · والاسلام قد رخص له الجمع الى أربع ؟ · لماذا يختفى وراء الظلام باسم الحب وينتهك عرض فتاة سازجة ويفسد علاقتها بزوجها ثم يهين بهذا الاعتداء : زوجته وأم أولاده ·· وأولاده معها ؟ ·

● انه بهذه القصة التى يذكرها هذا السائل فى غير خجل : يتباهى ويفخر بما يحكيه من انه استطاع ان يجذب اليه فتاة تؤلهه ، وتترك فى سبيله كل رجل عداه · ألم يعلم لنه معتد ؟ ·· ألم يعلم ان التغرير بالضعيف لا يدخل فى باب الشجاعة أو الرجولة ؟ ·· وانما يدخل فى باب النذالة والجبن والاختلاس ·

● يسأل السائل هنا عن الحلال والحرام · فى ماذا يسأل ؟ أيسأل عن اصراره فى الاتصال بزوجة الشاب الآخر ، رغم علم زوجها حتى تطلق فيتزوجها ؟ · وهل الاستمرار فى مباشرة الزنا يحتاج الى معرفة الحلال والحرام فيه ؟ أيسأل عن الحلال ورضاء الله فى الزواج منها بعد أن تطلق ؟ وهل يرضى الله عن غاصب فى صورة متعاقد ؟ وعن سارق فى صورة متراض ·· وعن ظالم ومكره فى صورة مختار ؟ ·

● ان السائل هنا من أول خطوة له مع هذه الفتاة أثم وعاص لله سبحانه وتعالى · واثمه تحول الى فاحشة ومنكر معها يبغضه الله بغضا شديدا ·· ثم تحول الى اعتداء على الغير وظلم له ، وهو الزوج الثانى · والمعتدى ·· ومرتكب الفاحشة ·· والظالم لا يتحول شأنه أمام الله بزواج ينكر الله طريقه · فالله اذا كان لا يرضى عن خاطب لامرأة يخطبها على خطبة غيره سبقه اليها : فكيف يرضى على اكراه زوج على طلاق زوجته ليتزوجها المكره ؟ ·

---

(١) الأعراف : ١٧٦ ·

٢٧ ـ انها علاقة آثمة ·· فى بدايتها ونهايتها :

من أحد المواطنين جاءت رسالة ·· يحكى فيها :

أولا : أنه متزوج وله أولاد من زوجته التى لم يزل يعاشرها ·

ثانيا : أنه تعرف على فتاة أخرى غير زوجته · وهى معقود قرانها على شاب آخر لم يدخل بها بعد ·· وأنه أغراها حتى استسلمت له قبيل زفافها الى زوجها · ولكى يحاول تغطية الأمر على زوجها اتفق معها ليلة الزفاف على أن تتصرف تصرفا معينا · وفعلا تصرفت ليلة الزفاف كما اتفقا ·

ثالثا : لم يتركها وشأنها بعد أن دخلت بزوجها · بل استمر فى الاتصال بها ، حتى كشف أمرها لزوجها وأهلها ·· ثم لزوجته هو ·

رابعا : بعد أن علمت زوجته بالقصة مع هذه الفتاة واجهته : بأنها تخشى الله على أولادهما · ولذا تتوسل اليه أن يتزوج هذه الفتاة · وهى لم تزل فى عصمة زوجها حتى الآن ·

ثم يقول هذا المواطن انه راض عن هذا الحل الذى تقترحه زوجته · وهو يسأل : هل هو حلال أم حرام ؟

● هل لم يزل فى تصور هذا السائل : مكان لمعرفة الحلال والحرام ، بعد هذا الاستهتار ؟ هل لم يزل يخشى الله ، فى الوقت الذى يصر فيه على استمرار اتصاله المريب والمنكر بهذه الفتاة ، الى أن يطلقها زوجها فيتزوجها هو ؟ ·

● انسان متزوج وله أولاد · لم يكتف بزوجته ولا بأولاده فى حمل المسئولية عنهم وفى رعايتهم · وانما يخدع فتاة أخرى اقترنت بشاب آخر ينتظر أن تزف اليه · وزفافها اليه فرحة عمره · وكانت هى كذلك يوم أن عقدت قرانها على هذا الشاب تنتظر فرحة العمر لها ، لولا هذا الشيطان الذى ظهر لها فى صورة انسان · وما هو بانسان ؟ ·

● انسان يحطم حياة اثنين : يحطم حياة هذا الشاب الذى يعد الأيام لزفاف زوجته به ثم يخيب أمله : لا فى زواج هذه فحسب · وانما فى زواج أخرى ·· وأخرى بعدها · فسيعتريه الشك فى كل من يقدم على زواجها · ويحطم حياة هذه الفتاة ويستضعفها حتى تضعف له ويسلب منها ما تعتز به من عفة وشرف وكرامة وأمانة لزوجها ·

المؤمنين بالله أن يتبعوا سبيل من أناب الى الله وتوكل عليه : « **واتبع سبيل من أناب الى** » ٠٠

ليعد هذا الابن الى طريق الاحسان الى الوالدين ٠ انه فى حاجة الى عطفهما قبل أن يحتاجا هما الى عطفه ٠ والعطف هو الرقة والحنان فى العلاقة بينه وبينهما ٠ ان علاقته الزوجية بزوجته وبأهلها لم تزل فى بدايتها ٠ ويوم أن يقع فيها احتكاك ـ وهذا أمر محتمل ـ فانه لا يجد من يكون بجانبه بالرأى ويتعاطف معه كانسان فى شدته سوى أبويه ٠

فان عاد الآن بالاحسان اليهما وبالاعتذار لهما فانه سيجد رصيدا من المحبة والتعاطف لديهما يستند اليه فى حياته ، وقريبا منه وفى متناول يده ٠

ان حياة الانسان ليست اقتصادا فقط ، ولا استقلالا فى نفقات المعيشة ، ولا معادلة تقوم على موازنة الدخل والانفاق ٠ انها قبل كل شىء احساس بمحبة الآخرين القريبين حوله ومساندتهم له فى الأزمات بالكلمة ، واحساس المشاركة ، وأداء ما يجب اداؤه نحو معاونته وانقاذه ٠ والوالدان هما أقرب الناس له ، وهما أكثر عطفا عليه ، وسندا له فى غير مقابل وفى غير انتظار لمقابل ٠

والوالد اذ يغضب الآن لا يغضب لأنه قد يفوته شىء من ابنه كان ينتظره منه ٠ انه لا ينتظر منه سوى أن يسمع الخير عنه ٠٠ ويسمع النجاح والتوفيق له فى وظيفته وأسرته الخاصة ٠

اذا لم يعد الولد الى والديه ويعتذر لهما عن سوء معاملته لهما ، ويسترضيهما فربما يكون عقابه من الله أن ينجب هو أولادا يعاملونه أسوأ مما يعامل هو والده ٠ وعندئذ يعيش فى صراع : أحد طرفيه ٠٠ لأولاده ٠٠ والطرف الآخر سوء سلوكهم ومعاملتهم له ٠٠ وهو صراع يبكى النفس ، ولا ينتهى الا بفناء من يحملها بين جنبيه ٠

والوالد السائل يجب أن يظل واسع الصدر ، وأن يكون متسامحا ٠ فللشباب هفوات ٠ وقد يدفعهم الحمق الى الغرور والاستكبار ٠ ولكن الحياة كفيلة بأن تقدم لهم دروس الحقيقة والواقع ٠

★★★

● السائل فى واقع الأمر يعتب على ولده : أنه لم يكافئه فى المعاملة بما ينبغى أن يكافأ به كوالد ، وكراع له ، منذ صغره ·· الى أن اصبح موظفا مستقلا بنفسه وبأسرته ·

فلحظة القـران وزواج ابنـه هى أسـعد اللحظـات فى حياته وحـياة والدته ·· ويفوق الاحساس فيها بالسعادة الاحساس الذى تملكهما عنـدما علما بنجاحه وتخرجه ·· وكذلك عندما علما بتوظفه ·

عندما يطلب الوالد أن يستشار فى مسألة زواج ولده ـ وولده الأكبر بالذات ـ وعندما يطلب الوالد أن يكون حاضرا عقد زواج ابنـه ·· وعندما يطلب أن يسعى ولده اليه فى محـل اقامته حينما يدعوه ويدعو والدته الى حفل عقد القران ، انما يطلب ذلك اعتزازا وفخرا به ·· يطلبه ليشهد بنفسه نجـاحه فى التربية والرعـاية ، وهو نجـاح يتجسم الآن فى تكوين أسرة جديدة ، هى امتداد لأسرته الخاصة ·

فاذا حرم الأب ـ وحرمت معه الأم ـ عقوبة له على عدم امكان مساعدته كما طلب من ان تتاح له فرصة الاعتزاز ، وفرصة الحضور والمشاهدة لثمرة ما غرسه بنفسه ونماه بماله وعنايته : يكون حرمانه الآن من هذه الفرصـة بعيدا عما يوصى به الله فى معاملة الوالدين ، يقول سبحانه : « **وصاحبهما فى الدنيا معروفا** » ·· فالمعروف الذى يجب أن يقدم من الولد الى ابويه ـ وهو المعروف فى الصحبة والرفقة ـ معروف متصل غير منقطع · وهو معروف فى السـلوك ، والتصرف مع والديه ، ومعـروف فى الموقف الذى يتخذه الابن حيالهما · والمعروف ما كان عليه الناس فى عرفهم وما جرت عليه المعـاملة الكريمة ـ بينهم · وليس من المعروف ولا من المعاملة الكريمة : ان ترسل بطاقة الدعوة بالبريد الى الوالدين ، من ولد ليس له فضل على أى واحد منهما حتى الآن ، ولهما هما كل الفضل عليه حتى هذه اللحظة التى اقترن فيها بزوجته · وليس من المعروف والمعاملة الكريمة أن يتم عقد زواجه فى غيبة والديه ، فيحس الحاضرون ان منزلتهما عنده لا تتجاوز منزلة أى مدعو عادى : ان جـاءا فأهلا وسهلا ، وان لم يجيئا « فيا دار ما دخلك شر » ·· كما يقولون ·

وهذا الموقف من الابن الاكبر تجاه والده ينم من جانب آخر عن عـدم وفائه ، كما ينم عن أنه منفعى · فطالما يستطيع الآن بمرتبه الشهرى فى وظيفته أن يستقل فى المعيشة عن أبيه ، فلا حرج عليه اذا ادار له ظهره ، أو تغاضى عنه فلا يحفل بوجوده أو بعدم وجـوده · وعدم الوفاء ليس طريق من أناب الى الله وأطـاع ما يأمر به أو ينهى عنـه · وقد طلب جل شأنه من

ـ فى منطق هذا الاستقلال ـ تنفق على نفسـها من عملها الخارجى ، فذلك الانفاق الذاتى يكفل لها الحرية الشخصية ، ليس فى الخروج الى العمل ، وليس فى اختيار نوعه فقط ، وانما كذلك فى الصحبة للآخرين ، وقضـاء العطلة مع أجنبى عنها فى أى مكان تشاء ٠

● ونكرر : ان على الشاب فى اختبار زوجته المقبلة ، وعلى الفتـاة فى اختيار زوجها المقبل : ان يتحرى كل منهما فى الآخـر قبل عقد الزواج الاتجاه المرغوب لها وله فى حياة الانسان اليوم فى مجتمعاتنا المعاصرة ٠ وبالأخص صاحب الاتجاه الاسلامى أو صاحبة الاتجاه الاسلامى ، فيجب أن لا يركن أى منهما الا لمن عندد الميل نفسه ٠ فذلك أضمن فى المستقبل للألفة والترابط على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ٠

وننصح السائلين هنا أن يعالجا المشكل فى هدوء بمنطق المصلحة التى تعود على المشاركة الصريحة والنزيهة بين الزوجين . سـواء فى تماسـك الزوجية أو فى استمرارها ٠ الا اذا كانت زوجة أيهما لا ترغب فى الاستمرار فى الزوجية ، وتتخذ من « الحرية » الشخصية والاصرار عليها ستارا تختفى خلفه للوصول الى انفصـام العلاقة بينها وبين زوجها ٠ وهذا أمر يجب أن يدركه الزوج قبل أى انسان آخر ٠ فالمرأة تعبر بأحاسيسها وحركاتها ، قبل أن تعبر بكلماتها ، عما تريده وتقصد الى تحقيقه ٠



٢٦ ـ عقوق الولد لوالديه عمل من أعمال الشيطان :

يحـكى ٠٠ مواطن من احدى المحافظات :

أنه قام بتربية أكبر أولاده حتى تخرج ، وتوظف بعد تخرجه ٠٠ وما ان استلم وظيفته حتى سأله أن يعينه فى زواجه من احدى الفتيات ٠

فلما رفض المساعدة بسبب ضيق ذات اليد ، أخـذ ابنه وحده الطريق الى اتمام زواجه بها ٠ وفى حفلة القرآن دعا اليها والديه ، بطريق البريد ٠٠ فامتنعا ولم يذهبا ٠٠ ويسأل الوالد الآن :

ألا يعتبر هذا الشاب عاقا لوالديه ؟ تمشيا مع قول الله تعـالى : « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معـروفا ،واتبع سبيل من أناب الى » (١) ٠

---

(١) لقمـان : ١٥ ٠

وخروج المرأة للعمل · والحرج فيه أن يصير الى « الاختلاط » اذ الحث على خروج المرأة الى العمل ، من جانب « ثورة التحرير للمرأة » ·· أو من حركة التحرير لها لا يقصد منه المنفعة الاقتصادية للمرأة بقدر ما يقصد منه دفعها الى الاختلاط فى مجالات العمل المختلفة · فالعمل طريق الى « حرية » المرأة سواء عن طريق استقلالها عن الرجل اقتصاديا ، بالأجر الذى تحصل عليه من العمل ، أو عن طريق ممارستها هى للعمل فى ظل الاختلاط بالأجانب عنها ·

والمفهوم الثالث : التبرج · وهو أن تلفت المرأة نظر الرجال اليها بما تصنعه فى ملبسها أو فى عريها ، أو فى حركتها وسيرها · وطبعا لا تلفت المتبرجة نظر الرجال الى فتنتها الا اذا كانت خارج المنزل ، وعرضت نفسها الى أنظارهم ، كى تشدها نحوها · ونظرا لارتباط « تبرج » المرأة بخروجها من المنزل ، كان تحريم التبرج ـ وهو محرم من غير شك ـ ذا أثر عندما يحكم على خروج المرأة من بعض المتحدثين باسم الاسلام : أنه كذلك حرام على الاطلاق · ولكن ربما يكون الحكم السليم فى رأيى على خروج المرأة :

ان خروج المرأة محرم اذا كانت متبرجة ، تعرض مفاتنها على الرجال،

وانه محرم أيضا اذا صار أمره الى الاختلاط ،

وانه جائز اذا تجنبت المرأة التبرج ، والاختلاط معا · وأصبح خروجها طريقا لقضاء الحاجة أو لمجاملة الأهل ، أو لعيادة المرضى من المحارم،أو لأداء واجب الدفاع عن دين الله ·

● وقوامة الرجل على الأسرة ـ وهى مسئوليته عنها فى حمايتها من الأضرار ، وفى الانفاق عليها ، وفى رعايتها ـ تفرض على الزوج ان يشارك زوجته الرأى فى تصرفاتها فيما يخصه ويخص أولاده منها ، ولكنه لا يشاركها الرأى فى مالها وأجر عملها ، فهى مستقلة فى شئون المال ، وهو غير ذى مسئولية فيه · فبحكم المسئولية المشتركة بين الزوجين وبحكم ريادته وقوامته على الأسرة يجب على الزوجة أن تستأذن زوجها فى الخروج من المنزل لأداء مهمة ما · وخروجها بدون اذنه هنا يعتبر نشازا منها ·

فاذا وجد الزوجان السائلان هنا : معارضة فى هذا الحق الذى للزوج، من جانب الزوجة وجانب أبيها وأسرتها ، فان المعارضة منهم متأثرة « بحرية المرأة » · وهذه الحرية مفهوم جديد ودخل على حياة الاسرة المسلمة فى مجتمعاتنا المعاصرة ، وهو مفهوم ناتج عن استقلال المرأة فى الغرب استقلالا اقتصاديا عن الرجل ، بالعمل الذى تباشره ، وتأخذ عليه الأجر · فطالما المرأة

● يوجد فرق واضح بين ثلاثة مفاهيم تستخدم فى حياة المرأة :

المفهوم الأول : الاختلاط · ومعنى ذلك : انه ليس هناك حرج فى نظر القائلين به : فى تعرف المرأة على الرجل الأجنبى عنها فى لقاء ، أو فى شارع، أو فى منتدى ، أو فى مكان ما ، وليس هناك من مانع أيضا فى التحدث اليه، وفى ربط علاقة صداقة معه قد تنتهى الى الزواج أو الى عدم الزواج منه ·

هذا الاختلاط لا يقره الاسلام طبعا لانه طريق غير مأمون لاحتفاظ المرأة بعفتها وحيائها ، وحسن علاقتها بزوجها ان كانت متزوجة · اذ أخص ما يطلب من المرأة كزوجة أن تحفظ غيبة زوجها · ومعنى احتفاظ المرأة بغيبة الزوج أن تظل نقية أمينة على سرها معه · وبقاؤها على هذا النحو أمر مشكوك فيه ، اذا ما اختلطت برجال أجانب عنها ·

وعندما طلب القرآن من نساء النبى عليه الصلاة والسلام ، ونساء المؤمنين كذلك : الاستقرار فى البيوت ، فى قول الله تعالى : « **وقرن فى بيوتكن** » (١) ·· لم يقصد الى تحريم خروج المرأة من المنزل · وانما يقصد أولا وبالذات الى أن تتقى « الاختلاط » الذى هو طريق غير مأمون فى حياتها كامرأة ·

المفهوم الثانى : الخروج · أى خروج المرأة من المنزل لقضاء حاجة ، أو لزيارة الأهل والمحارم · وهو أمر مشروع اذا عرف به الزوج وأقره · فطلب القرآن من الرسول عليه السلام : أن يبلغ المؤمنات بوجوب غض البصر فى قول الله تعالى : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** » (٢) ·· دليل على جواز خروجهن من منازلهن · لأنه لا يطلب منهن أن يغضضن الأبصار عن الرجال الأجانب الا اذا كان هناك احتمال للقاء بين الطرفين . خارج المنزل طبعا · على نحو ما يطلب من المؤمنين : أن يغضوا من أبصارهم فى قول الله عز وجل : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** » (٣) ·· فغض البصر من المؤمن والمؤمنة على السواء يطلب عندما يلتقى نظر المرأة بأجنبى عنها أو نظر الرجل بامرأة أجنبية عنه · واحتمال التقاء النظر من أى منهما الى الآخر انما يكون خارج المنزل ، وليس بداخله · أما اذا كان هذا الالتقاء داخل المنزل فانه يعتبر اختلاطا · وحكمه ما سبق ·

---

(١) الأحزاب : ٣٣ (٢) النور : ٣١

(٣) النور : ٣٠

وعلى أية حال ٠٠ يرجى أن يستفيد الزوج من تجربته مستقبلا فينمى بزوجته وينمى علاقته الطيبة المهذبة بهم جميعا ، كما يرجى من الولد والبنت أن يستخلصا التوجيه السليم فى حياتهما المديدة ، من تجربة الوالد مـع والدتهما ٠

★★★

٢٥ ـ الى أى مدى ولاية الزوج على زوجته ؟

سؤالان يلتقيان فى المضمون والهدف ، من شخصين لا علاقة لأحدهما بالآخـــر ٠

● السؤال الأول يتوجه به:مواطن من احدى القرى،فيذكر: انه وقع سوء تفاهم بينه من جهة وبين زوجته ووالدها من جهة أخرى ، بسبب اختلاف موقف الطرفين من خروج الزوجة بغير اذن الزوج ، فى أى وقت تشاء ، والى أى مكان تريد الذهاب اليه ٠ واذا لم تكن للزوجة هذه الحرية الشخصية فتؤثر أن تبقى فى بيت أبيها ، دون العودة الى منزل الزوجية ٠ وهذا الموقف هو موقف الزوجة وأبيها معا ٠

أما موقف الزوج فانه يرى أن خروج زوجته من المنزل رهن باذنه حفاظا عليها ووقاية لها من الاختلاط ، ومما قد يسىء الى العـلاقة الزوجية بينه وبين الزوجة ٠ وقد سلك معها كل سبيل لحملها على ان تشاركه هذا الرأى ٠ ولكنها تلتزم برأى أبيها دون رأيه ٠

ويقول : طالما هى فى عصمته فالاذن لها بالخروج من حقه هـو ، وليس من حق أبيها وأسرتها ٠ كما يذكر : ان اختلاف الأسرة معه فى هذا الشــأن ليس من صالح الزوجة ٠ بل هو عامل تهديد لتماسكها ٠ ثم يطلب رأى الاسلام فى هذا الخلاف ٠

● أما السؤال الثانى فهو لمواطن من احدى المحافظات ٠ ويصيغه فى صورة : أنه يغار على زوجته ويرى أن لا تتحدث مع أجنبى عنها ، ولا مـع زوج شقيقتها ، فضلا عن الزيارة والخروج من المنزل ٠ وبسبب تشـدده فى الاذن لزوجته بالخروج من المنزل وقع بينه وبين أسرتها خلاف مستمر،دفعهالى التفكير فى تطليقها وانهاء الحياة الزوجية معها ، رغم انه أنجب منها أطفالا يحبهم ، ورغم أنه يحبها هى كذلك ٠

ولو أن الخمر خرجت عن خصائصها المفسدة والضارة لكان من المقبول : أن يقال ان تحريمها قد انتهى فهى لم تعد كما كانت · على نحو ما تؤول اليه فى الآخرة ، كما جاء فى قوله تعالى :

« مثل الجنة التى وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات » (١) ·

ولكننا لم نزل بعد فى الدنيا ، ولم ننتقل الى جنة الآخرة ·

● وما تريد السائلة معرفته عن رأى الفقهاء فى الطلقة الثالثة وقت الغضب الشديد :

فأولا : السبب فى الطلاق ليس هو ايقاع اللفظ · وانما ايقاعه من قاصد يعتد بقصده · وزوج السائلة يقول ـ كما تروى ـ انه لم يقصد الطلاق، وانما قصد به التهديد · والامام أحمد بن حنبل ، والامام مالك بن أنس يقولان بأن اللفظ الصريح فى الطلاق يحتاج الى النية · أى نية الفرقة وليس لنا أن ننكر على الزوج القصد هنا ·

وثانيا : هل الغضبان فى شدة انفعاله مستكمل لقواه العقلية ؟ فيكون طلاقه طلاق عاقل · والعقل شرط فى صحة الطلاق ، والا وقع طلاق المجنون · ان المنفعل فى شدة غضبه يقل وعيه وتقل يقظته ·

وفى رأيى : أن شدة الغضب والانفعال النفسى تخرج الانسان عن حد الاعتدال والاستقامة ·· أى تخرجه عن الاتزان وترجيح الرأى السليم · والمطلق الذى يقع طلاقه لا يخرج لفظا من فمه هو لفظ طلاق وانما يعبر بلفظ الطلاق الذى يخرجه عن نية الفرقة وارادة فصل العلاقة بينه وبين زوجته · وهذا ما لم يتوفر عند زوج السائلة · والمؤمن فى الاسلام : لقوله بالنسبة لنفسه ، افضليته على رأى القاضى أو المفتى ، فدينه مقدم على القضاء ·

وثالثا : اذا تذكرت السائلة أن هذا الطلاق الثالث نطق بها زوجها وهى فى حال حيض فلا يقع · اذ هو طلاق بدعى أو هو حرام ·

---

(١) محمد : ١٥ ·

● شاب أجنبى عن زوجته وابنته التى تبلغ السابعة عشرة من عمرها يدخله الزوج بيته لسبب ما فى نفسه ، وعندما يحاول العبث والافساد لزوجته وبنته معا ، وعندما تصده الزوجة يشتد غضب الزوج على زوجته ويطلقها الطلقة الثالثة والأخيرة ٠ وبذلك يهدم الاسرة ، أو يصل الى هدمها بالفعل ٠ لأنه ابتدأ فى هدمها منذ ان تعود الخمر ٠

فشرب الخمر فى سؤال السائلة جر الى الزنا ٠٠ والى معاشرة اصدقاء السوء ٠٠٠ والى اقحام الفساد على أهل بيته ٠٠ ثم أخيرا الى خراب الأسرة ٠ ومع ذلك لا تكاد ترى فيلما من الافلام التى تعرض على الشباب يخلو من « البار » ٠٠ ومن الكأس ٠٠٠ ومن المقارعة به بين شابات وشبان ٠ ومع ذلك عندما يقال : ان شرب الخمر اثم حرمه الله فى الاسلام فى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس (أى قذارة) من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ٠ انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » (١) ٠٠ عندما يقال ذلك يكون الجواب : هذا كلام واعظ ! ٠٠ هذا كلام رجعى ! ٠٠ الاوضاع الاجتماعية قد تغيرت ، والعالم قد تطور ! ٠٠ وما يشبه ذلك ٠

هل تغير الأوضاع الاجتماعية يخرج الخمر عن خصائصها فى انها توقع العداوة والبغضاء ؟ هذا زوج السائلة ماذا فعل به ادمانه على الخمر ؟ ألم يفسد العلاقة بين الزوج وزوجته ؟ ألم يؤثر على تفكك أسرته ؟ ألم يحمله على المعاشرة الأثيمة للنساء التى تنطوى على أخطار وشرور ؟ ألم يحمله على أن يكون أصدقاؤه من قرناء السوء ؟ ألم يحمله على اللواط بشاب أو لواط الشاب به ، أتى به الى أهل بيته مستضيفا اياه ٠

وهل كون العالم يتطور علميا أو صناعيا يستلزم ان يكون شرب الخمر حلالا مع ما لها من الآثار المدمرة للانسان الذى يشرب ٠٠ وللانسان الذى يعاشره ٠٠ وللانسان الذى فى رعايته ٠٠ وللانسان الذى يصادقه ؟ ٠

---

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ ٠

الفصل الثانى

فى شئون الأسرة

٢٤ ـ الطلاق حل أخير لمشكلة أزمنت :

تقول احدى السيدات :

انها متزوجة منذ عشرين عاما · ولها من زوجها ولد وبنت ، يتجاوز عمرهما السابعة عشرة · وقد طلقها زوجها مرتين رسميا ، وراجعها الى عصمته فى غيبة منها · وهو يدمن على شرب الخمر ·· ومعاشرة النساء معاشرة غير شرعية ·· ويصاحب اصدقاء السوء · ومرة استضاف شابا اجنبيا عن اسرته فى بيته يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاما ، وعندما طالت ضيافته فى المنزل وأخذ يعبث بالضيافة فى الانحراف فى السلوك نحو الزوجة وابنتها انذرته الزوجة بالرحيل الى مكان آخر · لكن عندما اشتكى الشاب المستغل للضيافة الى الزوج : ما جاء على لسان زوجته · عاد الزوج الى المنزل فى شدة الغضب · وسألها عما وقع ولم تنكر شيئا منه · وعندئذ قال لها أمام ولديه : أنت طالقة · وكانت هذه الطلقة الثالثة ·

بعد ذلك عاش فى الاسرة لأزمة المساكن منفصلا عن زوجته لمدة اسبوع · ثم رأت منه أنه يصلى جميع الاوقات · واقترض منها مبلغا من المال وحج به الى بيت الله واصبح انسانا آخر ، مهذبا · واعتذر لها عما مضى · وذكر لها : انه فى الطلقة الثالثة كان منفعلا وشديد الغضب وانه لم يقصد الفرقة أطلاقا · وانما قصد التهديد فحسب ·

والآن تريد السائلة أن تعرف الرأى : هل تعتبر بائنة بهذه الطلقة الثالثة بحيث لا تحل له الا بمحلل ، تحت ضغط الانفعال والغضب الشديد ؟

● خمر تعود زوج السائلة على شربها ·

● نساء سعى الزوج اليهن تحت تأثير الخمر ، ليعاشرهن ، معاشرة آثمة وغير شرعية ·· أصدقاء سوء أخذ يلتقى بهم ويجتمع معهم ·

لا أسالكم عليه أجرا ، ان هو الا ذكرى للعالمين » (١) ٠٠ فليس تبليغ القرآن للناس مما يؤجر عليه منهم ٠

● والأئمة والوعاظ ان أخذوا أجورا مقابل انقطاعهم لخدمة الدعوة فهى أجور تبرع بها الواقفون على البر والخير ، وليست من الضرائب التى تجبيها الدولة للمنافع المادية العامة ٠ والفريقان : الأئمة والوعاظ من جانب ٠٠ والخيرون الذين أوقفوا أموالهم على الدعوة من جانب آخر : يقصدان وجه الله ٠ ومن هنا يعيش الامام والواعظ فى رحاب الله ٠٠ ومن أجل الدعوة الى رسالته ٠ وكل منهما ان باشر الامامة فى المسجد أو باشر الوعظ خارجه أو داخله : فقد نذر نفسه لله ٠

ومن واقع وظيفة الامامة أو الوعظ : يجب على الامام والواعظ أن يتقن ما لله ٠٠ ان يتقن كتاب الله ٠٠ وان يجيد ما يتصل به ٠٠ وان لا يتحدث الا بما هو واثق فى نسبته الى المولى جل جلاله أو لرسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ٠ والله هو الذى سيوفيهم اجورهم لانهم عندئذ : هم الأمناء على دينه ٠٠ وهم الخلفاء لصاحب الدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ٠

والأئمة الشبان لا ينقصهم الا أن يفهموا رسالتهم على حقيقتها ٠ وعندئذ يعيشون فيها ، ومن أجلها ٠ وطالما أبعدوا أنفسهم عن ان يحترفوا بالدعوة ويتخذوها مهنة فليسوا كغيرهم من أصحاب الحرف والمهن ٠ انهم من واقع رسالتهم فوق هؤلاء وهؤلاء وسيحسون بهذا الواقع ان هم أدوا الرسالة كما ينبغى ٠ والقرآن ان اجادوا حفظه وتلاوته لا يوقظون به النفوس فحسب ٠ وانما يجعلونها خاشعة لذكر الله ، ومطيعة فى سبيله ٠

● ان الأمة الاسلامية تنتظر الكثير من الأئمة والوعاظ من علماء الأزهر ٠ ان أمامكم تحديات للقرآن لا تنتهى ٠ ان أمامكم انحرافات فى سلوك الناس قذفت بها الحضارة المادية الى مجتمعات المسلمين وفى نفوس شباب هذه المجتمعات ٠ فلا تتراجعوا : ادرسوا هذه التحديات ٠ وعودوا الى كتاب الله تجدون صنعة الله فى اتقانها وفى حسن معالمها تفوق بكثير صنعة الانسان ٠ لستم فى حاجة لكى تنجحوا فى رسالتكم الا أن تحملوا ايمانا قويا فى قلوبكم ٠٠ وتضعوا كتاب الله فى أفواهكم وألسنتكم ٠ والله يتولانا جميعا بالتوفيق ٠



---

(١) الأنعام : ٩٠ ٠

● خادم المسجد حائر الآن ، حائر بين رضاء الله ·· وغضب الامام·· وهو انسان ·· أو بين رضاء الامام وغضب الله جل جلاله · فان سكت عن رد الخطأ أو اللحن فى كتاب الله : أغضب الامام ·· وأرضى الله سبحانه ·

وليس لامام المسجد فى حقيقة الأمر : أن يغضب اذا رده خادم المسجد عند خطأه فى تلاوة كتاب الله · وانما عليه أن يعتبر بذلك فيعود ويجيد حفظ القرآن الكريم اجادة تامة ، حتى لا يخطىء أو يلحن فيه · بل عليه أن يشكر خادم المسجد على يقظته فى رده عليه عند الخطأ · لأن رد خادم المسجد أخرجه حينئذ كما أخرج الامام معا ، من الاثم ، لو سكت ولم يرد عليه ·

● ومن جهة أخرى فامام المسجد من علماء الأزهر ·· وداعية الى الله ·· ولا يليق بأى واحد من علماء الأزهر : أن يقصر فى حفظ القرآن الكريم ، فجزء أساسى فى انتساب العالم الى الأزهر هو اجادة تلاوة كتاب الله ، واجادة حفظه · والداعى الى الله لا ينجح فى دعوته الى كتاب الله – وهى رسالة الرسول محمد عليه السلام – الا اذا حفظ كتاب الله ونقل عنه فى أحاديثه ما يحفظه منه ، دون مراجعة له ·

الوعظ ليس حرفة ·· والامامة ليست مهنة يؤجر عليها الواعظ والامام · هى رسالة يؤديها من امتلأ قلبه بالايمان ·· وأحب الدعوة الى دين الله · فالله سبحانه عندما يقول :

« **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** » (١) ·· لم يربط « الفلاح » فى أمة الدعوة بأن تؤدى الدعوة الى دين الله كحرفة أو مهنة·ولكن بأن تؤديها عن ايمان القلب ·· وحسن تطبيق لمبادئها·وليس من حق التطبيق الداعى الى رسالة الله:أن يكون غير مجيد لحفظ القرآن وتلاوته وكل شيء يجوز أن يكون مهنة أو حرفة· عدا رسالة الله ·· والا اذا اتخذها الانسان حرفة أو مهنة أصبحت وسيلة لغاية أخرى ، وليست غاية فى ذاتها ·

والامام الذى يأخذ أجرا على وظيفة المسجد ·· والواعظ الذى يأخذ أجرا على وظيفة الوعظ : هو فى واقع الأمر لا يأخذه على امامة الصلاة ·· أو على العظة التى يلقيها وانما الأجر هو مقابل الانقطاع لخدمة الدعوة · أما الدعوة نفسها فليس لها أجر مادى انما أجرها عند الله · وبهذا يأمر القرآن رسوله أن يبلغ قول الله تعالى فى شأن الدعوة الى الحق : « **قل**

(١) آل عمران : ١٠٤ ·

تزوجتم بهن فاعدلوا عن الزواج بهن ٠٠ الى غيرهن ممن تشاءون) » (١) ٠
والقصد من العدول عن الزواج بهن هو عدم الطمع فى اموالهن والحيلولة بينهم وبين أكل هذه الأموال بالباطل ٠ كما جاء النهى عن ذلك فى الآية السابقة على هذه الآية قوله تعالى : « **ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا** » (٢) ٠

● فدين الله يساند هاتين السائلتين فى رفضهما الزواج من اقربائهما :

أولا : انه لا اكراه للمرأة على قبول زواج معين : سواء أكانت بكرا ٠٠ أم ثيبا ٠

ثانيا : ان الاسلام ينهى عن أن يكون الزواج سبيلا الى ضياع مال اليتيم وأكله بالباطل ٠

والسائلتان بعد ذلك ان وقع اختيارهما على زوج فليكن صاحب دين ٠ فهو أبقى للزوجية وأقرب الى رعاية الله فى معاشرة الزوجة ٠

★★★

٢٣ ـ رد الامام عند الخطأ أمر يطلبه الاسلام :

خادم أحد مساجد الأوقاف بأحد المراكز يروى :

أن امام مسجده وهو حاصل على الشهادة العالية لا يحفظ القرآن الكريم ٠ ومن أجل ذلك يلحن فى قراءة الآية التى يقرؤها فى الصلاة وهو أمام ٠ فيضطر خادم المسجد ـ وهو حافظ للقرآن ويجيد تلاوته ـ الى مراجعته ٠ فيغضب منه ويكتب تقارير ضده الى مديرية الأوقاف التابع لها ٠

والآن يسأل خادم المسجد عما يفعله : أيسكت عن رد الامام فى الصلاة عندما يخطىء فى قراءة القرآن ، وبذلك يرتكب اثما فى كتاب الله ؟ ٠ أم يرد الامام عند الخطأ فيغضب عليه ويتحداه ؟ ٠ وعلى الأقل يطلب نقله من المسجد القريب من سكنه الآن ؟

---

(١) النساء : ٣ (٢) النساء : ٢

يصبح طريقا الى العداء · وبذلك يشكل مصدرا للهموم والأحزان ، بالاضافة الى ما تدفع به الحياة ذاتها بسبب الأثرة والأنانية : من قلق للنفوس ، وظلم لغير الجانين ·

والمشكلة هى مشكلة أسرية أو اجتماعية فى الدرجة الأولى · الوالدان يتصوران : أن لهما الحق المطلق فى اختيار الزوج لابنتهما ، ولو وقع على غير رغبة منها · والاقارب يرون : أن لهم الأفضلية - على الأجانب - فى الزواج من قريباتهم · ولا يتحسسون نوع العلاقات بينهم وبينهن ·

قد يكون لدى الوالدين سبب لاختيار واحد معين لابنتهما · لأنهما يريان مصلحتها فيمن وقع عليه اختيارهما · ولكن هل عرضا عليها أمره ؟ · هل حاولا اقناعها - وليس اكراهها - بمن اختاراه لها ؟

قد تكون الابنة غير ناضجة ·· أو مندفعة : فيمن تختاره · وهنا يجب أن يقف الوالدان معها بالاقناع والحجة ، وليس بالاكراه والالزام ·

والأقارب قد يطرحون شباكهم على قريباتهم ، دون تعرف لميولهن · ثم يصرون على من وقع فى شباكهم · وان كانوا أكبر منهن سنا ·· وان كن غير راغبات فيهم · ويعتبرون انفسهم : انهم أولى بهن من الغريب · وهذا منطق السلع التى يتجر بها الناس · وليس منطق الزواج ·· واقامة الأسرة·· ومستقبل الأولاد ·· وقد يكون السبب فى اصرار الاقارب على الزواج من قريباتهم ، والحيلولة بين الغرباء وان كانوا أكثر صلاحية منهم : هو أن القريبات يكن قد ورثن من المال ما يغرى اقاربهم : على الاحتفاظ بهن والتشبث بزواجهن · فيتقدم القريب يعلن رغبته ·· ثم اصراره على الزواج بصاحبة الميراث ، ولو كان قليل الصلاحية للزواج بها : كأن يكون الفارق فى السن بين الاثنين كبيرا ·· أو يكون متزوجا بواحدة أخرى أو بأكثر ·· أو تكون له أولاد كثيرون · مما يجعل قريبته لو تزوج بها ، لا تستمتع بمعنى الزواج · فهى تعيش فى متاهات ، تحاول بعد دخولها به أن تجد السبيل بعد فترة قصيرة الى الخروج منها ·

ووضع السائلتين هو هذا الوضع · ويزيد الأمر صعوبة فيه : انهما يتيمتان ··· واللذان يتقدمان من الاقرباء كانا من الأوصياء عليهما · وقد نصح الله الأوصياء بالابتعاد عن الزواج باليتيمات ان كان الزواج بهن يخشى منه ضياع اموالهن ·· فيقول الله تعالى : « **وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء** (أى ان خشيتم أيها الأوصياء : أن لا تحافظوا على أموال اليتامى وعلى أن لا تباشروها بالعدل ، ان انتم

أن كلتاهما خطبت لقريب لها يكبرها بسنوات عديدة ، ولا تحبه ٠٠ وأن كلتاهما أيضا حاولت عدة مرات أن ترد خطيبها وتفهمه : أنها لا تحبه ٠ ومع ذلك يصر الخطيب على الزواج منها رغم أنها كارهة له ، وازاء اصرار كل منهما على الزواج من قريبته ، رغم كرهها له ، فان الفتاة هنا وهناك تحـاول الانتحار ٠ ولم تشفع المحاولات التى تتجه بها أية منهما الى الأقارب لتخليصها من الكرب والهموم التى ستقع فيها ، وتسأل كلتاهما : عن الحل الى يبعدها عن الهاوية ؟ ٠

● ان المشكلة عند الطالبتين السائلتين هنا ، ليست مشكلة الرأى فى الفقه الاسلامى : فالفقه صريح فى أن البكر لا يعقد عليها الا اذا أخذ اذنهـا وأذنت ٠ ويكفى فى اذنها : أن تسكت عندما تسئل ٠ وبعض الفقهاء يوجب على وليها فى العقد : أن ينبهها ثلاث مرات بقوله : ان رضيتى فاسكتى ٠ وان كرهتى فانطقى ٠ وعندئذ اذا استؤذنت وسكتت يتأكد أن سكوتها موافقة منها على العقد ٠

ويروى عن ابن عباس رضى الله عنه : « ان جارية بكرا أتت رسول الله فذكرت أن اباها زوجها وهى كارهة ، فخيرها النبى ﷺ » ٠

ويكاد يكون الاتفاق على :

(١) أن الثيب لابد أن تصرح برضاها عند عقد الزواج ٠

(٢) وأن البكر لو زوجت بغير اذنها لا يصح عقد زواجها ٠

وما يقوله الفقه الاسلامى هنا يمثل منطق الطبيعة الانسانية ٠ ومنطـق هذه الطبيعة يؤثر : أن يكون الانسان ملتزما ، وليس ملزما ٠٠ أن يـكون مختـارا ، وليس مكرها ٠ فالايمـان لا يكره الانسان عليه ٠ والعقـد فى المعاملات ، وفى الزواج كذلك : لا يكره عليه أى من الطرفين ٠ لأن الاكـراه يكون عقبة فى التنفيذ فى أولى مراحله ٠ وهى عقبة نفسية تستتبع بعدها عقبات أخرى مادية ٠

ان الاسلام يقدر المشيئة فى الانسان : يقدرها فى قيمة ما يقوم عليها ٠٠ ويقدرها فى انجاز ما ترتبط به ٠ فالمرأة اذا أبدت رأيها فيمن سيكون زوجا لها : تدخل الحياة الزوجية معـه وهى مقبلة عليه ٠٠ وعلى استعداد نفسى لأن تزيل جميع الحواجز من طريقه وتهيىء الأسباب لنجاحه ٠ اما اذا أكرهت على زوج معين فقد تحاول أن تصطنع من العقبات ما يجعله مجالا للخصومة ، والكراهية ، والنفرة ٠ وبدلا من أن يكون سبيلا للسكنى والمودة والرحمة :

واتباع هذا العرف يقى المرأة كثيرا من الهموم أو الأضرار · فباتباعه كأنها تشهد الآخرين على تكوين أسرتها الجديدة · فقد ولدت الأسرة فى ضوء ·· وتعيش كذلك فى ضوء · وباتباعه أيضا قد تعطى لنفسها الفرصة فى التعرف على زوجها أكثر ·· فأكثر · تعرف من عاداته ·· ومن أسلوب حياته ومعيشته ·· ومن تفكيره ·· ومن قبضه المال وبسطه له : مدى ما يمكنها من الملاءمة بين ماله ومالها ، من عادات ، وأسلوب فى الحياة ، ·· والمنطق· وهى فرصة تختلف عن فرصة الخطبة ·· وكذلك عن فرصة ما بعد الدخول بها · فهى مثلا الآن تحس بارتفاع الحرج فى سؤال زوجها عن أمور ، تحرج كثيرا ان هى سألت عنها فى فترة الخطوبة ·· أو ان هى ناقشتها بعد الدخلة بها · فصدر الزوج الآن مفتوح لها ولأمانيها · وقلما يعقب بما يغضبها ان هى تمنت أكثر من الطاقة المتاحة له · ولذا هى تعرض الكثير من الأمانى ، التى يقوم معظمها على خيال أو رغبات بعيدة المدى ·

والزوج ـ كما تستفيد الزوجة بالفترة التى هى بين ·· بين ـ يجب عليه أن يستفيد بها أيضا فى ترتيب منزله وأسرته مستقبلا ·· وفى تحديد السبيل الذى يسلكه مع زوجته ·

وربما تعتبر الفترة التى بين الخطبة ·· والدخلة ، بعد عقد القران : هى أمتع الفترات فى حياة الزوجين · وربما العرف الجارى ـ وهو اصرار المرأة على أن لا تعطى نفسها عطاء كاملا الا ليلة الزفاف ـ يزيد منمتعة هذه الفترة للزوجين معا · وليست هناك فترة فى حياة الزوجين يتلهف فيها كل منهما على الآخر : فى لقائه ·· وفى الحديث اليه ، ســوى هذه الفترة · والأمر الذى يقلل من متعة هذه الفترة : أن تستجيب المرأة لمطلوب الرجل · أو ربما تصبح بعد ذلك عادية أو غير مرغوب كثيرا فيها · كما كان الوضع أول الأمر · وبالأخص اذا طالت الفترة بعد عقد القران ·· الى الزفاف ·

والخلاصة : أنه ليس بحرام أن يتصل الرجل بالمرأة بعد عقد القران كما يتصل الزوج بزوجته المدخول بها · فهما الآن زوجان · ولكن الانتظار الى ليلة الزفاف ينطوى على مميزات نفسية قلما تواتى أى واحد من الزوجين ·

★★★

٢٢ ـ ارادة المرأة فى الزواج أمر يوليه الاسلام عنايته :

رسالتان من طالبتين : احداهما فى الصف الثانوى باحدى المحافظات والثانية فى الشهادة الاعدادية تشكوان من وضع واحد ، وهو:

● **المرحلة الثانية** : مرحلة ما بعد عقد القران ، وقبل الدخول بها عرفا • وفى هذه المرحلة يجوز للاثنين ما يجوز للزوج مع زوجته المدخول بها : من تقبيل •• وخلوة من غير محرم •• ومعاشرة زوجية • لأن عقد القران يضفى شرعية الزوجية على العقد بينهما •• ويحل لهما الآن ما يجوز منهما قبل عقده • فاذا عاشر الزوج زوجته فى هذه المرحلة ونشأت بينهما علاقة جنسية فقد دخل بها • والزوجة عندئذ مدخول بها شرعا ، يحل لها المهر كله لو طلقت بعد ذلك ، فرضا •

● **المرحلة الثالثة** : مرحلة ما بعد الدخول بها عرفا • فى هذه المرحلة يعرف الناس : •• الأقارب ، والجيران : ان الزوجة زفت الى زوجها ، وأصبحت مدخولا بها • ولا يسأل أحد منهم بعد ذلك عن مظاهر الوضع الجديد : من السكنى معا •• ومن الخروج فى صحبة كل منهما للآخر •• ومن كون الزوجة حاملا •• ومن كون لهما ولد أو أولاد •

والفرق بين هذه المرحلة والسابقة عليها : ان الزوجين يمارسان علاقة الزوجية فى المرحلة السابقة فى شبه سرية •• بينما هما يمارسانها فى المرحلة الثالثة فى صراحة وفى علن لكل من يعرفهما •

والعلن فى المرحلة الثالثة جاء مما يسمى « بالزفة » •• أو «بالدخلة» •• ، والاسلام يشجع العلن فى الزوجية ، حتى يكون نسب الأولاد واضحا لكل من يعرف الزوجين •• وحتى تكون العلاقة بينهما على أساس من كتاب الله وسنة رسوله واضحة كذلك ، فلا يتقول قائل عليهما •• ولا يسأل سائل عما طرأ عليهما من تغيير لوضعهما السابق •

وفى الواقع من الناحية العملية فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، بعد عقد القران بينهما : لا فرق فيما قبل « الدخلة » •• أو فيما بعدها : فى الحل •• والحرمة ، وفيما يجوز •• وفيما لا يجوز • فعقد القران يقرب بينهما كزوج وكزوجة •

● والسيدتان السائلتان هنا تسألان فقط عن العرف فيما يسمى « بالدخلة » ••• فالزوجة بعد العقد يقضى العرف أن توفر نفسها فيما يتصل بعلاقة زوجها بها ، الى أن تزف •• اليه • وليلة الزفاف هى ليلة الفرحة الكبرى بالنسبة للزوجين ، وبالأخص بالنسبة للزوجة •

«فالعرف» وحده هو الذى يجعل المرأة تصر على أن تكون لزوجها ابتداء عن ليلة الزفاف •• وليس قبلها • وحكم الله : ان المرأة لزوجها منذ عقد قرانها •

أهو يتعلق بنظافته ؟ أهو فى عاداته فى الأكل ، والشرب والنوم ؟ ·· أهو فى التعبير عن مودته وحبه لها ؟

فان كان هناك مالا ترضى عنه الزوجة فليحاول أن يغيره · فان غيره ولم تعد الزوجة الى العلاقة الطبيعية معه فالطلاق ضرورة لا مفر منها · وعندئذ لا يكون متحملا اثما عندما يطلقها ·

● وهجر الزوج لزوجته فى المعاشرة ليس مؤقتا بمدة معلومة · وانما توقيته فقط بمقف الزوجة نفسها : « **فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** » (١) ··فما جاء هنا فى الآية الكريمة هو تعقيب على الوسائل الذى يقترحها القرآن الكريم على الزوج عند خشيته من نشوزها · وقد جاءت هذه الوسائل فى قول الله تعالى : « **واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن** » (٢) ·· ومعنى هذا التعقيب : أنه اذا عادت العلاقة بين الزوجين الى طبيعتها فليست هناك حاجة الى سلوك واحد من هذه السبل مع الزوجة· وانما كل شىء فى العلاقة يرد الى المعروف بينهما ·

★★★

٢١ـ بعد عقد القران :

تسأل سيدتان من احدى المحافظات ، عن نوع العلاقة بين الخطيبة ·· وخطيبها ، بعد عقد القران بينهما ، وقبل الزفاف اليه : أهى علاقة تسمح للخطيب بما يسمح به الزواج للزوج من زوجته : أى هل تسمح له بأن يقبلها ··وبأن يختلى بها من غير محرم لها ·· وبأن يعاشرها معاشرة زوجية ·· الخ ؟ ·

● العلاقة بين الرجل والمرأة فى الزواج تمر بمراحل ثلاث :

● **المرحلة الأولى** : مرحلة الخطبة · وفى هذه المرحلة يجوز للرجل، كما يجوز للمرأة : أن يرى كل من الآخر فى نطاق الرؤية الشرعية ·· وأن يسمع كل منهما لصوت الآخر ، ولحديثه ·· وأن يقف كل على منطقه وتفكيره ، بما يكون لديه من الامارات ما يرجح قبول كل واحد منهما للآخر · ونطاق الرؤية الشرعية هو نطاق الوجه والكفين من المرأة ·· ونطاق وجود المحرم للمرأة : عند الرؤية والحديث ·

---

(١) النساء : ٣٤ (٢) النساء : ٣٤

● **والسؤال الآن : هل اصرارها على ترك الصلاة يدل منها على انكارها لها وعدم ايمانها بأدائها ؟ أم هذا الاصرار يعود الى عناد منها ٠٠ وبالتالى الى عدم رغبتها فى استمرار الحياة مع زوجها ؟ ٠**

لا اظن أن زوجة السائل لا تؤمن بالصلاة كعبادة تتقرب بها الى الله ٠ وانما اصرارها على تركها للصلاة هو اصرار على عدم الاستجابة لمطلب الزوج منها ٠ فهى تعاند الزوج دون أن تسعى الى غضب الله ، بالاستمرار على ترك الصلاة ٠

وهنا يمكن أن يقال : ان الزوج لا يملأ فراغ النفس عند زوجته ٠ ولذا لا تطيعه ٠ فهنـاك شىء بينهما خاب أملها فيه ٠ فقد كانت قبل الدخول به تستجلب رضاه باعلانها عن أداء الصلاة ٠ وكان يسر منها لذلك ٠ فلما دخلت به ودخل بها وانكشفت لها أسرار العلاقة بينهما لم تعد تحرص على رضاه ٠ وهنا ظهر عدم رضاها فى عنادها فى تركها الصلاة ٠ والصلاة اذن ليست مقصودة لذاتها وانما المقصود عدم استجابتها لتحقيق رغباته منها ٠

انهازوجة لم يمض على زواجها بالسائل هنا فترة طويلة٠أى انها لمتزل فى فترة الذكريات ٠ وهى فترة عزيزة على الزوجة بوجه خاص ٠ فكيف يتكرر نصحه لها ٠٠ ويهجرها فى المعاشرة الى أجل غير قريب ٠٠ ويضربها وان لم يكن ضربا مبرحا ، ولكنه أمر ينم عن غضبه منها ٠٠ ثم يحيل العلاقة بينهما الى التحكيم ومع ذلك لا تستجيب لطلبه منها : أداء الصلاة ٠

ان الفجوة فيما يبدو فى العلاقة بين الزوجين فجوة واسعة ، لا يزيلها الهجر مهما طالت مدته ٠٠ ولا تركها فى المنزل وشـأنها تؤدى الصـلاة أو لا تؤديها على سواء ٠٠ وانها فجوة الكراهية من جانب الزوجة ٠ والأمر بينهما لا يحتمل سوى الفرقة ٠ والفرقة آخر حل لدفع الضرر عن المتضرر من الزوجين ٠ كما جاء فى قول القرآن الكريم ، بعد فشـل التحكيم والصـلح بينهما : «**وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما**» ٠٠(١)٠

وقبل الطلاق يجب أن يراجع الزوج علاقته مع زوجته : أى شىء فى هذه العلاقة من جانبه يغضب زوجته ، ويجعلها تصر على عناده ؟

أهو فى سلوكه معها ؟

أهو فى حديثه ولجاجته فى الحديث ٠

---

(١) النساء : ١٣٠

وبعد الدخول بها بعدة أشهر اكتشفت أنها لا تصلى · وعندئذ تغير كل شىء فى معاملتى لها : فنصحتها ·· وضربتها ·· وهجرتها فى الفراش ·· وأخيرا عرضت شأنها على حكمين من أهلى وأهلها · وكل ذلك ان نقل اليها غضبى فلم يخفف من اصرارها علي ترك الصلاة ·

والآن أنجبت منها طفلا · وأخشى أن أنجب منها أطفالا آخرين · لأن علاقتى بها غير مستقرة · ولذلك طال هجرى لها ·

(أ) فهل للهجر مدة محدودة ؟

(ب) وما حكم الاسلام اذا تركتها فى البيت ، وهى تاركة للصلاة ؟

(ج) وهل اذا طلقتها أكون آثما ؟

● ان تدين الزوجة أمارة من غير شك على صلاحيتها كزوجة ·· وكأم مسئولة عن أهل الزوج ·· وكأمينة على نفسها ، وعلى غيبة زوجها · وأداء الصلاة هو عنوان على هذا التدين · فهو يطمئن الزوج · ويحقق السـكن والاستقرار له ولأسرته · ويمكنه عندئذ من الانطلاق فى نشاطه دون أن ينظر الى الوراء ، ويجمدد الشك فى علاقة زوجته به ·

والحديث الشريف الذى يعلن مسئولية الرجل عن أهل بيته ، يضـمن هذه المسئولية نصح الزوج لزوجته : أن تستمر فى أداء العبادات وتحافظ على الصلاة فى أوقاتها · والقوامة التى يأمر بها القرآن ليست فقط قوامة انفاق عليها ، وحماية لها ، ورعاية لشئونها · وانما أيضا قيادة لها فى أداء ما يجب عليها أداؤه من عبادات ، بقدوته الحسنة ، وبالحكمة فى نصحه اياها ·

فهنا واجب على الزوج بحكم قوامته ومسئوليته · وهو ليس متطفلا ولا يتجاوز حد مسئوليته عن أهله ، ان هو نصح الزوجة بأداء الصلاة ، عندما يلاحظ عليها انها لا تؤديها ·

واصرار الزوج على أداء زوجته لعبادة الصـلاة ـ كما يصرح بذلك السائل هنا ـ هو أمر مطالب به أمام الله سبحانه وتعالى · وله أن يعتبر عدم أداء الزوجة للصلاة ، بعد أمره اياها بالأداء : نشوزا يبيح له شرعا أن يسلك سبيلا من السبل التى تعبر عن غضبه منها وعدم رضاه عن العلاقة القـائمة بينهما · وفعلا قد سلك السائل جميع السبل المشروعة : من النصح ·· الى الهجر ·· الى الضرب ·· الى التحكيم · ولم يفلح واحد منها ، ولم تفلح كذلك جميعها فى اثناء الزوجة عن اصرارها على ترك الصلاة ·

يعذبه ولا يبرأ منه الا بالموت · فلو ابتليت السائلة بمثل هذا المرض لما تزوجها أحد ·· ولما تمنت أن تكون على قيد الحياة لحظتين معا ·

السائلة لا تدرى جانب الخير فى قدر الله لها · وانما الايام ستكشفه · وكلما صبرت ·· وكلما استسلمت لقضاء الله كلما اطمأنت نفسها وكلما ظهر لها اليسر بعد العسر ·· وكلما انفرجت أزمتها النفسية وحلت عقدتها فى الزواج ·

والناس ليسوا أصحاب ذوق واحد ولا تقدير واحد · فبجانب من ينفر منها لقبح شكلها كما تدعى ، هناك من يقبل عليها فى راحة نفسية لأنه يقدر فيها شيئا آخر غير جمال الوجه : يقدر فيها عذوبة الصوت ·· يقدر فيها الحكمة فى الرأى ·· يقدر فيها قوام البدن ·· يقدر فيها جانب العطف والرحمة ·· يقدر فيها حنان الأم المقبلة ·· يقدر فيها الاستعداد للمشاركة فى الحياة ، خيرها وشرها على السواء ·

وجمال الوجه ليس كل شىء · فقد تكون صاحبة الوجه الجميل من أقبح خلق الله فى مخبرها ·· وفى سلوكها ·· وفى معاملتها ·· وفى نظرتها للحياة · وقد تكون أنانية فى طباعها ·· ومزعجة فى عاداتها ·· وعندئذ لا تصلح زوجة ·· وعندئذ يتحول جمال الوجه الى أمر كريه المنظر لمن يعاشر صاحبته ·

والله سبحانه قد أعطى حتما صاحبة الوجه القبيح نعمة فأكثر من نعمه التى تجذب القبول لها والسعى للتقرب منها · والسائلة عليها أن تفتش فى نعم الله عليها ، فستجد جملة منها تعوض قبح الشكل وتجعلها مطمئنة الى مستقبل سعيد لها بالزوج ·· وبالولد معا ·

★★★

٢٠ـ الزوجة مكلفة كالزوج بأداء العبادات وتركها أداء الصلاة كفيل بنشازها :

مواطن باحدى المحافظات ، يعرض قصة علاقته مع زوجته ، ويستطلع الرأى فيها ، فيقول :

تزوجت انسانة أظهرت لى أنها متدينة ، منذ أن تقدمت لخطبتها · وقد سررت بتدينها فعلا ، وأحست هى بهذا السرور فى نفسى ·

البنت المسلمة من تقاليدها أن تحافظ على عفتها ، وان تعتز بأنها عذراء عند ما تزف الى زوجها · واحتمالها فترة المراهقة بعيدة عن العلاقة الجنسية يجعلها متطلعة الى الزواج على انه هدف أصيل فى حياتها ، تنسج حوله أمانيها ، وتعظم شأنه ، بحيث يصبح مصدر خيالها الذى رسمه مستقبلها ·

وبموقف السائلة من الانقطاع عن العبادة عندما تزوجت أختها ·· ومن محاولتها الانتحار عندما رفضت خطبتها ·· ومن تساؤلها عن السر فى أن اخواتها محظوظات ، عداها هى ، يحس القارىء لرسالتها : انها تعبد الله على حرف أى تعبده غير متمكنة من عبادتها ·· أى تعبده ليس لغاية العبادة فى ذاتها ، وانما لترقب منفعة أو لدفع ضرر عنها · فهى ربما ترجو من عبادتها هنا : أن يعوضها الله بها عن جمال الخلقة فيوفقها لزوج يسعدها كما يوفق اخواتها بسبب جمالهن لأزواج يحملون مسئولياتهن فى الحياة ·

وقد جاء فى كتاب الله فيمن يعبد الله على حرف ، قوله : « **ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنة** (أى ما يفتن ويبتلى به من أحداث الحياة) **انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة** (أما أنه خسر الدنيا فلأنه لم يصل الى المنفعة التى يترقبها من عبادته ، وأما أنه خسر الآخرة فلأن عبادته لم تكن لله وانما كانت للشيطان) ، **ذلك هو الخسران المبين** » (١) ·

فهذه السائلة انقلبت على وجهها فانقطعت عن الصلاة والصوم ، وحاولت الانتحار ـ وهو يأس من رحمة الله ـ وتحاول أن تعرف سر الله فى أن خلقها قبيحة الشكل ، دون اخواتها · وهذا ينطوى على الاعتراض على خلق الله ·

● ان العبادة لله يجب أن تكون خالصة للمولى جل جلاله · فهى ليست تجارة ولا وسيلة لمصلحة شخصية · ولا ينبغى أن يتغنى بها الانسان ، ولا يمن بها على الله سبحانه · فأداؤها ان كان لمصلحة فلمصلحة من يؤديها · وهو أن يكون صاحب استقامة فى سلوكه ، وصاحب مشاركة ومعاونة فى معاملاته ·

● **وعلى أية حال فلا اعتراض على قدر الله ، عندما خلق السائلة ـ** كما تقول ـ قبيحة الشكل ، بينما خلق اخواتها الثمان جميلات المنظر · اذ ربما قبح الشكل يتحمله من خلقه الله قبيحا فى وجهه ، ولا يتحمل مرضا

---

(١) الحج : ١١ ·

١٩ـ عبادة الله على حرف :

آنسة بائسة معذبة باحدى القرى ·· تشكو حظها السيىء فى الحياة ، رغم أنها تصلى وتصوم الفروض والنوافل منذ كان سنها خمسة عشر عاما ، وهى الآن فى الثالثة والعشرين ·

وتقول : ان حالتها كانت عادية ، وكانت سـعيدة بما تتقـرب به الى الله من عبادات · ولكن ابتدأت تتغير منذ أن تزوجت أخت لها وهى تصغرها بثمانى سنوات : « فيئست من حياتى ولم اتذوق سوى المر والهوان ، بسبب كلام الناس · فقاطعت الصلاة والصوم لمدة شهر · ولكن سرعان ما رجعت لعقلى وأؤدى الفرائض كما كنت أفعل » ·

ثم تقـدم لخطبتها شاب ، ولم يكن يعـرفها ، حتى اذا رآها استقبح شـكلها ورفض أن يتزوجهـا · وأعلن « أنها وحشة » · وهنا اقسمت على المصحف بأن لا تتذوق الطعام والشراب لمدة عشرين يوما حتى تتخلص من حياتها · ولكنها اضربت لمدة يومين فقط ولم تستطع أزيد من ذلك وتسأل عن كفارة هذا اليمين ·

وتعود مرة أخـرى لتسـأل : لماذا خلق الله سبحانه أخواتها البنات ـ وهن ثمان ـ جميلات وهى قبيحة الشكل ؟ · مع العلم بأنهن جميعا لا يؤدين فريضة الصلاة والصوم · وأن أعمارهن تتراوح ما بين اثنتى عشرة وسبع وعشرين · لماذا هى تعسة ؟ ولماذا هن محظوظات ؟ ما السر فى هذا ؟ ·

● السائلة يئست من الحياة مرة عنـدما تزوجت أختها الصغرى · وانقطعت عن الصلاة والصوم ، ربما باعتبار ان العبادة لم تحقق لها هدفها فى الحياة · وحاولت مرة أخرى الانتحار بالاضراب عن الطعام والشراب ، عندما رفضت خطبتها واستقبح شكلها ·

وتنعى حظها فى الحياة لانها لم تكن جميلة المنظـر كأخواتها الثمان ·· ولأن : عبـادتها لله سبحانه لم تكن ذا عوض لها ، فتبلغهـا هـدفها من الزواج ·

الزواج فى حياة البنت المسلمة فى مجتمعاتنا المعاصرة هـدف رئيسى لها ، تسعى اليه سعيا مباشرا أو غير مباشر · فان مارست التعليم والتحقت بكليات الجامعة ··· وان مارست العمل خارج المنزل واختلطت بغير المحارم ، فلكى تحقق هدفها الاول من الزواج ·

على الضد من العادات السابقة فهو جهاد خادع ·· اذا لم يمتنع عن الشراب ··اذا لم يمتنع عن الوشاية والنميمة ·· اذا لم يمتنع عن الكذب والضلال ·· اذا لم يمتنع عن السرقة ·· اذا لم يمتنع عن فاحشة الزنا ·· اذا لم يمتنع عن عادة الاستمناء : فما يدعيه من جهاد للنفس غير صادق ·

وتكوين العادات الجديدة وهى التى تأتى نتيجة للاصرار على الحرمان والامساك ضد الموبقات : ستساعد من يجاهد نفسه على الاستمرار فى المجاهدة : فى يسر،فى غير ضيق ·· ستزيد عنده المقاومة بحيث يكون أمرها غير شعورى ·· بحيث يكون أمرها سهلا لا يحتاج الى عناء ·

● وهل السائل فى هذه الرسالة جاهد نفسه بحيث كان جهاده صادقا ·· الظاهر من مباشرته العادة السرية المرة بعد الأخرى ، ثم بعد كل مرة يعلن توبته ، ورغما عن اعلان توبته يعود الى الممارسة من جديد : الظاهر من ذلك أنه لم يجاهد النفس ضد هواها ، ولم يقف فى عزم وتصميم ضد المغريات التى تحيط به كما يقول · وتدينه مظهر لم يصل الى عمق نفسه بعد ·

ونحن لا نقول له : ان ما تباشره من العادة السرية هو حل مؤقت لأزمتك النفسية ضد الوقوع فى ارتكاب فاحشة الزنا الذى هو أمر ميسور كما تقول الرسالة · وانما نقول له : باشر جهاد النفس · وهو أمر مطلوب ومفروض على كل مؤمن برسالة الله · ومباشرته أولا مقدمة ضرورية لتقييم عمل المؤمن بعد ذلك ·· وتقييم ما يقدم عليه فى حياته ·

ان جهاد النفس شاق · ولكنه السبيل الأول الى تحويل الايمان بالله الى عمل صالح · ليست هناك انفصالية بين الايمان بالله ، والعمل الصالح الا فى نفس الضعيف الذى ينطق بشهادة : أن لا اله الا الله ــ وأن محمدا رسول الله، ثم يسير فى عمله حسبما تدفعه هواجس النفس وتملى عليه الأهواء والشهوات ·

وربما يرى بعض الفقهاء ، ان مباشرة العادة السرية فى الظروف التى يذكرها الشاب الجامعى فى رسالته لا تدخل فى نطاق المحرم شرعا ، دفعا للوقوع فى الزنا · لكن الفتوى بذلك تدخل التراخى فى مجاهدة النفس ، الامر الذى يحول دون أن تتحقق هذه المجاهدة يوما ما وتؤتى ثمرها ، كما هو مرجو لها ·

وبعد ذلك : هل مباشرة العادة السرية تؤثر تأثيرا سلبيا على الوظائف العضوية للبدن ؟ الكلمة فى ذلك لأصحاب الاختصاص ، وهم الأطباء ·

★★★

يستطع مجاهدة نفسه يظل ايمانه على هامش حياته ، كما يكون تدينه شكلا لا جوهر له ٠

وكلما كان الجو الذى يعيش فيه المؤمن مليئا بالمغريات ، وميسرا للانسان فيه ارتكاب الفاحشة أو المنكر ، كلما كان جهاد النفس شاقا ، وكلما كان ثوابه عند الله أعظم ٠

جهاد النفس لا يعرف التراخى ، ولا يعرف الحل الوسط ، ولا يعرف التأجيل ٠ فمن يريد مثلا أن يجاهد نفسه ضد منكر ما ، أو ضد فاحشة ، فعليه أن يمسك من فوره عنها ، وأن يعمل على ازالتها لو كانت بين يديه ٠ فمن تعود التدخين ويريد أن يجاهد نفسه ضده فعليه فى الحال أن يتخلص مما معه بصورة نهائية ٠ ومن تعود شرب الخمر وأراد أن ينتهى عن الشراب ويجاهد نفسه ضده ، عليه أن يسكب على الأرض فى غير ارجاء ما يكون لديه منه ٠ وهكذا فى مباشرة العادة السرية ٠٠ أو فى مباشرة فاحشة الزنا يحزم أمر نفسه بارادته القوية فى الامتناع عن مباشرة أى منهما ، ولو كانت النفس قد تهيأت للمباشرة بالفعل ، ولو كانت الظروف قائمة لتنفيذ المباشرة ٠

ومن يرجىء الامتناع والامساك عن المنكر أو الفاحشة الى وقت آخر مستقبلا ، حتى يتيح لنفسه استغلال الفرصة العاجلة بين يديه ، لا يكون وضعه وضع من يجاهد نفسه ٠ بل يكون وضعه وضع المؤرجح أو المتقلب ، والمتردد ٠ من يقول انى سأمتنع وسأنتهى من هذا المنكر أو ذاك ، أو من هذه الفاحشة أو تلك ، غدا أو بعد غد حتى أكون قد فرغت مما لدى أو حتى أكون قد أعددت نفسى وهيأتها نحو الحرمان والامساك عن المنكر أو الفاحشة ٠٠ من يقول ذلك تنقصه الجدية ، وينقصه العزم ، وينقصه الايمان القوى ٠ومثله مثل من يباشر المنكر ثم يتوب ويستغفر الله ٠٠ ثم يعود لمباشرته ، ثم يتوب ويستغفر الله ٠٠ وهكذا ٠

جهاد النفس عزم وتصميم على الامساك والحرمان مما تشتهيه النفس الأمارة بالسوء ٠ والذى يجاهد نفسه يعلم ما فى بيئته من مغريات ومفاتن ، كما يدرك فى نفسه قوة العزم على المقاومة ٠٠ ثم ينتهى الى قبول التحدى للمغريات والمفاتن ٠ واصراره على المقاومة هو عامل نجاحه ٠ فاذا كان ارتكاب المنكر أو الفاحشة عادة له ، فستضعف هذه العادة تدريجيا ، وتحل بدلا منها عادة أخرى بحكم اصراره ، تساعده على الامساك ٠ وهى عادة الحرمان والمقاومة لما تشتهيه النفس عن طريق البطن أو الفرج ٠

واذن جهاد النفس لابد أن يكون عادات لدى من يجاهد نفسه ، بدلا من تلك العادات التى كونتها مباشرة المنكر والفاحشة ٠ فاذا لم يكون عادات

١٨ـ مجاهدة النفس واجب أولى للمؤمن بالله :

طالب جامعى مسلم ـ من احدى المحافظات ـ يؤدى الصلاة جماعة ، ويؤدى الفرائض الأخرى ، ومتمسك بالسنن ·· ويدعو الى الاسلام بين أهله وجيرانه ومعارفه ·· ولا يدخن ·· ولا يشغل نفسه بسماع الاذاعة ومشاهدة التليفزيون · ومشكلته كما يقول :

أنه يسكن فى منطقة كثرت فيها أجهزة التليفزيون ودور السينما ، وله فيها متجر يقف فيه وقت فراغه ويتردد عليه كثير من فتيات الجيران · وهو يغض بصره عنهن · ولكنه يسمع أحاديثهن ويتناولن فيها العلاقة بين الرجل والمرأة بألفاظ تحرك الشهوة عنده وهو واقف بالمتجر وهن أمام منازلهن · ولذا لا يستطيع أن يحول بينهن وبين هذه الأحاديث · وارتكاب الفاحشة فى جو هذه المنطقة لا تحول دونه صعوبة ، كما يقول ·

وكأثر لهذه الأحاديث فى جو المنطقة يدخل الشيطان نفسه ويحرك شهوته · وخشية من الوقوع فى الزنا يباشر « العادة السرية » بيده من وقت لآخر · وحاول كثيرا أن يمنع هذه العادة ويتوب الى الله ولكنه تحت ضغط هذه الظروف يعود اليها خوفا من الزنا الذى هو أيسر كما يقول من الحصول على الأكل والشرب · وهو لا يستطيع الزواج لأنه فقير وتكلفة بيت الزوجية لا يقدر عليه · كما أنه جرب الصوم فكان يغلب على أمره بمباشرة هذه العادة وهو صائم ·

ويسأل عن حكم مباشرة هذه العادة فى هذه الظروف التى يصفها فى رسالته ؟ وعن العبادات التى يؤديها وهل تعتبر فى حالته هذه تعبيرا عن نفاق؟ وهو فى حيرة من أمره ·

● مطلوب من المؤمن أن يجاهد نفسه ·· أن يجاهد دون أن تغلب شهوة بطنه أو فرجه عليه · ومجاهدة النفس صراع بين طرفين : بين الشهوة التى تدفع اليها الغريزة ، وبين الهداية التى تدفع اليها رسالة الله · ورسالة الله هنا تدفع الى عدم الاستسلام الى اغراء الشهوة ، سواء أكانت شهوة البطن أو شهوة الفرج ·

وعبادة الصوم فرضت لتدرب الانسان الصائم على عدم الاستجابة لاغراء الشهوة أيا كان مصدرها · فالصائم فى صومه يصارع ضد شهوته ورغباته : يمسك عنها ، ويحول دون أن يتحقق ميل النفس الى ما تشتهيه ·

ومجاهدة النفس هى الركيزة الأولى فى الايمان والتدين · ومن لم

وأراد القرآن الكريم ـ فى ختام سورة الجن ـ أن يكذب هذا الادعاء فيقول جل شأنه :

«**عالم الغيب**(أى هو الله عالم الغيب)**فلا يظهر على غيبه أحدا** (أى هو جل جلاله محتفظ بعلمه وحده فلا يطلع عليه أحدا اطلاقا من الجن والانس ·· من المؤمنين ، أو المشركين على السواء) · **الا من ارتضى من رسول** (أى الا فى حالة واحدة · وهى حالة اختياره رسولا) » (١) ·

والرسول على الأرض من الانس ، وليس من الجن أو الملائكة : « **وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا · قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** » (٢) ···

وفى حال اختيار الله جل جلاله رسولا من البشر واطلاعه على علمه عن طريق الوحى فانه يحتاط معه بحيث لا يتسرب منه شىء حتى يؤدى رسالته بابلاغها كاملة الى الناس : « **فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا · ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا** » (٣) ··

وتكذيب هذا الادعاء معناه : أن الله وحده دون كائن من كان سواه هو الذى يحتفظ بعلم الغيب ·· وهو الذى يختار من يطلعه عليه ·· ومن يختاره يكون من الرسل أصحاب الرسالة ·· والرسل أمناء ومعصومون لا يبلغون شيئا من هذا العلم الا بعد أن يؤذن لهم ·

واذن من عدا الرسل من عباد الله وأوليائه ليست لديهم أهلية لتلقى علم الله واشاعته بين الناس·والمؤمنون جميعا بعد الرسل سواسية فى عدم معرفتهم بعلم الله · والجن شياطينهم والمؤمنون منهم بعيدون كل البعد عن اتصالهم بعلم الغيب ·

وهكذا:الاسلام ان ميز بعض المؤمنين عن بعض فبالتقوى وحدها وليس بعلم الغيب : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير** » (٤) ··

★★★

---

(١) الجن : ٢٦ ، ٢٧ ·
(٢) الاسراء : ٩٤ ، ٩٥ ·
(٣) الجن : ٢٧ ، ٢٨ ·
(٤) الحجرات : ١٣ ·

والقلب أخيرا فى نظر القرآن الكريم يمثل بانضمامه الى السمع ، والبصر : الخصائص الانسانية فى الانسان على معنى أن الانسان يتميز عن الحيوان بالقلب مع السمع والبصر · والسمع والبصر هما مدخلا الادراك والتعقل · فيقول الله جل شأنه :

« أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون » ؟ (١)·

أى أن مثل هذا الذى اتبع هواه وجعل منه الها يعبده ، وأغلق عليه قلبه ، وعطل عليه سمعه وبصره : يستحيل عليه أن يصل الى هداية الله ·· وليس هناك فى الوجود ، عدا الله من يمكنه منها · لأن منافذ الانسانية لديه سدت جميعها ·

وهكذا : يكاد يكون القلب ـ فى تقدير القرآن له ـ أن ينظر اليه على أنه هو المركز الذى تتفرع منه وتنتهى اليه شرايين الانسانية · واذا كان القلب فى نظر الأطباء هو العضلة التى تنظم توزيع الدم حسب حاجات البدن ·· فانه فى نظر الاسلام هو مصدر التوجيه والقيادة فى الانسان ، الذى يضله ويهديه ·

● **اجابة السؤال الثانى :**

نسب الى الكهان فى مكة ، قبل نزول القرآن ، وتكليف الرسول محمد عليه السلام برسالته : انهم يتلقون علم الغيب مسبقا ـ وهو علم السماء ، أو علم الله جل جلاله ـ من شياطين الجن · وأن هؤلاء الشياطين من الجن لا يؤمنون بالبعث كما لا يؤمن الكهان أنفسهم وأمثالهم من زعماء الوثنية والشرك : « **وأنهم** (أى شياطين الجن) **ظنوا كما ظننتم** (وهم رجال الانس من المشركين والكهان) **أن لن يبعث الله أحدا** » (٢) ··

ومعنى هذا الادعاء :

● ان هناك من المخلوقات من يطلع على علم الله ، قبل الآخرين منهم ·· وأن أكثر المخلوقات شرية وكفرا وهم شياطين الجن يسترقون السمع من السماء عند حديث الله مع الملائكة · ومن هنا يتسرب علم الله الى المشركين من الكهان · وشياطين الجن مع الكهان يعلمون اذن مقدما : غيب السماء قبل أتباعهم ·

---

(١) الجاثية : ٢٣ ·　　　(٢) الجن : ٧ ·

آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (١) ٠٠ فانه ينسب الى القلوب عمل العقل والفكر ٠٠

٢ ـ ويجعله مركز المسئولية : فيقول : « **ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم** » (٢) وهكذا القلب يأثم ويعصى ، ويطيع وينفذ ٠

٣ ـ ويجعله مركز الايمان والكفر ، فيقول : « **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** » **(٣)** ٠

ويقـول : « **ومن يؤمن بالله يهـد قلبه ، والله بكل شىء عليم** » (٤) ٠٠ فالقلب مكان الايمان والكفر ٠

كما يقول : « **ما جعل الله لرجل من قلبين** (أحدهما للايمان ، والآخر للكفر) **فى جوفه** » (٥) ٠٠

٤ ـ ويجعله مركز الاحساس ، فيقول : « **وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، انه عـزيـز حكيم** » (٦) ٠٠ فالترابط بين المؤمنين هو ترابط الشعور ، والاحساس العميق ٠

ويقول « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » (٧) ٠٠

٥ ـ ويجعله مركز الوعى فى الانسان فيقول : « **نزل به الروح الأمين ٠ على قلبك لتكون من المنذرين ٠ بلسان عربى مبين** » **(٨)** ٠٠

٦ ـ ويجعله مركز الذوق ، فيقول : « **واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنـــون بالآخـــرة ، واذا ذكـــر الذين من دونه اذا هـــم يستبشرون** » ٠٠ (٩) ٠٠ فالقلوب كما تشمئز : تفرح وتستبشر ٠

---

(١) الحج : ٤٦ ٠ (٢) البقرة : ٢٨٣ ٠

(٣) النحل : ١٠٦ ٠ (٤) التغابن : ١١ ٠

(٥) الأحزاب : ٤ ٠ (٦) الأنفال : ٦٣ ٠

(٧) آل عمران : ١٥٩ ٠ (٨) الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥ ٠

(٩) الزمر : ٤٥ ٠

والقرآن هو كتاب الله الذى يرجع اليه المؤمنون بالاسلام ٠

« **ومن يبتغ غير الاسلام دينا** (لأنه دين الله) **فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (١) ٠ صدق الله العظيم ٠

★★★

١٧ـ العقل والقلب ومنزلتهما فى كتاب الله :

مواطن من احدى المحافظات يسأل سؤالين :

السؤال الأول :

فى القرآن الكريم توجد آيات تدل على أن العقل يفكر ٠٠ وكذلك القلب يفكر ٠ فما هذه الآيات ؟ ٠٠ وما صلة القلب بالعقل من ناحية التفكير ؟ ٠

السؤال الثانى :

بعض المؤمنين يقولون : ان أولياء الله الصالحين يعلمون ويشعرون بالذى سيحصل من غيب الأمور ٠

فما رأى الدين فى ذلك ؟ واذا كان صحيحا فأرجو توضيح ذلك من خلال الكتاب ٠٠ والسنة ؟ ٠

● **اجابة السؤال الأول :**

يحدد القرآن مكان القلب بأنه فى الصدر ٠ يقول : « **ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** » (٢) ٠٠ ويحدد كنهه وذاته بأوصافه ووظائفه :

١ ـ فيجعله مركز الفهم والتعقل ، فيقول : « **ولقد ذرأنا لجهنم** (أعددنا لجهنم) **كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون** » (٣) ٠٠ فجعل الانسان يفقه ويفهم بقلبه ٠

ويقول أيضا : « **أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو**

---

(١) آل عمران : ٨٥ ٠ (٢) الحج : ٤٦ ٠

(٣) الأعراف : ١٧٩ ٠

والاسلام ليس دين القرآن ورسالة الرسول محمد عليه السلام وحده · وانما الاسلام دين الله · « **ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم** » (١) ·

فكل رسالة من الله على يد رسول أرسل بها الى قومه هى الاسلام ، وهى دين الله · والرسالات قبل القرآن تعرضت للتغيير والتحريف عن طريق بعض الزعماء · فلما جاء القرآن كان الفيصل فيما بقى من رسالة الله لقوم من الأقوام وما تغير أو طرأ عليها يخاطب الله جل جلاله رسوله الصادق الأمين : « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق** (وهو القرآن) **مصدقا لما بين يديه من الكتاب** (أى من الكتب السماوية السابقة) **ومهيمنا عليه** (أى صاحب هيمنة وحجية على ما هو موجود ، من الكتب السماوية وقت نزول القرآن · فالقرآن هو القول الفصل فى شأن دين الله الذى هو الاسلام) **فاحكم بينهم بما أنزل الله** ، (وهو الاسلام) **ولا تتبع أهواءهم** (فيما بدل أو غير أو حرف من الزعماء) **عما جاءك من الحق** (وهو القرآن) » (٢) ·

● الاجابة عن السؤال الثالث :

وأصبح مفهوما الآن ان الاسلام هو رسالة الله ، ودين الله على الأرض ، منذ أقدم الرسالات ، منذ ابراهيم عليه السلام وليس هو القرآن وحده : « **ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما** » (٣) ·

كما أصبح مفهوما كذلك : أن القرآن ــ وهو آخر الرسالات السماوية بدين الله الذى هو الاسلام ، كما تقول الآية الكريمة : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (٤) أصبح مفهوما : أن للقرآن هيمنة ، وحجية وكلمة فاصلة بين ماالله فى دين الله الذى هو الاسلام ، وبين ما تعرض له دين الله على ممر الأجيال والعصور من تحريف أو تغيير أو تبديل اقتضته المصلحة الخاصة للزعماء الدينيين ·

فالاسلام دين الله فى كل رسالة سماوية · « **قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون** » (٥) ·

---

(١) آل عمران : ١٩ ·
(٢) المائدة : ٤٨ ·
(٣) آل عمران : ٦٧ ·
(٤) المائدة : ٣
(٥) البقرة : ١٣٣ ·

● أما الشق الثانى من السؤال الأول وهو انه : لماذا جعل الله الانسان منذ ولادته فى كبد أى فى مشقة وتعب ؟

فالمشقة التى يعيش فيها الانسان منذ ولادته هى مشقة الصراع النفسى الداخلى بين غرائزه كمصدر للهوى والشهوة ·· وعقله كمصدر للتوجيه حسب رسالة الله وما جاء فيها · وهذا الصراع هو الذى يوزع الناس الى طغاة ·· أو الى ولاة خاشعين : « **فأما من طغى · وآثر الحياة الدنيا · فان الجحيم هى المأوى · وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى · فان الجنة هى المأوى** » (١) ·

مطلوب من الانسان حسب رسالة الله : أن يجاهد نفسه · ومعنى جهاد النفس جهاد الهوى والشهوة · حتى لا يطغى الانسان عن طريق شهوته وهواه · وهنا الانسان من أجل هذا الجهاد فى كبد ومشقة · لأنه ليس من السهل أن يتحكم الانسان فى شهوته فيعف عن الزنا والمنكرات ·· وليس من السهل أن يتحكم فى هواه فيتجنب قتل النفس التى حرم الله قتلها ·· كما يتجنب الظلم والاعتداء على الآخرين · والمشقة اذن التى ولد فيها الانسان ويعيش فيها الى مماته ليست مشقة السعى فى سبيل الرزق · بل هى تلك المشقة النفسية التى يصارع فيها الانسان نفسه الأمارة بالسوء ، والنفس الأمارة بالسوء هى النفس التى يسيطر عليها الهوى وتسيطر عليها الشهوة ·

● **الاجابة عن السؤال الثانى :**

وعن « الرهبانية » وموقف الاسلام منها ، فقد جاء قول الرسول عليه السلام : « لا رهبانية فى الاسلام » والرهبانية هى المبالغة فى العبادة والانقطاع عن النفس « والمعيشة الخشنة ·· والبعد عن النساء · ويروى عن الرسول ﷺ قوله : « ان لبدنك عليك حقا » ·· كما يروى عنه : « من لم يتزوج فليس منى » والقرآن الكريم يشير الى أن دين الله لا يعرف الرهبانية ، فضلا عن أن يدعو اليها · يقول تعالى : « **وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه** (أى اتبعوا المسيح عليه السلام) **رأفة ورحمة ، ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله** (أى لم نفرضها عليهم وانما هم الذين اخترعوها وفرضوها على أنفسهم يرجون من تطبيقها رضاء الله) **فما رعوها حق رعايتها** (ولكن كثير منهم لم يؤدها حق الأداء · بل أهملوها ولم يرعوها) ، **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ، وكثير منهم فاسقون** · (وكان اهمالها سببا فى خروج كثير منهم عن الخط المستقيم · وهكذا لم يؤجر الا القليل منهم ، وهو الذى بقى على ايمانه) » (٢) ·

---

(١) النازعات : ٣٧ ــ ٤١ · (٢) الحديد : ٢٧ ·

وهل معنى ذلك أن الديانات الأخرى نفيت الى غير رجعة رغم وجود اناس يعتنقونها ؟

● الاجابة عن السؤال الأول :

الله سبحانه وتعالى خلق الانسان على وضع خاص ·· خلقه من بدن ، ومن عقل ·· خلقه من بدن تتكفل به الغرائز وهى مصادر الشهوة والهوى فى الانسان ·· وخلقه من عقل يتكفل به سمعه وبصره وادراكه · وجعل بين الطرفين فى تركيب الانسان أو فى طبيعته صراعا خفيا · فبينما الغرائز تدفع الانسان فى غير شعور ؟ اذا بالعقل يحاول وقف اندفاع الغرائز ويحاول توجيهها · والانسان اذن فيه مصدر الحركة ، وهو الغرائز ·· ومصدر القيادة والتوجيه ، وهو العقل أو الادراك · وكلما كانت الغرائز قوية كلما كانت مهمة العقل أصعب ·· وكلما كان الصراع بين الطرفين أشد ·

واذا كانت للانسان قيادة ذاتية ، ممثلة فى العقل ، فله ارادة واختيار · والارادة هى الظاهرة المميزة للانسان · والانسان اذن هو صاحب مشيئة ، واختيار ، وارادة · كما هو صاحب حركة ذاتية : يسعى فى الأرض ·· ويتفكر فى خلق السموات والأرض ·· ويختار السبيل الذى يرضاه : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** » (١) ·

فلله ارادة فى ايمان المؤمن وفى ضلاله ·· وللانسان كذلك اختيار فى ايمانه وفى ضلاله · فأما ارادة الله فهى مساعدة من يهتدى بارادته على انجاز هدايته بأن يشرح صدره للاسلام : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام** » · وأما ارادة الانسان فهى فى انجازه للهداية على ضوء انشراح صدره من الله لها ·

وأما ارادة الله فى ضلال من يكفر فهى أن يجعل صدره ضيقا حرجا : « **ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء** » · وارادة الكافر لكفره تتمثل فى أن يضيق صدره بما يذكر الله ولا يرى اشعاع هدايته ، فيظل فى ظلام الضلال والحيرة ·

وحساب الله للانسان على كفره أو على هدايته وايمانه لأنه استجاب باختياره للايمان ·· أو لأنه لم يستجب أيضا باختياره فظل على كفره وضلاله · فهو له ارادة فى كلتا الحالتين ، بجانب ارادة الله جل شأنه ·

---

(١) الأنعام : ١٢٥ ·

والانسان وضع فى هذه الحياة الدنيا ، لا ليمتع بمتعها ٠ ولكن ليسجل تصرفه وسلوكه : أهو انسان يشارك الآخرين معه فى مجتمعه معانى الانسانية وقيمها ؟ ٠٠ أهو يحب الآخرين ويتعاون معهم ، ويساعد صاحب الحاجة على سد حاجته ؟ أم هو أنانى يحب نفسه ولو على حساب غيره ؟ ٠ وقوى الايمان بالله هو ذلك الذى لا تغريه متع هذه الحياة فالكثير منها والقليل بالنسبة له سواء ٠

وعديم الايمان أو ضعيفه هو الذى يلهث وراء هذه المتع ٠ وفى سعيه للحصول عليها لا يعرف صاحب رحم له ٠٠ ولا جارا ٠٠ ولا صديقا ٠٠ لا يعرف الا نفسه فقط ، ومن هنا يقدر المال ولا يقدر المعانى الانسانية ٠٠ يقدر الجاه وزخرف الحياة الدنيا ولا يقدر فعل الخير لمحتاج ، أو ضعيف ، أو عاجز ، وربما لو وجد كافرا يستمتع بكثير من متع الدنيا يود أن يكون مثله فى كفره ٠٠ وفى حيازته للمتع الدنيوية ٠ وربما يعلن كفره ٠٠ ولكن قد لا تواتيه الدنيا ، وصديق السائل هنا من هذا النوع ٠ ندعو له بالهداية ٠

★★★

١٦ ـ ارادة الله ٠٠ ومسئولية الانسان :

سيدة باحدى المحافظات ـ تطرح خمسة أسئلة وتطلب الاجابة عليها ، ونذكر الآن ثلاثا منها :

السؤال الأول : خلق الله الانسان ، وخلق له السبب والمسبب ٠ فلماذا يحاسبه اذن فى جنة أو فى نار ؟

ولماذا جعله الله فى كبد منذ ولادته وحتى مماته ؟

وفى أى سن يبدأ خطاب « تكليف » الله سبحانه للانسان ؟

السؤال الثانى : وبما أن الرسول عليه السلام يقول « لا رهبانية فى الاسلام » ٠٠ لماذا خص الاسلام بالذات بعدم الرهبانية مع انها موجودة فى الأديان الأخرى التى هى أيضا منزلة من عند الله ؟

السؤال الثالث : بما أن الأديان الأخرى المنزلة من عند الله تدعو أيضا الى الهداية وعدم فعل الأشياء التى لا يرضى عنها اى دين فلماذا يقول الله سبحانه وتعالى أيضا فى كتابه العزيز : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (١) ؟ ٠

---

(١) آل عمران : ٨٥ ٠

ودون ايمان منه بالله ، قد يعطى من متعها · ولكن مصيره أن يلقى فى جهنم ملعونا) » (١) ·

(٢) « **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا** (أى ومن عمل فى دنياه من أجل آخرته فآمن بالله وعمل برسالته لخيره وخير الآخرين ولم يركب هواه فضلا عن أن يطغى به ، ويصبر على الحرمان اذا لم تواته الدنيا فان عمله سيقابل بالشكر وستكون الجنة مصيره فى الآخرة) » (٢) ·

(٣) « **كلا نمد هؤلاء** (من الكافرين) **وهؤلاء** (من المؤمنين) **من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا** (أى على أحد بسبب الايمان أو الكفر) » (٣) ·

(٤) « **انظر كيف فضلنا بعضهم** (وهم الكافرون) **على بعض** (وهم المؤمنون فأعطينا الكافرين أكثر مما أعطيناه للمؤمنين فى الأرزاق) **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** (أى ولكن جزاء الآخرة للمؤمنين يفوق العطاء الدنيوى للكافرين عدة مرات ، وهو فى نوعيته لا يفضله جزاء مادى آخر) » (٤) ·

وفى آية قرآنية أخرى يقول الله جل شأنه :

« **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة** (أى فى الكفر تحت تأثير عطاء الله فى الدنيا للكافرين وحدهم) **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون · ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون · وزخرفا ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين** » (٥) ·

فالدنيا دار ابتلاء واختبار للانسان ، بنعيمها وبمتعها وبزينتها ، وبالأموال والأولاد ، والجاه والسلطة فيها ، وليست دار جزاء ، يعطى فيها المؤمنون ويحرم منها الكافرون · كثيرا ما يقتر على المؤمن فى معيشته ·· وكثيرا ما يدلل الكافر فى حياته بالمال والأولاد ، والجاه ·· الخ ·

---

(١) الاسراء : ١٨ ·
(٢) الاسراء : ١٩ ·
(٣) الاسراء : ٢٠ ·
(٤) الاسراء : ٢١ ·
(٥) الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥ ·

وهكذا : الدنيا أشبه بملك خاص توزع منافعه على المحاسيب والأتباع الذين يتحركون لمصلحة المالك ، ويحرم من هذه المنافع من له صلة عداء أو مناوأة به ٠

وما هكذا شأن الدنيا فى نظر القرآن ٠ فالدنيا وجدت لتكون مجالا لاختبار المؤمن بالله فى ايمانه ، ولاختبار الكافر فى كفره ٠ فالمؤمن يعطى من متع الدنيا ويحرم من كثير من هذه المتع ٠ والكافر يعطى من متع الدنيا ويحرم من كثير أو قليل منها ٠

والمؤمن الذى يعطى من نعم الله يختبره المولى جل جلاله فى هذه النعم :

هل سيتجه بهذه النعم نحو ما يرضى الله : فينفق من المال فى سبيل الزكاة والخير العام ؟ ٠٠ وفى تنميته للمال سيبتعد فى هذه التنمية عن الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وظلم اليتيم والضعيف من الأطفال والنساء ؟٠

هل سيتجه بنعمة الأولاد أن يكونوا قوة فى سبيل الله والايمان به ؟ أم يتجه بهم الى أن يصبحوا قوة فى الفساد والعبث فى الانحراف ؟ ٠

هل سيتجه بالجاه وبالسلطة ـ وهى نعمة من نعم الله على من ولاه الحكم والمسئولية العامة ـ الى صالح المؤمنين وخير البشر عامة ؟ ٠ أم أنه سيتجه بها لاحقاق الباطل ٠٠ والظلم ٠٠ والعدوان على الآخرين ؟

والمؤمن بالله الذى يحرم من متع هذه الحياة الدنيا سيختبره الله بهذا الحرمان : هل سيصبر على الحرمان ويظل على مستوى ايمانه بالله ، أو يزيد هذا المستوى عنده ، أو يقل ؟

والكافر الذى يعطى من نعم الدنيا سيختبر فى هذه النعم ٠ هل سيتمادى فى طغيانه بهذه النعم ؟ هل ستدفعه النعم الى التمادى فى كفره وفى ضلاله ؟ اذ الكافر أصلا هو الذى يتبع هواه ٠ ومن يتبع هواه كان الشيطان قرينه ٠ ومن كان الشيطان قرينه كان الباطل مجال نشاطه ٠

والقرآن الكريم يقيم الدنيا على نحو ما أجملنا هنا ، فى قوله تعالى :

(١) « **من كان يريد العاجلة** (أى يريد متع هذه الحياة الدنيا ٠ وتسمى العاجلة لأنها سابقة على الآخرة) **عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا** (أى فالذى يعمل من أجل الدنيا وحدها ،

عديدة : فيؤله الضعفاء الأقوياء ٠٠ يستسلمون لهم ٠ ويقبلون الظلم والعدوان منهم ٠٠ ويباركون خطواتهم فى الانحراف والاعتداء ، لا يستطيعون فقدهم فضلا عن مقاوتهم ٠

والايمان بوحدة الألوهية : رفع القداسة عن كل موجود ، عدا الله سبحانه ٠٠ عدم الاستسلام الا للكامل المطلق ٠٠ مواجهة الطغيان بالقوة أو بالمال أو بالجاه والسلطة ٠٠ مقاومة الاعتداء والظلم فى أية صورة من الصور ٠

الايمان بالله وحده ، هو منطلق البشرية نحو الحياة الانسانية الكريمة ٠

والشرك بالله ٠٠ الهروب فى دروب خوفا من المواجهة واعلان الحق وحده ٠

★★★

١٥ ــ الكفر بالله ٠٠ والترف فى الحياة :

مواطن باحدى الضواحى يذكر :

أنه كان ذات يوم مع صديق له ٠ ويرى فيه أنه مثقف جدا ٠ وهذا الصديق المثقف جدا يكفر بالله ٠٠ ويعتقد أن الدنيا خلقت طبيعيا ٠ ودليله على ذلك :

أن من يصلى ويعبد الله لا يكافئه الله الا بالفقر الدائم ٠٠ وأن معظم الكافرين فى ترف وثراء ونعيم ، وعربدة ٠ ولا يحمدون الله ولا يصلون ٠ وعلى الرغم من ذلك فهم أغنياء ولم يجازهم الله على كفرهم ٠

وقد حاولت اقناع صديقى هذا بوجود الله وكلمته عن خلق الشمس والقمر ، والنهار والليل ٠٠ وعن معجزات الأنبياء وعن اعجاز القرآن الكريم ، ولم أفلح ، ولم أقدر على اقناعه لأنى غير مثقف مثله ، ولكنه قال : انه تعبان جدا من هذا الاحساس نحو دينه ونفسيته قلقة لهذا السبب ٠

ويرجو السائل فى ختام كتابه أن نتقدم بانقاذ هذا الشخص ورده الى دينه ٠

● الشاب الصديق : يقيم تصوره عن الله ، وعن الايمان والكفر به ، على افتراض خاطىء ٠ وهو أن الايمان بالله يستتبعه حتما الثراء فى الدنيا واقبال زينتها ومتعها على المؤمن به ٠٠ بينما الكفر بالله يؤدى حتما الى الفقر والمشقة فى سبيل العيش لمن يكفر ٠

جاءت رسالة الله فى كل مرة ، ومع كل رسول أرسل بالدعوة الى وحدة الألوهية ، حتى نزول القرآن الكريم ·

« قل أى شىء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بينى وبينكم ، وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل انما هو اله واحد وانني برىء مما تشركون » (١) ·

فقد كلف الرسول محمد عليه الصلاة والسلام باعلان اعتقاده بوحدة الألوهية ·· وببراءته من الشرك ·· أى كلف باعلان أن الله واحد،وهو الكامل كمالا مطلقا فى الوجود ـ وينفى أن يكون هناك فى الوجود شركاء له · وقضية التوحيد فى الألوهية هى جوهر الرسالة اذن · والرسول كان لا يرسل من قبل الله فى أى جيل وفى أى مجتمع الا اذا ساد الشرك بين الزعماء فى المجتمع · وهنا يأتى الوحى برسالة الله على الأرض لاعلان دعوة التوحيد · ودين الوحدة فى الالوهية هو الاسلام ·· والذين يؤمنون بالوحدة هم المسلمون ·

والايمان بوحدة الالوهية من شأنه جمع الصفوف ·· وجمع الكلمة بين المؤمنين كما من شأنه اضعاف الصراع النفسى الداخلى فى الفرد الواحد بين شهوته وغرائزه من جانب ، وعقله وحكمته من جانب آخر ·

واذا كانت للانسانية مصلحة فى الايمان بوحدة الألوهية فان للطواغيت والزعماء الذين يؤلههم ضعاف النفوس من أقوامهم فى كل عهد ، مصلحة فى الشرك وبقاء القداسة التى ترفعهم الى صف الآلهة ·

● الوثن ·· والأصنام :

الوثنية عبادة غير الله ·· والشرك بالله · والأوثان ·· والأصنام ، رموز أو تماثيل تجسد الشركاء لغير الله : « **انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا** » (٢) ·· ويصف القرآن الوثنية والأوثان بالرجس والنجس وينهى عنها ويدخلها فى محيط القول الزور والكذب المختلق : « **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور** » **(٣)** ·

والأوثان ·· والوثنية ·· والشرك ·· والآلهة ·· والأرباب : مفاهيم تدل على انحراف البشرية عن المسار الصحيح لها فى مجتمع أو فى مجتمعات

---

(١) الأنعام : ١٩ · (٢) العنكبوت : ١٧ ·

(٣) الحج : ٣٠ ·

الله · ومعنى عبادته للمال والعصبية : أن يجعل اعتماده على أى منهما ، دون أن يعرف الله ويتوكل عليه فيظلم فى سبيل المال ·· ويعيث فى الأرض فسادا عن طريق العصبية ·

والانسان فى حياته مخير بين أن يكون من عباد الله مؤمنا به ·· وبين أن يكون من أنصار الطاغوت ، والظلم ، والفساد ، والعدوان · بين أن يكون من أوليـاء الله ، أو أولياء الشيطان : « **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** » (١) ·

ومن يكون من أولياء الله ـ أى من المؤمنين به ـ يعيش فى نور الهداية ، بعيدا عن الانحراف فى السلوك والاعتقاد · ومن يكفر بالله ويكون من أولياء الطاغوت ـ أى من اتباع الهوى والشهوات ـ يعيش فى ظلمة الأهواء ، ان تصرف أو اعتقد : « **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله** (أى يسعون ويجاهدون فى تحقيق ما جاءت به رسالة الله) » (٢) ·

« **والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت** (أى يسـعون ويجاهدون فى سبيل الظلم ، والفساد ، والاعتداء · أى يؤيدون كل مسعى يوصل الى الباطل ونصرة الباغى فى بغيه وعبثه) » (٢) ·

والطاغوت أو الطغيان اذن مرحلة ممكنة فى حياة كل انسان ، يمـكن أن يصل اليها اذا خدعته قوته فى المال والرجال ·· أو اغتر واعتز بغير الله ، أو اعتقد أنه اله الأرض يستقل وحـده بالسيادة فيها ، عـلى نحو ما تحكى هذه الآية من تصور فرعون عن نفسه :

« **وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعـل لى صرحا لعـلى أطلع الى اله موسى وانى لأظنه مـن الكاذبين** » (٣) ·

● **الآلهـة ·· والأربـاب :**

والآلهة جمع اله ·· والأرباب جمع رب · وهم أولئكم الذين يشركون مع الله فى العبادة · هم الذين يشركهم ضعاف الناس فى صفة الألوهية ، مع المولى جـل جلاله ·

---

(١) البقرة : ٢٥٦ ·　　(٢) النساء : ٧٦ ·

(٣) القصص : ٣٨ ·

١٤ ـ الطـاغوت :

عامل باحدى الوزارات ، ومقيم شعائر بأحد المساجد باحدى المحافظات يسأل :

١ ـ ما هو الطـاغوت فى عصرنا حتى نكفر به ؟

٢ ـ ما هى الآلهـة التى تعبد من دون الله ؟

٣ ـ ما هى الأربـاب ؟

٤ ـ ما هو الوثن أو الصنم ٠

● الطـاغوت :

نقرأ قول الله تعـالى : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ٠ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئـك أصحاب النار ، هم فيها خالدون » (١) ٠

فالقرآن الكريم يضع هنا : « الطاغوت » فى مقابل الله سبحانه ٠ والله جل جلاله مصدر الخير ٠٠ والأمان ٠٠ والحماية ٠٠ والقوة ٠٠ والاستقامة للانسان المؤمن به ٠

والطاغوت فى مقابله اذن : مصدر الشر ٠٠ والظلم ٠٠ والاعتداء ٠٠ والشرك بالله ٠ فكل ما ينطوى على شر ، أو ظلم ، أو اعتداء : طاغوت من الطواغيت ٠ فالانسان الشرير ٠ أو الظالم ، أو المعتدى « طاغوت » ٠ والمذهب الهدام المقوض لرسالة الله طاغوت ٠٠ والجماعة المخربة التى تباشر الفحشاء والمنكر وتزينه للناس ، « طاغوت » ٠ والهوى والركون اليه فى تفويت الحق وابعـاده عن صاحبه طاغوت ٠٠ وعبادة غير الله من انسان أو غير انسـان على هذه الأرض « طاغوت » وتأليه الزعماء والحكام فى المجتمعات الانسانية صورة من صور الطاغوت ٠

وهكذا : الخـروج عن خط الاسـتقامة الالهية يدخل فى الطـاغوت ، والانسان عادة يطغى اذا ظن انه استغنى بعصبيته أو بقوته المادية ٠٠ أو بماله أو بصحته وعلمه ، عن مولاه جل جلاله ٠ فيعبد المال والعصبية ولا يعبد

---

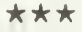
(١) البقرة : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ٠

كان على ضلال ومحرم والعهد الذى يجب الوفاء به هو عهد الله وليس عهد الشيطان · وعهد الله ما كان فى طاعة الله ، وما هو فى طاعة الله يكون لخير المتعاهدين ولخير الآخرين ·· أى لا ينطوى على حرمة أو ظلم أو اعتداء ·· ولا على ما يغضب الله فى شىء ما · واذ يطلب القرآن الكريم الوفاء بالعهد فى قوله تعالى : « **وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا** » (١) فانه يطلب العهد المضاف الى الله جل شأنه والذى يرضى عنه الله سبحانه ، كما جاء فى قوله تعالى « **وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم** » (٢) ·· أما عهد الشيطان فهو ذلك العهد الذى دخل فيه الهوى وقام على حل المحرمات · وعهد السائلة مع رفيق السوء هو من هذا النوع الأخير . كما تعترف هى بأنها فى هذا الوقت كانت فاسقة ·· وان أخلاق صديقها تتنافى مع تعاليم الدين ·

وعلى هذا يجب على السائلة ان لا تفكر فيما يسمى بالوفاء بالعهد لأنه لغير الله كما انها يجب أن لا تفكر فى أنها تستطيع أن توجهه الى طريق الله ، اذا هى قبلته زوجا لها يوما ما · فهو كما يبدو من رسالتها يغير جلده بسهولة · فهو عاش معها فى سوء وضلالة وعندما قالت له انها عادت الى الله وتزيت بالزى الاسلامى أقرها على ما قالته ، وأعلن احترامه لها · وهو منافق فى الأولى والثانية ويريد مصلحة خاصة ولا يهمه الوسيلة التى توصله اليها · ومثل هذا الشخص لا يستقيم فى ايمانه ولا فى توجيهه ·

وخير ما تفعله السائلة أن تطرح أمر هذا الصديق جانبا ·· وأن تسير فى طريقها الجديد · والله جل شأنه سيعوضها خيرا منه ، طالما اعتمدت عليه سبحانه ، واستقامت فى سلوكها وفى تصرفاتها ·· وسيرضى عنها ·· ويغفر لها ما باشرته من ذنوب ومعاصى ، فيما مضى ·

ان وقتها سيذهب هباء ان هى حاولت علاج هذا الصديق · وان أعصابها سوف لا تحتمل ما يأتى به من صنوف الاغراء والخداع · وان الحرج فى علاقتها بالله سيتحول الى أزمة تحيل سكونها الآن الى قلق واطمئنانها الى صراع نفسى ينهى حياتها ·



---

(١) الاسراء : ٣٤ ·　　(٢) النحل : ٩١ ·

الوفاء والاخلاص وعدم الغدر وقرآ الفاتحة على هذا العهد والتزمت به كما التزم هو به كذلك ٠

واستمر العهد الى أن هداها الله ـ كما تقول ـ وأغدق عليها من رحمته ، واراد لها أن تكون من الصالحات ٠ اذ قد عرفت دينها جيدا ، وبدأت تقرأ القرآن وتستمع اليه ، بعد أن كانت لا تريد أن تحمل المصحف بالمرة ٠ وتحمد الله أن قيمت كل ما تفعله ٠ واتضح لها انه كان ضلالا ٠

وعندئذ طلبت من الشاب الذى تعرفت عليه ألا يحاول مقابلتها أو التحدث اليها في أى مكان بعد الآن ٠ وحذرته من أن يأتى الى الكلية ، ويلتقى بها فانها ستتجاهله ٠ فرحب بما تقوله ، وسر كثيرا عندما علم منها انها سترتدى الزى الاسلامى معلقا على ما ستفعله بقوله : ان هذا الزى له احترامه، والتى ترتديه لها احترامها ٠ ووافق على أن لا يقابلها مرة أخرى ٠ ولكن طلب منها أن تتذكر العهد الذى بينهما ، ولا تخل به ٠ حتى يأتى ويطلب يدها من أهلها ٠ وذلك عندما يعمل فى مهنته للشهادة التى حصل عليها ٠

ولكن الآن ـ كما تعبر فى رسالتها ـ أصبحت انسانة ملتزمة بتعاليم الله ، وتريد أن تعاشر انسانا ملتزما مثلها ، بينما هذا الشاب كما تراه غير ملتزم ٠٠ واخلاقه تتنافى مع الدين وتعاليمه ٠ ولذا هى حائرة وتسأل :

هل تقبله وتحاول توجيهه الى طريق الله ؟ أم ترفضه ولا تقبله زوجا لها ؟ وتخشى ان تكون عندئذ ناقضة للعهد وغادرة بما اتفقت معه عليه ؟ كما تخشى ان تعاقب من الله عليه ؟ ٠

وتقول : « انها فعلت الكثير فى حياتها وتريد ان تكفر عن اخطائها الماضية ٠ ولذا لا تريد الآن أن تفعل أى فعل يغضب الله ٠ فهى بحاجة الى رضاء الله ورحمته ومغفرته » ٠

● السائلة تحكم على الشاب الذى تعرفت عليه فيما مضى من حياتها، وتعاهدت معه على أن لا يترك أحدهما الآخر ٠٠ وعلى الوفاء والاخلاص وعدم الغدر ٠٠ تحكم عليه الآن بأن اخلاقه تتنافى مع الدين وتعاليمه ٠ أى أنه لم يزل فى سلوكه وفى علاقته بالآخرين : أثما أو عاصيا وغير مطيع لله ورسوله ٠ فان أى شخص تتنافى أخلاقه ـ والأخلاق هى السلوك ـ مع الدين وتعاليمه : يكون حتما مخالفا لأوامر الله ونواهيه كما جاء بها القرآن الكريم ، أو روتها الأحاديث الصحيحة ٠ ويكفى أن تصف نفسها بأنها كانت فاسقة لنعرف نحن:أن رفيقها فى ذلك الوقت كان رفيق سوء ٠٠ وأن عهدها معه

وهكذا الصراع النفسى قائم بين النفوس · وهو يضعف أو يتلاشى عندما تحدد النفس طريقها · وعندئذ اما أن تكون نفسا قوية الارادة والايمان بالله · وفى دائرة ارادتها وايمانها القوى ينتهى الصراع · واما ان تكون ضعيفة تابعة لهواها وشهوتها · وفى دائرة اتباعها للهوى والشهوة تغلب على أمرها وتتلاشى مقاومتها ·

● والسائل يقاوم الآن هواه وشهوته فى صراعه النفسى · ويخشى أن يغلب على أمره ويفلت منه زمام انقياده وينحاز نهائيا الى عبادة غير الله ، وتندثر عنده آثار العبرة التى استخلصها من موت صديقه والمشاركة فى تشييع جنازته الى قبره ·

وعليه الآن أن يستمع الى نداء القرآن الكريم وتصويره لوضع من اتبع هواه فى قوله جل شأنه : « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين · ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** » (١) ·

ان السائل فى حاجة الى صبر وتحمل فى مقاومة هواه · فان صبر وتحمل فى ذلك فسيضعف بالتدريج صراعه النفسى ، وتبتعد عنه وساوس الشيطان أو وساوس النفس الامارة بالسوء · كما تبتعد عنه الرؤيا المنامية المزعجة · وعلى الله فليتوكل المؤمنون ·

★ ★ ★

١٣ـ الخروج عن تقاليد المرأة المسلمة :

من احدى الأخوات فى الايمان : باحدى المحافظات ، تتحدث عن ماضيها ··وحاضرها ، ثم تطلب الرأى فى بعض مشاكلها ، فتقول :

انها كانت فتاة متبرجة ، بل وفاسقة · وكانت تصلى ولكنها كانت تنقر الأرض ·· وكانت حياتها كلها لهوا ، وليس فيها أى التزام · ولا تعرف الا القليل من أوامر الله · ولا تنفذها · ولذا تطلق على نفسها : انها فاسقة ·

فى ذاك الوقت تعرفت على شاب وكانت تخرج معه · وتعاهد الاثنان على الا يترك أحدهما الآخر ، أو يتخلى عنه مهما حدث · كما تعاهدا أيضا على

---

(١) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦

● ان طاعة الله تلزم المؤمن به بسلوك معين هو سلوك الملتزم لما يامر به الله وينهى عنه · والالتزام يحتاج الى صبر وجهاد نفسى · ومعنى جهاد النفس ضبطها فى تنفيذ رغباتها وجعل ما تحققه من رغبات ملائما لأمر الله ونهيه ·

والنفس البشرية بحسب استعدادها قد تميل الى الاستقامة · وعندئذ لا يكون جهادها شاقا · وقد تميل الى الفجور والانحراف عن خط الاستقامة · وعندئذ يكون جهادها صعبا · ويلقى صاحبها عنتا : « **ونفس وما سواها · فألهمها فجورها وتقواها** (أى فأعدها للخروج عن الاستقامة ·· كما أعدها للخشية من الله وتجنب الآثام والمعاصى) · **قد أفلح من زكاها** (أى قد نجح فى حياته وعند الله من عاون نفسه على الاستقامة) · **وقد خاب من دساها** (أى وقد أخفق فى حياته وعند الله من تستر على نقائصها ولم يوجهها التوجيه السليم) » (١) ·· هذا تصور القرآن الكريم للنفس البشرية ، وانها قد تنحرف وقد تستقيم ·

والسائل عندما عاد من جنازة صديقه وزيارته لقبره واتجه الى الله فى عبادته واستمع لآياته فى قرآنه واستراحت نفسه واطمأنت لما كان يسمعه من كتاب الله ، كان واقعا تحت تأثير العبرة الوقتية من الموت · ولكن زحمة الحياة البشرية فى المجتمع وما فيها من مغريات كان يشده اليها · وعندئذ ابتدأ الصراع النفسى المرير ، الذى يتحدث عنه السائل ، وهو صراع بين طرفين :

الطرف الأول : الالتزام وحمل النفس على مساوقتها فى السلوك لأوامر الله ونواهيه وجهادها فى ضبطها بعيدا عن الانحراف ·

الطرف الثانى : مغريات الحياة البشرية وضغطها على النفوس لحملها على السير فى طريق الشهوات والأهواء ، بعيدا عن أوامر الله ونواهيه ·

وهذا الصراع يخلف نوعين من النفوس · نوع يؤثر الحياة الدنيا ويطغى بمغرياتها ·· ونوع آخر يظل يخشى الله ، ويظل ثابتا صلبا فى جهاد النفس عن الهوى · ويصور القرآن الكريم هذين النوعين فى قول الله تعالى : « **فأما من طغى · وآثر الحياة الدنيا · فان الجحيم هى المأوى · وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى · فان الجنة هى المأوى** » (٢) ··

---

(١) الشمس : ٧ ـ ١٠ ·　　　(٢) النازعات : ٣٧ ـ ٤١

● وقد ذكر القرآن الكريم المعوذتين يستعين الانسان بقـراءتهما لدفع القلق النفسى ·· أو لدفع مصادر الشر خارج الانسان فيما يحيط به فى حياته·

أما التوكل على الله فهو سند الانسان المؤمن فى المعاونة على انجاز ما يعزم على انجازه من أعمال · والخرافة ·· والكهانة ·· والصدفة والحظ ·· والتنجيم ·· وضرب الحصى لا مكان لها فى حياة الانســـان مع الله وارادة الانسان نفسه ·

وعلى السائل أن يستعين بالمعوذتين وبالتوكل على الله فى ابعاد التشاؤم عن نفسه · وليعد الى تفاؤله · فالتفاؤل هو ما طلبه الرسول عليه السلام عندما سئل عن الطيرة ، وهى مصدر التشاؤم · اذ قال : « أحسنها الفأل » ··

★ ★ ★

١٢ـ وسوسة الشيطان :

مواطن بالقاهرة · شاب له من العمر خمس وثلاثون عاما · وهو متزوج وأنجب من زيجته ولدين · ويعمل بمهنة حرة ويحمد الله على فضله فى الرزق منها ·

ويروى : أنه منذ عام تقريبا توفى صديق له فسار فى جنازته الى أن ودعه الوداع الأخير الى قبره · ولما عاد من تشييع الجنازة عاد الى الله ، بعد أن تذكر الحساب والموت ·· وأقبل على عبادة الله وقراءة القرآن ، وأحس بحلاوة القرآن والايمان ·

ولكن منذ أربعة أشهر الآن ضاق صدره بعض الشيء وأحس أن هناك خاطرا قويا يحاول أن يبعده عن طريق الله · فكان يقاومه وهو لا يدرى : أهذه وسوسة من الشيطان أم أنها النفس الخبيثة ؟ واستمر فى اتجاهه نحو الله ، ولكن يعيش فى صراع مرير وصل الآن درجة يرثى لها من تعب الأعصـــاب ، والخوف ، والشك فى العبادة · ويأتيه شيء فى المنام غريب كان يتعوذ منه ولا يستطيع أن يحكيه ·

وسأل كثيرا من زملائه عن هذا الشيء الذى يريد أن يبعده عن عبادة الله·· ويخيفه ·· ويثير الشك فى نفسه · ولم يصل الى حل ، ولم يزل يعيش فى صراع داخلى ·· ويطلب النصيحة ، كى يستطيع مســـايرة الحياة ، فى غير ضيق صدر ·· وفى غير ألم نفسى ·

وفى حديث عن عبد الله رضى الله عنه : أنه عليه الصلاة والسلام قال : « الطيرة (وهى استخدام الطير فى معرفة المستقبل) شرك ، ثلاثا (تنفيرا ممن يعتقد أنها تبعد الضر وتجلب النفع) وما منا الا (أىَ ما منا أحد الا يخطر بباله شىء منها) ولكن الله يذهبه بالتوكل » ··

● وكذلك دعى المجتمع البشرى اذ ذاك الى ترك استطلاع النجوم فى تحديد المستقبل ويروى عنه عليه السلام : « من اقتبس علما من النجوم (أى بادعاء انها تؤثر فى الكون كنجم كذا يجىء بالأمطـــار ·· ونجم كذا يأتى بالريح) اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » ·· والى ترك الهامة · وهى طائر اذا سقط فى مكان تشاءم أهله ·· والى ترك الغول (والغول أحـــد الغيلان · وهى نوع من الجن والشياطين ـ كما كان يعتقد الجاهليون قبـل الاسلام ـ تظهر للناس بصور شتى تضلهم عن السبيل وتهلكهم) ·

● فربط مستقبل الانسان فى افعاله وتصرفاته بحركة نوع من الطير فى طيره ·· أو بحـــركة بعض النجوم ·· أو باعتقـــاد فى خرافة الجن والشياطين ·· أو بالصدفة فى سقوط طائر معين فى مكان معين ·· كل ذلك وامثاله كان ظاهرة اجتماعية سائدة فى مجتمع الجاهلية قبل الاســـلام · والحديث الصحيح هنا يعتبر الاعتقاد فى هـــذه الظاهـــرة شركا : « الطيرة شرك ، ثلاثا » (أى قالها ثلاث مرات) ··

فدعوة القرآن الى وحدة الالوهية دعوة الى الاعتقاد بأن صـــاحب التصرف فى الأمر : فى دائرة الانسان ، وفى الكون كله : واحد لا شريك له وهو الله سبحانه وتعالى · فلا يشـــاركه جن ولا انس ·· ولا يشـــاركه نجم ولا طير ، فيما يقع للانسان فى مستقبل حياته · وليست هناك صدفة ولا حظ ، وانما هناك قضاء وقدر من الله جل جلاله ·

هناك الله والانسان · فالله صاحب الفعل والأمر ، ولا راد لما يفعله أو لما يريده ، والانسان بعمله وبتوكله على الله جل شأنه يجتاز الأزمات ·· ويحصل رزقه فى الحياة : « **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون · وجعلنا فيها جنـات من نخيل وأعنـاب وفجرنا فيها من العيون · ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم ، أفلا يشكرون** » (١) ·· فهذه الآيات تضيف عمل الانسان الى ارادة الله فى حصول الانسان على رزقه فى هذه الحياة الدنيا· وليس معهما شىء آخر مما تصوره الكهانة أو الخرافة فى زمن من الأزمنة ·

---

(١) يس : ٣٣ ـ ٣٥

اولادها الآخرين الى زهور زكية الرائحة تكون ملء سمعها وبصرها فى حياتها الباقية · وهو القادر كذلك على أن يهدى الولد الأكبر ويدخله فى طاعته· وعندئذ تسجد لله شكرا « **الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون** » (١) فالشىء يتحول الى ضده بقدرته وحده سبحانه وتعالى ·

★ ★ ★

١١ـ لماذا يرفض الاسلام التشاؤم ؟

طالب بكلية طب بشرى باحدى المحافظات يذكر :

أنه كان دائما فى خلال سنوات الدراسة السابقة من أوائل المحافظة ، وكان محبوبا من مواطنيه ووسط زملائه · وكما يقول : انه كان من مقومات هذا الحب : أنه كان متفوقا فى دراسته ، وكان يعاون زملاءه فى الشرح والمذاكرة · كما كان يمارس الرياضة ايضا مع معارفه · أى أنه كان مرحا ومتفائلا فى حياته ·

ولكنه منذ سنة تقريبا يسيطر عليه التشاؤم بمعنى انه لو ساعد واحدا من زملائه ثم رسب بعد ذلك يعتبر نفسه السبب فى رسوبه · ولو انضم الى فريق فى اللعب وهزم هذا الفريق يلوم نفسه بأنه مصدر الهزيمة · وهكذا · ومن أجل ذلك يظن أنه « نحس » ومع أنه يؤمن بالقضاء والقدر ، وانه لا يستطيع أن يخرج من دائرة التشاؤم ·

ويسأل عن رأى الاسلام فى التشاؤم وما يجب على المؤمن أن يفعله ليعود الى الايمان بالله وحده ؟ ·

● دعى المجتمع البشرى على عهد الرسول عليه السلام الى الايمان بالله وحده ، وترك : الطيرة ، أو العيافة · وهى زجر الطير ومشاورته · فكان الرجل اذا أراد سفرا أو غيره خرج الى طير أو ظباء · ويطلق الواحد منها · فان طار يمينا تيمن واستبشر · وان طار شمالا تشاءم ورجع · وذكرت الطيرة عند النبى عليه السلام فقال : احسنها الفأل ولا ترد مسلما (أى عن قصده) فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : « اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت · ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم » ·· فالمسلم يجب أن يتفاءل ولا ينصرف عن قصده الذى قصده بسبب تشاؤم من أمر ما · وعليه أن يدعو الله لازالة الشر الذى يلم به ·

---

(١) يس : ٨٠

ومن يدخل كلية من كليات الأزهر اذا أصم أذنيه عن سماع ما فى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، خاصا بالوالدين ، وذوى الرحم فانه لا يحق له أن ينتسب الى الأزهر . فالأزهر مصدر اشعاع ونور يوضح السبيل فى علاقات أفراد الأسرة بعضها ببعض ، قبل أن يكون للتجارة أو الطب .. أو العلوم .

ومن يكون أكبر اخوته وأخواته يكون أكبرهم فعلا ليس بالسن فقط،وانما بمستوى التعاطف معهم . وهو مستوى يلى مستوى الوالدين فى الحدب والرعاية لهم .

ومن يرى والدته تكدح فى سبيل لقمة العيش لأخوته وأخواته ، وفى سبيل توفير وسائل الاقامة له بالقاهرة مدة الدراسة بالكلية ، وهى الوحيدة : فانه لابد أن يقف قليلا ليراجع وضعها ووضع أسرته . فاذا لم يستطع المساعدة المادية فلا أقل من المساندة النفسية والروحية وهى تلك المساندة التى تتجلى فيها عواطف المحبة والمشاركة ، بدلا من القسوة والاهانة واللا مبالاة .

ومن الأسف الشديد : أن حب الذات أو الانانية اصبح لدى الشباب ظاهرة من الظواهر القائمة والسائدة فى مجتمعاتنا الاسلامية . الفرد يفكر فى نفسه .. ويعمل من أجل مصلحته الخاصة .. ويسعى ضد غيره ان كانت فى عداوته منفعة له . وقلما ينظر الى غيره نظرة عطف ومعاونة ومودة .

ومن سيطرة الانانية على الشاب اذا سمع قول الله تعالى : « **ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها** » (١) .. لا تتحرك مشاعره ، وعلى الأخص نحو والدته ويظل مستغلا لعاطفة الامومة أو عاطفة الابوة نحوه : يأخذ ولا يعطى .. ويسأل الكثر وليس امامه الا القليل .. ويغضب وربما يسىء فى اهانته لوالديه ، بما يتجاوز البذاءة وسلاطة اللسان .

واذا سمع قول الله تعالى : « **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** » (٢) . لا يسمعها على أنها نصيحة واجبة الأداء بين ذوى القربى بعضهم مع بعض .. بين الاولاد ، والاخوات ، والاخوة ، وانما يسمعها على أنه كلام يقرأ ويرتل ، دون أن يطبق .

● والسائلة لها الجزاء من الله وحده . وهى مطالبة بالصبر فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا . والله جل جلاله هو القادر على أن يحول

---

(١) الأحقاف : ١٥ (٢) الأنفال : ٧٥

١٠ ـ سوء معاملة الابن لأمه وأخواته :

سيدة باحدى المحافظات تذكر قصتها الآتية فى حزن وألم بسبب موقف ابنها الأكبر منها ومن أخواته الصغار بعد وفاة والدهم ٠٠ وتطلب توجيه النصح اليه وارشاده الى خير المعاملة :

أما قصتها فتتلخص فى أن زوجها ترك لها عشرة من الأولاد ٠٠ وفدانين بالايجار ، بعد مرض لازمه اربع سنوات ٠ وتعتقد أنها قامت بواجبه اثناء المرض ، كما قامت بما ينبغى نحو الأولاد : فى معيشتهم ، وفى تعليم بعضهم، حسب الامكانيات المتاحة لها ٠ وعدد الأولاد عشرة ٠

ولكن الأمر الذى يشق عليها ويصعب مسالك الحياة فى وجهها هو ابنها الأكبر فى قسوته عليها وعلى أخواته ٠٠ وفى عدم احساسه بالمسئولية فضلا عن أن يتحمل قسطا منها ، وفى هذه الفترة بالذات التى تكدح فيها أمه فى غير حد حفظا لحياته وحياة أخواته معه ٠ وهو طالب الآن بالأزهر ٠ وتتمنى أن يكون عطوفا وصاحب حنان عليها وعلى الاولاد حتى يسهل الحياة عليهم على الأقل من الوجهة النفسية ٠

وأما رجاؤها فهو أن نتولى نصحه وتوجيهه نحو ما ينبغى عليه ، وبالأخص فى هذه المرحلة الشاقة التى تمر بها والدته ٠

● ان هذا الطالب يعيش فى جو كان ينبغى أن ينمى عنده الشعور بالمسئولية نحو أمه ، ونحو اخواته ، وان يزيد فى ترابطه وتعاطفه معهم :

فالله قد جعل أسرته فى بسطة من الأولاد ٠٠ وفى ضيق من الرزق ٠ كما هيأ له أن يكون طالبا باحدى كليات الأزهر ، مما يعينه على فهم ما يجب عليه نحو والدته ونحو أخواته على السواء ٠ ثم أخيرا هو أكبر اخواته ٠ أى أنه يلى والده بعد وفاته فى مباشرة وحماية أسرته من الأذى والضرر ، وفى مشاركتها فى دفع العنت عنها فى معيشتها وفى حفظ بقائها ٠

فهذه عوامل ثلاثة من شأنها أن تكون أو تنمى الشعور بالمسئولية ٠ فمن يرى له اخوة وأخوات يصل عددهم الى التسع وهو الأخ الأكبر بالاضافة لهم ، لا يمر عليهم بنظره مرورا خاطفا ٠ وانما يتأمل فى أوضاعهم اليوم وغدا ٠٠ يتأمل : كيف يقيهم الجوع ، والحرمان ، والمرض ، والجهل ، أو كيف يشارك فى وقايتهم من هذه الأمراض ٠ وهذا يولد الاحساس بالمشاركة فى شئونهم ٠

الحسابية لبنك بالربا مثلا · فجريمة الربا تقع من صاحب المال المقرض بالفائدة المحددة لصاحب حاجة الى القرض · فهى تقع وان لم يساعد على ضبطها بالكتابة والحساب احد غير المقرض ذاته · جريمة الربا جريمة استغلال حاجة الغير الى القرض · ولا دخل لمن يتعلم الحساب او يباشر المحاسبة فى هذا الاستغلال ·

فمواد الدراسة فى كلية التجارة تعين المتخرج فيها على ادارة الأعمال ، والقيام بالمحاسبة فى البنوك والشركات والاعمال الخاصة · وليس من الضرورى ان يباشر كل متخرج رصد الفائدة الربوية فى محاسبة ما · والعامل الرئيسى فى انقاص المعاملات الربوية هو ايمان اصحاب رؤوس الاموال باخراج زكاة المال ·· ثم بالابتعاد تماما عن استغلال الضعفاء وأصحاب الحاجة · فاذا نمت روح التعاطف بين الناس ضعف روح الاستغلال ، وبالتالى ضعف التعامل بالفائدة الربوية ·

ولو فرض ان كليات التجارة اغلقت جميعها لم يكن من نتيجة اغلاقها وقف التعامل بالربا : وانما اولى النتائج لذلك خسارة كبيرة فى ضبط الاعمال التجارية والمالية والمحاصيل الزراعية ·

ومباشرة ضبط الفائدة الربوية فى اعمال البنوك والمصارف والاعمال الخاصة : لا يمكن أن ندعى : انها حرام · لانها أولا لا تقدم ولا تؤخر فى اضعاف روح الاستغلال عند المقرضين بالفائدة · وقيام البنوك الاسلامية فى الوقت الحاضر لا يعود الى قلة المقلين من المتخرجين فى كليات التجارة على مباشرة المحاسبة فى ارباح القروض فى البنوك · بل بالاحرى يعود الى قوة الروح الاسلامية التى راجت بين الاقتصاديين واصحاب الأموال من الافراد · وهى قيام « اقتصاد » اسلامى على أساس من تحريم الفائدة فى الاموال المتداولة عن طريق القروض ، ومن تشجيع لروح « المشاركة » فى المشروعات الصناعية والتجارية ، والعقارية ·· وغير ذلك من فرص التنمية العديدة ··

مطلوب من المسلم ان يعرف · واكثر سور القرآن الكريم من الوحى المكى الذى يعرض « للمادية » ·· أو « الجاهلية » ·· ومظاهرها وآثارها فى تخريب القيم الانسانية · وكما يقال : معرفة الكفر ليست بكفر ··

والشقيق الأكبر الملتحى ينبغى له أن يراجع الأمر مرة ثانية ·· وسيتضح له : أن الدراسة فى كلية التجارة ليست حراما · واذا كان ينفق من مرتبه على شقيقه فى هذه الكلية فله جزاء عليه من الله · لأنه لا يخرج عن معنى « البر » بأشقائه ، فى التمكن من الدراسة فى هذه الكلية ·



وينصح الآن شقيقيه : الأوسط والأصغر : بترك الدراسة الجامعية ٠ ينصح الأصغر بترك الدراسة فى الصف الأول بكلية التجارة ٠ لأن التعلم فيها ، والعمل بعد التخرج منها حرام ٠

وكل من الشقيقين يسأل : هل يستجيب كل منهما لرأى أخيهما الأكبر ، ويتركا الدراسة فى الكلية للحرمة التى يدعيها ؟

● الشقيق الأكبر ينصح زوجته بالكف عن العمل خارج المنزل ، لأنه يرى فيه اختلاطا بغير المحارم ٠٠ أو لأنه يرى انها لا تستطيع أداء واجب الأمومة وواجب الزوجية ، مع اداء العمل الخارجى فى الوقت نفسه ٠ والاختلاط بغير المحارم حرام ٠٠ واداء واجب الأمومة وواجب الزوجية مقدم على اداء العمل الخارجى البعيد عن الاختلاط ٠ فالزوج فى جانب الحق هنا٠ وعمل الزوجة فى الخارج شأن من شئون الزوجين وحدهما ٠ هما اللذان يفصلان فيه ٠

وأما نصحه للشقيق الأصغر فى الصف الأول فى كلية التجارة ٠٠ ، بترك الدراسة فى الكلية ، فربما لانه يتصور أن فائدة الربوية تدرس فى الكلية من جانب ٠٠ وان المتخرجين فيها يمارسون اعمال الحساب فى البنوك التى تقرض بالربا ٠ والدراسة فى كلية التجارة اذن ٠٠ والعمل بعد التخرج فيها يساعد على رواج الربا أو على الأقل على وجوده فى المجتمع المسلم ٠

لم ينقل الشقيق الأصغر شيئا من هذا التصور عن شقيقه الأكبر الملتحى٠ وكل ما يرويه فى رسالته عنه : انه يحرم التعليم فى كلية التجارة ٠ وليس هناك تصور لتحريم التعليم فى هذه الكلية ٠٠ وتحريم عمل المتخرج فيها بعد التخرج الا صلة الكلية برأس المال ومايتعلق بتنميته وادارته٠

ورأس المال الحر قائم على الفائدة الربوية على القروض التى تمنحها البنوك للمشروعات : الصناعية ، والتجارية ، والزراعية ٠

● فهل الأخ الاكبر يقيس مثلا تعلم الطالب أساليب المحاسبة وادارة الاعمال فى كلية التجارة ٠٠ ثم مزاولة العمل التجارى ، والمالى فى البنوك والشركات : على الساقى الذى يقدم الخمر لشاربها ؟ وساقى الخمر وشاربها كلاهما ملعون عند الله !

ولكن هناك فرق بين الوضعين ٠٠وهو أن ساقى الخمر مشترك فى مباشرة جريمتها وهى تناولها ٠ والمحاسب لا دخل له فى جريمة الربا اذا قام بالأعمال

مجاهدة النفس ان يلتزم بتعاليم الاسلام أولا ، فيما يتعلق بالمرأة ٠٠ أن يبتعد عن الاختلاط بها ٠٠ وان يغض النظر ، فضلا عن ان يرسل نظرات فاحصة عندما تمر به أو عليه ٠٠ فضلا عن ان يداعبها بكلمة أو حركة ٠

مجاهدة النفس : ان يحول المجاهد بقوة ارادته وبين ما تشتهيه نفسه اذا كان ما تشتهيه يمثل معصية لما أمر به الله أو نهى عنه ٠ كما يجاهد الصائم ما تحاول أن تحمله نفسه عليه من الاستمتاع بالأكل والشرب ٠٠ وغيرهما وقت الصوم ٠

مجاهدة النفس تدريب ٠٠ يصير الى عادة ٠ وهى عادة التحكم فى شهوات النفس واهوائها ٠ والتدريب فى بداية امره شاق ٠ ولكن بعد فترة يصير عادة ٠٠ والعادة لا تحتاج الى شعور فى أداء وظيفتها ٠ بل وظيفتها تؤدى على نحو آلى ٠ ولكن لكى يكون للانسان ثواب المجاهدة عند الله يجب أن يكون المجاهد على ذكر بما يمنع نفسه من مباشرته ٠٠ يجب أن يكون يقظا دائما ٠٠ وعلى نية وقصد فى مجاهدته ، مستمدا العون من الله سبحانه وحده ٠

★ ★ ★

٩ ـ التطرف فى فهم الدين :

أخوان شقيقان يسألان عن وضع قائم لهما ، ويريد شقيقهما الأكبر أن يحمل كلا منهما على ترك وضعه الحالى ٠

الشقيق الأكبر مهاجر الى احدى الدول العربية ، ويحمل بكالوريوس الزراعة من احدى الجامعات عام ١٩٧٧ ويعمل مدرسا فى مدرسة ابتدائية هناك ٠

والشقيق الأوسط يحمل دبلوم الصنائع سنة ١٩٧٨ ، ويدرس فى كلية لم يحدد نوعها ٠

والشقيق الأصغر ، يدرس بالصف الأول فى كلية التجارة باحدى الجامعات ٠

الشقيق الأكبر ملتحى ٠ ونصح زوجته بالكف عن العمل ٠ وهى حاصلة على بكالوريوس علوم ، قسم الرياضة ، من جامعة القاهرة ٠ وتركت العمل تحقيقا لنصيحته ٠

لا يباح كشفه الا بعهد وميثاق مع الله ٠ والله اذ يقول لرسوله الكريم : « **اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** » (١) ٠٠ فيأمره باقامة الصلاة ٠٠ ثم يؤكد له : أن الصلاة تبعد المصلى عن الفاحشة ، وهى الزنا ، وعن المنكر وهو ما يستقبحه الناس مما عداه ٠٠ فيأمره ويؤكد له وهو على علم بما يأمر وبما يؤكد ٠٠ وصادق فيما يأمر ويؤكد ، من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فاذا اقام الصلاة ، وأداها فى اوقاتها من يعلن ايمانه بالله ، ثم وجد انه لم ينته عن الفحشاء بأدائه الصلاة ، بل هو مستمر فى مباشرتها فليعلم ان الخطأ ليس فى ربط تجنب الفاحشة والزنا بأداء الصلاة ٠ وانما بنوع الصلاة التى تؤدى ٠ فالسائل هنا عندما يؤدى الصلاة يؤديها ركوعا وسجودا ٠٠ يؤديها شكلا ومظهرا ٠٠ ولكن لا يؤديها قربى الى الله فيستحضر فيها جلال المولى فى النية ، وفى القراءة ، وفى الركوع وفى السجود ٠٠ ومن ثم تتكون لديه الخشية من الله ٠ وعن وجود الخشية من الله فى نفس المصلى يبتعد عن الزنا والفاحشة والمنكر ، بقوة الارادة التى تحمله على عدم الانحراف فى السلوك ٠

الصلاة هى الحصن الذى يحتمى فيه الانسان عند مجاهدة النفس ٠ ومجاهدة النفس : الوقوف فى وجه شهواتها واهوائها ٠٠ هى الوقوف فى الصراع الداخلى فى النفس ضد هذه الشهوات والاهواء ٠ اذ النفس البشرية من خصائصها : انها أمارة بالسوء تحمل على مسلك السوء ، واقتراف المعاصى ، والفواحش ، والمنكرات ، وعلى صاحب هذه النفس الأمارة بالسوء أن يلجأ الى هداية الله ٠٠ يلجأ الى عبادته ، ويستمد من هذه العبادة العون فى الصراع النفسى ضد الشهوات والاهواء ٠

كانت الصلاة عبادة من العبادات ٠ لأن استحضار جلال المولى فيها يحمى المصلى من الوقوع تحت اغراء الشيطان ٠٠ والصيام عبادة من العبادات ٠ لأن أخذ الصائم نفسه بالحرمان من الشهوات طوال فترة الصيام تدريب له على تحمل المشقة والوقوف فى وجه الصعاب ٠٠ وما ابتعاد الانسان عن فاحشة الزنا الا حرمان من شهوة قد يشق الابتعاد عنها ٠

● وما يفعله السائل هنا ـ وما يفعله كل من يقع فى مرحلة المراهقة تحت تأثير الغريزة الجنسية ، فيباشر الزنا ، أو يباشر الاستمناء ـ أن يدخل مجاهدة النفس ٠ وهى محاولة رد النفس اذا حملته على السوء وارتكاب الفاحشة ، أو كادت تقع تحت الاغراء والمفاتن التى تحيط به ٠

---

(١) العنكبوت : ٤٥ ٠

لا يأخذان أجرا عن الساعتين الاضافيتين لعملهما الرسمى · وكأنهما وهبا أجرهما لزميلهما الثالث · وهو الطالب الموظف · فهو حلال · والله وحده هو الذى يجزيهما خير الجزاء ·· وهو وحده الذى يساعد هذا المؤمن الأمين على أن يحقق هدفه ويلهمه الصواب دائما ·

★ ★ ★

٨ ـ الصلاة التى لا تنهى عن الفحشاء والمنكر :

يقول مواطن لم يذكر عنوانا :

يبلغ السادسة عشرة سنة ، وخمسة أشهر · أى أنه فى سن المراهقة · وانه يصلى ، ويصوم رمضان ، ويقرأ القرآن ، ولا يكذب · ولكن يعيبه انه يباشر جريمة الزنا ، رغم انه يعرف عقوبتها · ومع ذلك لا يستطيع منع نفسه من مباشرة هذه الجريمة ·

ويسأل : ماذا يفعل حتى يكون فى رضاء الله وطاعته بالاستقامة فى السلوك ؟

● هذا السائل يتعجب من أنه يؤدى فروض العبادات من صلاة وصوم ، ويقرأ القرآن ، ومع ذلك يباشر الفاحشة ! ولكن ينبغى ان يكون عجبه اذا كانت تأديته للعبادة صادرة من قلب يعمر بجلال المولى سبحانه وتعالى ، وبخشوع يمنع مفاتن الدنيا من أن تغزو نفسه الى حد الاستغراق ·

انه فى مرحلة المراهقة التى تسيطر فيها الغريزة الجنسية على غرائز الانسان · وهذه الغريزة لها قوتها وفاعليتها · ومن جانب آخر أداؤه للعبادة هو أداء بحكم العادة · فهو يؤدى الصلاة لأنه تعود ان يؤديها · ويصوم رمضان فى أسرته لأنه تعود ان يصومه بينها · ويقرأ القرآن لأنه تعود أن يقرأ كذا جزء ·· أو كذا سورة ، دون أن يتأثر نفسيا أو روحيا بمعنى ما يقرأه · فاتجاهه لله بالعبادة وبقراءة القرآن منعزل عن التحكم فى الغريزة فى المرحلة القلقة من مراحل حياته · وبذلك يمكن أن يؤدى عادة الصوم ، والصلاة ، وقراءة القرآن ·· كما يباشر الفاحشة والمنكر ·

● انه لكى يكون الانسان عابدا لله يجب ان يفكر فى الله ·· والتفكير فى الله يستلزم أن يغض المفكر فيه : بصره عن ان يقع على محرم ، فضلا عن تركيز النظر فيما تحرم رؤيته · فكيف بمباشرة الفاحشة ، وكشف السر عما

ولكن ما تسميه الأجهزة الحكومية ، وكذلك القطاع العام ، « بالروتين » ·· قد يحول دون تمكين رئيس من الرؤساء : أن يتخذ مثل هذا الموقف فى مثل هذه القضية ·

● اننا لا نوازن فى الجواب على سؤال الطالب هنا بين موظف يحرص فقط على أداء ساعات العمل الرسمى ، دون ان يحرص على نوعية الانتاج ، وصيانة ما اؤتمن عليه من مال عام ممثل فى مصنع أو فى مرفق من المرافق العامة ·· وبين موظف آخر يحرص على نوعية الانتاج والمحافظة على ما ائتمنته المصلحة عليه ، على أن ظروفه قد تكرهه على قبول عرض زميل له بمباشرة العمل نيابة عنه لمدة ساعة أو ساعتين ، الى أجل معين · وبذلك ينتقص من الوقت الرسمى للعمل الموكل اليه : ساعة أو ساعتين كل يوم ·

كل من الموظفين يأخذ أجرا واحدا · هذا يحافظ على مدة العمل وليس على نوعه ·· وذاك على نوعه وليس على مدته ·· انا لا نوازن بين هذا من الموظفين · لأن نتيجة الموازنة هى أن صاحب النوع فى أداء العمل أفضل قطعا من صاحب الأداء لساعات العمل دون كمه فضلا عن نوعه ·

● ولكن الجواب يكمن فى أن « التعاون » بين هؤلاء الثلاثة معنى متبادل · وهو معنى انسانى لا يقاس بوقت أو بأجر · وهو يرتبط بظروف وأوضاع قد تجعل اليوم صاحب الحاجة بينهم ، على استعداد فى غد أن يرد المعروف أو الجميل لمن اسداه اليه بالأمس · قد تأتى العطلة الصيفية ويكون هناك وقت لهذا الطالب الموظف يمكنه ان يخدم به زميليه ليوفر لهما حاجتهما الى الزمن ، دون ان يسىء الى المصلحة العامة وهى أداء العمل فى اتقان وفى مدة العمل الرسمى الخاص به ·

● وهكذا : الأجر الذى يأخذه الموظف الطالب على عمله فى مرفق المياه فى ادارة الاسكان ـ المشار اليها ـ هو أجر حلال له · لأن المصحلة لم ينلها ضرر اطلاقا بتخلفه ساعة أو ساعتين فحقها مؤدى عن طريق التعاون بينه وبين زميليه والتعاون صوره عديدة وبالأخص فى القرى · فـ « النقوط » التى تعطى فى اليوم التالى لزفة العريس فى الصباحية ·· والمشاركة التى تقدم من الجيران فى أوقات الأكل للضيوف القادمين للعزاء : من صور هذا التعاون ·

زميلا الطالب الموظف يقدمان خدمة له لتمكينه من الدراسة بعض ساعات النهار وهما متعاونان معه · والخدمة التى تقدم منهما : استمرار العمل فى عملية المياه ، فى الأوقات التى كلف بها الثلاثة كمجموعة عمل · والزميلان

ويسأل الآن :

هل الأجر الذى يحصل عليه من مباشرته عملية المياه حرام ام حلال ؟ أى هل هو ملتزم بالعمل طوال اليوم فيجلس مع زميليه من الصباح الى المساء أم أن اتفاقهم هذا على توزيع العمل بينهم على النحو المشار اليه يبرر أجره عن العمل مع أنه يقضى فيه الوقت منذ الساعة الرابعة بعد الظهر ، وليس كل الوقت منذ الصباح ؟ ·

● هذا الطالب والموظف يريد أن يحاسب نفسه أمام الله أولا ، وأمام ضميره ثانيا ، لأن ساعات العمل التى يؤديها فى مباشرة عملية المياه التى يؤجر عليها : أقل فيما يبدو عن الساعات التى تطلب رسميا منه ومن زملائه· فاذا كانت مدة العمل الرسمى فى اليوم هى ثمانى ساعات ، فهو يباشر عمله لست ساعات أو لخمس ساعات ، على ان يقوما زميلاه نيابة عنه حسب الاتفاق فيما بينهم بمباشرة العمل ثلاث ساعات أو ساعتين · وهى المدة التى يضطر ان يقضيها فى كلية الهندسة للدراسة العملية والعلمية ·

هذا الموظف الطالب يجمع بين أداء عمل متقنا حتما فى ادارة الاسكان بمحافظته ·· وبين الاستزادة فى الدراسة والبحث فى مواد كلية الهندسة · ومن شأن هذه الدراسة الاضافية أن تعطيه فرصة أوسع لزيادة الاتقان فيما يباشره من عمل فى مرفق المياه بالاسكان · فاذا قل وقت العمل عن المطلوب رسميا فقد استفاد العمل ذاته من حرص هذا الموظف الطالب على أدائه فى اتقان · وامانته فى العمل خير ما يقدمه لوظيفته · وهذه الامانة جزء من خلقه العام · فالذى يسأل مثل سؤاله هنا يعى فى يقظة تامة ما يجب عليه نحو ربه ونحو الآخرين معه فى العمل والمجتمع ، ونحو العمل نفسه ·

والموظف الأمين الكفء لا يقاس عمله بالكم وعدد الساعات التى يقضيها فى الجلوس مع زملائه · وانما يقاس بالنوعية التى يباشر بها العمل ·· يقاس بمدى امانته وصبره ، وكفاءته ، ودقته · وهذه الصفات تجعل من صاحب العمل ــ وهو هنا المصلحة الحكومية ــ رب عمل ناجح : فعمله يؤدى فى نجاح ·· وآلات عمله مأمونة التلف والخسارة ·

ولو أن ادارة المرفق باركت التعاون بين الزملاء الثلاثة وأقرت الاتفاق بينهم على توزيع العمل ، حتى تتاح فرصة الدراسة بكلية الهندسة لهذا الموظف الطالب ، فى غير غفلة من جهة الرقابة الرسمية لأحسنت صنعا للثلاثة من الزملاء والآخرين عداهم ولشجعت صاحب الامانة والخلق الكريم على الاستمرار فى أمانته عندما يؤدى وظيفته ·

ومن يعبد الله يجب ان يراجع كتابه ليعرف منهج السلوك فى حياة الانسان · فالانسان كما يصلى ويصوم ويزكى هو يأكل ويشرب ويتزوج النساء ، يسعى فى سبيل الرزق وتحصيل المال ·

حياة المسلم حياة ايجابية : يواجه المشاكل والأزمات بالصبر والايمان ولا يفر منها · ولذا من ينهى حياته هربا من المواجهة للتحديات لا يكون انهاء حياته معبرا عن بقية ايمان بالله فى نفسه · من ينتحر فقد يئس من رحمة الله ·

● والسائل عليه أن يستعين بقراءة المعوذتين · فان ما يلم به الآن وسوسة من وساوس الشيطان · يجب عليه أن يتوكل على الله فى كل ما يفعل ، وأن يؤمل فى الله خيرا دائما : اليوم ·· وغدا ·

★ ★ ★

٧ ـ أجر كامل ·· وعمل أقل فى الزمن :

مواطن من احدى القرى يعرض :

انه حاصل على دبلوم الصنائع الثانوية ، ومعين فى احدى الوزارات وموزع على عملية مياه بالاشتراك مع أربعة آخرين · ومجموعهم خمسة وزعوا على العمل فى يومين : ثلاثة فى يوم ·· واثنان فى يوم آخر · وهو ضمن الثلاثة · وعملية المياه تدور مرتين : احداهما فى الصباح والأخرى فى المساء ·

وقد التحق بكلية الهندسة فى محافظته ، ـ بالاضافة الى العمل الذى يباشره ـ بعد ان حصل على الثانوية العامة بجانب دبلوم الصنائع الثانوية · وزميلاه فى عملية المياه يعرفان عنه أنه يدرس فى كلية الهندسة بالصف الثانى ، كما يعرفان مسبقا ان كلية الهندسة من الكليات التى ليس بها انتساب · فأرادا ان يوفرا له وقت الصباح للكلية : بأن يقوما معا فى هذه الفترة الصباحية بعملية المياه المعينين من أجلها ·· بينما يقوم هو وحده بالعمل فى الفترة المسائية ابتداء من الساعة الرابعة مساء · وهكذا يتعاون الثلاثة بعضهم بعضا بالاتفاق فيما بينهم على أداء واجب العمل الرسمى طوال الوقت المحدد فى الصباح والمساء · كما يحرصون على عدم قطع المياه ، وعلى استمرارها بكفاءة تامة ·

الاباحة قوله تعالى : « **ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين** » (١) ٠٠ وتقيد الاستمتاع بعدم الاسراف ، حرصا على مصلحة الانسان فى نفسه وفى علاقته بالآخرين فى مجتمعه ٠

وهكذا : الهروب من الدنيا ليس مطلوبا فى رسالة القرآن ٠٠ وتحريم الاستمتاع بمتعها ليس واردا كذلك فيها ٠ بل مع حل الاستمتاع بها : السعى فى سبيل الرزق ٠ وذلك بتحصيل هذه المتع : « **فاذا قضيت الصلاة** (بالوقوف بين يدى الله جل جلاله) **فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** » (٢) ٠٠

وتكليف القرآن للانسان اذن فى عدم الاسراف فى الاستمتاع بها وليس فى عدم تناولها والفرار منها ٠

● والآخرة وهى المرحلة الأخيرة والباقية فى حياة الانسان ، فيها نعيم الجنة ٠٠ وفيها عذاب النار ٠ وتصف بعض آيات القرآن الكريم نعيم الجنة فى الآخرة فى قوله جل جلاله :

« **ان المتقين فى جنات ونعيم ٠ فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ٠كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ٠ متكئين على سرر مصفوفة ، وزوجناهم بحور عين ٠ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء ، كل امرىء بما كسب رهين ٠ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ٠ يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ٠ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون** » (٣) ٠

● والاستمتاع بالمتع المادية اذ قيد على عهد آدم فى الجنة بعدم الاقتراب من شجرة معينة ٠٠ وقيد فى الدنيا بعدم الاسراف فيه ، فانه فى نعيم الآخرة مطلق من كل قيد ٠ لأن الاختبار فى طاعة الله قد تم ٠ وعلى أية حال فالحديث عن الفرار من الدنيا ، والتشاؤم فيها ، وطلب الموت واللحاق بسرعة الى من فى القبور : نزعة غير اسلامية ٠

---

(١) الأعراف : ٣١ (٢) الجمعة : ١٠

(٣) الطور : ١٧ ـ ٢٤ ٠

وطالما قد عجز العقل البشرى عن أن يضمن للانسان فى شخص آدم وحواء · دوام الطاعة لله : تفضل على الانسان برسالة الرسل الى الاجيال المتعاقبة من البشر من أولاد آدم وحواء : « **يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون** » (١) · واللباس الذى أنزله الله سترا وغطاء لنقص الانسان وعجزه هو لباس الرسالة الالهية وهدايتها ·

● والدنيا وهى المرحلة الثانية فى حياة الانسان ، خلقت ولها متعها المادية وزينتها ، ولها بريقها واغراؤها للانسان : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب** » (٢)· وهى خلقت على هذا النحو لتكون دار الاختبار والابتلاء لطاعة الانسان لله ، طبقا لما جاء فى رسالة الله من أوامر ونواهى ·

وأوامر الرسالة الالهية ونواهيها منذ بداية الرسالات حتى القرآن الكريم لا تحرم على الانسان فى الحياة الدنيا : الاستمتاع بمتع الحياة الدنيوية المادية · ولذا جاء فيها استنكار من ينكر حل الاستمتاع بها ·· استنكار تحريم من يحرمها ·· جاء فى قول القرآن الكريم :

« **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا** (أى حل لهم) **خالصة يوم القيامة** (أى وحلها لهم فى الآخرة قاصر عليهم وحدهم) ، **كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** » (٣) ·

والاستمتاع بالمتع المادية من زينة الحياة الدنيا وبطيباتها من الرزق : أمر مباح · وجاء تأكيد اباحته بطلب الاستمتاع بها فى قول الله تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا » (٤) · فتلفت نظر الناس اليها للاستمتاع بها ·

ولكن بجانب اباحة الاستمتاع بمتع الحياة الدنيوية المادية تطلب عدم التجاوز فى الاستمتاع بها ·· تطلب عدم الاسراف فيها ، فتذكر الآية بعد

---

(١) الأعراف : ٢٦ · (٢) آل عمران : ١٤ ·

(٣) الأعراف : ٣٢ · (٤) الأعراف : ٣١ ·

اولا : هناك حياة الجنة التى عاش فيها آدم وحواء ، فترة من الزمن قبل خروجهما منها ، عقابا لهما على معصيتهما ·

وثانيا : هناك الحياة الدنيا التى انتقل اليها آدم وحواء ، ثم نشأ فيها بنو آدم وحواء ، ويعيشون فيها لفترة من الزمن قبل القبر وقبل البعث منه الى الحياة الآخرة ·

وثالثا : هناك الحياة الآخرة · وفيها الجنة التى اعدت للمتقين ·· والنار التى تفتح أبوابها للكافرين ، وتقول : هل من مزيد ؟ ·

وفى هذه المراحل الثلاث ، أو فى هذه الأنواع الثلاثة من حياة الانسان لم يحرم الاسلام على الانسان اطلاقا : الاستمتاع بمتع الجنة على عهد آدم فيها ، ولا بمتع الحياة الدنيا التى يعيش فيها الآن ·· ولا بمتع الحياة الأخروية التى وعد بها المتقون · وهى كلها متع مادية · ولم يطلب منه الا أمرا واحدا عندما كان آدم وحواء بالجنة قبل وسوسة ابليس لهما وهو : أن يمتنعا عن الاقتراب من ثمار شجرة معينة · وذلك فى قول الله تعالى : « **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » (١) ·

وكان الأمر بالامتناع عن الاقتراب من الشجرة المعينة : يصور طاعة آدم وحواء لأمر ربهما بينما الاكل من ثمارها كان يمثل عصيانهما لأمر الله جل جلاله · فآدم وحواء وضعا هنا فى الجنة موضع التجربة والاختبار ، وترك لهما استقلالهما بالعقل : هل العقل الآن الذى تميز به الانسان عن الملك سيضمن لهما البقاء فى طاعة الله باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ؟ · أم أنه سيعجز عن مقاومة الشهوة والهوى التى تدفع الغريزة عن طريقهما · وقد عجز فعلا عن ان يضمن لهما الصراط السوى ، فاتجها الى الله طالبين المغفرة بعد خطيئتهما ، وداعين اياه : ··· « **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** » (٢) وكان جزاء الله لهما هو أن أخرجهما من الجنة مع ابليس ، للاقامة على الأرض حتى يحل وقت البعث من القبور : « **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو** (فالانسان ممثلا فى آدم وحواء عدو للشيطان ·· والشيطان ممثلا فى ابليس عدو للانسان) ، **ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين · قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** » (٣) ·

---

(١) الأعراف : ١٩ (٢) الأعراف : ٢٣ ·

(٣) الأعراف : ٢٤ ، ٢٥ ·

● والحــل الذى نـراه : أن لا تتدخـــل أسرة الزوجــة فى العــلاقة الزوجية مع ابنتها ·· الى الحد الذى تدخلت فيه أسرة الزوجة للسائل ، وأن تترك هذه العلاقة تمر ببعض الصعوبات التى تعترضها · فعن طريق هــذه الصعوبات تتضح الركائز التى تقوم عليها العلاقة مستقبلا · وهى عندئذ أقوى مما كانت · اللهم الا اذا كانت الزوجية التى تمت بين السائل هنا وزوجته من النوع الذى اســتهدف هدفا جانبيا بعيدا عن خصـــائص الزوجة الصــالحة والزواج الصالح ، وهى خصائص التدين والاستقامة · فالزواج لجمــال المرأة أو لشرفها ، أو لمالها ، أو لجمال الرجل أو لشرفه ، أو لماله ، ينتهى غالبا بالفشل ·

★ ★ ★

٦ ـ عبادة الله ·· ونعم الحياة الدنيا :

مواطن من احدى القرى يقص فى رسالة له :

انه شاب ناشىء فى عبادة الله وطاعته ·· متمسك بسنة رسولنا الكريم· وفوجىء بأنه يحس فى نفســه كراهيــة الدنيا ·· ويتجه بتفكيره الى الموت والحياة الآخرة · ولا يريد من الدنيا أى متعة فيها ·

ويذكر أن هذا الاحساس تملكه منذ شهر تقريبا ·· ولم يطلب توضيحا لشىء ·· أو رأيــا فى هذا التغيير الفجائى ·

● هل هذا الشاب عكف فترة من الزمن قبل ظهور هذا الاحســاس عنده ـ على قراءة بعض الكتب التى تبغض الانسان فى الحياة الدنيا ، وتدعو الناس الى الانصراف عنها ؟ وهى كتب الغلاة من المتصوفة ·

● هل هذا الاحساس الأخير الذى فوجىء به هذا الشاب فى حياته من طلب الموت والاسراع الى الحياة الاخروية يعود الى موجة نفسية عنـده من التشاؤم ، فكره الاحيــاء معــه فى المجتمع وتطلع الى الأموات فى قبورهم وفى مصيرهم فى الآخرة ؟

● هذا الشاب قطعا لم يقف على رسالة الاسلام بشأن الانسان ، كمــا تحكيها آيات القرآن الكريم : اذ أن هناك ثلاث مراحل فى حياة الانسان ، وثلاثة مواقف من الانسان نفسه تجــاه المتع المادية ، تصــورها رسالة الله فى القرآن :

● ان أهل الزوجة هنا اذ ينقلون أثاث ابنتهم من القرية الى القاهرة ٠٠ واذ يصحبون ابنهـا معها للاقامة معهم فى مسكنهم هنا ٠٠ واذ يصرون عـلى ايجاد مسكن مستقل فى القاهرة واذ يعجلون بالخصومة القضائية ضـــد الزوج ، يسيرون فى طريق « الانفصال » وعدم العودة ٠٠ وترك الطفل بعيدا عن الأب ، أو بعيدا عن الأب والأم معا ٠

ان الانفصال أو الطلاق تقتضيه الضرورة الاجتماعية ، بسبب ســـوء المعاشرة وعدم تحمل أى من الزوجين مشقة العلاقة بينهما ٠ فهل وصل الأمر هنا ، بالخلاف بين الزوجة وحماتها فى أول سنة من سنى الزواج ، الى المشقة والعنت فى معاشرة الزوجة لزوجها ؟ أم أن أهل الزوجة قبلوا على مضض منهم أن تسكن ابنتهم مؤقتا خارج القاهرة ، على أن تعود الى السكنى بها بعد فترة قصيرة ؟ وليكن الخلاف ـ ان لم يكن مفتعلا ـ بين الزوجة وحماتها سببا كافيا فى نظرهم فى عودة البنت الى الاقامة لقرب من الأهل بالقاهرة ؟ ٠

● ان عادة تجمع أفراد الأسرة الواحدة فى مســـكن واحد ، أو فى مساكن بقرب بعضها من بعض ولو على حساب الروابط الاجتماعية ٠٠ ولو أضرت ببعض هؤلاء الأفراد : هى عادة غير حضارية ٠٠ هى عادة بدائية ٠ ولم تزل من الأسف الشديد متغلغلة فى أعماق نفوسنا الى اليوم ، ولا بأس من أن يكون الحرص على تحقيق هذه العادة : سببا فى الفرقة بين زوجين لم تدم عـــلاقة الزوجية بينهما أكثر من سنة واحدة ، على نحو ما هو وارد فى سؤال السائل هنا ٠

● ان مسئولية المرأة بزواجها تنتقل فورا من محيط أهلها وعائلتها ٠٠ الى محيط الزوجية ، والعلاقة التى تنشأ عن الزواج مستقبلا ٠ والزوجة مطالبة ـ ان هى نظرت الى بيت أسرتها الأولى ـ ان تركز الآن نظرتها فى أسرتها الجديدة وما يتفرع عنها ٠ وأم الزوج أو حماة الزوجة عضو فى الأسرة الجديدة ٠ ويجب أن لا تنظر اليها الزوجة من أول الأمر كخصم لها أو كمصدر لمتاعبها فى صلتها بزوجها ٠ بل يجب أن تنظر اليها كأم تسلم بالتدريج ابنها الذى حملت فيه ، ووضعته ، وسهرت معه الليالى ، وتحملت فى تنشئته المتاعب والصـعاب الكثيرة ٠٠ لامرأة أجنبية عنها ، هى زوجته الآن ٠٠ فعلى الزوجة أن تعيش فى نفس المشاعر والاحساسات التى لدى الأم ، عند معاملتها ٠٠ يجب أن لا تنفعل فى موقف معها ٠٠ يجب أن لا تقاطعها لسبب من الأسباب ٠٠ يجب أن تعرض عليها خدماتها ٠٠ يجب أن يطول صبرها معها ٠ وبذلك تكســبها فى جانبها كما تكسب زوجها نفسيا وماديا ٠

● هذه المشكلة تكاد تتكرر فى مجتمعنا كل يوم ، وغالبا فى كل أسرة ناشئة فى أول عهدها بالحياة الأسرية ·

شاب يتزوج ،

ثم ينجب ولدا أو أكثر بعد فترة قصيرة من الزواج ،

ثم تبدأ الخلافات بين الزوجة وحماتها ، أو بينها وأخت الزوج أو أخواته ،

ثم تغضب الزوجة وتترك منزل الزوجية الى مسكن والديها ومعها ولدها أو أولادها ،

ثم تطالب بعدم السكنى مع الحماة أو الأقارب لزوجها ، واستقلالها بمسكن خاص ،

وقد يكون السكن الجديد فى مدينة كبرى كالقاهرة والاسكندرية ، بدلا من القرية ، فى الريف ،

ثم تتجه الى الخصومة فى المحاكم وتغلق مجال المصالحة بين الطرفين·

وكثيرا ما ينتهى الأمر بفشل الزوجية وانهيار الأسرة الجديدة ·

(أ) أين المشاركة فى بناء الأسرة الجديدة من قبل الزوج وأهله ، ومن قبل الزوجة وأهلها ؟

(ب) أين تحمل الزوجة وتحمل الزوج فى سبيل المحافظة على الولد الذى أنجباه معا بعيدا عن هموم الحياة الأسرية ؟

(ج) أين أثر تعليم المرأة ؟ أين أثر تميزها بالثقافة المدرسية والاعلامية اذا كانت لا تستطيع أن تعيش مع زوجها فى مكان غير مكان أسرتها؟ ألم يكن الزواج هو الأمل المنشود لها ؟ وألم تكن الأمومة تمثل هدفا رئيسيا عندها ؟

(د) ما هو مدى تحرر المرأة واستقلالها اذا كانت لا تستطيع أن توائم بين وظيفتها كزوجة ، والمحافظة على علاقتها بأهل الزوج ؟

(هـ) ان المشاركة فى الأسرة هى فى تضييق دائرة مشاكلها ، وفى حل هذه المشاكل ان وقعت ·

يعيش فيها والتى أعدت له : « الا اذا كان هناك مدبر للكون كله وخالق لجميع الموجودات ·· واحد وحدة مطلقة فى صفات الكمال ·· لابد أن يكون القادر قدرة مطلقة هو الذى خلق الانسان ، كما خلقه ·· وهو الذى أوجد له كذلك البيئة والمحيط الذى يعيش فيه الانسان ·· هو الله سبحانه ·

فالدليل الحسى على وجود الله قائم بين يدى الشباب · ومن ينكره ينكر ما لا ينكر ، ويكفر بما لا يكفر به الانسان الطبيعى ·

● وعلى السائل أن يحذر من الوقوع تحت اغراء الهوى والشهوة فى مرحلة المراهقة التى يعيش فيها الآن ، أكثر مما هو واقع · وليستغفر الله ، ويسأله التوفيق · وليطرح ما يجول فى خاطره فانه من وسوسة الشيطان فى داخل نفسه أو فى خارج ذاته ·



٥ ـ الزوجة تكون حيث يسكن زوجها :

مشرف زراعى باحدى الجمعيات الزراعية باحدى المحافظات · ويتقاضى راتبا قدره تسعة عشر جنيها مصريا · وتزوج بفتاة نزح أهلها من الريف الى القاهرة ، ولم يتعرف عليها الا عن طريق أخته فى مسكن مجاور لمسكن والديها فى العاصمة ، وأنجب منها ولدا بعد عام من زواجه · ويسكن الآن مع زوجته وولدهما فى مسكن بالبلدة التى يعمل فيها كمشرف زراعى · ويعيش فى نفس المسكن معه والده ووالدته باعتباره أنه العائل لهما ·

وحدث بعد مرور العام الأول أن وقع خلاف بين زوجته وأسرته ·فحضرت والدة الزوجة وبعض أقاربها معها ، وصممت على أن تصحب ابنتها معها الى القاهرة ومعها وليدها وجميع ما تملك من منقولات واشترطت لعودتها الى زوجها : أن يجد لها مسكنا خاصا لا تشاركها فيه أسرته · وبعد أن أوجد السكن الخاص بالبلدة وطلب عودة الزوجة الى معاشرته لم توافق أمها على عودتها الى الريف · ورأت أن يكون السكن بالقاهرة ثم بعد مضى ستين يوما على ترك الزوجة مسكن الزوجية بالبلدة رفعت دعوى نفقة · فعرض الزوج عليها أن يسلم اليها ربع مرتبه شهريا دون حاجة الى الخصومة القضائية ·· كما أرسل عدة مرات وسطاء كى تعود اليه ، ولكن بدون جدوى ·

وهو يطلب ارشاده الى الحل ، ويرضى به مقدما ·

أنشأه من نطفة مختلطة من الذكورة والأنوثة ·· وقدره فجعل له السمع ، والبصر ، والفؤاد ، ثم يسر له سبيل السلوك والاعتقاد بهداية الله · وبذلك كانت له الرسالة ، بجانب ما خلق فيه من عقل وحكمة · ثم قدرة الله كما انشأته تستطيع أن تميته ، وأن تعيده من الموت الى الحياة فيخرجه من القبر توا الى الحياة كما كان · ومع دلائل القدرة الالهية فى خلق الانسان وتوجيهه واماتته ، واحيائه : فانه قد يكفر بالله ·

وبينما دليل وجوده جل جلاله أيضا يحيط بالانسان من نعم هى له خاصة : « **فلينظر الانسان الى طعامه · أنا صببنا الماء صبا · ثم شققنا الأرض شقا · فأنبتنا فيها حبا · وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا · وحدائق غلبا · وفاكهة وأبا · متاعا لكم ولأنعامكم** » (١) ·· كذلك لم يستخلص الرؤية الواضحة ، عندما كفر بالله وبدعوة الحق ، مما أحاطه الله به من نعم · ولو وضع أمامه الطعام علىسبيل المثال الذى يتناوله ونظر فيه لوجد : أنه خلاصة امكانيات عديدة،ونتيجة لمقدمات يتبع بعضها بعضا · وهى كلها تدل على قدرته سبحانه· فطعام الانسان ــ وكذلك طعام الانعام التى تحيط بالانسان ويحتاجها فى مسكنه، ومأكله ، ومشربه ، وفى سفره ونقلته ــ كانت نتيجة لنزول المطر ، ·· وتفاعل الأرض به فى اخراج النبات فى صنوفه المختلفة وأنواعه : من حب ·· الى فاكهة ·· الى حدائق بأشجارها الكثيفة ·· الى مراع متجددة : فما بين يدى الانسان : من ذاته أولا ·· الى ما يحيط به من نعم كفيل بأن يحمل الانسان على الايمان بالله ·· والايمان بوجوده وبصفات الكمال المطلق له · لانها هى السبيل الذى يسره الله فى شأن الهداية · ولكن قتل الانسان ما أكفره · يغلب عليه هواه ·· وتغلب عليه شهوته فينسى الله أو يكفر به ودلائل الوجود بين يديه : ان فى ذاته وخلقه ·· وان فى النعم التى خلقت للانسان ويلمسها بالحس فى المحيط الذى يعيش فيه ·

● والسائل ــ وهو فى سن المراهقة الآن ــ لكى يستعيد ايمانه بالله ، ولكى يثبت على الايمان القوى : عليه أن يفتح كتاب الله وقرآنه فآيات الخلق ·· وآيات الكون كثيرة ترشده الى وجود الله ·· والى وحدانيته جل جلاله · وما ذكرناه هنا من آيات تقود الانسان فى يسر الى المراد · ومن أجل ذلك تقول السورة بين يدى هذه الآيات : « **قتل الانسان ما أكفره** » (٢) ·· أى ما أشده كفرا· فهو ينكر الله ·· وينكر رسالته ، ولا يلقى نظرة على ذاته وكيف خلقت ·· ولا على البيئة التى يعيش فيها وكيف أعدت لخدمته ·· اذ لا يمكن أن يمر بالأطوار التى مر بها فى خلقه ووجوده ·· ولا يمكن أن يعيش فى البيئة التى

---

(١) عبس : ٢٤ ــ ٣٢ (٢) عبس : ١٧

ثم يقول : فأنا أفكر كثيرا فى الأشياء التى كانت توجد من أيام الرسول ، وأحاول أن استدل بها على وجود الله • وأنا أظن ان مصدر هذا كله هو الفراغ التام الذى أعيش فيه • فأنا لا أزاول أى عمل • ولكنى متحير • ويسأل : فما الحل ؟

● ان الشاب يعيش الآن فى مرحلة المراهقة• ومن صفات هذه المرحلة: أن المراهق غير مستقر على وضع واحد • وانما هو يتردد بين صفات الطفولة • وهى المرحلة السابقة •• وصفات الرشد الانسانى وهى المرحلة التالية •

ومعنى انه يتردد بين صفات المرحلتين : أن تكون له صفات هذه المرحلة ، مرة •• وصفات المرحلة الأخرى ، مرة أخرى • فبينما نجده يبكى لأتفه الأسباب والبكاء خاصة الطفولة •• اذا بنا نجده ينجد غيره من أصحاب الحاجة ويكون صاحب مروءة • ونجدة الغير ، وحسن الصنيع معه من أمارات الانسان الرشيد •

وميل المراهق للتدخين مثلا • كثيرا ما يكون تقليدا منه للانسان الرشيد •• وميل المراهقة الى تجميل وجهها كثيرا ما يكون كذلك : تقليدا منها للمرأة الرشيدة •

● والشاب السائل عندما دخل مرحلة المراهقة ابتدأت نفسه تهتز •• وابتدأ يعيد تقييم سلوكه • لماذا هو متدين ؟ • ولماذا هو يحرم نفسه من الاختلاط بالشابات ؟ لماذا لا يصادق بعض الفتيات ، كما يفعل الشبان أو المراهقون الآخرون ؟ أذلك حرام ؟ •• ومن حرمه ؟ • أهو الله تعالى ؟ • وأين هو ؟ • وما هى صفاته ؟ • وهنا يكون الشك فى وجود الله • وكلما ضغطت عليه فترة المراهقة وتيقظت فيه الغريزة الجنسية كلما استرسل فى الشك • وربما ينتقل الى الجانب الآخر فينكر الله ، كى يخلى الطريق أمام غريزته الجنسية • ويحقق شهوته ، دون شعور بالمسئولية نحو غيره ونحو نفسه •

وهذه هى طبيعة الانسان تدفع بالانسان نحو الشك فى الخالق •• فالانكار له بينما دليل وجوده سبحانه : فى الانسان نفسه : « **من أى شىء خلقه• من نطفة خلقه فقدره • ثم السبيل يسره • ثم أماته فأقبره • ثم اذا شاء أنشره** » (١) • فهو فى موقف الانكار لا يتبصر بقدرة الله ، ونعمه عليه • فالله

---

(١) عبس : ١٨ ـ ٢٢

فيستعان بالمولى جل جلاله من شر الوسواس : سواء أكان مصدره هوى النفس فى داخلها وهو أمر لا يراه الانسان ·· أو كان مصدره من النـاس الأشرار أصحاب الوشاية الذين يحيطون بالضعفاء ويؤثرون عليهم بالقول والحكاية ·

ومعنى الاستعانة بالله جل جلاله فى اتقاء شر الوسوسة : أن يعتقد أولا فى قضـاء الله وقدره ·· وأن ما يقع للانسان فى هذه الحيـاة هو خير ، أراده الله له ·

فاذا اعتقد قل تشاؤمه · وابتدأ يتفاءل فى مستقبل حياته · واذا قل التشاؤم ، قل ظلامه على نفسه · واذا قل الظلام أمام الانسان انكشف له نور الحياة فلا يرى فيها عندئذ ما يثير عدم الثقة فى نفسه وفى الآخرين · وعندئذ يقل شكه وتشككه · وكلما كثر اتجاهه الى الله فى الصلاة كلما تضاءل شكه فى الحياة أو انعدم ·

وزوج السائلة ·· وصديق الطالب : مطالب كل منهما بالاستعانة بالله سبحانه على طرد الوسوسة من نفوسهم ، بقراءة المعوذتين كثيرا · فان كثرة مراجعتهما تطمئن النفس على الاعتمـاد عـلى الله · وهو نعم المولى ، ونعم النصير ·

وعلى السائلة بشأن زوجها ·· وعلى السائل بشأن صديقه أن يصبر كل منهما ويتحملا ضعف الثقة الذاتية وفى الآخرين ، التى تتملك الآن شخص الزوج ، وشخص الصديق · ولو كان لدينا بعض المعالجين النفسيين عـلى أساس من فهم كتاب الله لكان من الرد على هذين السؤالين هو الاتصال بواحد منهما · ولكن من الأسف أن الكثيرين منهم يتبعون « فرويدا » فى طريقة علاجه· وهى ما تسمى : بالتحليل النفسى ، على أساس من العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى ·



٤ ـ الشك فى وجود الله :

مراهق من احدى المدن يقول :

ان سنه الآن : السادسة عشرة · وهو متدين · وكان يسر كثيرا بقدوم المناسبات الدينية كشهر رمضان مثلا ·

ولكنه ابتدأ منذ مدة لا تزيد عن شهر : يقلق ·· ويشك فى وجود الله ·· كما ابتدأ يبكى كثيرا · ولم يعد يستقبل أية مناسبة دينية بفرح ، كما كان الأمر من قبل ذلك ·

هم مترددون بين أن يفعلوا ٠٠ وأن لا يفعلوا ٠ وهم الى السلبية أقرب منهم الى الايجابية فى حياتهم ٠ هم سطحيون ٠ لا يتعمقون فى الأمر ليقفوا على خصائصه ٠ هم سيئو الظن بالآخرين ٠ ان كانوا أزواجا فهم سيئو الظن بزوجاتهم ٠ وان كانوا زوجات فهن سيئات الظن بأزواجهن ٠ حتى الأمهات قد يسيئون الظن بأولادهم ٠ والعكس كذلك ٠

ومن سوء ظنهم بالآخرين : يشكون فى سلامة تصرفهم ٠٠ وفى امانتهم ٠٠ وفى مودتهم وتعاونهم ٠ ولكنهم لا يلبثون فى شكهم على حال واحدة : اليوم يشكون فى أمر معين ٠٠ وغدا يشكون فى أمر آخر على الضد منه ٠

● واذا ترك هؤلاء المتشككون وشأنهم ، فان أمر التشكك يزداد لديهم ، ويتحول الى ما يسمى « بالوسوسة » فالوسوسة هى غلبة التشكك على الانسان الضعيف فى ارادته ٠ وقد تصبح « مرضا » ٠٠ اذا أسلم نفسه لهواجس الهوى وخواطره ٠

و « الموسوس » : انسان ضعيف الارادة ٠٠ سريع التصديق فى الشيء ، وضده ٠٠ سيىء الظن بالآخرين ٠٠ تكثر « السلبية » فى حياته ، بقدر ما تقل الايجابية فيها ٠٠ عديم الثقة بنفسه وبالآخرين ٠٠ معذب بكثرة الشكوك ٠٠ يخاف من غده ، ولا يطمئن اطلاقا لما يأتى به حتى ينتهى عن آخر دقيقة فيه ٠٠ ومعذب برفقته وبصحبته ــ من يكون رفيقا أو صاحبا له : فزوجة الموسوس معذبة ٠٠ وأسرة الموسوس كلها أيضا معذبة ، حتى أولاده الصغار ٠٠ ورفقاء الموسوس معذبون ، اذا أصروا على رفقته ٠

وقد ينتهى أمر الموسوس الى عزله نفسه عن الناس ٠٠ والى ظلام التشاؤم فى الحياة ٠٠ والى اليأس فالانتحار ٠

● وليس هناك علاج للمتشكك أو الموسوس الا أن يعتمد على الله فى حياته ٠٠ الا أن يكل أمره اليه ٠٠ الا ان يستعين بربه : خالق السموات والأرض ٠٠ فهو وحده المنقذ له من الوسوسة ، والشك والتشكك ٠ اذ هو الذى يدعو رسوله عليه السلام الى أن يعلن الالتجاء اليه عندما تشتد هواجس النفس :

« قل أعوذ برب الناس ٠ ملك الناس ٠ اله الناس ٠ من شر الوسواس الخناس ٠ الذى يوسوس فى صدور الناس ٠ من الجنة والناس » (١) ٠٠

(١) سورة الناس ٠

وقصته بعد أن سجلها من املائه : أن والدته أنجبت بنتا فاذا تبرزت غسلتها فى حوض الوضوء أو غسل الوجه واليدين ·· أو فى أرض الحمام· واذا تبولت لم يكن لها مكان للتبول · وانما كانت تسير فى أى اتجاه ، وبولها يصاحبها أينما سارت ، وأينما وقفت على الأرض ·· على السجاد ·· فى أى موضع · وشك فى أن المنزل الآن نجس فانقطع عن العبادة · وزاد فى أمر الشك عنده فأصبح يسمع صوتا يناديه اذا تحرك فى أى مكان فى المسكن : هنا قذارة ·· هنا نجاسة ·· كما أصبح هو وحده ـ دون اخوته ـ الذى يوسوس له الشيطان بالنجاسة بسبب أخته الصغيرة · وينقل صديقه : انه يسأل : كيف يستطيع التغلب على الوسوسة والشيطان ؟ ·

● هناك بعض الطبائع البشرية تصدق فى أمر ما لمجرد شبهة · ولا تحلل الأمر فى ذاته ، أو تحاول أن تقف على الدليل المبعد للشك على الأقل ·

فزوج السائلة هنا سارع وصدق أن زوجته لم تكن بكرا ، لأنها لم تنزف ليلة الدخلة بها · وكل ما حصل لها : انه قطر منها نقطتان من الدم فقط · وعندئذ شك فى أمانتها واحتفاظها بعفتها قبل الدخول بها ·

وكذلك طالب الثانوية العامة الذى كان يرافق مجموعة من زملائه فى المواظبة على أداء الصلاة بالمسجد · صدق فى سرعة ، فى نجاسة المسكن الذى يسكنه هو وأهله · لأن أخته الطفلة الصغيرة كانت تتبرز وتتبول فى جوانبه ، مما كان يحمل أمه على غسلها فى حوض الوضوء أو الحمام ·

والذى يسارع بالتصديق فى أمر ما ، بدون دليل واضح لديه : عنده الاستعداد النفسى أيضا لأن يصدق اليوم بنقيض ما كان يصدق فيه بالأمس · والمثل على ذلك زوج السيدة السائلة أيضا · فانه بعد أن اتهمها بعدم الأمانة وشك فى عفتها قبل الدخول بها : عاد وصدقها فى أنها أمينة على عرضه ، بعد أن أعلنت الطبيبة الاخصائية انها دخلت على زوجها وهى بكر ·

وكذلك عندما شك فى نزاهتها يوم أن أتت بالطفلة الأولى ، ثم الطفل الثانى ، وادعى أن كليهما من اخصاب رجل آخر · وبعد المراجعة والحوار معه : نفى هذا الاتهام ، وأقر بنسب الطفلين له ·

● هناك بين الناس اذن : شكاكون · يتقلبون فى الشك بين الشىء ·· ونقيضه · أو هناك من يسرع بالتصديق بأمر ما ·· ثم يسرع بتصديق ضده ·

هؤلاء الشكاكون : أو هؤلاء الذين يسارعون فى التصديق : هم ضعفاء الارادة ·· أو من ضعاف الشخصية · هم مهتزون فى حياتهم ، ولا يستطيعون أن يبرموا أمرا ، وأن ينفذوا ما أبرموه وارتضوه ·

الذات والتوكل على الله · فانه طريق النجاح فى اطمئنان النفس ·· وضمان الرزق من الله : « **وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها** » (١) ·· أى اذا دبت وتحركت للسعى والعمل فى سبيل الرزق ·

* * *

٣ ـ الوسوسة :

أولا : سيدة باحدى المحافظات ·· تروى قصة الشك التى تسيطر على العلاقة الزوجية بينها وبين زوجها · فتقول :

انها تزوجت منذ سبع سنوات من رجل محترم ومن أسرة طيبة ·· وأن هذه الزيجة أثمرت ولدين الآن ·· وأنه تزوجها تحت تأثير والدته ، صرفا له عن ابنة عمه التى كان يحبها كثيرا · ولشدة تعلقه أول الأمر بابنة عمه أرادت أن تمثل عليه دورا ربما يرغبه فيها فادعت أن ابن عمها كان يحبها كذلك ·ولكن ظهر لزوجها : أن هذا كذب منها ·

وعندما دخل بها لم يقتنع انها كانت بكرا · لأنها كما تقول : قطرت نقطتان من الدم فقط · فذهب بها الى طبيبة اخصائية فطمأنته وذكرت له : أن زوجته من النوع الذى لا ينزف وأكدت له بكارتها ·

وعندما أنجبت الطفلة الأولى شك فى أنها ابنته ثم رجع عن هذا الشك حتى اذا أنجبت الطفل الثانى عاد فشك فى أنه ابنه · والعلاقة بين الاثنين دائرة بين الشك فترة ·· ودفعه فترة أخرى ، حتى مرضت الزوجة من كثرة تفكيرها · فهى تقع تحت تأثير طبية قلبه ، وتريد أن تقف بجانبه فى الأزمات · وتسأل هل تمر هذه الأزمة ويعود الى الحالة الطبيعية ؟ · كما تؤكد انهـا متدينة ·· وتخشى الله قبل أن تخشى الناس ، وانها لم تعبث فى حياتها اطلاقا كما يعبثن بعض الفتيات ، وبالأخص فى مرحلة المراهقة · انها الآن لم تجد سوى الله تتوجه اليه ليهديه سواء السبيل · وتطلب ارشادها الى الطـريق الصحيح ·

* *

ثانيا : طالب بأحد المعاهد : يذكر قصة صـديق له · وقد تخلف فى الدراسة فلم ينجح فى الثانوية بعد رسوب ثلاث سنوات فيها ·· كما تخلف عن الجماعة التى كانت تواظب على الصلاة وأداء شعائر العبادة منذ ثـلاث سنوات كذلك · وانقطع عن التدين ·

---

(١) هود : ٦

مشكلة تواجهه· فالمشكلة ليست فى اصلاح حال والده ونقله من اتباع الشيطان الى حزب الله · فالوالد يقع – كما يحكى ولده – تحت تأثير عادات جاهلية كثيرة · أهمها الظلم ، والاعتداء ، وتبييت الشر والسوء للآخرين · ولكن المشكلة ان الولد يريد أن ينفق على نفسه وأسرته من مال والده · لأن الأجر الذى يحصل عليه من العمل لا يفى بنفقاته · وليس هناك ضمان لأن يوافق الوالد – طالما العلاقة بينه وبين ابنه على هذا النحو من السوء – على أن يتكفل بسد حاجته فى النفقة ·

وهنا يأتى دور الايمان الصادق بالله · فالمؤمن الصادق فى ايمانه بالله يعتمد على ذاته ، ويتوكل على الله · فهما أمران ضروريان فى حياة المؤمن : الاعتماد على الذات · والتوكل على الله · فالمؤمن الذى يعتمد على ذاته يسعى سعيا جديا للعمل من أجل الرزق ·· ويجعل العمل صنوا للعبادة : يفرغ من العمل ليسعى الى العبادة ·· ويفرغ من العبادة ليسعى الى العمل : « **يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع** » (١) ·· « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** » (٢) ·

وعند مباشرة العمل يتوكل على الله ، ويستعين به فى تيسير أمره عليه· ولذا تقول الآية السابقة بعد قول الله تعالى : « **فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** » ··· تقول : « **واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » (٢) · أى اذكروا الله فى عملكم · فيجب أن يؤدى فى كمه وفى نوعه بحيث يستحل الأجر عليه · وعندئذ يتحقق الفلاح والنجاح فى حياة العامل سواء بالنسبة لمعيشته، أو لتربية أولاده · لأنه ينشئهم على كسب حلال ·

والمؤمن بالله الصادق فى ايمانه لا ينظر اذن الى ما فى يد غيره : من مال · ولو كان مال والده · وانما يركز على عمله هو ·· وعلى طاعته لله فيما يعمل ·

والسائل اذا اعتمد على نفسه فى العمل وتوكل على الله فى عمله : لا يشغل نفسه بوالده : باصلاحه ·· أو ببقائه على انحرافه · لا يسئل الا عن شىء واحد فقط : كيف يرضى ربه فيما يعمل ؟ ·· كيف يرضى ربه فيما يعيش هو وأسرته ؟ ·· كيف يرضى ربه فيما يربى أولاده ؟ ·· وليترك بعد ذلك صلاح والده الى خالقه ·· وليترك اخوته غير الأشقاء وزوجة أبيه ، الى المولى جل جلاله · وليجرب السائل هذا الطريق · وهو طريق الاعتماد على

---

(١) الجمعة : ٩ (٢) الجمعة : ١٠

منه الآن لنفسه وللآخرين ، فضلا عما يرجى منه للاسلام · والولد الذى يجعل ايمانه بالله فى الميزان ·· ويهدد المسلمين بالانتقام من الاسلام بالارتداد عنه، اذا لم يتكاتفوا على انقاذه من ظلم أبيه ويعينوه على أن يصل مال الأب اليه ينفق منه على نفسه وعلى أسرته : أى خير ينتظر منه للمسلمين أو للاسلام ، اذا بقى معلنا ايمانه بالاسلام · وظل كما هو فى صف المسلمين ؟

● كثير من الناس لا يعرفون : ان ايمانهم بالاسلام مصدر خير ونفع لهم هم لأن باستقامتهم فى السلوك والمعاملة مع الآخرين يكسبون منهم : الرضا ، والمعاونة ·· والمودة ·· فوق انهم يكسبون فى ذواتهم : الاعتدال ، والاعتماد على الله · كما يتجنبون اقتراف الشرور والمعاصى · فالايمان بالاسلام مصلحة للمؤمنين أنفسهم وليس فيه ما يمتنون به على الله تعالى · ولذا طلب من الرسول عليه السلام أن يجيب الاعرابى الذى جاءه ، يمتن عليه بأن أسلم ، بقوله : « **يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين** » (١) ·

··فقد كلف الرسول عليه السلام هنا ، بأن يجيب : بأنه اذا كان هناك منة فى ايمان المؤمن ، من أحد وعلى أحد : فالمنة من الله على المؤمن به ، بسبب أن هداه للايمان ·

والسائل هنا ، بمسلكه ، ليس صورة مشرفة للمؤمن ، حتى يكون هناك أسف على خروجه من الاسلام وارتداده الى الكفر · اذ الفرق بين وضعه الحاضر ·· والوضع الآخر المرتقب له ، ليس كبيرا ·

ولا ينبغى اطلاقا أن يهدد مسلم ما بالخروج من صفوف المسلمين ، مهما وقع فى حرج أو فى أزمة · لأن تهديده بالخروج من صفوف المسلمين : أمارة على افلاسه فى حل أزمته ، وعلى عدم صلاحيته للتصدى لمشاق الحياة ·

وفريضة الصوم يوم أن كلف بها المسلمون : قصد منها أن يتعلموا من الحرمان ومن الامساك عن جميع ما تشتهيه النفس فى أيام رمضان ، كيف يصبرون على المشاق والصعاب التى قد تصادفهم فى حياتهم ، فى غير رمضان ، وفى غير أيام الصحة والرخاء ·

● واذا كان التهديد بالخروج من صوف المسلمين ليس حلا لمشكلة السائل ، فان دعوته الى الايمان الصادق بالله هو الحل الأمثل لما يفترضه من

---

(١) الحجرات : ١٧

مرة ـ ضربا مبرحا حتى حملته أسرته على الأعناق تسيل الدماء من كل جانب من جسمه ولزم فراشه حتى فارق الحياة · وذلك بسبب أن واجه العمدة بقوله : ان الجلسة التى ترأسها لحل مشاكل القرية كلها ظلم ·

وبسبب قسوته وشدته تقدمت احدى العائلات ، وكذلك العمدة الحالى للقرية بالشكوى ضده الى الجهات المسئولة · فعزل من الوظيفة واعتقل ابنه الذى يشكو الآن من والده أربع سنوات فى المعتقل · ولم يخرج منه الا فى عام ١٩٦٤ ·

ولأن ابنه الذى يشكو هنا لا يطيعه فى تنفيذ ما يامره به من قتل بعض اناس معينين : غضب عليه ، وطرده من المنزل · ويحرض على قتله كما يدعى : بعض اخوة له غير أشقاء · وهو يعمل بالأجر · ويقوم بالانفاق على أولاده الستة وزوجته ·

ويطلب :

أولا : أن يحصل على حقه من مال أبيه فى الانفاق على نفسه وأسرته ·

ثانيا : أن يوقف هذا الأب عن التعدى والتحريض على العدوان ومباشرة الظلم ·

ثالثا : ليس أمامه اذا لم يتم هذا وذاك : الا أن يتخلى عن الاسلام ويعتنق دينا آخر حتى لا يكون من أقارب هذا الوالد ، كما يذكر ! ·

● حسبما يبدو من رسالة السائل : أنه لا خير للاسلام منه ، ولا من والده ··· والاسلام لا يخسر شيئا اذا ارتد هذا الولد عن دين الله · ولا يكسب الدين الآخر الذى يعتنقه شيئا اذا انضم اليه ·

فالأب وابنه : كلاهما مصدر ايذاء وضرر لنفسيهما ، وللناس الآخرين· وليست لديهما الأهلية لأن يكون كل منهما ذا انسانية فى معاملاته ·· وفى سلوكه ·· وفى استقامته فى تصرفاته ·

الأب تورط فى الظلم ، كما يحكى ولده · ولا يستطيع أن يعدل عن الشر، بعد أن تقدمت به السن ، وبعد أن عزل من وظيفة العمدية · فأى خير يرجى

وقد آن الأوان أن يطرح الناس جميع الاعتقادات التى تجعل لغير الله فعلا فى هذا الوجود ·· وأن تتجه اليه وحده فى السراء والضراء ·

● والحل لمشكلة السائلة أن تكف أولا عن الاعتقاد فى خرافة العفاريت ·· وثانيا عن الاعتقاد فى الشفاء منها بزيارة أماكن العبادة ، وعلى أيدى اناس معينين فيها ·· وثالثا أن تعتقد فى الله وحده :

« هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم · هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون · هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (١) ·

فاذا طهرت نفسها من الاعتقاد فى الخرافة ، وآمنت بالله وحده ، فعليها بعد ذلك أن تحلل الأمر فى نفسها · فاذا راجعت مشكلتها فستجدها تعود الى « التهيب » فلتدفع نفسها الى الأمام معتمدة على الله ، وعلى حسن مراجعتها لدروسها ومواد الدراسة لديها · ولا تخشى أن تخطىء ، طالما الانسان يكون منه الصواب والخطأ · واللسان لا يتعثر الا اذا تعثرت النفس فى داخلها · والنفس تتعثر بسبب الخوف وحده · والجرأة أو الشجاعة هى القنطرة التى يمر بها الانسان فوق الخوف مهما كان عميقا فى النفس ·

ولتفصح عن مشكلتها بجانب ذلك الى مدرستها أو المدرس فى فصلها ، وترجوه أن يشجعها على الاجابة مهما تعثرت فيها · والله ولى التوفيق ··

★ ★ ★

٢ ــ التهديد بالردة عن الاسلام :

يكتب مواطن من احدى القرى : أنه سيرتد عن دين الاسلام هو وزوجته وأولاده ، ويبحثون عن دين آخر ان لم تحل مشكلته مع والده ·

ومشكلته : أن والده ــ كما يقول ــ جبار ولا يستطيع أن يرجعه عن ظلمه وقسوته الشديدة أحد · فقد تولى منصب « العمدية » فى القرية · وقسى ، واشتد وظلم كثيرا · وبسبب قسوته الشديدة : ضرب أحد الأهالى

---

(١) الحشر : ٢٢ ــ ٢٤

اذ هذه اللقلقة عنوان التهيب النفسى الداخلى ، والتردد بين الاقدام والاحجام وسط بقية التلميذات فى الفصل ·

ولو سألت هذه التلميذة نفسها : السؤال الذى القى عليها وعلى قريناتها فى الفصل وهى وحدها لأجابت عليه ، دون تعثر أو لقلقة منها · ذلك لأن سبب التهيب والخشية غير قائم الآن · وهو وجود زميلاتها معها ، ووجود المدرسة أو المدرس بينهن ·

فعادة التردد أو التهيب يجب أن تحل محلها عادة الاقدام والشجاعة · وهذه العادة الثانية لا تحل محل الأولى الا اذا اقتنعت التلميذة التى تعانى الآن من اللقلقة : بأن الاجابة على السؤال الذى يطرح فى الفصل كما تحتمل الصواب تحتمل الخطأ · فالخطأ فى الاجابة ليس عيبا · بل ربما يكون هذا الخطأ سببا فى كشف مشكلة يجب على المدرسة أو المدرس : أن يتناولها بوضوح لجميع التلميذات مرة أخرى ·

واذا اقتنعت التلميذة السائلة بأن « الكمال » وان كان يجب أن يسعى اليه الانسان ، لكن قلما يكون كاملا فى كل شىء فان درجة تهيبها ستنخفض · وبالتالى ستتعود الاسترسال شيئا ، فشيئا ، الى أن تزول عنها اللقلقة التى تعانى منها ·

ودور المدرسة أو المدرس فى تشجيعها واضعاف عادة التردد والتهيب لديها : دور أصيل · ويكاد يكون هو العامل الايجابى الوحيد فى مثل هذه الحالة ·

● والذهاب الى الكنيسة من أجل الشفاء الموهوم : حرام · فالقرآن يدعو الى الايمان بوحدة الألوهية فى الله سبحانه وتعالى · ومعنى ان الله واحد : انه لا شريك له فى هذا الوجود : فى الفعل ·· والقدرة ·· والارادة ·· والخلق ·· الى غير ذلك من الصفات التى تدل على تفرده فى استحقاق العبادة · فاذا اعتقد الانسان ان هناك عفريت يلبس بدن الانسان ·· وأن هناك مكان معين يمكن أن يتخلص فيه من هذا العفريت ·· وان فى هذا المكان شخصا ما يخلص البدن من العفريت الذى يلبسه : يكون قد اعتقد بشريك لله جلت قدرته ، له فعل وله قدرة على التخليص من الآلام والمتاعب التى للآخرين· وهذا دستور القرآن للبشرية جميعها يعبر عنه قول الله تعالى : **« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »** (١) ·

---

(١) آل عمران : ٦٤

الفصل الأول

في دائرة الألوهية .. والواجبات الدينية

١ - بيت الله هو ما يعلن فيه ذكر الله وحـده :

تلميذة فى الصف الثانى فى المدرسة الثانوية تشكو من عدم قدرتها على الاجابة عند السؤال شفويا فى الفصل رغم انها تعرف الاجابة الصحيحة · ولكنها تحس : ان هناك شيئا ما يمسك لسانها ويمنعها من الكلام · واذا تكلمت يخرج الكلام بلقلقة · وهى تعانى من هذه الحال وتبكى بسببها وكادت ان تيأس وتقـدم على الانتحار ·

وتحـاول الآن أن تشـجع نفسها · ولكن - كما تقول - ليست لديهـا القدرة الكافية · وهناك واحدة أشارت عليها بالذهاب الى الكنيسة · اذ ربما يكون عليها عفريت يطلعه الأستاذ الموجود هناك ! وتسال :

(١) هل حرام أن أذهب الى الكنيسة حتى ولو كان هذا المكان أجـد فيه شفائى ؟

(٢) ثم ما رأى القرآن الكريم فى هذه المشكلة ؟ وما الحل الذى افعله لحـل هذه المشكلة ؟

● هذه التلميذة يغلب عليها الحياء · وتحب أن تظهر دائما فى صورة كريمة ، أو فى صورة : انها متفوقة على قريناتها · ومن أجل ذلك تخشى أن تقدم على الاجابة اذا ما طرحت المدرسة أو المدرس سؤالا على التلميذات فى الفصل للاجابة عليه · وخشـيتها من أن تخطىء جعلتها تتهيب وتتردد فى أن تقـدم أولا تقدم ·· فى أن تجيب أولا تجيب · وهذا التهيب أو التردد فى الاقدام والاجابة أصبح عـادة لها · فاذا أقدمت وأجابت بالفعـل تحول هذه العادة لديها دون أن تسترسل فى الاجابة · وهنا تكون اللقلقة التى تحكى عنهـا ،

الجـزء الرابـع

١ ـ فى دائـرة الألوهيـة ·· والواجبـات الدينية ·

٢ ـ فى شئون الأسرة ·

٣ ـ شئون العادات والتقاليد ·

٤ ـ مشاكل الحضارة المعاصرة ·

الامتحانات ·· وغيرها من المشاكل الغريبة عن المجتمع الاسلامى السليم ·· والتى يعانى منها مجتمعنا المعاصر اليوم ··

★★★

نسأل الله تعالى ·· أن ينفع المسلمين بعلم الفقيد العزيز ·· وأن يعوض قراءه وتلاميذه ومحبيه عن فقده : سدادا فى الرأى ، واستقامة على الطريق ، وتمسكا بالاسلام وتعاليمه ·

كما نسأله جل شأنه ·· أن يتغمده برحمته ·· وأن يجزيه عن الاسلام والمسلمين خيرا ·· بقدر ما بذل من جهد ·· وقدم من علم وفكر ·· وأن يسكنه فسيح جناته « **مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا** » ··

« **يا أيتها النفس المطمئنة · ارجعى الى ربك راضية مرضية · فادخلى فى عبادى · وادخلى جنتى ··** » · « صدق الله العظيم »

غرة صفر سنة ١٤٠٣ هـ

١٧ نوفمبر سنة ١٩٨٢ م

وهبة حسن وهبة

★★★

بالسرية التامة ‥ صونا لأعراض أصحابها ‥ وحرصا منه على أسرارهم وسمعتهم ‥ حتى تزداد الفائدة ويعم النفع ‥

وقد قامت « مكتبة وهبة » بنشر الجزأين الأول والثانى فى مجلد واحد ‥ يحوى ١٨٢ سؤالا وجوابا ‥ كما احتوى الجزء الثالث ـ الذى قامت المكتبة بنشره ـ على ١١٧ سؤالا وجوابا ‥

ويحتوى هذا الجزء ـ الرابع ـ على مائة وتسعة وستين سؤالا ‥ فى كل ما يهم المسلم المعاصر ‥ أجاب عنها ـ رحمه الله ـ بما تعود الناس منه من رجاحة الرأى ‥ وأمانة الدين ‥ وصدق النصيحة ‥ بالاضافة الى الموضوعية فى بحث المشاكل ‥ والاخلاص فى النصيحة ‥

ففى دائرة الألوهية والواجبات الدينية ‥ نراه يتصدى : لوسوسة الشيطان ، والشك فى وجود الله ، ورفض الاسلام للتشاؤم ، والتطرف فى فهم الدين ، وارادة الله ومسئولية الانسان ، ومنزلة العقل والقلب فى كتاب الله ، ومجاهدة النفس ، وعبادة الله على حرف ‥ وغيرها من مسائل العقيدة والعبادات ‥

وفى شئون الأسرة ‥ تعرض ـ رحمه الله ـ لمشاكل : الزواج والطلاق ، وعقوق الوالدين ، وصلة الرحم ، وأثر قدوة الأب السيئة ، ودور المرأة فى رعاية أولادها ، وتكافؤ الزواج ، والاخلاص والخداع فيه ، ودخول المال فى شئون الأسرة ‥ الى غير ذلك مما يعرض يوميا فى حياة الأسرة ‥

وفى شئون العادات والتقاليد ‥ حدثنا ـ رحمه الله ـ عن : التوبة النصوح ، وسيطرة الخرافة ، وزيارة القبور ، والزى الاسلامى ، والسفور والاختلاط ، والأزمات النفسية بين الشباب ، والشذوذ الجنسى وسلبياته ، وادمان المخدرات ، والزواج العرفى ، وسوء معاملة الزوجة وسوء مسلكها ، وعفة المرأة ، وجريمة الاعتداء على العرض ، وانجاب الأولاد ، ومرحلة المراهقة ، وتبادل الرسائل بين الفتى والفتاة ، ومشاكل المرأة العاملة ، الخ ‥ واصفا العلاج الصحيح لهذه الأمراض الاجتماعية ‥

وفى مشاكل الحضارة المعاصرة ‥ نراه يعالج الأمراض الناشئة عن : الاختلاط ، وتعرض الايمان الى الاهتزاز ، وصور الحضارة المستوردة ، ورفقاء السوء ، وانحراف الشباب ، وزواج المسلمة بغير المسلم ، وأثر الاختلاف فى الدين والعرف والوطن على العلاقة الزوجية ، والغش فى

البرامج والأساليب المؤدية لاقامة المجتمع المسلم الفاضل ·· وكان فى كل ما يكتبه حربا على العلمانية والكفر والالحاد ·· كما قدم « **التفسير** الموضوعى للقرآن الكريم » ··

ولقد اختص ـ رحمه الله ـ « **مكتبة وهبه** » بثقته ·· فأسند اليها نشر مؤلفاته التى أربت على السبعين كتابا ورسالة ·· فكانت عند **ثقته** وحسن ظنه ·· وقدمتها للأمة العربية بالصورة اللائقة بالراحل الكريم ··

★★★

ولقد درج الناس على اللجوء فى حل مشاكلهم ـ الخاصة والعامة ـ الى من يثقون فى حصافة رأيه ·· وسعة اطلاعه ·· وخبرته بالحياة ··

وفى أمور الدين ـ خاصة ـ لا يلجأ الناس الا لمن يثقون فى دينه ·· وعلمه ·· وخلقه ، يلتمسون عنده الرأى ·· وينشدون لديه الدواء لما يعترى نفوسهم من علل وأدواء ··

وبالرغم من أن فى بلادنا ـ بحمد الله ـ الكثير من العلماء الأجلاء ·· وأصحاب الرأى وأهل المشورة ·· بالاضافة الى جهاز رسمى للافتاء ·· فان آلاف الرسائل كانت ترد ـ يوميا ـ من أنحاء البلاد الى أستاذنا الفاضل الدكتور محمد البهى ـ رحمه الله ـ لما عرف عنه من سعة علم ·· وايمان ·· وورع ·· وشجاعة فى الرأى وصدق فى القول ·· فقد كان لا يجامل أحدا فى الحق ، ولا يبخل بالرأى والمشورة مهما كانت حساسية الموضوع المطروح ·

وكان ـ رحمه الله ـ يجيب على أسئلة السائلين برسائل خاصة ·· وفى سرية تامة ·· فيصف لكل داء دواءه ، ويجد لكل مشكلة حلها ·· متمسكا بالحل الاسلامى لكل ما يعترى الناس من مشاكل فى دينهم ودنياهم ·· مستهديا بالهدى القرآنى والسنة النبوية ·· مجاهرا بالحق ·· مخلصا فى ابداء الرأى ·· كالطبيب البارع الذى يكشف عن الداء الكامن ، ليصف له الدواء الناجع ··

ولما كانت المشاكل ـ التى يتعرض لها بالحلول ـ من المسائل العامة ·· التى يصادفها الانسان فى حياته اليومية ـ الخاصة والعامة ـ ان لم يكن بشخصه ، ففى من يحيطون به ·· فى الأسرة ·· والبيت ·· والشارع ·· والعمل ·· فى الحياة وبعد الموت ·· فقد رأى ـ رحمه الله ـ أن يجمعها فى سلسلة من الكتب ·· تحمل اسم : « **رأى الدين بين السائل والمجيب ·· فى كل ما يهم المسلم المعاصر** » ·· يعرض المشكلة ويضع لها حلها ·· محتفظا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ·· والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ·· سيدنا محمد النبى الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ·· ومن دعا بدعوته وتمسك بشريعته الى يوم الدين ··

··· وبعد :

فقد تعود القارىء الكريم على مطالعة المقدمة بقلم المؤلف نفسه ·· ولكن شاءت ارادة الله ـ التى لاراد لها ـ أن يختار المؤلف الفاضل الى جواره فى يوم الجمعة ٢٢ ذى القعدة سنة ١٤٠٢ هـ ـ الموافق ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٨٢ م ·· بعد حياة مليئة بالجهاد والكفاح ·· أثرى خلالها المكتبة الاسلامية بالعديد من مؤلفاته ·· الزاخرة بالفكر والعلم الرشيد ·· والتوجيه السليم ·

ولقد كان أستاذنا الفاضل ـ الدكتور محمد البهى ـ رحمه الله ·· عالما جليلا ·· ومفكرا عميقا ·· وأستاذا فاضلا ·· تقلد المناصب الكثيرة فلم تغير من طبيعته ·· وكان دائما المؤمن بربه ·· المتمسك بدينه ·· المعتز بفكره وقلمه ··

كان صادقا ·· مخلصا ·· متواضعا ·· جريئا ·· لا يخشى فى الحق لومة لائم ، مما عرضه للعديد من المتاعب ·

كان ـ رحمه الله ـ لا يسعى لدنيا ·· ولا ينشد منها مغنما ·· حسبه رضاء ربه ·· وحب تلاميذه وقرائه ومحبيه ··

ولقد كان ـ رحمه الله ـ مهتما بتربية جيل متكامل على مبادىء الاسلام ·· متمسكا فى كل ما يكتب بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ··

كتب فى الفلسفة الاسلامية ·· وفى العقيدة ، والسلوك ، والمجتمع ·· والفكر الاسلامى من جميع جوانبه : الاجتماعية ·· والسياسية ·· والأخلاقية ·· والاقتصادية ·· وكشف أساليب أعداء « الفكرة الاسلامية » ·· ووضع

الطبعة الأولى

سنة ١٤٠٣ هـ ـ سنة ١٩٨٣ م

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) ـ تليفون : ٩٢٢٠٧٩

الدكتور محمد البهي



فى كل ما يهم المسلم المعاصر

الجزء الرابع

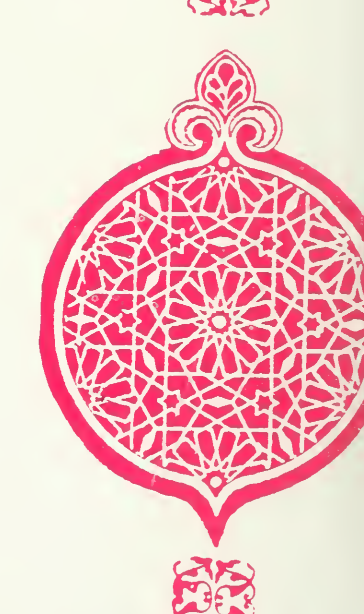
الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

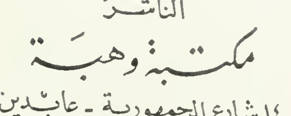




في كل ما يهم المسلم المعاصر

الجزء الرابع




الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

